جامع السعادات

تأليف
العلامة النراقي

جلد ٢

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

جامع السعادات

کاتب:

ملا محمد مهدی نراقی

نشرت فی الطباعهٔ:

اعلمی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

جامع السعادات المجلد ۲ ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

[تتمه الباب الثالث] ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

المقام الثالث (فيما يتعلق بالقوه الشهويه من الرذائل و الفضائل و كيفيه العلاج) ----- ۱۸

اشاره ----- ۱۸

أما جنسا رذائلها ----- ۱۹

اشاره ----- ۱۹

فأحدهما: ----- ۱۹

اشاره ----- ۱۹

و يدل على ذم(الأول)-أعنى شهوه البطن و الحرص على الأكل و الشرب ----- ۲۰

فوائد الجوع ----- ۲۳

الشهوه الجنسيه ----- ۲۴

(و ثانيهما)-أى ثانى جنسى رذائل قوه الشهوه-: الخمود ----- ۲۸

اشاره ----- ۲۸

وصل العفه ----- ۳۱

(الاعتدال فى الشهوه) ----- ۳۲

و أما غير الجنسين من الأنواع و النتائج و الآثار المتعلقه بالقوه الشهويه ----- ۳۳

اشاره ----- ۳۳

فمنها: ----- ۳۳

اشاره ----- ۳۳

تذنيب (لا بد للمؤمن من مكسب) ----- ۳۶

فصل (الدنيا المذمومه هى الهوى) ----- ۳۸

فصل (ذم الدنيا و أنها عدوه اللّه و الإنسان) ۴۰

فصل (خسائس صفات الدنيا) ۵۲

تذنیب (تشبيها الدنيا و أهلها) ۵۵

فصل (عاقبه حب الدنيا و بغضها) ۵۸

و منها: ۶۱

اشاره ۶۱

فصل الكتاب و السنه متظاهران في ذم المال و كراهه حبه، ۶۲

فصل (الجمع بين ذم المال و مدحه) ۶۵

فصل (غوائل المال و فوائده) ۶۷

إن غوائله إما دنيويه أو دينيه: ۶۷

و الدنيويه: ۶۷

و الدينيه:ثلاثه أنواع: ۶۷

أولها-أداؤه إلى المعصيه. ۶۷

و ثانيها-أداؤه إلى التنعم في المباحات. ۶۷

و ثالثها-و هو الذي لا ينفك عنه أحد من أرباب الأموال، ۶۸

و أما فوائده:فهي أيضا دنيويه و دينيه: ۶۹

أما الدنيويه: ۶۹

و أما الدينيه:فثلاثه أنواع: ۶۹

أولها-أن ينفقه على نفسه في عباده، ۶۹

و ثانيها-أن يصرفه إلى أشخاص معينه: ۶۹

و ثالثها-أن يصرفه إلى غير معين يحصل به خير عام، ۷۰

فصل (الأمور المنجيه من غوائل المال) ۷۰

وصل (الزهد) ۷۲

فصل (مدح الزهد) ۷۳

فصل (اعتبارات الزهد و درجاته) ۸۲

(الأول)اعتبار نفسه ۸۲

(الثانی)اعتبار المرغوب عنه ----- ۸۳
(الثالث)اعتبار المرغوب فیه:أعنی ما یترک لأجله. ----- ۹۱
تتمیم الزهد الحقیقی ----- ۹۲
و منها: الغنی ----- ۹۲
اشاره ----- ۹۲
فصل ذم الغنی ----- ۹۴
وصل الفقر ----- ۹۵
فصل اختلاف أحوال الفقراء ----- ۹۵
فصل مراتب الفقر و مدحه ----- ۹۸
فصل (الموازنه بین الفقر و الغنی) ----- ۱۰۵
و إنما وقع الشک فی الترجیح بین الفقر و الغنی فی مواضع: ----- ۱۰۵
(الأول)فی الترجیح بین الفقر مع الصبر و القناعه،و الغنی مع الإنفاق،و قصد الاستعانه علی العباده، ----- ۱۰۵
(الثانی)فی الترجیح بین الفقر مع الحرص و الجزع،و الغنی مع الحرص و الإمساک. ----- ۱۰۸
(الثالث)فی الترجیح بین فقیر حریص متکالب علی الدنیا لیس له هم سواه،و غنی هو دونه فی الحرص ----- ۱۰۹
فصل ما ینبغی للفقیر ----- ۱۰۹
فصل وظیفه الفقراء ----- ۱۱۱
فصل موارد قبول العطاء و ردها ----- ۱۱۲
فصل لا یجوز السؤال من غیر حاجه ----- ۱۱۳
و منها: ----- ۱۱۸
اشاره ----- ۱۱۸
وصل القناعه ----- ۱۲۰
فصل علاج الحرص ----- ۱۲۳
و منها: ----- ۱۲۶
اشاره ----- ۱۲۶
وصل الاستغناء عن الناس ----- ۱۲۷
و منها: ----- ۱۲۹

اشاره ----- ۱۲۹
فصل ذم البخل ----- ۱۳۰
وصل السخاء ----- ۱۳۳
فصل معرفه ما یجب أن یبذل ----- ۱۳۸
تنبیه الإیثار ----- ۱۴۰
فصل علاج مرض البخل ----- ۱۴۱
تذنیب ----- ۱۴۴
أما الأمور الواجبه، ----- ۱۴۴
فأولها: الزکاه ----- ۱۴۵
فصل سر وجوب الزکاه،و فضیله سائر الإنفاقات ----- ۱۴۸
الأول-أن التوحید العام ألا یبقی للموحد محبوب سوی الواحد الفرد، ----- ۱۴۸
الثانی-تطهیر النفس عن رذیله البخل، ----- ۱۴۹
الثالث-شکر النعمه، ----- ۱۵۰
فصل الحث علی التعجیل فی الإعطاء ----- ۱۵۰
فصل فضیله إعلان الصدقه الواجبه ----- ۱۵۱
فصل ذم المن و الأذی فی الصدقه ----- ۱۵۲
فصل ما ینبغی للمعطی ----- ۱۵۴
فصل ما ینبغی للفقراء فی أخذ الصدقه ----- ۱۵۹
تتمیم زکاه الأبدان ----- ۱۶۰
و ثانیها: ----- ۱۶۱
و ثالثها: ----- ۱۶۳
فصل ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال ----- ۱۶۶
و أما الأمور المستحبه من الإنفاق،الداخله تحت السخاء، ----- ۱۶۸
فأولها: ----- ۱۶۸
فصل فضیله الإسرار فی الصدقه المندوبه ----- ۱۷۱
و ثانیها: ----- ۱۷۴

و ثالثها: ----- ۱۷۵
فصل ما ينبغی أن يقصد بالضيافه ----- ۱۷۹
فصل آداب الضيافه ----- ۱۸۰
و رابعها: ----- ۱۸۱
و خامسها: ----- ۱۸۴
و سادسها: ----- ۱۸۵
و سابعها: ----- ۱۸۶
و ثامنها: ----- ۱۸۷
و تاسعها: ----- ۱۸۷
تنبيه الفرق بين الإنفاق و البر و المعروف ----- ۱۸۸
و منها-أی من رذائل القوه الشهويه-: ----- ۱۹۱
اشاره ----- ۱۹۱
فصل عزه تحصيل الحلال ----- ۱۹۳
فصل أنواع الأموال ----- ۱۹۴
الفرق بين الرشوه و الهديه ----- ۱۹۶
وصل الورع عن الحرام ----- ۲۰۰
فصل مدح الورع ----- ۲۰۱
فصل مداخل الحلال ----- ۲۰۵
فصل درجات الورع ----- ۲۰۶
تتميم ----- ۲۰۷
الغدر و الخيانه ----- ۲۰۷
أنواع الفجور ----- ۲۰۹
و منها: ----- ۲۱۰
و منها: ----- ۲۱۱
اشاره ----- ۲۱۱
فصل حد التكلم بما لا يعنی ----- ۲۱۳

فصل علاج الخوض فیما لا یعنی ----- ۲۱۵
وصل الصمت ----- ۲۱۶
المقام الرابع (فیما یتعلق بالقوی الثلاث من العاقله و قوتی الغضب و الشهوه،أو باثنتین منها من الرذائل و الفضائل). ----- ۲۱۸
اشاره ----- ۲۱۸
فمنها: ----- ۲۱۹
اشاره ----- ۲۱۹
فصل ذم الحسد ----- ۲۲۰
فصل المنافسه و الغبطه ----- ۲۲۳
فصل بواعث الحسد ----- ۲۲۶
اشاره ----- ۲۲۶
الأول-خبث النفس و شحها بالخیر لعباد اللّه. ----- ۲۲۶
الثانی-العداوه و البغضاء. ----- ۲۲۷
الثالث-حب الرئاسه و طلب المال و الجاه. ----- ۲۲۷
الرابع-الخوف من فوت المقاصد. ----- ۲۲۷
الخامس-التعزز: ----- ۲۲۸
السادس-التکبر: ----- ۲۲۸
السابع-التعجب: ----- ۲۲۸
(تنبیه) ----- ۲۲۹
فصل لا تحاسد بین علماء الآخره و العارفین ----- ۲۳۰
فصل علاج الحسد ----- ۲۳۳
اشاره ----- ۲۳۳
تنبیه القدر الواجب فی نفی الحسد ----- ۲۳۶
وصل النصیحه ----- ۲۳۹
و منها: ----- ۲۴۱
اشاره ----- ۲۴۱
وصل کفّ الأذی عن المسلمین ----- ۲۴۳

اشاره ---------- ۲۴۳
تنبیه ذم الظلم بالمعنی الأخص ---------- ۲۴۶
وصل العدل بالمعنی الأخص ---------- ۲۵۰
و منها: ---------- ۲۵۳
اشاره ---------- ۲۵۳
وصل إدخال السرور فی قلب المؤمن ---------- ۲۵۳
و منها: ---------- ۲۵۶
اشاره ---------- ۲۵۶
وصل قضاء حوائج المسلمین ---------- ۲۵۸
و منها: ---------- ۲۶۱
اشاره ---------- ۲۶۱
وصل السعی فی الأمر بالمعروف ---------- ۲۶۵
اشاره ---------- ۲۶۵
فصل وجوب الأمر بالمعروف و شروطه ---------- ۲۶۹
فصل عدم اشتراط العداله فیه ---------- ۲۷۱
فصل مراتب الأمر بالمعروف ---------- ۲۷۵
فصل معنی وجوبهما کفائیا ---------- ۲۷۶
فصل ما ینبغی فی الآمر بالمعروف و الناهی عن المنکر ---------- ۲۷۷
تتمیم أنواع المنکرات ---------- ۲۷۷
و منها: ---------- ۲۸۰
اشاره ---------- ۲۸۰
فصل التزاور و التآلف ---------- ۲۸۱
و منها: ---------- ۲۸۵
اشاره ---------- ۲۸۵
وصل ضد قطیعه الرحم:صله الرحم ---------- ۲۸۷
اشاره ---------- ۲۸۷

تنبیه المراد بالرحم ---------- ۲۹۰
و منها: ---------- ۲۹۱
اشاره ---------- ۲۹۱
وصل بر الوالدین ---------- ۲۹۳
تذنیب حق الجوار ---------- ۲۹۷
اشاره ---------- ۲۹۷
تتمیم حدود الجوار و حقه ---------- ۲۹۸
و منها: ---------- ۲۹۹
اشاره ---------- ۲۹۹
وصل ستر العیوب ---------- ۳۰۱
و منها: ---------- ۳۰۲
اشاره ---------- ۳۰۲
فصل کتمان السر ---------- ۳۰۳
اشاره ---------- ۳۰۳
تنبیه النمیمه ---------- ۳۰۴
تتمه السعایه ---------- ۳۱۰
و منها: ---------- ۳۱۰
اشاره ---------- ۳۱۰
وصل الإصلاح ---------- ۳۱۱
و منها: ---------- ۳۱۲
و منها: ---------- ۳۱۳
اشاره ---------- ۳۱۳
تذنیب علاج المراء ---------- ۳۱۶
وصل طیب الکلام ---------- ۳۱۷
و منها: ---------- ۳۱۷
و منها: ---------- ۳۲۰

اشاره ---------- ۳۲۰
تذنیب المذموم من المزاح ---------- ۳۲۲
و منها: ---------- ۳۲۴
اشاره ---------- ۳۲۴
فصل لا تنحصر الغیبه باللسان ---------- ۳۲۶
فصل بواعث الغیبه ---------- ۳۲۹
فصل ذم الغیبه ---------- ۳۳۲
فصل علاج الغیبه ---------- ۳۳۸
فصل مسوغات الغیبه ---------- ۳۴۱
تذنیب کفاره الغیبه ---------- ۳۴۴
تتمیم البهتان ---------- ۳۴۵
وصل المدح و مواضع حسنه و قبحه ---------- ۳۴۶
و منها: ---------- ۳۴۹
اشاره ---------- ۳۴۹
فصل ذم الکذب ---------- ۳۵۲
فصل مسوغات الکذب ---------- ۳۵۵
تنبیه التوریه و المبالغه ---------- ۳۵۸
تذنیب شهاده الزور،الیمین الکاذب،خلف الوعد ---------- ۳۶۱
ایقاظ علاج الکذب ---------- ۳۶۳
وصل الصدق و مدحه ---------- ۳۶۴
تکمیل أقسام الصدق ---------- ۳۶۶
اشاره ---------- ۳۶۶
الأول-الصدق فی القول، ---------- ۳۶۶
الثانی-الصدق فی النیه و الاراده، ---------- ۳۶۶
الثالث-الصدق فی العزم، ---------- ۳۶۷
الرابع-الصدق فی الوفاء بالعزم: ---------- ۳۶۷

الخامس-الصدق فی الاعمال: ----- ۳۶۷

السادس-الصدق فی مقامات الدین: ----- ۳۶۹

تنبیه اللسان أضر الجوارح ----- ۳۷۱

تتمیم الصمت ----- ۳۷۵

و منها: ----- ۳۸۰

اشاره ----- ۳۸۰

فصل ذم حب الجاه و الشهره ----- ۳۸۱

فصل الجاه أحب من المال ----- ۳۸۳

فصل لا بد للانسان من جاه ----- ۳۸۴

فصل دفع اشکال فی حب المال و الجاه ----- ۳۸۶

فصل الکمال الحقیقی فی العلم و القدره لا المال و الجاه ----- ۳۹۰

فصل علاج حب الجاه ----- ۳۹۵

فصل حب الخمول ----- ۳۹۷

و منها: ----- ۳۹۹

اشاره ----- ۳۹۹

فصل مراتب حب المدح و کراهه الذم ----- ۴۰۰

فصل أسباب حب المدح ----- ۴۰۱

فصل علاج المدح و کراهه الذم ----- ۴۰۲

وصل ضد حب المدح ----- ۴۰۴

و منها: ----- ۴۰۵

اشاره ----- ۴۰۵

فصل ذم الریاء ----- ۴۰۷

فصل أقسام الریاء ----- ۴۱۱

فصل تأثیر الریاء علی العباده ----- ۴۱۳

اشاره ----- ۴۱۳

تنبیه السرور بالاطلاع علی العباده ----- ۴۱۴

فصل متعلقات الرياء ----- ۴۱۹
فصل بواعث الرياء ----- ۴۲۰
اشاره ----- ۴۲۰
تنبیه الرياء الجلی و الخفی ----- ۴۲۱
فصل کیف یفسد الرياء العمل ----- ۴۲۲
فائده شوائب الرياء مبطله للعمل ----- ۴۲۴
ایقاظ ----- ۴۲۵
تنبیه ----- ۴۲۸
فصل علاج الرياء ----- ۴۲۸
تتمیم ----- ۴۳۱
وصل الإخلاص و حقیقته ----- ۴۳۴
فصل مدح الإخلاص ----- ۴۳۶
فصل آفات الإخلاص ----- ۴۳۹
تتمیم ----- ۴۴۰
و منها: ----- ۴۴۴
تعریف مرکز ----- ۴۵۲

جامع السعادات المجلد ۲

اشاره

سرشناسه : نراقی، مهدی بن ابی ذر، ق ۱۲۰۹ - ۱۱۲۸

عنوان و نام پدیدآور : جامع السعادات/ محمدمهدی النراقی؛ قدم محمدرضا المظفر؛ علق علیه محمدکلانتر

مشخصات نشر : بیروت.

مشخصات ظاهری : ج ۲

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه

شماره کتابشناسی ملی : ۱۲۶۰۳۰

ص: ۱

[تتمه الباب الثالث]

اشاره

المقام الثالث (فیما یتعلق بالقوه الشهویه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج)

اشاره

الشره-فوائد الجوع-الشهوه الجنسیه-خمود الشهوه-العفه-الاعتدال فی الشهوه-حب الدنیا-لابد للمؤمن من مکسب-الدنیا المذمومه هی الهوی-ذم الدنیا و أنها عدوه اللّه و الإنسان-خسائس صفات الدنیا- تشبیهات الدنیا و أهلها-عاقبه حب الدنیا و بغضها-الجمع بین ذم المال و مدحه-حب المال-ذم المال-غوائل المال و فوائده-الأمور المنجیه من غوائل المال -الزهد-مدح الزهد-اعتبارات الزهد و درجاته-الزهد الحقیقی-ذم الغنی-الفقر-اختلاف أحوال الفقراء-مراتب الفقر و مدحه-الموازنه بین الفقر و الغنی-ما ینبغی للفقیر-وظیفه الفقراء-موارد قبول العطاء و ردّها-لا یجوز السؤال من غیر حاجه-الحرص و ذمه-القناعه-علاج الحرص-الطمع و ذمه-الاستغناء عن الناس-البخل-ذم البخل-السخاء معرفه ما یجب أن یبذل-الإیثار-علاج البخل-الزکاه-سر وجوب الزکاه و فضیله سائر الانفاقات-الحث علی التعجیل فی الإعطاء-فضیله اعلان الصدقه الواجبه-ذم المن و الأذی فی الصدقه-ما ینبغی للمعطی- ما ینبغی للفقراء فی أخذ الصدقه-زکاه الأبدان- الخمس-الإنفاق علی الأهل و العیال-ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال-صدقه التطوع-فضیله الإسرار فی الصدقه المندوبه-الهدیه-الضیافه-ما ینبغی أن یقصد فی الضیافه-آداب الضیافه-الحق المعلوم و حق الحصاد و الجذاذ-القرض- إنظار المعسر و التحلیل-بذل الکسوه و السکنی و نحوهما-ما یبذل لوقایه العرض و النفس-ما ینفق فی المنافع العامه-الفرق بین الإنفاق و البر

ص: ۳۰

و المعروف-طلب الحرام-عزه تحصيل الحلال-أنواع الأموال-الفرق بين الرشوه و الهديه-الورع عن الحرام-مدح الورع-مداخل الحلال- درجات الورع-الغدر-أنواع الفجور-الخوض فى الباطل-التكلم بما لا يعنى-حد التكلم بما لا يعنى-أسباب الخوض فيما لا يعنى-الصمت، فنقول:

أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

فأحدهما:

اشاره

الشره

و هو إطاعه شهوه البطن و الفرج،و شده الحرص على الأكل و الجماع و ربما فسر باتباع القوه الشهويه فى كل ما تدعو إليه:من شهوه البطن و الفرج،و حب المال،و غير ذلك،ليكون أعم من سائر رذائل قوه الشهوه،و تتحقق جنسيته،و على الأول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أعم منه،إلا أن القوم لما فسروه بالأول فنحن اتبعناهم، إذ الأمر فى مثله هين.

و بالجمله:رذيله الشره من طرف الإفراط و لا ريب فى كونه أعظم المهلكات لابن آدم،

و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-:

«من وقى شر قبقبه و ذبذبه و لقلقه فقد وقى» ،و القبقب:البطن، و الذبذب:الفرج،و اللقلق:اللسان.

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم:- «ويل للناس من القبقبين!فقيل:و ما هما يا رسول اللّه؟!قال:الحلق و الفرج».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «أكثر ما يلج به أمتى النار الأجوفان:البطن و الفرج».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-:

«ثلاث أخافهن على أمتى من بعدى:الضلاله بعد المعرفه،و مضلات

۱- ۱) أى القوه الشهويه.

الفتن،و شهوه البطن و الفرج».

و يدل على ذم(الأول)-أعنى شهوه البطن و الحرص على الأكل و الشرب

قوله-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه،حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»و إن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه و ثلث لشرابه و ثلث لنفسه»،

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «لا تميتوا القلوب بكثره الطعام و الشراب،فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-:

«أفضلكم منزله عند اللّه أطولكم جوعا و تفكرا،و أبغضكم إلى اللّه تعالى كل نؤم أكول شروب»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «المؤمن يأكل فى معاء واحد و المنافق يأكل فى سبعه أمعاء»، أى يأكل سبعه أضعاف ما يأكله المؤمن أو تكون شهوته سبعه أمثال شهوته،فالمعاء كنايه عن الشهوه.

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «إن أبغض الناس إلى اللّه المتّخمون الملأى،و ما ترك عبد أكله يشتهيها إلا كانت له درجه فى الجنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «بئس العون على الدين قلب نخيب و بطن رغيب و نعظ شديد»

(۱)

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «أطول الناس جوعا يوم القيامه أكثرهم شبعا فى الدنيا

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه».

و فى التوراه: «إن اللّه ليبغض الحبر السمين» ،لأن السمن يدل على الغفله و كثره الأكل.

و فى بعض الآثار: «إن اللّه يبغض القارئ السمين».

و قال لقمان لابنه:«يا بنى!إذا امتلأت المعده فامت الفكره

۱- ۱) صححنا الحديث على نسخ الوسائل المصححه فى كتاب الأطعمه،و الوافى ۶۶:۱۰-.و كذا ذكره فى مجمع البحرين ماده(نخب)،و النخيب:الجبان الذى لا فؤاد له.و الرغيب:الواسع.

و خرست الحكمه،و قعدت الأعضاء عن العباده».

و قال الباقر-عليه السلام- «إذا شبع البطن طغى».

و قال-عليه السلام-: «ما من شىء أبغض إلى اللّه-عز و جل-من بطن مملو».

و قال الصادق-عليه السّلام-:

«إن البطن ليطغى من أكله،و أقرب ما يكون العبد من اللّه إذا خف بطنه و أبغض ما يكون العبد إلى اللّه إذا امتلأ بطنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «ليس لابن آدم بد من أكله يقيم بها صلبه،فإذا أكل أحدكم طعاما،فليجعل ثلث بطنه للطعام،و ثلث بطنه للشراب،و ثلثه للنفس،و لا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح».

و قال-عليه السلام-:

«ما من شىء أضر لقلب المؤمن من كثره الأكل و هى مورثه شيئين:

(قسوه)القلب،و(هيجان)الشهوه.و الجوع إدام للمؤمن،و غذاء للروح،و طعام للقلب،و صحه للبدن».

و الأخبار الوارده بهذه المضامين كثيره،و لا ريب فى أن أكثر الأمراض و الأسقام تترتب على كثره الأكل.

قال الصادق-عليه السلام-:

«كل داء من التخمه إلا الحمى فإنها ترد ورودا».

و قال-عليه السلام-:

«الأكل على الشبع يورث البرص». و كفى لشهوه البطن ذما أنها صارت منشأ لإخراج آدم و حواء من دار القرار إلى دار الذل و الافتقار،إذ نهيا عن أكل الشجره فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها،فبدت لهما سوآتهما.

و البطن منبت الأدواء و الآفات و ينبوع الشهوات،إذ تتبعها شهوه الفرج شده السبق إلى المنكوحات،و تتبع شهوه المطعم و المنكح شده الرغبه فى الجاه و المال،ليتوسل بهما إلى التوسع فى المطعومات و المنكوحات،و يتبع ذلك أنواع الرعونات،و ضروب المحاسدات و المنافسات،و تتولد من ذلك آفه الرياء،و غائله التفاخر و التكاثر و العجب و الكبر،و يداعى ذلك إلى الحقد و العداوه و البغضاء،و يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغى و المنكر

و الفحشاء.و كل ذلك ثمره إهمال المعده و ما يتولد من بطر الشبع و الامتلاء و لو ذلل العبد نفسه بالجوع،و ضيق مجارى الشيطان،لم يسلك سبيل البطر و الطغيان،و لم ينجر به إلى الانهماك فى الدنيا و الانغمار فيما يفضيه إلى الهلاك و الردى،

و لذا ورد فى فضيله الجوع و الصبر عليه ما ورد من الأخبار،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «جاهدوا أنفسكم بالجوع و العطش، فإن الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل اللّه،و أنّه ليس من عمل أحب إلى اللّه من جوع و عطش»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «أفضل الناس من قل مطعمه و ضحكه،و رضى بما يستر عورته».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «سيد الأعمال الجوع،و ذل النفس لباس الصوف»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «اشربوا و كلوا فى أنصاف البطون فإنه جزء من النبوه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «قله الطعام هى العباده».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «إن اللّه يباهى الملائكه بمن قلّ مطعمه فى الدنيا»يقول:انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام و الشراب فى الدنيا فصبر و تركهما،اشهدوا يا ملائكتى:ما من أكله يدعها إلا أبدلته بها درجات فى الجنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- «أقرب الناس من اللّه-عز و جل-يوم القيامه من طال جوعه و عطشه و حزنه فى الدنيا».

و قال عيسى(ع): «أجيعوا أكبادكم و أعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى اللّه-عز و جل-».

و قالت بعض زوجاته-صلّى اللّه عليه و آله-: «إنّ رسول اللّه لم يمتل قط شبعا،و ربما بكيت رحمه مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدى،و أقول:نفسى لك الفداء!لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك و يمنعك من الجوع،فيقول:إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا،فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم و أجزل ثوابهم،فاجدنى أستحى إن

ترفهت فی معیشتی أن یقصر بی غدا دونهم،فاصبر أیاما یسیره أحب إلی من أن ینقص بی حظی غدا فی الآخره و ما من شیء أحب إلی من اللحوق بأصحابی و إخوانی».

و روی: «أنه جاءت فاطمه-علیها السلام- و معها کسیره من خبز،فدفعتها إلی النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-فقال:

ما هذه الکسیره؟قالت:قرص خبزته للحسن و الحسین-علیهما السلام-جئتک منه بهذه الکسیره،فقال:أما إنه أول طعام دخل فم أبیک منذ ثلاث» (۱).

فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد:هی صفاء القلب و رقته،و اتقاد الذهن و حدته و الالتذاذ بالمناجاه و الطاعه،و الابتهاج بالذکر و العباده،و الترحم لأرباب الفقر و الفاقه،و التذکر بجوع یوم القیامه.و الانکسار المانع عن الطغیان و الغفله،و تیسر المواظبه علی الطاعه و العباده،و کسر شهوات المعاصی المسئولیه بالشبع،و دفع النوم الذی یضیع العمر و یکل الطبع و یفوت القیام و التهجد،و التمکن من الإیثار و التصدیق بالزائد،و خفه المؤنه الموجبه للفراغ عن الاهتمام بالتحصیل و الإعداد،و صحه البدن و دفع الأمراض،إذ المعده بیت کل داء و الحمیه رأس کل دواء،

و ورد: «کلوا فی بعض بطونکم تصحوا» ،و أضداد هذه الفوائد من المفاسد یترتب علی الشبع.

ثم علاج الشره بالأکل و الشرب:أن یتذکر الأخبار الوارده فی ذمه،و ینبه نفسه علی رذاله المأکولات و خساستها،و علی خسه الشرکاء من الحیوانات،و یتأمل فی المفاسد المترتبه علی الولوع به:من الذله،و المهانه و سقوط الحشمه و المهابه،و فتور الفطنه،و ظهور البلاده،و حدوث العلل

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی سفینه البحار-۱:۱۹۵.

و الأمراض الكثيره،و بعد ذلك يحافظ نفسه عن الإفراط فى الأكل و لو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عاده.

الشهوه الجنسيه

(و أما الثانى)-أعنى طاعه شهوه الفرج و الإفراط فى الوقاع- فلا ريب فى أنه يقهر العقل حتى يجعل الإنسان مقصور الهم على التمتع بالنسوان و الجوارى،فيحرم من سلوك طريق الآخره،أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش و ربما انتهت هذه الشهوه بمن غلب و همه على عقله إلى العشق البهيمى الذى ينشأ من استيلاء الشهوه،فيسخر الوهم العقل لخدمه الشهوه،و قد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوه،و هذا مرض قلوب فارغه خلت عن محبه اللّه و عن الهمم العاليه.

و يجب الاحتراز من أوائله بترك معاوده الفكر و النظر،و إذا استحكم عسر دفعه،و كذلك حب باطل من الجاه و المال و العقار و الأولاد،فمثل من يكسره فى أول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابه عند توجهها إلى باب ليدخله،و ما أهون منعها بصرف عنانها،و مثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابه حتى تدخل و تتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها و يجرها إلى ورائها،و ما أعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر و العسر.

فليكن الاحتراز و الاحتياط فى بدايات الأمور،إذ فى أواخرها لا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يوازى نزع الروح.

و ربما انتهى إفراط هذه الشهوه بطائفه إلى أن يتناولوا ما يقويها ليستكثروا من الجماع،و مثلهم كمثل من بلى بسباع ضاريه تغفل عنه فى

بعض الأوقات فيحتال لإثارتها و تهييجها فى هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها و إصلاحها.و التجربه شاهده بأن من ينقاد لهذه الشهوه و يسعى فى تكثير ما يهيجها من النسوان و تجديدهن و التخيل و النظر و تناول الأغذيه و الأدويه المحركه لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر،و قد ينجر إفراطها إلى سقوط القوه و اختلال القوى الدماغيه و فساد العقل-كما برهن عليه فى الكتب الطبيه-. و الوقاع أضر الأشياء بالدماغ،إذ جل المواد المنويه يجلب منه،و لذا شبه الغزالى هذه الشهوه بالعامل الظالم الذى لو أطلقه السلطان و لم يمنعه من ظلمه أخذ أموال الرعيه على التدريج بأسرها و ابتلاهم بالفقر و الفاقه،فأهلكهم الجوع و عدم تمكنهم من تحصيل القوت،و كذا هذه القوه لو لم يقهرها سلطان العقل و لم يقمها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحه و الأخلاط المحموده التى اكتسبتها القوى الغذائيه لبدل ما يتحلل من الأعضاء فى مصارف نفسها و جعلها بأسرها منيا،و تبقى جميع الأعضاء بلا قوت،فتضعف و يدركها الفناء بسرعه.و لو كانت مطيعه للعقل،بحيث تقدم على ما يأمرها به و تنزجر عما ينهاها عنه،كانت كالعامل الذى يأخذ الخراج على طريق العدل و المروه،و يصرفه فى مصارف المملكه من سد الثغور و إصلاح القناطر و خروج العساكر،و تبقى سائر أموال الرعيه لأنفسهم،فيبقى لهم القوت و سائر ما يحتاجون إليه.

و لعظم آفه هذه الشهوه و اقتضائها هلاك الدين و الدنيا إن لم تضبط و لم ترد إلى حد الاعتدال،ورد فى ذمها ما ورد من الأخبار،

و قال رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-فى بعض دعواته:

«اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى و بصرى و قلبى و شر منى»

.

و روى: «أنه إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله»

و ورد فى تفسير قوله تعالى:

وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ

(١)

أی:و من شر الذکر إذا قام أو دخل.

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «النساء حبائل الشیطان»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-:

«ما بعث اللّه نبیا فیما خلا إلا لم ییأس إبلیس أن یهلکه بالنساء،و لا شی أخوف عندی منهن» (٢)

و قال-صلّی اللّه علیه و آله- «اتقوا فتنه النساء،فإن أول فتنه بنی إسرائیل کانت من قبل النساء»

و روی: «أن الشیطان قال لموسی علیه السلام:لا تخل بأمرأه لا تحل لک.فإنه ما خلا رجل بامرأه لا تحل له إلا کنت صاحبه دون أصحابی حتی أفتنه بها».

و روی أیضا: «أن الشیطان قال:المرأه نصف جندی،و هی سهمی الذی أرمی فلا أخطئ،و هی موضع سری،و هی رسولی فی حاجتی» و لا ریب فی أنه لو لا هذه الشهوه لما کان للنساء تسلط علی الرجال.

و قد ظهر بالعقل و النقل:أن الإفراط فی هذه الشهوه و کثره الطروقه و النزو علی النسوان مذموم.و لا تغرنک کثره نکاح رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فإنه کان لا یشغل قلبه جمیع ما فی الدنیا،و کان استغراقه فی حب اللّه بحیث یخشی احتراق قلبه و السرایه منه إلی قالبه،فکان-صلّی اللّه علیه و آله-یکثر من النسوان و یشغل نفسه الشریفه بهن،لیبقی له نوع التفات إلی الدنیا،و لا یؤدی به کثره الاستغراق إلی مفارقه الروح عن البدن،

و لذا إذا غشیته کثره الاستغراق و خاض فی غمرات الحب و الأنس،یضرب یده علی فخذ عائشه و یقول-صلّی اللّه علیه و آله-:

١- ١) الفلق،الآیه:٣.

٢- ٢) فی إحیاء العلوم-٣:٨٦ان هذا الکلام من قول سعید بن المسیب لا من کلام النبی-صلّی اللّه علیه و آله-.

«کلمینی و اشغلینی یا حمیراء!» و هی تشغله بکلامها عن عظیم ما هو فیه لقصور طاقه قالبه عنه.

ثم لما کانت جبلته الأنس باللّه،و کان أنسه بالخلق عارضا یتکلفه رفقا ببدنه،فإذا طالت مجالسته معهم لم یطق الصبر معهم و ضاق صدره

فیقول: «أرحنا یا بلال!» ،حتی یعود إلی ما هو قره عینه.فالضعیف إذا لاحظ أحواله فهو معذور،لأن الأفهام تقصر عن الوقوف علی أسرار أفعاله (۱).

ثم علاج إفراط هذه الشهوه-بعد تذکر مفاسدها المذکوره-کسرها بالجوع،و سد الطرق المؤدیه إلیها:من التخیل و النظر و التکلم و الخلوه، فإن أقوی الأسباب المهیجه لها هو النظر و الخلوه،و لذا قال اللّه تعالی:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِینَ یَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ

(۲)

و قال النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «النظره سهم مسموم من سهام إبلیس،فمن ترکها خوفا من اللّه تعالی أعطاه اللّه إیمانا یجد حلاوته فی قلبه».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لکل عضو من أعضاء ابن آدم حظ من الزنا فالعینان تزنیان و زناهما النظر».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تدخلوا علی المغیبات-أی التی غاب عنها زوجها-فإن الشیطان یجری من أحدکم مجری الدم».

و قال عیسی بن مریم-علیهما السّلام-: «إیاکم و النظره،فإنها تزرع فی القلب شهوه،و کفی بها فتنه».

و قیل لیحیی بن زکریا:ما بدء

ص:۱۲

۱- ۱) هذا الکلام کله عن تعلیل کثره طروق النبی-صلّی اللّه علیه و آله مأخوذ من کلام الغزالی فی احیاء العلوم-۳:۸۷-.

۲- ۲) النور،الآیه:۳۰.

الزنا؟قال:«النظره و التمنی».

و قال داود-علیه السّلام-لابنه:

«یا بنی!امش خلف الأسد(و) (۱)الأسود و لا تمش خلف المرأه».

و قال إبلیس:«النظره قوسی و سهمی الذی لا أخطئ به».

و لکون النظر مهیجا للشهوه،حرم فی الشریعه نظر کل من الرجل و المرأه إلی الآخر،و کذا حرم استماع کل منهما لکلام الآخر، إلا مع الضروره و عموم الحاجه،و کذا حرم نظر الرجال إلی المرد من الصبیان إذا کان مورثا للفتنه،و لذا کان کبراء الأخیار و عظماء الأبرار فی الأعصار و الأمصار محترزین عن النظر إلی وجوه الصبیان،حتی قال بعضهم «ما أنا بأخوف علی الشباب الناسک من سبع ضار کخوفی علیه من غلام أمرد یجلس إلیه».

ثم إن لم تنقمع الشهوه بالجوع و الصوم و حفظ النظر،فینبغی کسرها بالنکاح،بشرط الاستطاعه و الأمن من غوائله.

قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «معاشر الشباب!علیکم بالباءه،فمن لم یستطع فعلیه بالصوم،فإن الصوم له وجاء».

و قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن المرأه إذا أقبلت أقبلت بصوره شیطان،فإذا رأی أحدکم امرأه فأعجبته فلیأت أهله،فإن معها مثل الذی معها».

(و ثانیهما)-أی ثانی جنسی رذائل قوه الشهوه-: الخمود

اشاره

ص: ۱۳

۱- ۱) حرف(و)موجود فی نسختنا الخطیه و فی احیاء العلوم-۳:۸۷-، و لکنه قد شطب علیها فی النسخه المطبوعه.

و هو التفريط فی کسب ضروری القوت،و الفتور عما ینبغی من شهوه النکاح،بحیث یؤدی إلی سقوط القوه و تضییع العیال و انقطاع النسل و لا ریب فی کون ذلک مذموما غیر مستحسن فی الشرع،إذ تحصیل المعارف الإلهیه و اکتساب الفضائل الحلقیه و العبادات البدنیه موقوف علی قوه البدن،فالتفریط فی إیصال بدل ما یتحلل إلی البدن یوجب الحرمان عن تحصیل السعادات.و هو غایه الخسران.و کذا إهمال قوه شهوه النکاح یوجب الحرمان عن الفوائد المترتبه علیها،فإن هذه القوه إنما سلطت علی الإنسان لبقاء النسل و دوام الوجود،و لأن یدرک لذته فیقیس بها لذات الآخره،فإن لذه الوقاع لو دامت لکانت أقوی اللذات الجسمانیه،کما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدانیه،فالترغیب و الترهیب یسوقان الخلق إلی سعاداتهم،و لیس ذلک إلا بلذه مدرکه و ألم محسوس مشابهین للذات و الآلام الأخرویه.

و لبقاء النسل فوائد:موافقه محبه اللّه بالسعی فی تحصیل الولد لبقاء نوع الإنسان،و عدم قطعه السلسله التی وصلت إلیه من مبدأ النوع،و طلب محبه رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فی تکثیر من به مباهاته،و طلب التبرک بدعاء الولد الصالح بعده،و طلب الشفاعه بموت الولد الصغیر إذا مات قبله،کما استفاضت به الأخبار.

و من فوائد النکاح:کسر التوقان و التحرز من الشیطان،بغض البصر و حفظ الفرج و قطع الوساوس و خطرات الشهوه من القلب،و إلیه الإشاره

بقوله-صلّى اللّه علیه و آله و سلم-: «من تزوج فقد أحرز نصف دینه» و من فوائد النکاح:تفریغ القلب عن تدبیر المنزل،و التکفل بشغل الطبخ و الفرش و الکنس،و تنظیف الأوانی و تهیئه أسباب المعیشه،فإن الفراغ عن ذلک أعون شیء علی تحصیل العلم و العمل،

و لذا قال النبی -صلّی اللّه علیه و آله-: «لیتخذ أحدکم لسانا ذاکرا و قلبا شاکرا و زوجه مؤمنه صالحه تعینه علی آخرته».

و منها:مجاهده النفس و ریاضتها بالسعی فی حوائج الأهل و العیال، و الاجتهاد فی إصلاحهم و إرشادهم إلی طریق الدین،و فی تحصیل المال الحلال لهم من المکاسب الطیبه،و القیام بتربیه الأولاد،و الصبر علی أخلاق النساء،و کل ذلک من الفضائل العظیمه،

و لذا قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «الکاد فی نفقه عیاله کالمجاهد فی سبیل اللّه».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «من حسنت صلاته،و کثر عیاله و قل ماله،و لم یغتب المسلمین:کان معی فی الجنه کهاتین».

و قال -صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «من الذنوب لا یکفرها إلا الهم بطلب المعیشه».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «من کانت له ثلاث بنات فأنفق علیهن و أحسن إلیهن حتی یغنیهن اللّه عنه أوجب اللّه تعالی له الجنه».

و لا ریب فی أن الخمود عن الشهوه یلزمه الحرمان عن الفوائد المذکوره فهو مرجوح.

ثم لما کان للنکاح آفات أیضا،کالاحتیاج إلی المال و صعوبه تحصیل الحلال منه-لا سیما فی أمثال زماننا-و العجز عن القیام بحقوق النسوان، و الصبر علی أخلاقهن،و احتمال الأذی منهن،و تفرق الخاطر لأجل القیام بتدبیر المعیشه و تهیئه ما یحتاجون إلیه،و تأدیه ذلک غالبا إلی ما لا ینبغی من

الانغمار فى الدنيا و الغفله عن اللّه-سبحانه-و عما خلق لأجله،فاللائق أن يلاحظ فى كل شخص أن الراجح فى حقه ما ذا؟-بعد ملاحظه الفوائد و المفاسد-فيأخذ به.

وصل العفه

قد عرفت أن ضد الجنسين(العفه)،و هو انقياد قوه الشهوه للعقل فى الإقدام على ما يأمرها به من المأكل و المنكح كما و كيفا،و الاجتناب عما ينهاها عنه،و هو الاعتدال الممدوح عقلا و شرعا،و طرفاه من الإفراط و التفريط مذمومان،فإن المطلوب فى جميع الأخلاق و الأحوال هو الوسط، إذ خير الأمور أوساطها،و كلا طرفيها ذميم،فلا تظنن مما ورد فى فضيله الجوع أن الإفراط فيه ممدوح،فإن الأمر ليس كذلك،بل من أسرار حكمه الشريعه أن كلما يطلب الطبع فيه طرف الإفراط بالغ الشرع فى المنع عنه على وجه يتوهم الجاهل منه أن المطلوب منه طرف التفريط،و العالم يدرك أن المقصود هو الوسط،فإن الطبع إذا طلب غايه الشبع،فالشرع ينبغى أن يطلب غايه الجوع،حتى يكون الطبع باعثا و الشرع مانعا،فيتقاومان و يحصل الاعتدال.و لما بالغ النبى-صلّى اللّه عليه و آله-فى الثناء على قيام الليل و صيام النهار،ثم علم من حال بعضهم أنه يقوم الليل كله و يصوم الدهر كله،فنهى عنه. و الأخبار الوارده فى مدح العفه و فضيلتها كثيره،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أفضل العباده العفاف».

و قال الباقر عليه السّلام: «ما من عباده أفضل من عفه بطن و فرج».

و قال عليه السّلام: «ما عبد اللّه بشىء أفضل من عفه بطن و فرج»

و قال عليه

السّلام: «أی الاجتهاد أفضل من عفه بطن و فرج». و فی معناها أخبار أخر.

و إذا عرفت هذا،فاعلم أن الاعتدال فی الأكل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعده و لا بألم الجوع،بل ينسی بطنه فلا يؤثر فيه أصلا، فإن المقصود من الأكل بقاء الحياه و قوه العباده،و ثقل الطعام يمنع العباده و ألم الجوع أيضا يشغل القلب و يمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا معتدلا بحيث لا يبقی للأكل فيه أثر،ليكون متشبها بالملائكه المقدسين عن ثقل الطعام و ألم الجوع،و إليه الإشاره بقوله تعالی:

وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا

(۱)

و هذا يختلف بالنسبه إلی الأشخاص و الأحوال و الأغذيه،و المعيار فيه ألا يأكل طعاما حتی يشتهيه،و يرفع يده عنه و هو يشتهيه:و ينبغی ألا يكون غرضه من الأكل التلذذ،بل حفظ القوه علی تحصيل ما خلق لأجله،فيقتصر من أنواع الطعام علی خبز البر فی بعض الأوقات،و علی خبز الشعير فی بعضها،و لو ضم إليه الأدام فيكتفی بأدام واحد فی بعض الأحيان،و لا يواظب علی اللحم،و لا يتركه بالمره،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه،و من داوم عليه أربعين يوما قسی قلبه».

(الاعتدال فی الشهوه)

و الاعتدال أن يكتفی فی اليوم بليلته بأكله واحده فی وقت السحر، بعد الفراغ عن التهجد أو بعد صلاه العشاء،أو بأكلتين:التغدی و التعشی-

---

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۳۰.

إن لم يقدر على الاكتفاء بمره واحده-و قد استفاضت أخبار أئمتنا الراشدين -عليهم السّلام-بالحث على التعشى.

ثم للعرفاء ترغيبات على الجوع و تصريحات على كثره فوائده،و على توقف كشف الأسرار الإلهيه و الوصول إلى المراتب العظيمه عليه،و لهم حكايات فى إمكان الصبر عليه،و على عدم الأكل شهرا أو شهرين أو سنه و نقلوا حصوله عن بعضهم،و هذا أمر وراء ما وردت به السنه و كلفت به عموم الأمه،فإن كان ممدوحا فإنما هو لقوم مخصوصين.

و أما الجماع،فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على ما لا ينقطع عن النسل و يحصل له التحصن،و تزول به خطرات الشهوه،و لا يؤدى إلى ضعف البدن و القوى.

و أما غير الجنسين من الأنواع و النتائج و الآثار المتعلقه بالقوه الشهويه

اشاره

-و إن كان بعضها أعم الجنسين أو مساويا لهما-:

فمنها:

اشاره

حب الدنيا

اعلم أن للدنيا ماهيه فى نفسها و ماهيه فى حق العبد،أما ماهيه الدنيا و حقيقتها فى نفسها،فعباره عن أعيان موجوده:هى الأرض و ما عليها و الأرض هى العقار و الضياع و أمثالهما،و ما عليها تجمعه المعادن و النبات و الحيوان،و المعادن تطلب لكونها إما من الآلات و الزينه كالنحاس و الرصاص و الجواهر و أمثالها،أو من النقود كالذهب و الفضه،و النبات يطلب لكونه

من الأقوات أو الأدويه،و الحیوانات تطلب إما لملکیه أبدانها و استخدامها کالعبید و الغلمان أو لملکیه قلوبها و تسخیرها لیترتب علیه التعظیم و الإکرام و هو الجاه،أو للتمتع و التلذذ بها کالجواری و النسوان،أو للقوه و الاعتضاد کالأولاد.هذه هی الأعیان المعبر عنها بالدنیا،و قد جمعها اللّه سبحانه فی قوله:

زُیِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَیاهِ الدُّنْیا

(۱)

.

و حب جمیع ذلک من رذائل قوه الشهوه،إلا حب تسخیر القلوب لقصد الغلبه و الاستیلاء،فإنه من رذائل قوه الغضب-کما تقدم- و بذلک یظهر أن حب الدنیا المتعلق بقوه الشهوه أعم من الشره بأول تفسیریه -کما أشیر إلیه-.

و أما ماهیتها فی حق العبد،فعباره عن جمیع ما له قبل الموت،کما أن بعد الموت عباره عن الآخره،فکل ما للعبد فیه نصیب و شهوه و حظ و غرض و لذه فی عاجل الحال قبل الوفاه فهی الدنیا فی حقه،و للعبد فیه علاقتان،علاقه بالقلب:و هو حبه له،و علاقه بالبدن:و هو إشغاله بإصلاحه،لیستوفی منه حظوظه.إلا أن جمیع ما له إلیه میل و رغبه لیس بمذموم،و ذلک لأن ما یصحبه فی الدنیا و تبقی ثمرته معه بعد الموت-أعنی العلم النافع و العمل الصالح-فهو من الآخره فی الحقیقه،و إنما سمی بالدنیا

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۴.

باعتبار دنوه،فإن كلا من العالم و العابد قد يلتذ بالعلم و العباده بحيث يكون ذلك ألذ الأشياء عنده،فهو و إن كان حظا عاجلا له فى الدنيا إلا أنه ليس من الدنيا المذمومه،بل هو من الآخره فى الحقيقه،و إن عد من الدنيا من حيث دخوله فى الحس و الشهاده،فإن كل ما يدخل فيهما فهو من عالم الشهاده-أعنى الدنيا-و لذا جعل نبينا-صلّى اللّه عليه و آله- الصلاه من الدنيا،

حيث قال: «حبب إلى من دنياكم ثلاث:الطيب و النساء،و قره عينى فى الصلاه» ،مع أنها من أعمال الآخره.

فالدنيا المذمومه عباره عن حظ عاجل،لا يكون من أعمال الآخره و لا وسيله إليها،و ما هو إلا التلذذ بالمعاصى و التنعم بالمباحات الزائده على قدر الضروره فى تحصيل العلم و العمل.

و أما قدر الضروره من الرزق،فتحصيله من الأعمال الصالحه-كما نطقت به الأخبار-

قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: العباده سبعون جزءا،أفضلها طلب الحلال».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-:

ملعون من ألقى كله على الناس».

و قال السجاد عليه السّلام: «الدنيا دنياءان:دنيا بلاغ،و دنيا ملعونه»

و قال الباقر عليه السلام: «من طلب الدنيا استعفافا عن الناس،و سعيا على أهله،و تعطفا على جاره،لقى اللّه- عز و جل-يوم القيامه و وجهه مثل القمر ليله البدر».

و قال الصادق عليه السّلام: «الكاد على عياله كالمجاهد فى سبيل اللّه».

و قال عليه السّلام «إن اللّه تبارك و تعالى ليحب الاغتراب فى طلب الرزق».

و قال عليه السّلام: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته و لا آخرته لدنياه».

و قال -عليه السّلام-: «لا تكسلوا فى طلب معايشكم،فإن آباءنا كانوا يركضون فيها و يطلبونها».

و قال له عليه السّلام رجل:«إنا لنطلب الدنيا و نحب أن نؤتاها،فقال:تحب أن تصنع بها ما ذا؟قال:أعود بها على نفسى

و عيالى،و أصل بها و أتصدق،و أحج و أعتمر،فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:ليس هذا طلب الدنيا،هذا طلب الآخره».

و كان أبو الحسن عليه السّلام يعمل فى أرض قد استنقعت قدماه فى العرق،فقيل له:

«جعلت فداك!أين الرجال؟فقال:و قد عمل باليد من هو خير منى فى أرضه و من أبى،فقيل:و من هو؟فقال:رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-و أمير المؤمنين و آبائى كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم،و هو من عمل النبيين و المرسلين و الأوصياء و الصالحين» و قد ورد بهذه المضامين أخبار كثيره أخر مشهوره.

تذنيب (لا بد للمؤمن من مكسب)

قد ظهر من هذه الأخبار أن الراجح-بل اللازم-لكل مؤمن أن يكون له مكسب طيب يحصل منه ما يحتاج إليه من الرزق و غيره من المخارج المحموده،و قد صرح بذلك فى أخبار كثيره أخر،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أوحى اللّه-عز و جل-إلى داود عليه السّلام:إنك نعم العبد لو لا أنك تأكل من بيت المال و لا تعمل بيدك شيئا،قال:فبكى داود أربعين صباحا،فأوحى اللّه-عز و جل-إلى الحديد أن لن لعبدى داود فألان اللّه له الحديد،و كان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم،فعمل ثلاثمائه و ستين درعا فباعها بثلاثمائه و ستين ألفا،و استغنى عن بيت المال».

و قال الصادق عليه السّلام «من أحبنا أهل البيت فليأخذ من الفقر جلبابا

أو تجفافا»، و الجلباب:کنایه عن الستر علی فقره،و التجفاف (۱):

کنایه عن کسب طیب یدفع فقره.

و قیل له فی رجل قال:لأقعدن فی بیتی،و لأصومن،و لأعبدن ربی،فأما رزقی فسیأتینی:قال أبو عبد اللّه «هذا أحد الثلاثه الذین لا یستجاب لهم».

و هذا-أی ملکه تحصیل المال الحلال من المکاسب الطیبه و صرفها فی المخارج المحموده-هو الحریه بأحد المعنیین،إذ للحریه إطلاقان:

(أحدهما)ذلک،و هو الحریه بالمعنی الأخص،(و ثانیهما)التخلص عن أسر الهوی و عبودیه القوه الشهویه،و هو الحریه بالمعنی الأعم المرادفه، و ضده الرقیه بالمعنی الأعم الذی هو طاعه قوه الشهوه و متابعه الهوی.

و ضد الأول-أعنی الرقیه بالمعنی الأخص-هو افتقاره إلی الناس فیما یحتاج إلیه من الرزق،و القاء نظره إلی أیدیهم،و حواله رزقه علی أموالهم،إما علی وجه محرم،کالغصب و النهب و السرقه و أنواع الخیانات أو غیر محرم،کأخذ وجوه الصدقات و أوساخ الناس،بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل یده یدا سفلی و یدهم یدا علیا.و لا ریب فی کون الرقیه بهذا المعنی مذمومه،إذ(الوجه الأول)محرم فی الشریعه و موجب للهلاک الأبدی،و(الوجه الثانی)و إن لم یکن محرما إذا کان فقیرا مستحقا، إلا أنه لإیجابه التوقع من الناس و کون نظره إلیهم یقتضی المذله و الانکسار و التخضع للناس و الرقیه و العبودیه لهم،و هذا یرفع الوثوق باللّه و الاعتماد و التوکل علیه،و ینجر ذلک إلی سلب التوکل علی اللّه بالکلیه،و ترجیح المخلوق علی الخالق،و هذا ینافی مقتضی الإیمان و المعرفه الواقعیه باللّه سبحانه

۱- ۱) التجفاف:آله للحرب یتقی بها کالدرع و عن تفسیر أمثال هذا الحدیث راجع الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من البحار ص ۶۵،ففیه تفصیل معناه و قد نقل عن ابن الأثیر فی النهایه،و ابن أبی الحدید فی شرحه:کلاما فی هذا الباب.

فصل (الدنيا المذمومه هی الهوی)

قد ظهر مما ذکر:أن الدنيا المذمومه حظ نفسک الذی لا حاجه إليه لأمر الآخره،و يعبر عنه بالهوی،و إليه أشار قوله تعالی:

وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی فَإِنَّ الْجَنَّه هِیَ الْمَأْوی

(۱)

.

و مجامع الهوی هی المذکوره فی قوله تعالی:

أَنَّمَا الْحَياهُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَهٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَکُمْ وَ تَکاثُرٌ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ

(۲)

.

و الأعيان التی تحصل منها هذه الأمور هی المذکوره فی قوله سبحانه:

زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ

(۳)

.

فهذه أعيان الدنيا،و للعبد معها علاقتان:

ص:۲۳

۱- ۱) النازعات،الآيه:۴۰.

۲- ۲) الحديد،الآيه:۲۰.

۳- ۳) آل عمران،الآيه:۱۴.

(علاقه مع القلب):و هی حبه لها و حظه منها و انصراف همه إلیها حتی یصیر قلبه کالعبد أو المحب المستهتر بها،و یدخل فی هذه العلاقه جمیع صفات القلب المتعلقه بالدنیا:کالریاء،و السمعه،و سوء الظن،و المداهنه و الحسد،و الحقد،و الغل،و الکبر،و حب المدح،و التفاخر و التکاثر.

فهذه هی الدنیا الباطنه،و الظاهره هی الأعیان المذکوره.

و(علاقه مع البدن):و هو اشتغاله بإصلاح هذه الأعیان لتصلح لحظوظه و حظوظ غیره،و هذا الاشتغال عباره عن الصناعات و الحرف التی اشتغل الناس بها،بحیث أنستهم أنفسهم و خالقهم و أغفلتهم عما خلقوا لأجله،و لو عرفوا سبب الحاجه إلیها و اقتصروا علی قدر الضروره،لم یستغرقهم اشتغال الدنیا و الانهماک فیها،و لما جهلوا بالدنیا و حکمتها و حظهم منها لم یقتصروا إلا علی قدر الاحتیاج،فأوقعوا أنفسهم فی أشغالها،و تتابعت هذه الأشغال و اتصلت بعضها ببعض،و تداعت إلی غیر نهایه محدوده، فغفلوا عن مقصودها،و تاهوا فی کثره الأشغال.فإن أمور الدنیا لا یفتح منها باب إلا و تنفتح لأجله عشره أبواب أخر،و هکذا یتداعی إلی غیر حد محصور،و کأنها هاویه لا نهایه لعمقها،و من وقع فی مهواه منها سقط منها إلی أخری...و هکذا علی التوالی.أ لا تری أن ما یضطر إلیه الإنسان بالذات منحصر بالمأکل و الملبس و المسکن؟و لذلک حدثت الحاجه إلی خمس صناعات هی أصول الصناعات:الفلاحه،و الرعایه للمواشی،و الحیاکه و البناء و الاقتناص-أی تحصیل ما خلق اللّه من الصید و المعادن و الحشائش و الأحطاب-و تترتب علی کل من هذه الصناعات صناعات أخر،و هکذا إلی أن حدثت جمیع الصناعات التی نراها فی العالم،و ما من أحد إلا و هو مشتغل بواحده منها أو أکثر،إلا أهل البطاله و الکساله،حیث غفلوا عن الاشتغال فی أول الصبا،أو منعهم مانع و استمروا علی غفلتهم و بطالتهم،حتی نشأوا

بلا شغل و اکتساب،فاضطروا إلی الأخذ مما یسعی فیه غیرهم،و لذلک حدثت حرفتان خبیثتان هی(اللصوصیه)و(الکدیه) (۱)و لکل واحد منهما أنواع غیر محصوره لا تخفی علی المتأمل.

فصل (ذم الدنیا و أنها عدوه اللّه و الإنسان)

اعلم أن الدنیا عدوه للّه و لأولیائه و لأعدائه:أما عداوتها للّه،فإنها قطعت الطریق علی العباده،و لذلک لم ینظر إلیها مذ خلقها،کما ورد فی الأخبار (۲)و أما عداوتها لأولیائه و أحبائه،فإنها تزینت لهم بزینتها و عمتهم بزهرتها و نضارتها،حتی تجرعوا مراره الصبر فی مقاطعتها.و أما عداوتها لأعدائه،فإنها استدرجتهم بمکرها و مکیدتها و اقتنصتهم بشباکها و حبائلها حتی وثقوا بها و عولوا علیها،فاجتبوا منها حیره و ندامه تنقطع دونها الأکباد،ثم حرمتهم عن السعاده أبد الآباد،فهم علی فراقها یتحسرون و من مکائدها یستغیثون و لا یغاثون،بل یقال لهم:

اِخْسَؤُا فِیهٰا وَ لاٰ تُکَلِّمُونِ

(۳)

. أُولٰئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا بِالْآخِرَهِ فَلاٰ یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ یُنْصَرُونَ (۴).

ص: ۲۵

۱- ۱) قال فی المنجد:الکدیه:الاستعطاء و حرفه السائل الملح.

۲- ۲) سیأتی الخبر بهذا المعنی-ص ۲۶-و هو عامی.

۳- ۳) المؤمنون،الآیه:۱۰۹.

۴- ۴) البقره،الآیه:۸۶.

و الآيات الوارده فی ذم الـدنيا و حبها كثيره،و أكثر القرآن مشـتمل علی ذلک و صـرف الخلق عنها و دعوتهم إلی الآخره،بل هو المقصود من بعثه الأنبياء،فلا حاجه إلی الاستشـهاد بآيات القرآن لظهورها.فلنشر إلی نبذه من الأخبار الوارده فی ذم الدنيا و حبها و فی سرعه زوالها،

قال رسول اللّه-صلّی اللّه عليه و آله و سلم-: «لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه جناح بعوضه ما سقی كافرا منها شربه ماء».

و قال رسول اللّه-صلّی اللّه عليه و آله و سلم-: «الدنيا ملعونه،ملعون ما فيها إلا ما كان للّه منها»

و قال-صلّی اللّه عليه و آله و سلم- :«الدنيا سجن المؤمن و جنه الكافر»

و قـال-صـلّی اللّه عليه و آله و سـلم-: «من أصـبح و الـدنيا أكبر همه فليس من اللّه فی شـیء،و ألزم اللّه قلبه أربع خصـال:هما لا ينقطع عنه أبدا،و شغلا لا يتفرغ منه أبدا و فقرا لا ينال غناه أبدا.و أملا لا يبلغ منتهاه أبدا،

و قال-صلّی اللّه عليه و آله-: «يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود و هو يسعی لدار الغرور!».

و قال-صلّی اللّه عليه و آله-: «لتأتينكم بعدی دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب».

و قـال: «ألهـاكم التكـاثر،يقول ابن آدم:مـالی مـالی.و هـل لـک من مالـک إلاـ مـا تصـدقت فـأبقيت،أو أكلت فأفنيت،أو لبسـت فأبليت؟».

و قال: «أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی:لا تركنن إلی حب الدنيا،فلن تأتين بكبيره هی أشد عليک منها»

و قال-صلّی اللّه عليه و آله-: «حب الدنيا رأس كل خطيئه».

و قال -صلّی اللّه عليه و آله-: «من أحب دنياه أضر بآخرته و من أحب آخرته أضر بدنياه،فآثروا ما يبقی علی ما يفنی».

و مر-صـلّی اللّه عليه و آله-علی مزبله،فوقف عليهـا و قال:«هلموا إلی الـدنيا!و أخـذ خرقا قـد بليت علی تلک المزبله و عظاما قد نخرت،فقال:ذه الدنيا!»

و قال-صلّی اللّه عليه و آله- «إن اللّه لم يخلق خلقا أبغض إليه

من الدنيا،و إنه لم ينظر إليها منذ خلقها».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله- «الدنيا دار من لا دار له و مال من لا مال له،و لها يجمع من لا عقل له،و عليها يعادى من لا علم عنده،و عليها يحسد من لا فقه له،و لها يسعى من لا يقين له».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «لما هبط آدم من الجنه إلى الأرض قال له:إن للخراب ولد للفناء».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «لتجيئن أقوام يوم القيامه و أعمالهم كجبال تهامه.فيؤمر بهم إلى النار،فقيل:يا رسول اللّه!أ مصلين؟قال:

نعم،!كانوا يصومون و يصلون و يأخذون هنيئه من الليل،فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «هل منكم من يريد أن يذهب اللّه عنه العمى و يجعله بصيرا؟ألا إنه من رغب فى الدنيا و طال فيها أمله أعمى اللّه قلبه على قدر ذلك،و من زهد فى الدنيا و قصر أمله فيها أعطاه اللّه علما بغير تعلم و هدى بغير هدايه».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «فو اللّه ما الفقر أخشى عليكم،و لكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم،فتنافسوها كما تنافسوها،و تهلككم كما اهلكتهم»

و قال: «أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج اللّه لكم من بركات الأرض،فقيل:ما بركات الأرض؟قال:

زهره الدنيا».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه و هو لا يشعر».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «سيأتى قوم بعدى يأكلون أطايب الطعام و أنواعها،و ينكحون أجمل النساء و ألوانها،و يلبسون ألين الثياب و ألوانها و يركبون أقوى الخيل و ألوانها،لهم بطون من القليل لا تشبع،و أنفس بالكثير لا تقنع،عاكفين على الدنيا،يغدون و يروحون إليها،اتخذوها آلهه دون إلههم و ربا دون ربهم إلى أمرهم ينتهون و هواهم يلعبون،فعزيمه

من محمد بن عبد اللّه لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم و خلف خلفكم أبدا لا يسلم عليهم و لا يعود مرضاهم و لا يتبع جنائزهم و لا يوقر كبيرهم و من فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «ما لى و للدنيا و ما أنا و الدنيا؟!إنما مثلى و مثلها كمثل راكب سار فى يوم صائف،فرفعت له شجره،فقال تحت ظلها ساعه،ثم راح و تركها»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «احذروا الدنيا،فإنها أسحر من هاروت و ماروت».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «حق على اللّه ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه».

و قال عيسى بن مريم-عليه السّلام- «ويل لصاحب الدنيا!كيف يموت و يتركها،و يأمنها و تغره،و يثق بها و تخذله،ويل للمغترين!كيف ألزمهم ما يكرهون،و فارقهم ما يحبون، و جاءهم ما يوعدون،ويل لمن أصبحت الدنيا همه و الخطايا عمله!كيف يفتضح غدا بذنبه».

و قال-عليه السّلام-: «من ذا الذى يبنى على أمواج البحر دارا تلكم الدنيا،فلا تتخذوها قرارا».

و قال عليه السّلام «لا يستقيم حب الدنيا و الآخره فى قلب مؤمن،كما لا يستقيم الماء و النار فى إناء واحد».

و أوحى اللّه-تعالى-إلى موسى:«يا موسى:!ما لك و لدار الظالمين!إنها ليست لك بدار،اخرج منها همك و فارقها بعقلك فبئست الدار هى،إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هى،يا موسى! إنى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم».

و أوحى إليه:«يا موسى! لا تركنن إلى حب الدنيا،فلن تأتين بكبيره هى أشد منها».

و مر موسى عليه السّلام برجل و هو يبكى،و رجع و هو يبكى،فقال موسى:«يا رب عبدك يبكى من مخافتك،فقال تعالى:يا بن عمران!لو نزل دماغه مع عينيه و رفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له و هو يحب الدنيا!».

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام بعد ما قيل له صف لنا الدنيا-:

«و ما أصف لک من دار من صح فیها سقم،و من أمن فیها ندم،و من افتقر فیها حزن،و من استغنی فیها افتتن،فی حلالها الحساب،و فی حرامها العقاب».

و قال-علیه السّلام-: «إنما مثل الدنیا کمثل الحیه ما ألین مسها و فی جوفها السم الناقع،یحذرها الرجل العاقل و یهوی إلیها الصبی الجاهل».

و قال فی وصف الدنیا: «ما أصف من دار أولها عناء و آخرها فناء،فی حلالها حساب و فی حرامها عقاب،من استغنی فیها فتن،و من افتقر فیها حزن،و من ساعاها فاتته،و من قعد عنها آتته، و من بصر بها بصرته،و من أبصر إلیها أعمته»،

و قال علیه السّلام فی بعض مواعظه: «ارفض الدنیا،فإن حب الدنیا یعمی و یصم و یبکم و یذل الرقاب،فتدارک ما بقی من عمرک،و لا تقل غدا و بعد،فإنما هلک من کان قبلک بإقامتهم علی الأمانی و التسویف،حتی أتاهم أمر اللّه بغته و هم غافلون فنقلوا علی أعوادهم إلی قبورهم المظلمه الضیقه،و قد أسلمهم الأولاد و الأهلون،فانقطع إلی اللّه بقلب منیب.من رفض الدنیا و عزم لیس فیه انکسار و لا انخذال».

و قال-علیه السّلام-: «لا تغرنکم الحیاه الدنیا فإنها دار بالبلاء محفوفه،و بالفناء معروفه،و بالغدر موصوفه،فکل ما فیها إلی زوال،و هی بین أهلها دول و سجال،لا تدوم أحوالها،و لا یسلم من شرها نزالها،بینا أهلها منها فی رخاء و سرور إذا هم منها فی بلاء و غرور أحوال مختلفه،و تارات متصرمه،العیش فیها مذموم،و الرخاء فیها لا یدوم،و إنما أهلها فیها أغراض مستهدفه،ترمیهم بسهامها،و تفنیهم بحمامها. و اعلموا عباد اللّه انکم و ما أنتم فیه من هذه الدنیا علی سبیل من قد مضی،ممن کان أطول منکم أعمارا،و أشد منکم بطشا،و أعمر دیارا و أبعد آثارا،فأصبحت أصواتهم هامده خامده من بعد طول تقلبها، و أجسادهم بالیه،و دیارهم علی عروشها خاویه،و آثارهم عافیه،استبدلوا

بالقصور المشیده و السرر و النمارق الممهده الصخور و الأحجار المسنده فی القبور اللاطئه الملحده فمحلها مقترب،و ساکنها مغترب،بین أهل عماره موحشین،و أهل محله متشاغلین،لا یستأنسون بالعمران،و لا یتواصلون تواصل الجیران الإخوان،علی ما بینهم من قرب الجوار و دنو الدار،و کیف یکون بینهم تواصل،و قد طحنهم بکلکله البلاء،و أکلتهم الجنادل و الثری و أصبحوا بعد الحیاه أمواتا،و بعد نضاره العیش رفاتا،فجع بهم الأحباب و سکنوا تحت التراب،و ظعنوا فلیس لهم إیاب،هیهات هیهات! کَلاّ إِنَّها کَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (۱).

فکأن قد صرتم إلی ما صاروا إلیه من البلی و الوحده فی دار المثوی، و ارتهنتم فی ذلک المضجع،و ضمکم ذلک المستودع،و کیف بکم لو عاینتم الأمور،و بعثرت القبور،و حصل ما فی الصدور،و أوقفتم للتحصیل بین یدی الملک الجلیل،فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب،و هتکت عنکم الحجب و الأستار،فظهرت منکم العیوب و الأسرار،هنالک.

تُجْزی کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ

(۲)

.

و قال أیضا-علیه السّلام-فی بعض خطبه: «أوصیکم بتقوی اللّه و الترک للدنیا التارکه لکم،و إن کنتم لا تحبون ترکها،المبلیه أجسامکم و أنتم تریدون تجدیدها،فإنما مثلکم و مثلها کمثل قوم فی سفر سلکوا طریقا

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۱۰۱.

۲- ۲) المؤمن،الآیه:۱۷.

و كأنهم قد قطعوه،و أفضوا إلى علم،فكأنهم قد بلغوه،و كم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى إلى الغايه،و كم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا،و طالب حثيث يطلبه حتى يفارقها،فلا تجزعوا لبؤسها و ضرائها فإنه إلى انقطاع،و لا تفرحوا بمتاعها و نعمائها فإنه إلى زوال،عجبت لطالب الدنيا و الموت يطلبه،و غافل و ليس بمغفول عنه».

و قال السجاد-عليه السّلام-: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبره، و إن الآخره قد ارتحلت مقبله،و لكل واحده منهما بنون،فكونوا من أبناء الآخره و لا تكونوا من أبناء الدنيا،ألا و كونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخره،ألا إن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطا و التراب فراشا و الماء طيبا،و قرضوا من الدنيا تقريضا،ألا و من اشتاق إلى الجنه سلا عن الشهوات،و من أشفق من النار رجع عن المحرمات،و من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب،ألا إن للّه عبادا كمن رأى أهل الجنه فى الجنه مخلدين،و كمن رأى أهل النار فى النار معذبين،شرورهم مأمونه و قلوبهم محزونه،أنفسهم عفيفه،و حوائجهم خفيفه،صبروا أياما قليله،فصاروا بعقبى راحه طويله، أما الليل فصافون أقدامهم،تجرى دموعهم على خدودهم،و هم يجأرون إلى ربهم،يسعون فى فكاك رقابهم،و أما النهار فحلماء علماء برره أتقياء كأنهم القداح،قد براهم الخوف من العباده، ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى،و ما بالقوم من مرض،أم خولطوا، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار و ما فيها».

و قال-عليه السّلام- «ما من عمل بعد معرفه اللّه-عز و جل-و معرفه رسوله-صلّى اللّه عليه و آله-أفضل من بغض الدنيا،فإن ذلك لشعبا كثيره،و للمعاصى شعبا فأول ما عصى اللّه به الكبر معصيه إبليس حين أبى و استكبر و كان من الكافرين ثم الحرص،و هى معصيه آدم و حواء حين قال اللّه-عز و جل-لهما:

فَكَلاٰ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمٰا وَ لاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَكُونٰا مِنَ الظّٰالِمِينَ

(۱)

.

فأخذا ما لا حاجه بهما إليه،فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامه و ذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجه به إليه.ثم الحسد،و هو معصيه ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله،فتشعب من ذلك حب النساء و حب الدنيا،و حب الرئاسه،و حب الراحه،و حب الكلام،و حب العلو و الثروه،فصرن سبع خصال،فاجتمعن كلهن فى حب الدنيا.فقال الأنبياء و العلماء-بعد معرفه ذلك-:حب الدنيا رأس كل خطيئه، و الدنيا دنياءان:دنيا بلاغ و دنيا ملعونه».

و قال الباقر عليه السّلام لجابر:

«يا جابر!إنه من دخل قلبه صافى خالص دين اللّه شغل قلبه عما سواه يا جابر!ما الدنيا و ما عسى أن تكون الدنيا؟!هل هى إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته،أو امرأه أصبتها؟يا جابر!إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا ببقائهم فيها،و لم يأمنوا قدومهم الآخره.يا جابر!الآخره دار قرار،و الدنيا دار فناء و زوال،و لكن أهل الدنيا أهل غفله،و كان المؤمنون هم الفقهاء أهل فكره و عبره،لم يصمهم عن ذكر اللّه-جل اسمه-ما سمعوا بآذانهم،و لم يعمهم عن ذكر اللّه ما رأوا من الزينه بأعينهم ففازوا بثواب الآخره كما فازوا بذلك العلم» (۲)

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۱۹.

۲- ۲) صححنا الحديث على الكافى فى باب ذم الدنيا،و صدر الحديث هكذا: «قال جابر:دخلت على أبى جعفر-عليه السّلام-فقال:يا جابر!و اللّه لمحزون! و إنى لمشغول القلب،قلت:جعلت فداك!و ما شغلك و ما حزن قلبك...»إلى آخر الحديث.

و قال الصادق-علیه السّلام-: «مثل الدنیا کمثل ماء البحر،کلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتی یقتله».

و قال: فیما ناجی اللّه-عز و جل-به موسی:

«یا موسی!لا ترکن إلی الدنیا رکون الظالمین و رکون من اتخذها أبا و أما یا موسی!لو وکلتک إلی نفسک لتنظر لها إذن لغلب علیک حب الدنیا و زهرتها یا موسی!نافس فی الخیر أهله و استبقهم إلیه،فإن الخیر کاسمه،و اترک من الدنیا ما بک الغنی عنه و لا تنظر عینک إلی کل مفتون بها و موکل إلی نفسه،و اعلم أن کل فتنه بدؤها حب الدنیا،و لا تغبط أحدا بکثره المال فإن مع کثره المال تکثر الذنوب لواجب الحقوق و لا تغبطن أحدا برضی الناس عنه.حتی یتعلم أن اللّه راض عنه،و لا تغبطن مخلوقا بطاعه الناس له،فإن طاعه الناس له و اتباعهم إیاه علی غیر الحق هلاک له و لمن تبعه»

و أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی و هارون لما أرسلهما إلی فرعون:«لو شئت أن أزینکما بزینه من الدنیا،یعرف فرعون حین یراها أن مقدرته تعجز عما أوتیتما لفعلت،و لکنی أرغب لکما عن ذلک و أزوی ذلک عنکما و کذلک أفعل بأولیائی،إنی لأزویهم عن نعیمها،کما یزوی الراعی الشفیق غنمه عن مواقع الهلکه،و إنی لأجنبهم عیش سلوتها،کما یجنب الراعی الشفیق إبله عن مواقع الغره،و ما ذلک لهوانهم علی،و لکن لیستکلموا نصیبهم من کرامتی سالما موفرا،إنما یتزین لی أولیائی:بالذل و الخشوع و الخوف و التقوی».

و قال الکاظم-علیه السّلام-: «قال أبو ذر -رحمه اللّه-:جزی اللّه الدنیا عن مذمه بقدر رغیفین من الشعیر،أتغدی بأحدهما و أتعشی بالآخر،و بعد شملتی الصوف،أتزر بأحداهما و أتردی بالأخری».

و قال لقمان لابنه:«یا بنی!بع دنیاک بآخرتک تربحهما جمیعا،و لا تبع آخرتک بدنیاک تخسرهما جمیعا.و قال له:«یا بنی! إن الدنیا بحر عمیق،قد غرق فیها ناس کثیر،فلتکن سفینتک فیها تقوی

اللّه-عز و جل-و حشوها الإيمان،و شراعها التوكل على اللّه،لعلك ناج و ما أراك ناجيا».و قال:«يا بنى!إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له،و إنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل و وعدت عليه أجرا،فأوف عملك و استوف أجرك،و لا تكن فى هذه الدنيا بمنزله شاه وقعت فى زرع أخضر فأكلت حتى سمنت،فكان حتفها عند سمنها،و لكن اجعل الدنيا بمنزله قنطره على نهر جزت عليها و تركتها،و لم ترجع إليها آخر الدهر،أخر بها و لا تعمر،فإنك لم تؤمر بعمارتها،و اعلم أنك ستسأل غدا إذا وقفت بين يدى اللّه-عز و جل- عن أربع:شبابك فيما أبليته،و عمرك فيما أفنيته،و مالك مما اكتسبته.

و فيما أنفقته،فتأهب لذلك،و أعد له جوابا،و لا تأس على ما فاتك من الدنيا.فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه،و كثيرها لا يؤمن بلاؤه،فخذ حذرك و جد فى أمرك،و اكشف الغطاء عن وجهك،و تعرض لمعروف ربك، و جدد التوبه فى قلبك،و اكمش فى فراغك قبل أن يقصد قصدك،و يقضى قضاؤك،و يحال بينك و بين ما تريد».

و قال بعض الحكماء:«الدنيا دار خراب،و أخرب منها قلب من يعمرها.و الجنه دار عمران،و أعمر منها قلب من يعمرها».و قال بعضهم:«الدنيا لمن تركها،و الآخره لمن طلبها».و قال بعضهم:

«إنك لن تصبح فى شىء من الدنيا إلا و قد كان له أهل قبلك،و يكون له أهل بعدك،و ليس لك من الدنيا إلا عشاء ليله و غداء يوم،فلا تهلك نفسك فى أكله،و صم الدنيا،و أفطر على الآخره،فإن رأس مال الدنيا الهوى،و ربحها النار». و قال بعض أكابر الزهاد:«الدنيا تخلق الأبدان و تجدد الآمال،و تقرب المنيه،و تبعد الأمنيه،و من ظفر بها تعب،و من فاتته نصب»،و قال بعضهم:«ما فى الدنيا شىء يسرك إلا و قد التزق

به شیء یسؤک».و قال آخر:«لا تخرج نفس ابن آدم من الدنیا إلا بحسرات ثلاث:إنه لم یشبع مما جمع،و لم یدرک ما أمل،و لم یحسن الزاد لما قدم علیه» و قال حکیم:کانت الدنیا و لم أکن فیها،و تذهب و لا أکون فیها،فکیف أسکن إلیها؟فإن عیشها نکد،و صفوها کدر،و أهلها منها علی وجل،إما بنعمه زائله،أو بلیه نازله،أو منیه قاضیه».

و قال بعض العرفاء:«الدنیا حانوت الشیطان،فلا تسرق من حانوته شیئا،فیجیء فی طلبک و یأخذک».و قال بعضهم:«لو کانت الدنیا من ذهب یفنی و الآخره من خزف یبقی،لکان ینبغی أن یختار العاقل خزفا یبقی علی ذهب یفنی،فکیف و الآخره ذهب یبقی و الدنیا أدون من خزف یفنی؟»

و قد ورد: «أن العبد إذا کان معظما للدنیا،یوقف یوم القیامه،و یقال:هذا عظم ما حقره اللّه».

و روی: «أنه لما بعث النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-أتت إبلیس جنوده،فقالوا:قد بعث نبی و أخرجت أمه،قال:یحبون الدنیا؟قالوا:نعم!قال:إن کانوا یحبونها ما أبالی ألا یعبدوا الأوثان،و أنا أغدو علیهم و أروح بثلاثه:

أخذ المال من غیر حقه،و إنفاقه فی غیر حقه،و إمساکه عن حقه، و الشر کله لهذا تبع».

و روی: «أنه أوحی اللّه تعالی إلی بعض أنبیائه احذر مقتک،فتسقط من عینی،فاصب علیک الدنیا صبا». و قال بعض الصحابه:«ما أصبح أحد من الناس فی الدنیا إلا و هو ضیف،و ما له عاریه.فالضیف مرتحل،و العاریه مردوده».و قال بعضهم:«إن اللّه جعل الدنیا ثلاثه أجزاء:جزء للمؤمن،و جزء للمنافق،و جزء للکافر.

فالمؤمن یتزود،و المنافق یتزین،و الکافر یتمتع».و قیل:«من أقبل علی الدنیا أحرقته نیرانها حتی یصیر رمادا،و من أقبل علی الآخره صفته نیرانها فصار سبیکه ذهب ینتفع بها،و من أقبل علی اللّه سبحانه،أحرقته

نیران التوحید،فصار جوهرا لا حد لقیمته». و قیل أیضا:«العقلاء ثلاثه:من ترک الدنیا قبل أن تترکه،و بنی قبره قبل أن یدخله و أرضی خالقه قبل أن یلقاه».و سأل بعض الأمراء رجلا بلغ عمره مائتی سنه عن الدنیا،فقال:

«سنیات بلاء و سنیات رخاء،یوم فیوم،و لیله فلیله،یولد ولد،و یهلک هالک، فلو لا المولود باد الخلق،و لو لا الهالک لضاقت الدنیا بمن فیها»،فقال له الأمیر:سل ما شئت،قال:«أرید منک أن ترد علی ما مضی من عمری،و تدفع عنی ما حضر من أجلی»،قال:لا أملک ذلک،قال:

«فلا حاجه لی إلیک».

و الأخبار و الآثار فی ذم الدنیا و حبها،و فی سرعه زوالها و عدم الاعتبار بها،و فی هلاک من یطلبها و یرغب إلیها،و فی ضدیتها للآخره،أکثر من أن تحصی.و ما ورد فی ذلک من کلام أئمتنا الراشدین،(لا)سیما عن مولانا أمیر المؤمنین-صلوات اللّه علیهم أجمعین إلی یوم الدین-فیه بلاغ لقوم زاهدین.و من تأمل فی خطب علی علیه السّلام و مواعظه کما فی نهج البلاغه و غیره-یظهر له خساسه الدنیا و رذالتها. و قضیه السؤال و الجواب بین روح الأمین و نوح فی کیفیه سرعه زوال الدنیا مشهوره، و حکایه مرور روح اللّه علی قریه هلک أهلها من حب الدنیا معروفه (۱) و لعظم آفه الدنیا و حقارتها و مهانتها عند اللّه،لم یرضها لأحد من أولیائه و حذرهم عن غوائلها،فتزهدوا فیها و أکلوا منها قصدا،و قدموا فضلا أخذوا منها ما یکفی،و ترکوا ما یلهی،لبسوا من الثیاب ما ستر العوره، و أکلوا من الطعام ما سد الجوع،نظروا إلی الدنیا بعین أنها فانیه،و إلی الآخره أنها باقیه،فتزودوا منها کزاد الراکب،فخربوا الدنیا و عمروا

۱- ۱) ذکرها(الکافی)عن أبی عبد اللّه الصادق(ع)فی باب حب الدنیا بتمامها.

بها الآخره،و نظروا إلى الآخره بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم صبروا قليلا و نعموا طويلا.

فصل (خسائس صفات الدنيا)

اعلم أن للدنيا صفات خسيسه قد مثلت في كل صفه بما تماثله فيها فمثالها في سرعه الفناء و الزوال و عدم الثبات:مثل النبات الذى اختلط به ماء السماء فاخضر،ثم أصبح هشيما تذروه الرياح،أو كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه،أو كقنطره تعبر عنها و لا تمكث عليها.و في كونها مجرد الوهم و الخيال،و كونها مما لا أصل لها و لا حقيقه،كفىء الظلال، أو خيالات المنام و أضغاث الأحلام،فإنك قد تجد في منامك ما تهواه، فإذا استيقظته ليس معك منه شيء.

و في عداوتها لأهلها و إهلاكها إياهم:بامرأه تزينت للخطاب،حتى إذا نكحتهم ذبحتهم.

فقد روى: «أن عيسى عليه السّلام كوشف بالدنيا فرآها في صوره عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينه،فقال لها:كم تزوجت؟قالت:لا أحصيهم،قال:فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟قالت:بل كلهم قتلت،فقال عيسى-عليه السّلام-:بؤسا لأزواجك الباقين،كيف لا يعتبرون بالماضين؟كيف تهلكينهم واحدا واحدا و لا يكونون منك على حذر؟!».

و في مخالفه باطنها لظاهرها:كعجوز متزينه تخدع الناس بظاهرها.

فإذا وقفوا على باطنها و كشفوا القناع عن وجهها،ظهرت لهم قبائحها

روی: «أنه يؤتى بالدنيا يوم القيامه فى صوره عجوز شمطاء زرقاء،أنيابها باديه،مشوه خلقها،فتشرف على الخلائق،و يقال لهم:تعرفون هذه فيقولون:نعوذ باللّه من معرفه هذه!فيقال:هذه الدنيا التى تفاخرتم عليها،و بها تقاطعتم الأرحام،و بها تحاسدتم و تباغضتم و أغررتم،ثم يقذف بها فى جهنم،فتنادى:أى رب!أين أتباعى و أشياعى؟فيقول اللّه -عز و جل-:ألحقوا بها أتباعها و أشياعها».

و فى قصر عمرها لكل شخص بالنسبه إلى ما تقدمه من الأزل و ما يتأخر عنه من الأبد:كمثل خطوه واحده،بل أقل من ذلك،بالنسبه إلى سفر طويل،بل بالنسبه إلى كل مسافه الأرض أضعافا غير متناهيه.

و من رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها،و لم يبال كيف انقضت أيامه فى ضيق و ضر أو فى سعه و رفاهيه،بل لا يبنى لبنه على لبنه.توفى سيد الرسل صلّى اللّه عليه و آله و ما وضع لبنه على لبنه و لا قصبه على قصبه.

و رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص،فقال:«أرى الأمر أعجل من هذا». و إلى هذا

أشار عيسى عليه السّلام حيث قال: «الدنيا قنطره، فاعبروها و لا تعمروها».

و فى نعومه ظاهرها و خشونه باطنها:مثل الحيه التى يلين مسها و يقتل سمها.

و فى قله ما بقى منها بالإضافه إلى ما سبق:مثل ثوب شق من أوله إلى آخره،فبقى متعلقا فى آخره،فيوشک ذلک الخيط أن ينقطع.

و فى قله نسبتها إلى الآخره:كمثل ما يجعل أحد إصبعه فى اليم،فلينظر بم يرجع إليه من الأصل.

و فى تأديه علائقها بعض إلى بعض حتى ينجر إلى الهلاک:كماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله.

و فی تـأدیه الحرص علیها إلی الهلاک غما:کمثل دوده القز کلما ازدادت علی نفسـها لفا کان أبعـد لها من الخروج حتی تموت غما.

و فی تعذر الخلاص من تبعاتها و استحاله عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فیها:کالماشی فی الماء،فإنه یمتنع ألا تبتل قدماه.

و فی نضـاره أولهـا و خباثه عاقبتها:کالأطعمه التی تؤکل،فکما أن الطعام کلما کان ألـذ طعما و أکثر دسومه کان رجیعه أقـذر و أشـد نتنـا، فکـذلک کـل شـهوه من شـهوات الـدنیا التی کانت للقلب أشـهی و أقوی، فنتنها و کراهیتها و التأذی بها عنـد الموت أشد،و هذا مشاهد فی الدنیا.

فإن المصیبه و الألم و التفجع فی کل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده و حرصه علیه و حبه له،و لذا تری أن من نهبت داره و أخذت أهله و أولاده، یکون تفجعه و ألمه أشـد مما إذا أخـذ عبـد من عبیده،فکل ما کان عند الوجود أشـهی عنده و الذ،فهو عند الفقد أدهی و أمر،و ما للموت معنی إلا فقد ما فی الدنیا.

و فی تنعم الناس بها ثم تفجعهم علی فراقها:مثل طبق ذهب علیه بخور و ریاحین،فی دار رجل هیأه فیها،و دعا الناس علی الترتیب واحـدا بعـد واحـد لیـدخلوا داره،و یشـمه کل واحـد و ینظر إلیه،ثم یترکه لمن یلحقه،لا لیتملکه و یأخـذه،فـدخل واحـد و جهل رسـمه،فظن أنه قـد وهب ذلـک له،فتعلق به قلبه،لمـا ظن أنه له،فلما استرجع منه ضـجر و تألم، و من کان عالما برسـمه انتفع به و شکره و رده بطیب قلب و انشراح صدر.فکذلک من عرف سنه اللّه فی الدنیا،علم أنها دار ضیافه سبلت علی المجتازین لینتفعوا بما فیها،کما ینتفع المسافر بالعواری،ثم یترکوها و یتوجهوا إلی مقصدهم من دون صـرف قلوبهم إلیها،حتی تعظم مصـیبتهم عند فراقها،و من جهل سنه اللّه فیها،ظن أنها مملوکه له،فیتعلق بها

قلبه،فلما أخذت منه عظمت بليته و اشتدت مصيبته.

و فی اغترار الخلق بها و ضعف إيمانهم بقوله تعالی فی تحذيره إياهم غوائلها:كمفازه غبراء لا نهايه لها،سلكوها قوم و تاهوا فيها بلا زاد و ماء و راحله،فأيقنوا بالهلاک،فبيناهم كذلک إذ خرج عليهم رجل و قال:

أ رأيتم إن هديتكم إلی رياض خضر و ماء رواء ما تعملون؟قالوا:لا- نعصيک فی شیء.فأخذ منهم عهودا و مواثيق علی ذلک،فأوردهم ماء رواء و رياضا خضراء،فمكث فيهم ما شاء اللّه،ثم قال:الرحيل!قالوا:إلی أين؟قال:إلی ماء ليس كمائكم،و إلی رياض ليست كرياضكم.فقال أكثرهم:لا نريد عيشا خيرا من هذا،فلم يطيعوه.و قالت طائفه -و هم الأقلون-:ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم و مواثيقكم باللّه ألا- تعصوه و قد صدقكم فی أول حديثه؟فو اللّه إنه صادق فی هذا الكلام أيضا! فأتبعه هذا الأقل،فذهب فيهم إلی أن أوردهم فی ماء و رياض أحسن بمراتب شتی مما كانوا فيه أولا،و تخلف عنه الأكثرون،فبدرهم عدو، فأصبحوا من بين قتيل و أسير.

تذنيب (تشبيها الدنيا و أهلها)

قد شبه بعض الحكماء حال الإنسان و اغتراره بالدنيا،و غفلته عن الموت و ما بعده من الأهوال،و انهماكه فی اللذات العاجله الفانيه الممتزجه بالكدورات:بشخص مدلی فی بئر،مشدود وسطه بحبل،و فی أسفل ذلک البئر ثعبان عظيم متوجه إليه،منتظر سقوطه،فاتح فاه لالتقامه، و فی أعلی ذلک البئر جرذان أبيض و أسود،لا يزالان يقرضان ذلک الحبل شيئا فشيئا،و لا يفتران عن قرضه آنا من الآنات،و ذلک الشخص،

مع أنه یری ذلک الثعبان و یشاهد انقراض الحبل آنا فآنا،قد أقبل علی قلیل عسل قد لطخ به جدار ذلک البئر و امتزج بترابه و اجتمعت علیه زنابیر کثیره،و هو مشغول بلطعه منهمک فیه،ملتذ بما أصاب منه،مخاصم لتلک الزنابیر علیه،قد صرف باله بأجمعه إلی ذلک،غیر ملتفت إلی ما فوقه و إلی ما تحته.فالبئر هو الدنیا،و الحبل هو العمر،و الثعبان الفاتح فاه هو الموت،و الجرذان اللیل و النهار القارضان للعمر،و العسل المختلطه بالتراب هو لذات الدنیا الممتزجه بالکدورات و الآلام،و الزنابیر هم أبناء الدنیا المتزاحمون علیها.

و شبه بعض العرفاء الدنیا و أهلها،فی اشتغالهم بنعیمها و غفلتهم عن الآخره،و حسراتهم العظیمه بعد الموت،من فقدهم نعیم الجنه بسبب انغمارهم فی خسائس الدنیا:بقوم رکبوا السفینه،فانتهت بها إلی جزیره فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجه،و حذرهم المقام فیها،و خوفهم مرور السفینه و استعجالها،فتفرقوا فی نواحی الجزیره،فقضی بعضهم حاجته،و بادر إلی السفینه،فصادف المقام خالیا،فأخذ أوسع الأماکن و أوفقها بمراده.و بعضهم توقف فی الجزیره،و اشتغل بالنظر إلی أزهارها و أنوارها و أشجارها و أحجارها و نغمات طیورها،ثم تنبه لخطر فوات السفینه فرجع إلیها،فلم یصادف إلا مکانا ضیقا،فاستقر فیه.و بعضهم، بعد التنبه لخطر مرور السفینه،لما تعلق قلبه ببعض أحجار الجزیره و أزهارها و ثمارها،لم تسمح نفسه بأهمالها،فاستصحت منها جمله و رجع إلی السفینه فلم یجد فیها إلا مکانا ضیقا لا یسعه إلا بالتکلف و المشقه،و لیس فیه مکان لوضع ما حمله،فصار ذلک ثقلا علیه وبالا،فندم علی أخذها،و لم یقدر علی رمیها،فحملها فی السفینه علی عنقه متأسفا علی أخذها.و بعضهم اشتغل بمشاهده الجزیره،بحیث لم یتنبه أولا من خطر مرور السفینه و من

نداء الملاح،حتى امتلأت السفينه،فتنبه أخيرا و رجع إليها،مثقلا بما حمله من أحجار الجزيره و حشائشها،و لما وصل إلى شاطئ البحر سارت السفينه،أ و لم يجد فيها موضعا أصلا،فبقى على شاطئ البحر. و بعضهم لكثره الاشتغال بمشاهده الجزيره و ما فيها نسوا المركب بالمره،و لم يبلغهم النداء أصلا،لكثره انغمارهم فى أكل الثمار و شرب المياه و التنسم بالأنوار و الأزهار و التفرج بين الأشجار،فسارت السفينه و بقوا فى الجزيره من دون تنبههم بخطر مرورها،فتفرقوا فيها،فبعضهم نهشته العقارب و الحيات و بعضهم افترسته السباع،و بعضهم مات فى الأوحال،و بعضهم هلك من الندامه و الحسره و الغصه،و أما من بقى على شاطئ البحر فمات جوعا، و أما من وصل إلى المركب مثقلا بما أخذه،فشغله الحزن بحفظها و الخوف من فوتها،و قد ضيق عليه مكانه،فلم يلبث إن ذبلت ما أخذه من الأزهار،و عفنت الثمار،و كمدت ألوان الأحجار،فظهر نتن رائحتها، فتأذى من نتن رائحتها و لم يقدر على إلقائها فى البحر لصيرورتها جزءا من بدنه،و قد أثر فيه ما أكل منها،و لم ينته إلى الوطن إلا بعد إحاطه الأمراض و الأسقام عليه لأجل ما لم ينفك عنه من النتن،فبلغ إليه سقيما مدنفا،فبقى على سقمه أبدا،أو مات بعد مده،و أما من رجع إلى المركب بعد تضيق المكان،فما فاته إلا سعه المحل،فتأذى بضيق المكان مده، و لكن لما وصل إلى الوطن استراح،و من رجع إليه أولا و وجد المكان الأوسع فلم يتأذ من شىء أصلا و وصل إلى الوطن سالما. فهذا مثال أصناف أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجله،و نسيانهم وطنهم الحقيقى،و غفلتهم عن عاقبه أمرهم.و ما أقبح بالعاقل البصير أن تغره بأحجار الأرض و هشيم النبت،مع مفارقته عند الموت و صيرورته كلا و وبالا عليه.

ص :۴۲

فصل (عاقبه حب الدنيا و بغضها)

اعلم أنه لا يبلغ مع العبد عند الموت إلا صفاء القلب،أعنى طهارته عن أدناس الدنيا و حبه للّه و أنسه بذكره،و صفاء القلب و طهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا،و الحب لا يحصل إلا بالمعرفه،و المعرفه لا تحصل إلا بدوام الفكره،و الأنس لا يحصل إلا بكثره ذكر اللّه و المواظبه عليه،و هذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت،و هى الباقيات الصالحات.

أما طهاره القلب عن أدناس الدنيا،فهى الجنه بين العبد و بين عذاب اللّه،

كما ورد فى الخبر: «أن اعمال العبد تناضل عنه،فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه،و إذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقه تدفع عنه...»الحديث.

و أما الحب و الأنس،فهما يوصلان العبد إلى لذه المشاهده و اللقاء.

و هذه السعاده تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل الجنه،فيصير القبر روضه من رياض الجنه،و كيف لا يصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غايه البهجه و نهايه اللذه بمشاهده جمال الحق،و لا يكون القبر عليه روضه من الرياض الخلد،و لم يكن له إلا محبوب واحد،و كانت العوائق تعوقه عن الأنس بدوام ذكره و مطالعه جماله،و بالموت ارتفعت العوائق و أفلت من السجن و خلى بينه و بين محبوبه،فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق؟ و كيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا و لم يكن له محبوب إلا الدنيا،و قد غصبت منه و حيل بينه و بينها،و سدت عليه طرق

الحیله فی الرجوع إلیه؟و لیس الموت عـدما،إنما هو فراق لمحاب الـدنیا و قدوم علی اللّه،فإذن سالک طریق الآخره هو المواظب علی أسـباب هـذه الصـفات الثلاث،و هی:الـذکر،و الفکر،و العمل الـذی یفطمه عن شـهوات الدنیا و یبغض إلیه ملاذها و یقطعه عنهـا.و کـل ذلـک لاـ یمکن إلا بصـحه البـدن،و صـحه البـدن لا تنال إلا بالقوت و الملبس و المسـکن،و یحتاج کل واحـد إلی أسباب،فالقـدر الـذی لا بـد منه من هـذه الثلاثه إذا أخـذه العبـد من الدنیا للآخره لم یکن من أبناء الدنیا و کانت الدنیا فی حقه مزرعه الآـخره،و إن أخـذ ذلـک علی قصـد التنعم و حـظ النفس صـار من أبنـاء الـدنیا و الراغبین فی حظوظها.إلاـ أن الرغبه فی حظوظ الـدنیا تنقسم إلی ما یعرض صاحبه لعذاب اللّه فی الآخره،و سـمی ذلک حراما،و إلی ما یحول بینه و بین الدرجات العلی و یعرضه لطول الحساب،و یسـمی ذلک حلالا.و البصـیر یعلم أن طول الموقف فی عرصات القیامه لأجل المحاسبه أیضا عذاب، فمن نوقش فی الحساب عذب،و لذلک

قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-: «فی حلالهـا حسـاب و فی حرامهـا عقـاب». بـل لو لم یکن الحسـاب،لکان ما یفوت عن الـدرجات العلی فی الجنه و مـا یرد علی القلب من التحسر علی تفویتهـا بحظوظ حقیره خسیسه لاـ بقـاء لهـا،هو أیضا عـذاب و یرشـدک إلی ذلـک حالـک فی الـدنیا إذا نظرت إلی أقرانک،و قـد سـبقوک إلی السـعادات الـدنیویه،کیف ینقطع قلبک علیها حسـرات،مع علمک بأنها سـعادات متصـرمه لا بقاء لها،و منغصه بکدورات لا صـفاء لها، فما حالک فی فوات سـعادات لا یحیط الوصف بعظمتهـا و تنقطع الأذهـان و الـدهور دون غایتهـا؟و کـل من تنعم فی الـدنیا،و لو بسـماع صوت من طـائر أو بـالنظر إلی خضره أو بشربه ماء بارد،فهو ینقص من حظه فی الآخره و التعرض لجواب السؤال فیه ذل،و حذر،و خوف،و خطر،و خجل

ص:۴۴

و انکسار،و مشقه،و انتظار،و کل ذلک من نقصان الحظ.

فالـدنیا-قلیلها و کثیرها،حلالها و حرامها-ملعونه،إلا ما أعان علی تقوی اللّه،فإن ذلک القدر لیس من الـدنیا،و کل من کانت معرفته أقوی و أتم کان حذره من نعیم الدنیا أشد و أعظم،حتی

أن عیسی علیه السلام وضع رأسه علی حجر لما نام ثم رمی به،إذ تمثل له إبلیس و قال رغبت فی الدنیا.

و حتی أن سلیمان-علیه السلام-فی ملکه کان یطعم الناس من لذائذ الأطعمه و هو یأکل خبز الشعیر، فجعل الملک علی نفسه بهذا الطریق امتحانا و شده،فإن الصبر من لذیذ الأطعمه مع وجودها أشد.و لذا زوی اللّه-تعالی-الدنیا علی نبینا-صلی اللّه علیه و آله- فکان یطوی أیاما،و کان یشد الحجر علی بطنه من الجوع،و لهذا سلط اللّه المحن و البلاء علی الأنبیاء و الأولیاء،ثم الأمثل فالأمثل فی درجات العلی.کل ذلک نظرا لهم و امتنانا علیهم،لیتوفر من الآخره حظهم،کما یمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواکه و الأطعمه و یلزمه الفصد و الحجامه،شفقه علیه و حبا له لا بخلا به علیه. و قد عرفت بهذا أن کل ما لیس للّه فهو من الدنیا و ما هو للّه فلیس من الدنیا.

ثم الأشیاء علی أقسام ثلاثه:

(الأول)ما لا یتصور أن یکون للّه،بل من الدنیا صوره و معنی و هی أنواع المعاصی و المحظورات و أصناف التنعم بالمباحات،و هی الدنیا المحضه المذمومه علی الإطلاق.

(الثانی)ما صورته من الـدنیا،کالأکل و النوم و النکاح و أمثالها، و یمکن أن یجعل معناه للّه،فإنه یمکن أن یکون المقصود منه حظ النفس فیکون معناه کصورته أیضا من الـدنیا،و یمکن أن یکون المقصود منه الاستعانه علی التقوی،فهو للّه بمعناه و إن کانت صورته صوره الدنیا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من طلب من الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى اللّه و هو عليه غضبان،و من طلبها استعفافا عن المسأله و صيانه لنفسه جاء يوم القيامه و وجهه كالقمر ليله البدر».

(الثالثه)ما صورته للّه،و يمكن أن يجعل معناه من الدنيا بالقصد، و هو ترك الشهوات،و تحصيل العلم،و عمل الطاعات و العبادات.فهذه الثلاث إذا لم يكن لها باعث سوى أمر اللّه و اليوم الآخر فهى للّه صوره و معنى،و لم تكن من الدنيا أصلا،و إن كان الغرض منها حفظ المال و الحميه و الاشتهار بالزهد و الورع و طلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفه صار من الدنيا معنى و إن كان يظن بصورته أنه للّه.

و منها:

اشاره

حب المال

و هو من شعب حب الدنيا،إذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل،و المال بعض أجزاء الدنيا،كما أن الجاه بعضها،و اتباع شهوه البطن و الفرج بعضها،و تشفى الغيظ بحكم الغضب و الحسد بعضها،و الكبر و طلب العلو بعضها.

و بالجمله:لها أبعاض كثيره يجمعها كل ما لإنسان فيه حظ عاجل، فآفات الدنيا كثيره الشعب و الأرجاء،واسعه الأرجاء و الأكناف،و لكن أعظم آفاتها المتعلقه بالقوه الشهويه هو(المال)،اذ كل ذى روح محتاج إليه و لا غناء له عنه،فإن قد حصل الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا و إن وجد حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبه أمره إلا خسرا،فهو

لا-یخلو من فوائد و آفات،و فوائده من المنجیات و آفاته من المهلکات، و تمییز خیرها و شرها من المشکلات،إذ من فقده تحصل صفه الفقر،و من وجوده تحصل صفه الغناء،و هما حالتان یحصل بهما الامتحان.

ثم(للفاقد)حالتان:القناعه،و الحرص،و أحداهما محموده و الأخری مذمومه.و(للحریص)حالتان:تشمر للحرف و الصنائع مع الیأس عن الخلق،و طمع بما فی أیدیهم.و إحدی الحالتین شر من الأخری.و (للواجد)حالتان:إمساک،و إنفاق.و أحدهما مذموم و الآخر ممدوح و(للمنفق)حالتان:إسراف،و اقتصاد،و الأول مذموم و الثانی ممدوح و هذه أمور متشابهه لا بد أولا من تمییزها،ثم الأخذ بمحمودها و الترک لمذمومها،حتی تحصل النجاه من غوائل المال و فتنتها.و من هنا قال بعض الأکابر:الدرهم عقرب،فإن لم تحسن رقیته فلا تأخذه،فإنه إن لدغک قتلک سمه.قیل و ما رقیته؟قال:أخذه من حله،و وضعه فی حقه.

فصل الکتاب و السنه متظاهران فی ذم المال و کراهه حبه،

قال اللّه سبحانه:

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُلْهِکُمْ أَمْوالُکُمْ وَ لا أَوْلادُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ

(۱)

.

و قال: وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ (۲).

ص: ۴۷

۱- ۱) المنافقون،الآیه:۹.

۲- ۲) الأنفال،الآیه:۲۸.

و قال: اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا... الآيه (۱).

و قال رسول الله-صلی اللّه علیه و آله-: «حب المال و الشرف ینبتان النفاق،کما ینبت الماء البقل».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما ذئبان ضاریان أرسلا فی زریبه غنم بأکثر فسادا من حب المال و الجاه فی دین الرجل المسلم»،

و قال: «شر أمتی الأغنیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یقول اللّه-تعالی-:یا ابن آدم!مالی،مالی!و هل لک من مالک إلا ما تصدقت فأمضیت،أو أکلت فأفنیت،أو لبست فأبلیت؟!»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أخلاء ابن آدم ثلاثه:واحد یتبعه إلی قبض روحه و هو ماله،و واحد یتبعه إلی قبره و هو أهله، و واحد یتبعه إلی محشره و هو عمله».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «یجاء بصاحب الدنیا الذی أطاع اللّه فیها و ماله بین یدیه،کلما یکفأ به الصراط قال له ماله:امض و قد أدیت حق اللّه فی.ثم یجاء بصاحب الدنیا الذی لم یطع اللّه فیها و ماله بین کفیه،کلما یکفأ به الصراط قال ماله:ویلک ألا أدیت حق اللّه فی؟...فما یزال کذلک حتی یدعو بالثبور و الویل»

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «إن الدینار و الدرهم أهلکا من کان قبلکم، و هما مهلکاکم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «لکل أمه عجل،و عجل هذه الأمه الدینار و الدرهم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «یؤتی برجل یوم القیامه،و قد جمع مالا من حرام و أنفقه فی حرام فیقال:اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حلال و أنفقه فی حرام،فیقال اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حرام و أنفقه فی حلال فیقال اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حلال و أنفقه فی

۱- ۱) الکهف،الآیه:۴۷.

حلال،فيقال له:قف لعلك قصرت فی طلب هذا بشیء مما فرضت عليك من صلاه لم تصلها لوقتها،و فرطت فی شیء من ركوعها و سجودها و وضوئها،فيقول:لا يا رب!كسبت من حلال و أنفقت فی حلال، و لم أضيع شيئا مما فرضت،فيقال:لعلك اختلت فی هذا المال فی شیء من مركب أو ثوب باهيت به،فيقول:لا يا رب!لم اختل و لم أباه فی شیء،فيقال:لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوی القربی و اليتامی و المساكين و ابن السبيل،فيقول:لا يا رب!لم أضيع حق أحد أمرتنی أن أعطيه.فيجیء أولئك فيخاصمونه،فيقولون:يا رب أعطيته و أغنيته و جعلته بين أظهرنا و أمرته أن يعطينا،فإن كان قد أعطاهم و ما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض و لم يختل فی شیء،فيقال:قف الآن هات شكر نعمه أنعمتها عليك من أكله أو شربه أو لقمه أو لذه...فلا يزال يسأل».

فليت شعری-يا أخی-إن الرجل الذی فعل فی الحلال،و أدی الفرائض بحدودها،و قام بالحقوق كلها،إذا حوسب بهذه المحاسبه، فكيف يكون حال أمثالنا الغرقی فی فتن الدنيا و تخاليطها،و شبهاتها و شهواتها و زينتها،فيا لها من مصيبه ما أفظعها،و رزيه ما أجلها،و حسره ما أعظمها لا ندری ما تفعل بنا الدنيا غدا فی الموقف عند يدی الجبّار.

و لخوف هذا الخطر قال بعض الصحابه:«ما يسرنی أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال و أنفقها فی طاعه اللّه،و لم يشغلنی الكسب عن صلاه الجماعه»،قالوا له:و لم ذلك رحمك اللّه؟قال:«لأنی غنی عن مقامی يوم القيامه،فيقول اللّه:عبدی من أين اكتسبت و فی أی شیء أنفقت؟».

فينبغی لكل مؤمن تقی ألا يتلبس بالدنيا،فيرضی بالكفاف،و إن

كان معه فضل فليقدمه لنفسه،إذ لو بقى بعده لكان له مفاسد و آفات.

روى: «أنه قال رجل:يا رسول اللّه،ما لى لا أحب الموت؟فقال:

هل معک من مال؟قال:نعم يا رسول اللّه،قال:قدم مالک أمامک فإن قلب المؤمن مع ماله،إن قدمه أحب أن يلحقه،و إن خلفه أحب أن يتخلف معه».

و وضع أمير المؤمنين-عليه السلام-درهما على كفه ثم قال:«أما إنک ما لم تخرج عنى لا تنفعنى».

و روى: «أن أول ما ضرب الدينار و الدرهم رفعهما إبليس،ثم وضعهما على جبهته،ثم قبلهما و قال:من أحبكما فهو عبدى حقا».

و قال عيسى عليه السلام: «لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا،فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم». و قال بعض الأكابر:«مصيبتان لم يسمع الأولون و الآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته»،قيل:و ما هما؟قال:«يؤخذ منه كله،و يسأل عنه كله».

ثم جميع ما ورد فى ذم الغنى و مدح الفقر-كما يأتى بعضه-،و جميع ما ورد فى ذم الدنيا-كما تقدم بعضه-يتناول ذم المال،لأنه أعظم أركان الدنيا.

فصل (الجمع بين ذم المال و مدحه)

أعلم أنه كما ورد ذم المال فى الآيات و الأخبار ورد مدحه فيهما أيضا و قد سماه اللّه خيرا فى مواضع،فقال:

إِنْ تَرَکَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ...

(۱)

.و قال فى مقام الامتنان:

۱- ۱) البقره،الآيه:۱۸۰.

وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّٰاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهٰاراً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- :«نعم المال الصالح للرجل الصالح». و كل ما جاء فى ثواب الصدقه،و الضيافه،و السخاء،و الحج و غير ذلك مما لا يمكن الوصول إليه إلا بالمال،فهو ثناء عليه.

و وجه الجمع بين الظواهر المادحه و الذامه هو:أن المال قد يكون وسيله إلى مقصود صحيح هو السعاده الأخرويه،إذ الوسائل إليها فى الدنيا ثلاث،و هى:الفضائل النفسيه،و الفضائل البدنيه،و الفضائل الخارجيه التى عمدتها المال.و قد يكون وسيله إلى مقاصد فاسده و هى المقاصد الصاده عن السعاده الأخرويه و الحياه الأبديه،و الصاده سبيل العلم و العمل.فهو إذن محمود و مذموم بالإضافه إلى المقصودين.فالظواهر الذامه محموله على صوره كونه وسيله إلى مقاصد فاسده،و المادحه على صوره كونه وسيله إلى مقاصد صحيحه.و لما كانت الطبائع مائله إلى اتباع الشهوات القاطعه لسبيل اللّه،و كان المال مسهلا لها و آله إليها،عظم الخطر فى ما يزيد على قدر الكفايه،فاستعاذ طوائف الأنبياء و الأولياء من شره، حتى

قال نبينا-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا»

و قال-صلى اللّه عليه و آله- : «اللهم أحينى مسكينا و أمتنى مسكينا».

ص:51

۱- ۱) نوح،الآيه:۱۲.

فصل (غوائل المال و فوائده)

قد ظهر مما ذكر:أن المال مثل حيه فيها سم و ترياق،فغوائله سمه،و فوائده ترياقه،فمن عرفهما أمكنه أن يحترز من شره و يستدر منه خيره.

و لبيان ذلک نقول:

إن غوائله إما دنيويه أو دينيه:

و الدنيويه:

هی ما يقاسيه أرباب الأموال:من الخوف،و الحزن، و الهم،و الغم،و تفرق الخاطر،و سوء العيش،و التعب فی کسب الأموال و حفظها،و دفع الحساد و کيد الظالمين،و غير ذلک.

و الدينيه:ثلاثه أنواع:

أولها-أداؤه إلی المعصيه.

إذ المال من الوسائل إلی المعاصی،و نوع من القدره المحرکه لداعيتها.فإذا استشعرها الإنسان من نفسه،انبعثت الداعيه،و اقتحم فی المعاصی،و ارتکب أنواع الفجور.و مهما کان آيسا عن القدره لم يتحرک داعيه إليها:إذ العجز قد يحول بين المرء و بين المعصيه،و من العصمه ألا يقدر،و أما مع القدره فإن اقتحم ما يشتهيه هلک، و إن صبر وقع فی شده.إذ الصبر مع القدره أشد،و فتنه السراء من فتنه الضراء أعظم.

و ثانيها-أداؤه إلی التنعم فی المباحات.

فإن الغالب أن صاحب المال يتنعم بالدنيا و يمرن عليه نفسه،فيصير التنعم محبوبا عنده مألوفا، بحيث لا يصبر عنه،و يجره البعض منه إلی البعض.و إذا اشتد ألفه به و صار عاده له،ربما لم يقدر عليه من الحلال،فيقتحم فی الشبهات

و یخوض فی المحرمات:من الخیانه،و الظلم،و الغصب،و الریاء،و الکذب و النفاق،و المداهنه،و سائر الأخلاق المهلکه،و الأشغال الردیه،لینتظم أمر دنیاه و یتیسر له تنعمه.و ما أقل لصاحب الثروه و المال ألا یصیر التنعم مألوفا له،إذ متی یقدر أن یقنع بخبز الشعیر و لبس الخشن و ترک لذیذ الأطعمه بأسرها،فإنما ذلک شأن نادر من أولی النفوس القویه القدسیه کسلیمان بن داود علیه السلام و أمثاله.علی أن من کثر ماله کثرت حاجته إلی الناس،و من احتاج إلی الناس فلا بد أن ینافقهم و یسخط اللّه فی طلب رضاهم،فإن سلم من الآفه الأولی،أعنی مباشره المحرمات،فلا یسلم من هذه أصلا.و من الحاجه إلی الناس تثور العداوه و الصداقه، و یحصل الحقد،و الحسد،و الکبر،و الریاء،و الکذب،و الغیبه،و البهتان و النمیمه،و سائر معاصی القلب و اللسان،و کل ذلک یلزم من شؤم المال و الحاجه إلی حفظه و إصلاحه.

و ثالثها-و هو الذی لا ینفک عنه أحد من أرباب الأموال،

و هو أنه یلهیه إصلاح ماله و حفظه عن ذکر اللّه تعالی،و کل ما یشغل العبد عن اللّه تعالی فهو خسران و وبال.

و لذا قال روح اللّه علیه السلام: «فی المال ثلاث آفات،أن یأخذه من غیر حله»،فقیل:إن أخذه من حله؟ قال:«یضعه فی غیر حقه»،فقیل:إن وضعه فی حقه؟فقال:

«یشغله إصلاحه عن اللّه». و هذا هو الداء العضال،إذ أصل العبادات و روحها و حقیقتها هو الذکر و الفکر فی جلال اللّه تعالی،و ذلک یستدعی قلبا فارغا.و صاحب الضیعه یصبح و یمسی متفکرا فی خصومه الفلاح و محاسبته و خیانته،و منازعه الشرکاء و خصومتهم فی الماء و الحدود،و خصومه أعوان السلطان فی الخراج،و خصومه الإجراء فی التقصیر فی العماره و غیر ذلک.و صاحب التجاره یکون متفکرا فی خیانه الشرکاء و انفرادهم بالربح

ص:۵۳

و تقصیرهم فی العمل و تضییعهم المال،و یکون غالبا فی بلاد الغربه متفرق الهم محزون القلب من کساد ما یصحبه من مال التجاره.و کذلک صاحب المواشی و غیره من أرباب أصناف الأموال.و أبعدها عن کثره الشغل النقد المکنون تحت الأرض،و صاحبه أیضا لا یزال متفکرا مترددا فیما یصرف إلیه،و فی کیفیه حفظه،و فی الخوف ممن یعثر علیه،و فی دفع طمع الخلق منه. و بالجمله:أودیه أفکار أهل الدنیا لا نهایه لها،و الذی لیس معه إلا قوت یومه أو سنته،و لا یطلب أزید من ذلک،فهو فی سلامه من جمیع ذلک.

و أما فوائده:فهی أیضا دنیویه و دینیه:

أما الدنیویه:

فهی ما یتعلق بالحظوظ العاجله:من الخلاص من ذل السؤال،و حقاره الفقر،و الوصول إلی العز و المجد بین الخلق،و کثره الإخوان و الأصدقاء و الأعوان،و حصول الوقار و الکرامه فی القلوب.

و أما الدینیه:فثلاثه أنواع:

أولها-أن ینفقه علی نفسه فی عباده،

کالحج و الجهاد،أو فیما یقوی علی العباده،کالمطعم و الملبس و المسکن.

و ثانیها-أن یصرفه إلی أشخاص معینه:

کالصدقه،و المروه، و وقایه العرض،و أجره الاستخدام.و أما الصدقه بأنواعها،فلا یحصی ثوابها،و ربما نشیر إلی فضیلتها فی موضعها،و أما المروه،و نعنی بها صرف المال إلی الأغنیاء و الأشراف فی ضیافه أو هدیه أو إعانه و ما یجری مجراها مما یکتسب به الإخوان و الأصدقاء و یجلب به صفه الجود و السخاء، إذ لا یتصف بالجود إلا من یصطنع المعروف و یسلک سبیل الفتوه و المروه، فلا ریب فی کونه مما یعظم ثوابه.فقد وردت أخبار کثیره فی الهدایا و الضیافات و إطعام الطعام،من غیر اشتراط الفقر و الفاقه فی مصارفها.

و أما وقايه العرض،و نعنى بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء،و هجو الشعراء،و قطع ألسنه الفاحشين و المغتابين،و منع شر الظالمين و أمثال ذلك فهو أيضا من الفوائد الدينيه.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

«ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقه»، و أما أجره الاستخدام،فلا ريب فى إعانته على أمور الدين،إذ الأعمال التى يحتاج إليها الإنسان لتهيئه أسبابه كثيره،و لو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته،و تعذر عليه سلوك سبيل الآخره بالفكر و الذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين،و من لا مال له يحتاج أن يتولى بنفسه جميع الأعمال التى يحتاج إليها فى الدنيا،حتى نسخ الكتاب الذى يفتقر إليه،و كلما يتصور أن يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران و ندامه.

و ثالثها-أن يصرفه إلى غير معين يحصل به خير عام،

و هى الخيرات الجاريه:من بناء المساجد،و المدارس،و القناطر،و الرباطات،و نصب الخشبيات فى الطرق،و إجراء القنوات،و نسخ المصاحف و الكتب العلميه و غير ذلك من الأوقاف المرصده للخيرات المؤبده،الدائره بعد الموت، المستجلبه ببركه أدعيه الصالحين إلى أوقات متماديه.

فصل (الأمور المنجيه من غوائل المال)

من أراد النجاه من غوائل المال،فليحافظ على أمور:

الأول-أن يعرف مقصود المال و باعث خلقه و عله الاحتياج إليه حتى لا يكتسب و لا يحفظ إلا قدر حاجته.

الثانى-أن يراعى جهه دخله،فيجتنب الحرام و المشتبه،و الجهات

المکروهه القادحه فی المروه و الحریه،کالهدایا المشوبه بالرشوه،و السؤال الذی فیه الانکسار و الذله.

الثالث-أن یراعی جهه الخرج،و یقتصد فی الإنفاق،غیر مبذر و لا مقتر.قال اللّه تعالی:

وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً

(۱)

.

و قال النبی صلی اللّه علیه و آله-: «ما عال من اقتصد». ثم للاقتصاد فی المطعم و الملبس و المسکن درجات ثلاث:أدنی و أوسط و أعلی،و ربما کان المیل إلی الأول أحری و أولی،لیدخل فی زمره المخفین یوم القیامه.

الرابع-أن یضع ما اکتسبه من حله فی حقه،و لا یضعه فی غیر حقه،فإن الإثم فی الأخذ من غیر حله و الوضع فی غیر حقه سواء.

الخامس-أن یصلح نیته فی الأخذ و الترک و الإنفاق و الإمساک، فیأخذ ما یأخذ استعانه به علی ما خلق لأجله،و یترک ما یترک زهدا فیه و استحقارا له و اجتنابا عن وزره و ثقله،و إذا فعل ذلک لم یضره وجوده

قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «لو أن رجلا أخذ جمیع ما فی الأرض و أراد به وجه اللّه فهو زاهد،و لو ترک الجمیع و لم یرد به وجه اللّه فلیس بزاهد».

فینبغی لکل مؤمن أن یکون باعث جمیع أفعاله التقرب إلی اللّه لیصیر الجمیع عباده.فإن أبعد الأفعال عن العباده الأکل و الوقاع و قضاء الحاجه و یصیر بالقصد عباده.فمن أخذ من المال ما یحتاج إلیه فی طریق الدین،

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۶۷.

و بذل ما فضل منه على إخوانه المؤمنين،فهو الذى أخذ من حيه المال ترياقها،و اتقى سمها،فلا تضره كثره المال.إلا أنه لا يتأتى ذلك إلا لمن كثر علمه و استحكمت فى الدين قدمه.و العامى إذ يشتبه به فى الاستكثار من المال،فشأنه شأن الصبى الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ بالحيه و يتصرف بها ليأخذ ترياقها،فيقتدى به و يأخذها مستحسنا صورتها و شكلها و مستلينا جلدها فتقتله فى الحال.إلا أن قتيل الحيه يدرى أنه قتيل،و قتيل المال قد لا يعرف ذلك.و كما يمتنع أن يتشبه الأعمى بالبصير فى التخطى قلل الجبال و أطراف البحار و الطرق المشوكه،فيمتنع أن يتشبه العامى الجاهل بالعالم الكامل فى الاستكثار من المال.

وصل (الزهد)

ضد حب الدنيا و الرغبه إليها هو(الزهد)،و هو ألا يريد الدنيا بقلبه،و يتركها بجوارحه،إلا بقدر ضروره بدنه.و بعباره أخرى:هو الإعراض من متاع الدنيا و طيباتها،من الأموال و المناصب و سائر ما يزول بالموت.و بتقرير آخر:هو الرغبه عن الدنيا عدولا إلى الآخره،أو عن غير اللّه،عدولا إلى اللّه،و هو الدرجه العليا.فمن رغب عن كل ما سوى اللّه حتى الفراديس،و لم يحب إلا اللّه،فهو الزاهد المطلق.و من رغب عن حظوظ الدنيا خوفا من النار أو طمعا فى نعيم الجنه،من الحور و القصور و الفواكه و الأنهار،فهو أيضا زاهد،و لكنه دون الأول.و من ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض،كالذى يترك المال دون الجاه،أو يترك التوسع فى الأكل دون التجمل فى الزينه،لا يستحق اسم الزاهد مطلقا.

و بما ذکر یظهر:أن الزهد إنما یتحقق إذا تمکن من نیل الدنیا و ترکها،و کان باعث الترک هو حقاره المرغوب عنه و خساسته،أعنی الدنیا بالإضافه إلی المرغوب إلیه و هو اللّه و الدار الآخره .فلو کان الترک لعدم قدرته علیها،أو لغرض غیر اللّه تعالی غیر الدار الآخره،من حسن الذکر،و استماله القلوب،أو الاشتهار بالفتوه و السخاء،أو الاستثقال لما فی حفظ الأموال من المشقه و العناء،أو أمثال ذلک،لم یکن من الزهد أصلا.

فصل (مدح الزهد)

الزهد أحد منازل الدین و أعلی مقامات السالکین.قال اللّه سبحانه:

فَخَرَجَ عَلیٰ قَوْمِهِ فِی زِینَتِهِ ... وَ قٰالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَیْلَکُمْ ثَوٰابُ اللّٰهِ خَیْرٌ (۱).

فنسب الزهد إلی العلماء،و وصف أهله بالعلم،و هو غایه المدح.

و قال:

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ

(۲)

.

۱- ۱) القصص،الآیه:۷۹-۸۰.

۲- ۲) طه،الآیه:۱۳.

و قال: وَ مَنْ كٰانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيٰا نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ (۱).

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «من أصبح و همه الدنيا، شتت اللّه عليه أمره،و فرق عليه ضيعته،و جعل فقره بين عينيه،و لم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له.و من أصبح و همه الآخره،جمع اللّه له همه،و حفظ عليه ضيعته،و جعل غناه فى قلبه،و أتته الدنيا و هى راغمه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إذا رأيتم العبد قد أعطى صمتا و زهدا فى الدنيا فاقتربوا منه،فإنه يلقى الحكمه».

و قال صلى اللّه عليه و آله:

«من أراد أن يؤتيه اللّه علما بغير تعلم،و هدى بغير هدايه،فليزهد فى الدنيا».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «ازهد فى الدنيا يحبك اللّه.و ازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا على،من عرضت له دنياه و آخرته فاختار الآخره و ترك الدنيا فله الجنه،و من اختار الدنيا استخفافا بآخرته فله النار»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «سيكون بعدى قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل و التجبر،و لا الغنى إلا بالفخر و البخل،و لا المحبه إلا باتباع الهوى.ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم،فصبر على الفقر و هو يقدر على الغناء،و صبر للبغضاء و هو يقدر على المحبه،و صبر على الذل و هو يقدر على العز،لا يريد بذلك إلا وجه اللّه،أعطاه اللّه ثواب خمسين صديقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: بعد ما سئل على معنى شرح الصدر للإسلام-:«إن النور إذا دخل القلب انشرح له و انفسح

۱- ۱) الشورى،الآيه:۲۰.

قیل:یا رسول اللّه،و هل لذلک من علامه؟قال:«نعم!التجافی عن دار الغرور،و الإنابه إلی دار الخلود،و الاستعداد للموت قبل نزوله»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «استحیوا من اللّه حق الحیاء»،قالوا إنا لنستحیی منه تعالی،قال:«فلیس کذلک،تبنون ما لا تسکنون، و تجمعون ما لا تأکلون».

و روی: «أنه قدم علیه بعض الوفود.و قالوا إنا مؤمنون.قال:و ما علامه إیمانکم؟فذکروا الصبر عند البلاء،و الشکر عند الرخاء،و الرضی بمواقع القضاء،و ترک الشماته بالمصیبه إذا نزلت بالأعداء.فقال-صلی اللّه علیه و آله-:إن کنتم کذلک،فلا تجمعوا ما لا تأکلون،و لا تبنوا ما لا تسکنون،و لا تنافسوا فیما عنه ترحلون»، فجعل الزهد من مکملات إیمانهم.

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من جاء بلا إله إلا اللّه،لا یخلط معها غیرها،وجبت له الجنه»، و فسر (غیرها)(بحب الدنیا و طلبها.

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من زهد فی الدنیا،أدخل اللّه الحکمه قلبه،فأنطق بها لسانه،و عرفه داء الدنیا و دواءها،و أخرجه منها سالما إلی دار السلام».

و روی: «أن بعض زوجاته بکت مما رأت به من الجوع،و قالت له:یا رسول اللّه،ألا تستطعم اللّه فیطعمک؟فقال:و الذی نفسی بیده!لو سألت ربی أن یجری معی جبال الدنیا ذهبا لأجراها حیث شئت من الأرض،و لکنی اخترت جوع الدنیا علی شبعها،و فقر الدنیا علی غنائها،و حزن الدنیا علی فرحها.إن الدنیا لا تنبغی لمحمد و لا لآل محمد.إن اللّه لم یرض لأولی العزم من الرسل إلا الصبر علی مکروه الدنیا و الصبر عن محبوبها،ثم لم یرض لی إلا أن یکلفنی مثل ما کلفهم،فقال:

فَاصْبِرْ کَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

(۱)

.

۱- ۱) الاحقاف،الآیه:۳۵.

و اللّه ما لی بد من طاعته!و إنی و اللّه لأصبرن كما صبروا بجهدی و لا قوه إلا باللّه!»..

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «لا یستكمل العبد الإیمان حتی یكون ألا یعرف أحب إلیه من أن یعرف،و حتی یكون قله الشیء أحب إلیه من كثرته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «إذا أراد اللّه بعبد خیرا،زهده فی الدنیا،و رغبه فی الآخره،و بصره بعیوب نفسه»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من اشتاق إلی الجنه سارع إلی الخیرات و من خاف من النار لهی عن الشهوات،و من ترقب الموت ترك اللذات، و من زهد فی الدنیا هانت علیه المصیبات».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن ربی عز و جل عرض علی أن یجعل لی بطحاء مكه ذهبا،فقلت:

لا یا رب،و لكن أجوع یوما و أشبع یوما،فأما الیوم الذی أجوع فیه فأتضرع إلیك و أدعوك،و أما الیوم الذی أشبع فیه فأحمدك و أثنی علیك».

و روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله-:خرج ذات یوم یمشی و معه جبرئیل،فصعد علی الصفا،فقال له رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

یا جبرئیل،و الذی بعثك بالحق!ما أمسی لآل محمد كف سویق و لا سفه دقیق فلم یتم كلامه بأسرع من أن سمع هده من السماء أفزعته،فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:أمر اللّه القیامه أن تقوم؟قال:لا! و لكن هذا إسرافیل علیه السلام قد نزل إلیك حین سمع كلامك.فأتاه إسرافیل،فقال:إن اللّه-عز و جل-سمع ما ذكرت،فبعثنی بمفاتیح الأرض،و أمرنی أن أعرض علیك إن أحببت أن أسیر معك جبال تهامه زمردا و یاقوتا و ذهبا و فضه فعلت،و إن شئت نبیا ملكا،و إن شئت نبیا عبدا.فأومأ إلیه جبرئیل أن تواضع للّه.فقال:«نبیا عبدا،ثلاثا»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «قال اللّه تعالی:إن من أغبط أولیائی عندی رجلا حفیف الحال ذا حظ من صلاه،أحسن عباده ربه بالغیب

و كان غامضا فى الناس،جعل رزقه كفافا فصبر عليه،عجلت منيته فقل تراثه و قل بواكيه»

(۱)

و عن على بن الحسين-صلوات اللّه عليهما- قال: «مر رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:براعى إبل،فبعث يستسقيه،فقال:أما ما فى ضروعها فصبوح الحى،و أما فى آنيتنا فغبوقهم فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: اللهم كثر ماله و ولده .ثم مر براعى غنم،فبعث إليه يستسقيه،فحلب له ما فى ضروعها و اكفأ ما فى إناءه فى إناء رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-،و بعث إليه بشاه،و قال:هذا ما عندنا،و إن أحببت أن نزيدك زدناك،قال:رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: اللهم ارزقه الكفاف .فقال له بعض أصحابه:يا رسول اللّه دعوت للذى ردك بدعاء عامتنا نحبه،و دعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله:إن ما قل و كفى خير مما كثر و ألهى. اللهم ارزق محمدا و آل محمد الكفاف»

(۲)

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس ثلاثه:زاهد،و صابر،و راغب.

فأما الزاهد،فقد خرجت الأحزان و الأفراح من قلبه،فلا يفرح بشىء من الدنيا و لا يأسى على شىء منها فاته،فهو مستريح.و أما الصابر، فإنه يتمناها بقلبه،فإذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها و شناءتها و لو اطلعت على قلبه لعجبت من عفته و تواضعه و حزمه.و أما الراغب، فلا يبالى من أين جاءته،من حلها أو حرامها،و لا يبالى ما دنس فيها عرضه و أهلك نفسه و اذهب مروته،فهم فى غمرته يعمهون و يضطربون».

و قال عليه السلام: «إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد فى الدنيا»

---

۱ - ۱) صححنا الحديث على(الكافى):باب الكفاف.قال فى(الوافى): الحفيف-بالمهمله-:العيش السوء و قله المال.و الغامض:الخامل الذليل.

۲- ۲) صححنا الحديث على ما فى(أصول الكافى):باب الكفاف.

و قال علیه السلام: «من جمع ست خصال لم یدع للجنه مطلبا و لا عن النار مهربا:عرف اللّه فأطاعه،و عرف الشیطان فعصاه،و عرف الدنیا فترکها،و عرف الآخره فطلبها،و عرف الباطل فاتقاه،و عرف الحق فاتبعه».

و قال-علیه السلام-: «من اشتاق الجنه سارع إلی الخیرات و من خاف النار نهی عن الشهوات،و من ترقب الموت ترک اللذات، و من زهد فی الدنیا هانت علیه المصیبات».

و قال علیه السلام: «إن علامه الراغب فی ثواب الآخره زهده فی عاجل زهره الدنیا،أما إن زهد الزاهد فی هذه الدنیا لا ینقصه مما قسم اللّه عز و جل له فیها و إن زهد و إن حرص الحریص علی عاجل زهره الدنیا لا یزیده فیها و إن حرص.فالمغبون من حرم حظه من الآخره (۱)

و قال علی بن الحسین-علیهما السلام-: «ما من عمل بعد معرفه اللّه عز و جل و معرفه رسوله صلی اللّه علیه و آله أفضل من بغض الدنیا...الحدیث»

(۲)

و قال الباقر علیه السلام: «أکثر ذکر الموت،فإنه لم یکثر إنسان ذکر الموت إلا زهد فی الدنیا».

و قال علیه السلام: «قال اللّه تعالی:و عزتی و جلالی و عظمتی و بهائی و علو ارتفاعی لا یؤثر عبد مؤمن هوای علی هواه فی شیء من أمر الدنیا،إلا جعلت غناه فی نفسه،و همته فی آخرته،و ضمنت السماوات و الأرض رزقه، و کنت له من وراء تجاره کل تاجر».

و قال علیه السلام: «أعظم الناس قدرا من لا یناول الدنیا فی ید من کانت،فمن کرمت علیه نفسه صغرت الدنیا فی عینیه،و من هانت علیه نفسه کبرت الدنیا فی عینیه».

و قال الصادق-علیه السلام-: «جعل الخیر کله فی بیت،و جعل

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی):باب ذم الدنیا.

۲- ۲) الحدیث مروی فی(أصول الکافی):باب ذم الدنیا و قد مضی ذکره فی صفحه ۳۲.

مفتاحه الزهد فی الدنیا».

و قال-علیه السلام-: «ما کان شیء أحب إلی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من أن یظل خائفا جائعا فی اللّه تعالی».

و قال علیه السلام: «إذا أراد اللّه بعبد خیرا،زهده فی الدنیا و فقهه فی الدین،و بصره عیوبها.و من أوتیهن فقد أوتی خیر الدنیا و الآخره

و قال علیه السلام: «لم یطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد فی الدنیا و هو ضد لما طلب أعداء الحق،قلت:جعلت فداک،مما ذا؟قال:

من الرغبه فیها،و قال:ألا من صبار کریم؟فإنما هی أیام قلائل ألا إنه حرام علیکم أن تجدوا طعم الإیمان حتی تزهدوا فی الدنیا (۱)

و قال علیه السلام: «الزهد مفتاح باب الآخره و البراءه من النار،و هو ترکک کل شیء یشغلک عن اللّه من غیر تأسف علی فوتها،و لا إعجاب فی ترکها،و لا انتظار فرج منها و لا طلب محمده علیها،و لا عوض منها، بل یری فوتها راحه و کونها آفه و یکون أبدا هاربا من الآفه معتصما بالراحه و الزاهد الذی یختار الآخره علی الدنیا و الذل علی العز و الجهد علی الراحه و الجوع علی الشبع و عافیه الآجل علی محبه العاجل و الذکر علی الغفله، و تکون نفسه فی الدنیا و قلبه فی الآخره»،

و قال الرضا علیه السلام:

«من أصبح و أمسی معافی فی بدنه،آمنا فی سربه،عنده قوت یومه فکأنما خیرت له الدنیا».

و کفی للزهد فضیله و مدحا أنه أعرف صفات الأنبیاء و الأولیاء، و لم یبعث نبی إلا به،و لو لم یتوقف التقرب إلی اللّه و النجاه فی دار الآخره علیه،لما ضیق عظماء نوع الإنسان و أعرف الناس بحقیقه الحال علی أنفسهم فی فطامها عن شهوات الدنیا و لذاتها.

فانظر إلی کلیم اللّه موسی-علیه السلام-کیف کان غالب قوته نبت

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی):باب ذم الدنیا.

الأرض و أوراق الأشجار،و كان ضعف بدنه من كثره رياضته،بحيث ترى الخضره من صفاق بطنه،كما أخبر به أمير المؤمنين- عليه السلام- فى نهج البلاغه.

ثم انظر إلى روح اللّه عليه السلام كيف يلبس الشعر و يأكل الشجر،و لم يكن له ولد يموت و لا بيت يخرب و لا يدخر لغد، أينما يدركه المساء نام،و قال له الحواريون يوما:يا نبى اللّه لو أمرتنا أن نبنى بيتا تعبد اللّه فيه»،قال«اذهبوا فابنوا بيتا على الماء»فقالوا:

كيف يستقيم بنيان على الماء؟قال:«فكيف تستقيم عباده على حب الدنيا»

و روى: «أنه اشتد به يوما المطر و الرعد و البرق،فجعل يطلب بيتا يلجأ إليه،فرفعت إليه خيمه من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأه فحاد عنها فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه فإذا فيه أسد،فوضع يده عليه و قال:

«إلهى جعلت لكل شىء مأوى و لم تجعل لى مأوى»فأوحى اللّه إليه«مأواك فى مستقر من رحمتى،لأزوجنك يوم القيامه ألف حوراء خلقتها بيدى، و لأطعمنك فى عرسك أربعه آلاف عام،يوم منها كعمر الدنيا،و لآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا،زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم».

ثم انظر إلى يحيى بن زكريا،حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس و استراحه حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكانها جبه من صوف ففعل،فأوحى اللّه إليه:«يا يحيى آثرت على الدنيا»، فبكى و نزع الصوف و عاد إلى ما كان عليه.

ثم افتح بصيرتك و تأمل فى سيره رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و زهده فى الدنيا،فإنه لبث فى النبوه ما لبث،و لم يشبع هو و أهل بيته غدوه إلا جاعوا عشيه،و لم يشبعوا عشيه إلا جاعوا غدوه،و لم يشبع من التمر هو و أهل بيته حتى فتح اللّه عليهم خيبر،

و قرب إليه يوما طعاما على مائده فيها ارتفاع،فشق ذلك عليه حتى تغير لونه،فأمر بالمائده

فرفعت و وضع الطعام على الأرض،و كان ينام على عباءه مثنيه فثنوها له ليله أربع طاقات فنام عليها،فلما استيقظ قال منعتمونى قيام الليله هذه بهذه العباءه اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها،و كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاه فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاه حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاه.

و روى: «أن امرأه من بنى ظفر صنعت له صلى اللّه عليه و آله كساءين إزارا و رداء و بعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاه و هو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك».

و شده زهد على عليه السلام و تركه الدنيا أشهر من أن يحتاج إلى بيان،و كذا من بعده من الأئمه الراشدين و الأصحاب و التابعين و غيرهم من أكابر الدين و السلف الصالحين،حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنه و ستين لم يطو له ثوب و لم ينصب له قدر و لم يجعل بينه و بين الأرض شيئا و لا أمر من فى بيته بصنعه طعام،فعلى أطرافهم يقومون و وجوهم على الأرض يفترشون تجرى دموعهم على خدودهم و يناجون ربهم فى فكاك رقابهم من النار.

و قد حكى أن بعض الخلفاء أرسل إلى بعضهم بعشره آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على أهله،فقال أ تدرون؟ما مثلى و مثلكم إلا كمثل قوم كانت لهم بقره يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها، فكذلك أنتم أردتم ذبحى على كبر سنى فموتوا جوعا خير لكم من أن تذبحونى.و قد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعا لا يصيبه نسيم الأسحار خيفه من الاستراحه به.و كان لبعضهم حب مكسور،فيه ماؤه،لا يرفعه من الشمس و يشرب الماء الحار و يقول من وجد لذه الماء البارد يشق عليه مفارقه الدنيا.

فیا حبیبی أفق من سکر الهوی و اعرف المضاده التی بین الآخره و الدنیا،و اقتد بالواقفین علی جلیه الحال و المطلعین علی حقیقه المآل فی المواظبه علی الزهد و التقوی و فطام النفس عن لذائذ الدنیا،فإن ذلک و إن کان شاقا فمدته قریبه،و الاحتماء مده یسیره للتنعم علی التأیید لا یثقل علی أهل المعرفه القاهرین أنفسهم بسیاسه الشرع المبین المعتصمین بعروه الیقین بما وعد اللّه فی الآخره لعباده الزاهدین.

فصل (اعتبارات الزهد و درجاته)

اعلم أن للزهد اعتبارات تتحقق له بکل اعتبار درجات:

(الأول)اعتبار نفسه

أی من حیث نفس الترک للدنیا و بهذا الاعتبار له درجات ثلاث: (الأولی)أن یزهد فی الدنیا مع میله إلیها و حبه لها بأن یکف نفسه عنها بالمجاهده و المشقه،و هذا هو التزهد. (الثانیه) أن یترک الدنیا طوعا و سهوله من دون میل إلیها لاستحقاره إیاها بالإضافه إلی ما یطمع فیه من لذات الآخره،و هذا کالذی یترک درهما لأجل درهمین معاوضه فإنه لا یشق علیه ذلک و إن کان یحتاج إلی قلیل انتظار،و مثله ربما أعجب بنفسه و بزهده لاحتمال أن یظن بنفسه أنه ترک شیئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه. (الثالثه)و هی أعلی الدرجات أن یترک الدنیا طوعا و شوقا و لا یری أنه ترک شیئا،إذ عرف أن الدنیا لا شی فیکون کمن ترک خنفساء و أخذ یاقوته صافیه حمراء،فلا یری ذلک معاوضه و لا یری نفسه تارکا شیئا و سبب هذا الترک کمال المعرفه،فان العارف علی یقین بأن الدنیا بالإضافه إلی اللّه و نعیم الآخره أخس من خنفساء بالنظر

إلى یاقوته،هذا الزاهد فی أمن من خطر الالتفات إلى الدنیا،کما أن تارک الخنفساء بالیاقوته فی أمن من طلب الإقاله فی البیع.

و قد ذکر أرباب القلوب من أهل المعرفه أن مثل تارک الدنیا بالآخره مثل من منعه عن باب الملک کلب یکون فی بابه فألقى إلیه لقمه خبز نالها من موائد الملک فشغله بنفسه و دخل الباب و نال غایه القرب من الملک حتى نفذ أمره فی جمیع مملکته،أ فترى أنه یرى لنفسه عوضا عند الملک بلقمه خبز ألقاها إلى کلب فی مقابله ما یناله مع کون هذه اللقمه أیضا من الملک.فالشیطان کلب على باب اللّه یمنع الناس من الدخول،مع أن الباب مفتوح و الحجاب مرفوع و الدنیا کلقمه خبز إن أکلها فلذتها فی حال المضغ و تنقضی على القرب بالابتلاع ثم یبقى ثقله فی المعده ثم ینتهی إلى النتن و القذر و یحتاج إلى إخراجه،فمن ترکها لینال عز الملک کیف یلتفت إلیها.و لا ریب فی نسبه الدنیا لکل شخص أعنی ما یسلم له منها و إن عمر ألف سنه بالإضافه إلى نعیم الآخره أقل من لقمه بالإضافه إلى ملک الدنیا،إذ لا نسبه للمتناهی إلى غیر المتناهی،و الدنیا متناهیه،و لو کانت تتمادى ألف ألف سنه صافیه عن کل کدوره لکان لا نسبه لها إلى الأبد فکیف و مده العمر قصیره و لذاتها مکدره غیر صافیه فأی نسبه لها أی نعیم الأبد.

(الثانی)اعتبار المرغوب عنه

أعنی ما یترک و بهذا الاعتبار له خمس درجات:

(الأولى)أن یترک المحرمات و هو الزهد فی الحرام،و یسمى زهد فرض.

(الثانيه)أن يترک المشتبهات أيضا و هو الزهد فی الشبهه،و يسمی زهد سلامه.

(الثالثه)أن يزهد فی الزائد عن قدر الحاجه من الحلال أيضا و لا يزهد فی التمتع بالقدر الضروری من المطعم و الملبس و المسکن و أثاثه و المنکح و ما هو وسيله إليها من المال و الجاه،و إلی هذه الدرجات کلا أو بعضا

أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «کونوا علی قبول العمل أشد عنايه منکم علی العمل،الزهد فی الدنيا قصر الأمل و شکر کل نعمه و الورع عن کل ما حرم اللّه عز و جل»

(۱)

و مولانا الصادق عليه السلام بقوله:

«الزهد فی الدنيا ليس بإضاعه المال و لا تحريم الحلال بل الزهد فی الدنيا ألا تکون بما فی يدک أوثق بما فی يد اللّه عز و جل»

(۲)

و هذا مع ما يأتی بعده هو الزهد فی الحلال،و يسمی زهد ثقل.

(الرابعه)أن يترک جميع ما للنفس فيه تمتع و يزهد فيه و لو فی قدر الضروره،لا بمعنی ترک هذا القدر بالمره،إذ ذلک متعذر،بل ترکه من حيث التمتع به و إن ارتکبه اضطرارا من قبيل أکل الميته مع الإکراه له باطنا،و هذا يتناول ترک جميع مقتضيات الطبع من الشهوه و الغضب و الکبر و الرئاسه و المال و الجاه و غيرها،و إلی هذه الدرجه

أشار الصادق عليه السلام بقوله: (الزاهد فی الدنيا الذی يترک حلالها مخافه حسابه و يترک حرامها مخافه عذابه) و إليها يرجع

قول أمير المؤمنين عليه السلام: (الزهد کله بين کلمتين من القرآن قال اللّه سبحانه:

ص :۶۹

۱- ۱) صحجنا الحديث علی ما فی البحار الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر فی باب الزهد ص ۱۰۱.

۲- ۲) صحجنا الحديث علی ما فی سفينه البحار ج ۱ ص ۵۶۸.

لِکَیْلاٰ تَأْسَوْا عَلیٰ مٰا فٰاتَکَمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاکُمْ

(۱)

.

فمن لم یأس علی الماضی و لم یفرح بالآتی فقد أخذ الزهد بطرفیه (۲)

و قوله علیه السلام (الزهد فی الدنیا ثلاثه أحرف:زاء و هاء و دال أما الزاء فترک الزینه و أما الهاء فترک الهوی و أما الدال فترک الدنیا».

(الخامسه)أن یترک جمیع ما سوی اللّه و یزهد فیه حتی فی بدنه و نفسه أیضا بحیث کان ما یصحبه و یرتکبه فی الدنیا إلجاء و إکراها من دون استلذاذ و تمتع به،و إلی هذه الدرجه

أشار مولانا الصادق-علیه السلام-فی کلامه المنقول سابقا(ص ۶۲)حیث قال: «الزهد مفتاح باب الآخره و البراءه من النار و هو ترکک کل شیء یشغلک عن اللّه من غیر تأسف علی فوقها و لا إعجاب فی ترکها و لا انتظار فرج منها و لا طلب محمده علیها و لا عوض منها بل یری فوتها راحه و کونها آفه» إلی آخر الحدیث (۳).

ثم الالتفات إلی بعض ما سوی اللّه و الاشتغال به ضروری کضروره الأکل و اللبس و مخالطه الناس و مکالمتهم و أمثال ذلک،لا ینافی هذه المرتبه من الزهد، إذ معنی الانصراف من الدنیا إلی اللّه تعالی إنما هو الإقبال بکل القلب إلیه

۱- ۱) الحدید الآیه ۲۳.

۲- ۲) هذا الحدیث مروی فی البحار الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر فی باب الزهد ص ۱۰۳.

۳- ۳) صححنا الحدیث هنا و هناک علی ما فی البحار الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر فی باب الزهد ص ۱۰۰ و الحدیث منقول فیه عن مصباح الشریعه الذی تقدم ذکره فی الجزء الأول ص ۱۲۱،۲۵۴.

تعالى ذكرا و فكرا،و هذا لا يتصور بدون البقاء و لا بقاء إلا بضرورات المعيشه،فمتى اقتصر من الدنيا عليها قصدا لدفع المهلكات عن البدن و الاستعانه بالبدن على العباده و سائر ما يقربه إلى اللّه لم يكن مشتغلا بغير اللّه،إذ ما لا يتوصل إلى الشىء إلا به فهو منه،فالمشتغل بعلف دابته فى طريق الحج ليس معرضا عن الحج،و لكن ينبغى أن يكون البدن فى طريق اللّه مثل الدابه فى طريق الحج،فكما أن قصدك من تهيئه ما تحتاج إليه دابتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك دون تنعمها، فكذلك ينبغى أن يكون قصدك من الأكل و الشرب و اللباس و السكنى صيانه بدنك عما يهلكك من الجوع و العطش و الحر و البرد فتقتصر على قدر الضروره و تقصد به التقوى على طاعه اللّه دون التلذذ و التنعم،و ذلك لا ينافى الزهد بل هو شرطه، ثم ترتب التلذذ على ذلك لا يضرك إذا لم يكن مقصودا بالذات لك فإن الإنسان قد يستريح فى قيام الليل بنسيم الأسحار و صوت الطيور و هذا لا يضر بعبادته إذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحه على أنه لا لذه حقيقه فى الأكل و الشرب و اللباس و إنما تندفع بها آلام الجوع و العطش و الحر و البرد.

ثم لا يخفى أن الفضول من أمور الدنيا من المطعم و المشرب و الملبس و المسكن و أثاثه و المنكح و المال و الجاه ينبغى تركها و الزهد فيها إذ الأخذ بما لا يحتاج إليه ينافى الزهد.(و أما)غير الفضول مما يحتاج إليه الإنسان و يكون مهما له من الأمور الثمانيه،فينبغى ألا يترك الزهد فيها،إذ ما هو المهم الضرورى يتطرق إليه فضول فى مقداره و جنسه و أوقاته فينبغى ألا يترك الزهد فيه أيضا.

و مقتضى غايه الزهد فيه أن يقتصر من القوت على قوت يومه و ليلته فإن كان عنده أزيد من ذلك فليبذله على بعض المستحقين،فإن اقتصر من

جنسه على خبز الشعير فهو نهايه الزهد فى القوت،إلا أن أكل خبز الحنطه فى بعض الأحيان بل أكل أدام واحد فى بعض الأوقات إذا لم يكن من اللذائذ الشديده من أطعمه المتنعمين من أهل الدنيا لا ينافى الزهد،و ربما لم يكن أكل اللحم فى بعض الأحيان منافيا له.و يقتصر من(اللباس) بعد كونه من القطن أو الصوف على ما يستر الأعضاء و يحفظها من الحر و البرد و لا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل أحدهما.و من(المسكن) على ما يحفظ نفسه و أهله من الحر و البرد.و من(أثاثه)أعنى الفرش و الظرف و القدر و الكوز و أمثال ذلك،ما يدفع حاجته من غير تعد إلى ما يمكن زوال ضرورته بدونه.و من(المنكح)على ما تنكسر به سوره شبقه و يحفظه عن النظر و الوساوس الشهويه المانعه عن الحضور فى العبادات و من(المال)على ما يقتضى به حاجه يومه بليلته فإن كان كاسبا فإذا اكتسب حاجه يومه فليترك كسبه و يشتغل بأمر الدين،و إن كانت له ضيعه و لم يكن له مدخل آخر يمكن أن يصل إليه كل يوم قدر حاجته فيه فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفى لسد رمقه بسنه واحده بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل من كفايه نفقته.و ربما قيل إن مثله من ضعفاء الزهاد،بمعنى أن ما وعد للزاهدين فى الدار الآخره من المقامات العاليه و الدرجات الرفيعه لا يناله،و إن صدق عليه كونه زاهدا،إذ مثله ليس له قوه اليقين،لأن صاحب اليقين الواقعى إذا كان له قوت يومه لا يدخر شيئا لغده و من شرط التوكل فى الزهد،فلا يكون هذا من الزهاد عنده.و هذا غايه الزهد فى الأمور المذكوره،و عليه جرت طوائف الأنبياء و زمره الأوصياء و من بعدهم من السلف الأتقياء. و الحق أن حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الأشخاص و الأوقات فإن أمر المتفرد فى جميع ذلك أخف من أمر المعيل،و من قصر جميع همه على تحصيل العلم و العمل و لم

يقدر على كسب،حاله يخالف حال أهل الكسب،و كذا فى بعض الأوقات و فى بعض الأماكن يمكن تحصيل قدر الحاجه فى كل يوم و فى بعض آخر منها لا يمكن ذلك،فاللائق لكل أحد أن يلاحظ حاله و وقته و مكانه و يتأمل فى أن الأصلح بأمر آخرته و الأعون على تحصيل ما خلق لأجله إمساك أى قدر من المال و صرف أى قدر و جنس من القوت، بحيث لو كان أقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه إلى ربه فيأخذ به و يترك الزائد،فإن بعد صحه النيه و خلوص القصد فى ذلك لا يخرج به عن الزهد الواقعى و إن تصور الاكتفاء بأقل من ذلك مع إيجابه لفقد ما هو أهم فى تكميل النفس.

و أما(الجاه)فقد تقدم أن القدر الضرورى منه فى أمر المعيشه كتحصيل منزله فى قلب خادمه ليخدمه،و فى قلب السلطان ليدفع الأشرار عنه،لا بأس به،فالظاهر عدم منافاه هذا القدر للزهد،و قال بعض العلماء:(هذا القدر و إن لم يكن به بأس إلا أنه يتمادى إلى هاويه لا عمق لها و من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)و إنما يحتاج إلى المحل فى القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضرر أو لخلاص من ظلم،أما النفع فيغنى عنه المال فإن من يخدم بأجره يخدم و إن لم يكن لمستأجره عنده قدر، و إنما يحتاج إلى الجاه فى قلب من يخدم بغير أجره،و معلوم أن من أراد أن يخدم بغير أجره فهو من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين. و أما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه فى بلد لا يكمل العدل فيها و أن يكون بين جيران يظلمونه و لا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له فى القلوب أو محل له عند السلطان.و قدر الحاجه فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف و سوء الظن بالعواقب،و الخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك، بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل فى القلوب أصلا،فإن اشتغاله بالدين

و العباده يمهد له من المحل فى القلوب ما يدفع عنه الأذى و لو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين.و أما التوهمات و التقديرات التى تخرج إلى الزياده فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى أوهام كاذبه،إذ من طلب الجاه أيضا لم يخل عن أذى فى بعض الأوقات فعلاج ذلك بالاحتمال و الصبر أولى من علاجه بطلب الجاه،فإذن طلب المحل فى القلوب لا رخصه فيه أصلا و اليسير منه داع إلى الكثير و ضراوته أشد من ضراوه الخمر فليحترز من قليله و كثيره،نعم ما أعطاه اللّه لبعض عبيده من دون سعيه فى طلبه لنشر دينه أو لاتصافه ببعض الكمالات المختصه لحصول منزله له فى القلوب فليس به بأس و لا ينافى الزهد،فإن جاه رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-كان أوسع الجاه مع كونه أزهد الناس.

و الحق كما تقدم أن الجاه كالمال فى نفى البأس من قدر يضطر إليه الإنسان إذا وقع فى زمان أو بلد توقف أمر معيشته عليه،فالقدر الضرورى منهما غير محذور و غير مناف للزهد،و الزائد على الحاجه سم قاتل،فلا ينبغى أن ينسب المقتصر على الضروره إلى الدنيا،بل ذلك القدر من الدين لأنه من شرطه و الشرط من جمله المشروط،و يدل عليه

ما روى أن إبراهيم عليه السلام أصابته حاجه فذهب إلى صديق له يستقرض شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما،فأوحى اللّه تعالى إليه:(لو سألت خليلك لأعطاك)، فقال يا رب:(عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها)،فأوحى اللّه إليه:(ليس الحاجه من الدنيا) و يدل عليه أيضا كلام الصادق-عليه السلام-مع سفيان الثورى كما أورده بطوله شيخنا الأقدم رحمه اللّه فى جامعه الكافى.

فإذن قدر الحاجه من الدين و ما وراءه وبال فى الآخره،بل فى الدنيا أيضا،و يعرف ذلك بالتأمل فى أحوال الأغنياء و ما عليهم من المحنه

فی کسب المال و جمعه و حفظه و تحمل الذل فیه،و غایه سعادته أن یترکه لورثته،فیأکلونه و هم أعداؤه،أو یستعینون به علی المعصیه،فیکون معینا لهم علیها،و لذلک شبه جامع الدنیا و تابع الشهوات بدود القز،لا یزال ینسج علی نفسه حتی یقتلها،ثم یروم الخروج فلا یجد مخلصا فیموت و یهلک بسبب العمل الذی عمله بنفسه کما قیل فی ذلک:

أ لم تر أن المرء طول حیاته

معنی بأمر لا یزال یعالجه

کدود کدود القز ینسج دائما

و یهلک غما وسط ما هو ناسجه

فکل مکب علی الدنیا متبع للشهوات لا یزال یقید نفسه بسلاسل و أغلال لا یقدر علی قطعها،إلی أن یفرق ملک الموت بینه و بین شهواته دفعه، فتبقی السلاسل من قلبه معلقه بالدنیا التی فاتته و خلفها،و هی تجاذبه إلی الدنیا،و مخالب ملک الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه إلی الآخره فأهون أحواله عند الموت أن یکون مثل شخص ینشر بالمناشیر و یفصل أحد جانبه عن الآخر.فهذا أول عذاب یلقاه قبل ما یراه من حسرات نزوله فی أسفل السافلین و منعه عن أعلی علیین و جوار رب العالمین.فبالنزوع إلی الدنیا یحجب عن لقاء اللّه،و عند الحجاب تتسلط علیه نار جهنم،إذ النار لکل محجوب معده،کما قال اللّه تعالی:

کَلاّٰ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصٰالُوا الْجَحِیمِ

(۱)

.

و لما انکشف لأرباب القلوب أن العبد یهلک نفسه باتباع الهوی و الخوض فی الدنیا إهلاک دود القز نفسه،رفضوا الدنیا بالکلیه.فنسأل

۱- ۱) المطففین،الآیه:۱۵-۱۶.

اللّه تعالى أن يقرر فى قلوبنا ما نفث فى روع حبيبه صلى اللّه عليه و آله، حيث أوحى إليه:«أحبب ما أحببت،فإنك مفارقه».

(الثالث)اعتبار المرغوب فيه:أعنى ما يترك لأجله.

و له بهذا الاعتبار ثلاث درجات. الأولى:أن يكون المرغوب فيه النجاه من النار و سائر عذاب الآخره،و هذا زهد الخائفين. الثانيه:أن يكون ثواب اللّه و نعيم الجنه،و هذا زهد الراجين. الثالثه:و هى الدرجه العليا:ألا تكون له رغبه إلا فى اللّه و فى لقائه،فلا يلتفت إلى الآلام ليقصد منها الخلاص و لا إلى اللذات ليقصد نيلها،بل كان مستغرق الهم باللّه،و هذا زهد العارفين،لأنه لا يحب اللّه خاصه إلا من عرفه بصفاته الكماليه.فكما أن من عرف الدينار و الدرهم،و علم أنه لا يقدر على الجمع بينهما،لم يحب إلا الدينار.كذلك من عرف اللّه،و عرف لذه النظر إلى وجهه الكريم و عرف أن الجمع بين تلك اللذه و لذه التنعم بالحور العين و النظر إلى القصور و خضره الأشجار غير ممكن،فلا يحب إلا لذه النظر و لا يؤثر غيره.

و قال بعض العرفاء:و لا تظنن أن أهل الجنه عند النظر إلى وجه اللّه تعالى يبقى للذه الحور و القصور متسع فى قلوبهم،بل تلك اللذه بالإضافه إلى لذه نعيم الجنه،كلذه ملك الدنيا و الاستيلاء على أطراف الأرض و رقاب الخلق،بالإضافه إلى لذه الاستيلاء على عصفور و اللعب به و الطالبون لنعيم الجنه،عند أهل المعرفه و أرباب القلوب،كالصبى الطالب للعب بالعصفور التارك للذه الملك،و ذلك لقصوره عن إدراك لذه الملك،لا لأن اللعب بالعصفور فى نفسه أعلى و ألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافه الخلق.

تتمیم الزهد الحقیقی

لا تظنن أن كل من یترك مال الدنیا أنه زاهد،فإن ترك المال و إظهار التضییق و الخشونه فی المأكل و الملبس سهل علی من أحب المدح بالزهد.

فكم من الرهبان و المرائین تركوا مال الدنیا و روضوا (۱)أنفسهم كل یوم علی قدر قلیل من القوت،و اكتفوا من المسكن بأی موضع اتفق لهم، و كان غرضهم من ذلك أن یعرفهم الناس بالزهد و یمدحهم علیه،فهم تركوا المال لنیل الجاه.فالزهد الحقیقی ترك المال و الجاه،بل جمیع حظوظ النفس من الدنیا.و علامه ذلك استواء الغنی و الفقر و الذم و المدح و الذل و العز لأجل غلبه الأنس باللّه،إذ ما لم یغلب علی القلب الأنس باللّه و الحب له لم یخرج عنه حب الدنیا بكلیته.إذ محبه اللّه و محبه الدنیا فی القلب كالماء و الهواء فی القدح،فإذا دخل أحدهما خرج الآخر،فكلاهما لا یجتمعان و لا یرتفعان أیضا.فالقلب المملوء من حب الدنیا یكون خالیا عن حب اللّه،كما أن القلب المشغول بحب اللّه و أنسه فارغ عن حب الدنیا و بقدر ما یقدر ما یخرج أحدهما یدخل الآخر و بالعكس.

و منها: الغنی

اشاره

ص: ۷۷

۱- ۱) فی بعض النسخ(ردوا)،و فی بعض آخر(رودوا).و الظاهر أن الصحیح ما أثبتناه.

و هو وجود كل ما يحتاج إليه من الأموال،و هذا أقل مراتبه،و فوق ذلك مراتب لا تحصى،حتى ينتهى إلى جمع أكثر أموال الدنيا،كما اتفق لبعض الملوك.

ثم (الغنىّ)إما أن يكون بحيث يسعى فى طلب المال و جمعه و يتعب فى تحصيله و يكره خروجه عن يده و يتأذى به،و هذا غنى حريص.أو يكون بحيث لا يتعب و لا يسعى فى تحصيله،إلا أنه لما أتاه أخذه و فرح به، مع تأذيه بفقده و كراهته له،و هذا أيضا لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده أو يكون بحيث لا يتعب فى طلبه و لا يرغب فيه رغبه يفرح بحصوله و يتأذى بفقده،و لكن لما أتاه رضى به:إما مع تساوى وجوده و عدمه أو مع كون وجوده أحب إليه من عدمه،و مثله الغنى الراضى و القانع.

و أيضا الغنى إما أن يكون جميع ماله حلالا،أو يكون بعضه أو كله حراما.

و أيضا إما يمسكه غايه الإمساك،بحيث لا يؤدى شيئا من حقوقه الواجبه و المستحبه،أو ينفقه فى مصارفه اللائقه.و للإنفاق مراتب شتى:

أدناها أن يؤدى الحقوق الواجبه،و أعلاها أن يبذل كلما يزيد عن أقل مراتب الغنى،بحيث لو تعدى عنه يسيرا صار فقيرا.

فصل ذم الغنى

الغنى الحاصل من الحلال،مع بـذل ما يفضل عن أقل مرتبته فى المصارف اللائقه و مساواه وجوده و عـدمه عند صاحبه،سالم من الآفـات و الأخطـار.و غير ذلـك من أقسـامه لاـ يخلو عن آفه أو خطر،و حبه بعض أفراد حب الـدنيا،بـل هو راجع إلى حب المال بعينه،فيدل على ذمه ما ورد فى ذمهما.و قد ورد فى ذمه بخصوصه بعض الآيات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى

(۱)

.

و قيل لرسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:أىّ أمتك أشر؟قال:

«الأغنياء».

و قال-صلى اللّه عليه و آله لبلال:«ألق اللّه فقيرا، و لا تلقه غنيا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «يدخل فقراء أمتى الجنه قبل أغنيائهم بخمسمائه عام».

و قـال صـلى اللّه عليه و آله: «اطلعت على الجنه،فرأيت أكثر أهلهـا الفقراء.و اطلعت على النـار،فرأيت أكثر أهلهـا الأغنيـاء».و فى طريق:«فقلت:أين الأغنياء؟فقال:حسبهم الجد».

و أوحى اللّه تعالى إلى موسى«يا موسى،إذا رأيت الفقر مقبلا،فقل:

مرحبا بشعار الصالحين،و إذا رأيت الغنى مقبلا،فقل:ذنب عجلت عقوبته».

و روى: «أنه ما من يوم إلا و ملك ينادى من تحت العرش:

يا ابن آدم،قليل يكفيك خير من كثير يطغيك».

و قال عيسى-عليه السلام-: «بشده يدخل الغنى الجنه».

۱- ۱) العلق،الآيه:۶-۷.

وصل الفقر

ضد الغنى(الفقر).و هو فقد ما يحتاج إليه.و لا يسمى فقد ما لا حاجه إليه فقرا.فإن عمم ما يحتاج إليه و لم يخص بالمال،لكان كل موجود ممكن محتاجا،لاحتياجه إلى دوام الوجود و غيره من الحاجات المستفاده من اللّه سبحانه،و انحصر الغنى بواحد واجب لذاته و مفيد لوجود غيره من الموجودات،أعنى اللّه سبحانه.فهو الغنى المطلق،و سائر الأشياء الموجوده فقراء محتاجون.و قد أشير إلى هذا الحصر فى الكتاب الآلهى بقوله تعالى:

وَ اللّٰهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ

(۱)

.

و إن خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء،بل من فقد المال الذى هو محتاج إليه كان فقيرا بالإضافه إليه،و الفقر بهذا المعنى هو الذى نريد بيانه هنا.

فصل اختلاف أحوال الفقراء

(الفقير)إما أن يكون راغبا فى المال محبا له،بحيث لو وجد إليه سبيلا لطلبه،و لو بالتعب و المشقه،و إنما ترك طلبه لعجزه منه،و يسمى هذا فقيرا(حريصا).

۱- ۱) محمد-صلى اللّه عليه و آله-،الآيه:۳۷.

أو يكون وجود المـال أحب إليه من عـدمه،و لكن لم يبلغ حبه له حـدا يبعثه على طلبه،بل إن أتاه بلا طلب أخـذه و فرح به،و إن افتقر إلى سعى فى طلبه لم يشتغل به،و يسمى هذا فقيرا(قانعا).

أو يكون بحيث لا يحبه و لا يرغب فيه،و يكره وجوده و يتأذى به، و لو أتاه هرب منه،مبغضا له و محترزا عن شـره،و يسـمى هـذا فقيرا (زاهـدا).فـإعراضه عنه و عـدم سـعيه فى محـافظته و ضـبطه لو وجـده، إن كان لخوف العقاب فهو(فقر الخائفين).و إن كان لشوق الثواب فهو(فقر الراجين).و إن كـان لعـدم التفـاته اللازم لإقباله على اللّه تعالى بشراشـره من دون غرض دنيوى أو أخروى فهو(فقر العارفين).

أو يكون بحيث لا ـ يحبه حبا يفرح بحصوله و لا يكرهه كراهه يتأذى بها و يزهـد فيه،بل يسـتوى عنـده وجوده و عـدمه،فلا يفرح بحصوله و لا ـ يتـأذى بفقـده،بـل كان راضـيا بالحالتين على السواء،و غنيا عن دخوله و بقائه و خروجه من يـده،من غير خوف من الاحتياج إذ فقد،كالحريص و القانع،و لا حذار من شره و إضراره إذا وجد كالزاهد.فمثله لو كانت أموال الدنيا بأسرها فى يده لم تضره،إذ هو يرى الأموال فى خزانه اللّه لا فى يد نفسه،فلا تفريق بين أن تكون فى يده أو فى يد غيره،فيكون بحيث يستوى عنده المـال و الهواء المخلوق فى الجو،فكمـا أن كـثره الهواء فى جواره لا ـ يؤذيه،و لا ـ يكون قلبه مشـغولا بـالفرار عنه و لا ـ يبغضه،بل يسـتنشق منه بقـدر الضـروره،و لا ـ يبخل به على أحـد،فكـذلك كثره المال لا يؤذيه و لا يشـغل قلبه،و يرى نفسه و غيره فيه على السواء فى المالكيه.

و مثله ينبغى أن يسـمى(مسـتغنيا راضـيا)،لاسـتغنائه عنه وجودا و عدما،و رضائه بالحالتين من دون تفاوت،و مرتبته فوق الزاهد،إذ غايه درجه الزهد كمال الأبرار،و صاحب هذه المرتبه من المقربين،فالزهد

فی حقه نقصان،إذ حسنات الأبرار سیئات المقربین.و السر فیه:أن الزاهد کاره للدنیا،فهو مشغول بالدنیا،کما أن الراغب فیها مشغول بها و الشغل بما سوی اللّه حجاب عن اللّه،سواء کان بالحب أو بالبغض.

فکل ما سوی اللّه،کالرقیب الحاضر فی مجلس جمع العاشق و المعشوق.

فکما أن التفات قلب العاشق إلی الرقیب و بغضه و کراهته حضوره نقص فی العشق،فکذلک التفات قلب العبد إلی غیر اللّه تعالی و بغضه و کراهته نقصان فی الحب و الأنس،کما أن التفاته بالحب نقص فیهما.إذ کما لا یجتمع فی قلب واحد حبان فی حاله واحده،فکذلک لا یجتمع فیه حب و بغض فی حاله واحده،فالمشغول ببغض الدنیا غافل عن اللّه کالمشغول بحبها،و إن کان الثانی أسوأ حالا من الآخر.إذ المشغول بحبها غافل فی غفلته،سالک فی طریق البعد،و المشغول ببغضها غافل،و هو فی غفلته سالک فی طریق القرب،فیحتمل زوال غفلته و تبدلها بالشهود،فالکمال مرتقب له،إذ بغض الدنیا مظنه توصل العبد إلی اللّه.

و هرب الأنبیاء و الأولیاء من المال،و فرارهم عنه،و ترجیحهم فقده علی وجوده-کما أشیر إلیه فی بعض الأخبار و الآثار-:إما نزول منهم إلی درجه الضعفاء لیقتدوا بهم فی الترک،إذ الکمال فی حقهم حب الترک و بغض الوجود،لأن مع وجوده یتعذر فی حقهم استواء وجوده و فقده و کونه عندهم کماء البحر،فلو لم یظهر الأنبیاء النفار و الکراهه من المال و یقتدی الضعفاء بهم فی الأخذ لهلکوا.فمثل النبی کمثل المعزم الحاذق، یفر بین یدی أولاده من الحیه،لا لضعفه عن أخذها،بل لعلمه بأنه لو أخذها لأخذها أولاده أیضا إذا رأوها،و هلکوا.فالسیر بسیره الضعفاء صفه الأنبیاء و الأوصیاء.أو غیر الهرب و النفار اللازمین للبغض و الکراهه و خوف الاشتغال به،بل کان نفارهم منه کنفارهم من الماء،علی معنی

أنهم شربوا منه بقدر حاجتهم،و تركوا الباقى فى الشطوط و الأنهار للمحتاجين،من غير اشتغال قلوبهم بحبه و بغضه.أ لا ترى أنه قد حملت خزائن الأرض إلى رسول اللّه و خلفائه،فأخذوها و وضعوها فى مواضعها، من غير هرب منه و بغض له،و ذلك لاستواء المال و الماء و الحجر و الذهب عندهم.

ثم تسميه صاحب هذه المرتبه بالفقير و المستغنى لا يوجب التنافى، إذ إطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجا إليه تعالى فى جميع أموره عامه و فى بقاء استغنائه عن المال خاصه،فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبوديه و أقر بها،فإنه أحق باسم العبد من الغافلين،و إن كان عاما للخلق،ثم كل مرتبه من المراتب المذكوره للفقر،ما عدا الأخيره،أعم من أن يكون بالغا حد الاضطرار،بأن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه،كالجائع الفاقد للخبز و العارى الفاقد للثوب،أم لا.

و أنت،بعد ما فهمت اشتراك الفقر بين المعانى المذكوره،لم يشكل عليك الجمع بين ما ورد فى مدح الفقر-كما يأتى-و بين ما ورد فى ذمه،

كقوله صلى اللّه عليه و آله: «كاد الفقر أن يكون كفرا»،

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «الفقر الموت الأكبر».

و قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال:بالضعف فى يقينه،و النقصان فى عقله،و الرقه فى دينه،و قله الحياء فى وجهه.فنعوذ باللّه من الفقر!».

فصل مراتب الفقر و مدحه

قد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع إلى الزهد،و بعضها إلى

ما هو فوقه،أعنى الرضى و الاستغناء،و بعضها إلى القناعه،ففضيله هذه المراتب ظاهره،و الأخبار الوارده فى فضيله الزهد و الرضى و القناعه تدل على فضيله المراتب المذكوره من الفقر.و أما المرتبه الأولى المتضمنه للحرص،فهو أيضا لا يخلو عن فضيله بالنظر إلى الغنى المتضمن له و الأخبار الوارده فى مدح الفقر تتناول بعمومها جميع مراتبه،قال اللّه سبحانه:

لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ

(١)

.

و قال: لِلْفُقَرٰاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ... الآيه (٢).

ساق اللّه سبحانه الكلام فى معرض المدح،و قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجره و الإحصار،و فيه دلاله جليه على مدح الفقر (٣).

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «خير هذه الأمه فقراؤها،و أسرعها تصعدا فى الجنه ضعفاؤها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله: «اللهم أحينى مسكينا و أمتنى مسكينا،و احشرنى فى زمره المساكين).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن لى حرفتين اثنتين،فمن أحبهما فقد أحبنى،و من أبغضهما فقد أبغضنى:الفقر و الجهاد».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«الفقر أزين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس».

و سئل عن الفقر،فقال:«خزانه من خزائن اللّه»،و سئل عنه ثانيا،فقال:

١- ١) الحشر،الآيه:٨.

٢- ٢) البقره،الآيه:٢٧٣.

٣- ٣) قال المحقق(الفيض)فى(إحياء الأحياء):«لا دلاله فى الآيتين على مدح الفقر،و إنما سيقتا لبيان أن مصرف المال إنما هم الفقراء المتصفون بهذه الصفات».

«کرامه من اللّه».و سئل عنه ثالثا،فقال:«شیء لا یعطیه إلا نبیا مرسلا أو مؤمنا کریما علی اللّه».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن فی الجنه غرفه من یاقوته حمراء،ینظر إلیها أهل الجنه کما ینظر أهل الأرض إلی نجوم السماء،لا یدخل فیها إلا نبی فقیر أو مؤمن فقیر».

و قال:

«یوم فقراء أمتی یوم القیامه و ثیابهم خضر،و شعورهم منسوجه بالدر و الیاقوت،و بأیدیهم قضبان من نور یخطبون علی المنابر،فیمر علیهم الأنبیاء،فیقولون:هؤلاء من الملائکه،و تقول الملائکه:هؤلاء من الأنبیاء.فیقولون:نحن لا ملائکه و لا أنبیاء!بل من فقراء أمه محمد-صلی اللّه علیه و آله-،فیقولون:بم نلتم هذه الکرامه؟فیقولون:

لم تکن أعمالنا شدیده،و لم نصم الدهر،و لم نقم اللیل،و لکن أقمنا علی الصلوات الخمس،و إذا سمعنا ذکر محمد فاضت دموعنا علی خدودنا»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کلمنی ربی فقال:یا محمد،إذا أحببت عبدا،اجعل له ثلاثه أشیاء:قلبه حزینا،و بدنه سقیما،و یده خالیه من حطام الدنیا.و إذا أبغضت عبدا،اجعل له ثلاثه أشیاء:قلبه مسرورا و بدله صحیحا،و یده مملوه من حطام الدنیا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «الناس کلهم مشتاقون إلی الجنه،و الجنه مشتاقه إلی الفقراء».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «الفقر فخری».

و قال صلی اللّه علیه و آله:

«تحفه المؤمن فی الدنیا الفقر»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یؤتی بالعبد یوم القیامه،فیعتذر اللّه تعالی إلیه کما یعتذر الأخ إلی أخیه فی الدنیا، فیقول:و عزتی و جلالی!ما زویت الدنیا عنک لهوانک علی،و لکن لما أعددت لک من الکرامه و الفضیله.اخرج یا عبدی إلی هذه الصفوف، فمن أطعمک فی أو کساک فی یرید بذلک وجهی،فخذ بیده فهو لک و الناس یومئذ قد ألجمهم العرق.فیتخلل الصفوف.و ینظر من فعل ذلک

به،و يدخله الجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أكثروا معرفه الفقراء و اتخذوا عندهم الأيادى،فإن لهم دوله»،قالوا:يا رسول اللّه، و ما دولتهم؟قال:«إذا كان يوم القيامه،قيل لهم:انظروا إلى من أطعمكم كسره أو سقاكم شربه أو كساكم ثوبا،فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أ لا أخبركم بملوك أهل الجنه؟ قالوا:بلى يا رسول اللّه!قال:كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على اللّه لأبره».

و دخل-صلى اللّه عليه و آله-على رجل فقير،و لم ير له شيئا،فقال:«لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا أبغض الناس فقراءهم،و أظهروا عماره الدنيا،و تكالبوا على جمع الدراهم و الدنانير،رماهم اللّه بأربع خصال:بالقحط من الزمان، و الجور من السلطان،و الجنايه من ولاه الحكام،و الشوكه من الأعداء» (۱).

و ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام: «إن اللّه تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه،فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه.قيل:و ما اقتناه؟قال:

لم يترک له أهلا و لا مالا».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وكل الرزق بالحمق،و وكل الحرمان بالعقل،و وكل البلاء بالصبر»

و قال الباقر عليه السلام: «إذا كان يوم القيامه،أمر اللّه تعالى مناديا ينادى بين يديه:أين الفقراء؟فيقوم عنق من الناس كثير،فيقول:عبادى! فيقولون:لبيك ربنا!فيقول:إنى لم أفقركم لهون بكم على،و لكن إنما اخترتكم لمثل هذا اليوم.تصفحوا وجوه الناس،فمن صنع إليكم معروفا

۱- ۱) هذه الأخبار كلها عاميه،فصححناها على(إحياء العلوم)،و(إحياء الأحياء).

لم یصنعه إلا فی فکافوه عنی بالجنه».

و قال الصادق علیه السلام: «لو لا إلحاح المؤمنین علی اللّه فی طلب الرزق،لنقلهم من الحال التی هم فیها إلی حال أضیق منها».

و قال علیه السلام: «لیس لمصاص (۱)شیعتنا فی دوله الباطل إلا القوت،شرقوا إن شئتم أو غربوا،لن ترزقوا إلا القوت».

و قال علیه السلام: «ما کان من ولد آدم مؤمن إلا فقیرا و لا کافر إلا غنیا،حتی جاء إبراهیم علیه السلام،فقال:

رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا

(۲)

.

فصیر اللّه فی هؤلاء أموالا و حاجه».

و قال-علیه السلام-: «إن فقراء المؤمنین یتقلبون فی ریاض الجنه قبل أغنیائهم بأربعین خریفا»، ثم قال:«سأضرب لک مثل ذلک:إنما مثل ذلک مثل سفینتین مر بهما علی عاشر،فنظر فی أحداهما فلم یر فیها شیئا،فقال:اسربوها.و نظر فی الأخری،فإذا هی موقره،فقال:احبسوها». و فی بعض الأخبار فسر الخریف بألف عام،و العام بألف سنه.و علی هذا،فیکون المراد من أربعین خریفا أربعین ألف ألف عام.

و قال الصادق علیه السلام:

«المصائب منح من اللّه،و الفقر مخزون عند اللّه»: أی المصائب عطایا من اللّه یعطیها عباده،و الفقر من جملتها مخزون عنده عزیز لا یعطیه إلا من خصه بمزید العنایه.

و قال علیه السلام: «إن اللّه عزّ و جل یلتفت یوم القیامه إلی فقراء المؤمنین شبیها بالمعتذر إلیهم،فیقول:و عزتی و جلالی! ما أفقرتکم فی الدنیا من هوان بکم علی،و لترون ما أصنع بکم الیوم، فمن زود منکم فی دار الدنیا معروفا فخذوا بیده فأدخلوه الجنه»،قال

۱- ۱) المصاص:خالص کل شیء.قاله الجوهری.

۲- ۲) الممتحنه،الآیه:۵.

«فيقول رجل منهم:يا رب،إن أهل الدنيا تنافسوا فی دنياهم،فنكحوا النساء،و لبسوا الثياب اللينه،و أكلوا الطعام،و سكنوا الدور،و ركبوا المشهور من الدواب.فأعطنی مثل ما أعطيتهم.فيقول تبارک و تعالی:

لک و لكل عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا إلی أن انقضت الدنيا سبعون ضعفا».

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه جل ثناؤه ليعتذر إلی عبده المؤمن المحوج فی الدنيا كما يعتذر الأخ إلی أخيه، فيقول:و عزتی و جلالی!ما أحوجتک فی الدنيا من هوان كان بک علی فارفع هذا السجف،فانظر إلی ما عوضتک من الدنيا.قال:فيرفع، فيقول:ما ضرنی ما منعتنی ما عوضتنی».

و قال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامه قام عنق من الناس حتی يأتوا باب الجنه،فيضربوا باب الجنه فيقال لهم:من أنتم؟فيقولون:نحن الفقراء،فيقال لهم:أقبلوا الحساب فيقولون:ما أعطيتمونا شيئا تحاسبونا عليه،فيقول اللّه عز و جل:

صدقوا،ادخلوا الجنه».

و قال-لبعض أصحابه: «أ ما تدخل للسوق؟ أ ما تری الفاكهه تباع و الشیء مما تشتهيه؟فقلت:بلی!فقال:أما إن لک بكل ما تراه فلا تقدر علی شراه حسنه».

و قال الكاظم عليه السلام:

«إن اللّه عز و جل يقول:إنی لم أغن الغنی لكرامه به علی،و لم أفقر الفقير لهوان به علی،و هو مما ابتليت به الأغنياء بالفقراء،و لو لا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنه» (۱).

و قال-عليه السلام-: «إن الأنبياء و أولاد الأنبياء و أتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال:السقم فی الأبدان و خوف السلطان،و الفقر».

و قال الرضا-عليه السلام-: «من لقی

---

۱ - ۱) صححنا أغلب الأحاديث المرويه عن أهل البيت-عليهم السلام-فی هذا الفصل علی(الكافی):باب الفقر.و علی(سفينه البحار)۲-۳۷۷.و علی (إحياء الأحياء):كتاب الفقر.

فقيرا مسلما و سلم عليه خلاف سلامه على الغنى،لقى اللّه يوم القيامه و هو عليه غضبان».

و قال عليه السلام: «الفقر شين عند الناس و زين عند اللّه يوم القيامه»

و قال موسى-عليه السلام-فى بعض مناجاته: «إلهى من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟فقال:كل فقير»

و قال عيسى-عليه السلام-: «إن أحب الأسامى إلى أن يقال:يا مسكين» و قال بعض الصحابه:«ملعون من أكرم الغنى و أهان الفقير».

و قال لقمان لابنه:«لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه،فإن ربك و ربه واحد».

و مما يدل على فضيله الفقر،إذا كان مع الرضى أو القناعه أو الصبر أو الصدق أو الستر،

قوله صلى اللّه عليه و آله :«يا معشر الفقراء:

أعطوا اللّه الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم،فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «إن أحب العباد إلى اللّه الفقير القانع برزقه الراضى عن اللّه تعالى».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا»،

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «يقول اللّه تعالى يوم القيامه:أين صفوتى من خلقى؟ فتقول الملائكه:من هم يا ربنا؟فيقول:فقراء المسلمين القانعين بعطائى الراضين بقدرى،أدخلوهم الجنه.فيدخلونها،و يأكلون و يشربون،و الناس فى الحساب يترددون».

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «ما من أحد،غنى و لا فقير،إلا ود يوم القيامه أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا»

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «طوبى للمساكين بالصبر!و هم الذين يرون ملكوت السماوات و الأرض».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «من جاع أو احتاج،فكتمه عن الناس و أفشاه إلى اللّه تعالى،كان حقا على اللّه أن يرزقه رزق السنه من الحلال».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن لكل شىء مفتاحا،و مفتاح الجنه حب المساكين و الفقراء الصابرين

و هم جلساء اللّه یوم القیامه».

و ما روی: «أن اللّه أوحی إلی إسماعیل -علیه السلام-:اطلبنی عند المنکسره قلوبهم من أجلی.قال:و من هم؟قال:الفقراء الصادقون».

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- لأمیر المؤمنین علیه السلام:«یا علی،إن اللّه جعل الفقر أمانه عند خلقه، فمن ستره أعطاه اللّه تعالی مثل أجر الصائم القائم،و من أفشاه إلی من یقدر علی قضاء حاجته فلم یفعل فقد قتله أما إنه ما قتله بسیف و لا رمح و لکنه قتله بما نکأ من قلبه».

ثم لا ریب فی أن کل من لم یجد القوت من التعفف و ستر احتیاجه هذا و صبر و رضی یکون داخلا تحت هذه الأخبار و تثبت له الفضیله التی وردت فیها،و لا ریب فی أن هذه صفه لا توجد فی ألف ألف واحد.

و أما الفقیر الحریص الذی یظهر فقره و یجزع معه،فظاهر بعض الأخبار و إن تناوله،إلا أن الظاهر خروجه منها کما أومأت إلیه بعض الأخبار المذکوره و إن کان أحسن حالا من الغنی الذی مثله فی الحرص.

فصل (الموازنه بین الفقر و الغنی)

لا ریب فی أن الفقر مع الصبر و القناعه و قصد الفراغ أفضل من الغنی مع الحرص و الإمساک،کما لا ریب فی أن الغنی مع الإنفاق و قصد الاستعانه علی العباده أفضل من الفقر مع الحرص و الجزع،

و إنما وقع الشک فی الترجیح بین الفقر و الغنی فی مواضع:

(الأول)فی الترجیح بین الفقر مع الصبر و القناعه،و الغنی مع الإنفاق،و قصد الاستعانه علی العباده،

فقال قوم إن الأول أفضل،

لما

روی: «أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال لأصحابه:أی الناس خیر؟فقالوا:موسر من المال یعطی حق اللّه تعالی من نفسه و ماله،فقال نعم الرجل هذا و لیس به المراد،قالوا فمن خیر الناس یا رسول اللّه؟ فقال:فقیر یعطی جهده»،

و ما روی: «أن الفقراء بعثوا رسولا إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فقال:إنی رسول الفقراء إلیک،فقال:

مرحبا بک و بمن جئت من عندهم،جئت من عند قوم أحبهم،فقال:

قالوا إن الأغنیاء ذهبوا بالجنه یحجون و لا نقدر علیه،و یعتمرون و لا نقدر علیه،و إذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخیره لهم،فقال النبی صلی اللّه علیه و آله:بلغ عنی الفقراء أن لمن صبر و احتسب منکم ثلاث خصال لیست للأغنیاء:أما (الأولی)فإن فی الجنه غرفا ینظر إلیها أهل الجنه کما ینظر أهل الأرض إلی نجوم السماء،لا یدخلها الا نبی فقیر،أو شهید فقیر،أو مؤمن فقیر، (و الثانیه)یدخل الفقراء الجنه قبل الأغنیاء بنصف یوم و هو خمسمائه عام. (و الثالثه)إذا قال الغنی: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر ،و قال الفقیر مثل ذلک،لم یلحق الغنی بالفقیر و إن انفق فیها عشره آلاف درهم،و کذلک أعمال البر کلها،فرجع إلیهم،فقالوا رضینا».

و قال آخرون:الثانی أفضل،لأن الغنی من صفات الربوبیه، و الفقر من لوازم العبودیه،و وصف الحق أفضل من وصف العبد.

(و أجیب عنه)بأن غنی الواجب سبحانه لیس بالأسباب و الأغراض و غنی العبد بهما،إذ هو غنی بوجود المال و مفتقر إلی بقائه،فأنی یکون الغنی الذی یتصف العبد به من أوصاف الربوبیه،نعم الغنی الاستغناء من وجود المال و عدمه جمیعا بأن یستوی کلاهما عنده یشبه أوصاف الحق،إلا أنک قد عرفت أنه نوع من الفقر،و بأن التکبر من أوصاف الربوبیه،

فينبغى أن يكون أفضل من التواضع،مع أن الأمر ليس كذلك،بل الحق أن الأفضل للعبد إنما هو صفات العبوديه كالخوف و الرجاء،إذ صفات الربوبيه لا ينبغى أن ينازع فيها،

و لذلك قال اللّه سبحانه: «و العظمه إزارى،و الكبرياء ردائى،فمن نازعنى فيهما قصمته». و على هذا فالفقر أفضل من الغنى.

و الحق أن ترجيح واحد من صفات الربوبيه و صفات العبوديه على الآخر للعبد على الإطلاق غير صحيح،إذ كما ينتقض ترجيح الأولى على الثانيه بالتكبير ينتقض العكس بالعلم و المعرفه و الجهل و الغفله،فإن العلم من صفات الربوبيه،و الجهل من صفات العبوديه،مع أن الأول أفضل من الثانى ضروره.

و الحق أن الأفضل من الفقر و الغنى ما لا يشغل العبد عن اللّه،فإن كان الفقر يشغله فالغنى أولى به،و إن كان الغنى يشغله عن اللّه فالفقر أولى به،و ذلك لأن الغنى ليس محذورا بعينه،بل لكونه عائقا عن الوصول إلى اللّه،و الفقر ليس مطلوبا لذاته،بل لعدم كونه عائقا عن اللّه،و ليس مانعيه الأول و عدم مانعيه الثانى كليا،إذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد و كم من غنى لا يصرفه الغنى عنه،إذ الشاغل ليس إلا حب الدنيا لمضادته حب اللّه تعالى،و المحب للشىء مشغول به،سواء كان فى وصاله أو فى فراقه. فإذن فضل الفقير و الغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال وجودا و عدما، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما.و إن تفاوتا فيه فأيهما أقل تعلقا درجته أعلى و أفضل،بل مع وجود تعلق لهما و تساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجه من المال أفضل من فقده،إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفه و الطاعه،و مع عدم تعلق قلبهما أصلا بحيث يستوى عندهما وجود المال و عدمه كان المال عندهما كهواء الجو و ماء البحر-و بالجمله حصلت

لهما المرتبه الأخيره من الفقر،أعنى الاستغناء و الرضا-كان الواجد أفضل من الفاقد،لاستوائهما فى عدم الالتفات إليه،و مزيه الواجد باستفاده أدعيه الفقراء و المساكين.

ثم الحكم بانقطاع القلب رأسا عن المال وجودا و عدما إنما يتصور فى الشاذ النادر الذى لا يسمح الدهر بمثله إلا بعد أزمنه متطاوله،و قلوب جل الناس غير خاليه عن حب المال و التعلق به.فتفصيل القول بأفضليه من هو أقل تعلقا بالمال،و استواء درجتهما مع استوائهما فى التعلق،و مزيه الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبهما بالكليه عنه مزله الأقدام و موضع الغرور، إذ الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال و يكون حبه دفينا فى باطنه و هو لا يشعر به،و إنما يشعر به إذا فقده،فما عدا الأنبياء و الأولياء و شرذمه قليله من أكابر الأتقياء لو ظنوا انقطاعهم عن الدنيا إذا جربوا أنفسهم بإخراج المال من أيديهم يظهر لهم أنهم مغرورون و ليس لهم تمام الانقطاع عن الدنيا،و إذا كان ذلك محالا أو بعيدا فليطلق القول بأن الفقر أصلح لكافه الناس و أفضل،لأنه عن الخطر أبعد،إذ فتنه السراء من فتنه الضراء أشد،و علاقه الفقير و أنسه بالدنيا غالبا أضعف،و بقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره و عبادته،إذ حركات اللسان و الجوارح ليست مراده لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور و تأثيرها فى إثاره الأنس فى قلب فارغ عن غير المذكور أشد من تأثيرها فى قلب مشغول،و لهذا وردت الأخبار مطلقه فى فضل الفقر على الغنى،و فى فضل الفقراء على الأغنياء.

(الثانى)فى الترجيح بين الفقر مع الحرص و الجزع،و الغنى مع الحرص و الإمساك.

و التحقيق فيه أن مطلوب الفقير إن كان ما لا بد منه فى المعيشه و كان حرصه فى تحصيل هذا القدر دون الزائد منه و كان قصده

الاستعانه به على الدين،و كذا كان حرص الغنى و إمساكه فى هذا القدر بهذا القصد،فحال الوجود أفضل لأن الفقد يصده عن أمور الدين لاضطراره فى طلب القوت،و هو أولى بالتفضيل إذا كان قصد الغنى ذلك و كان مطلوب الفقير فوق الحاجه،أو قدر الحاجه،أو قدر الحاجه بدون قصد الاستعانه به إلى أمر الدين.و إن كان مطلوب كل منها فوق الحاجه أو لم يكن قصدهما الاستعانه به على أمر الدين،فالفقد أصلح و أفضل، لأنهما استويا فى الحرص و حب المال،و فى عدم قصد الاستعانه به على الدين،لكنهما افترقا فى أن الواجد يتأكد حب الدنيا فى قلبه،و يطمئن إليها لأنسه بها،و الفاقد يتجافى قلبه عنها اضطرارا،أو تكون الدنيا عنده كالسجن الذى يطلب الخلاص منه.و هو أولى و أحرى بالتفضيل،إذا كان قصد الفقير ذلك و كان قصد الغنى فوق الحاجه،أو قدر الحاجه بدون الاستعانه به على أمر الدين.

(الثالث)فى الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه،و غنى هو دونه فى الحرص

على حفظ المال،و تفجعه بفقد المال لو فقده أقل من تفجع الفقير بفقده،و الظاهر حينئذ كون الفقير أسوأ حالا،إذ البعد عن اللّه بقدر قوه التفجع بفقد المال،و القرب بقدر ضعف التفجع به.

فصل ما ينبغى للفقير

ينبغى للفقير ألا يكون كارها للفقر من حيث إنه فعل اللّه و من حيث إنه فقر،بل يكون راضيا به طالبا له فرحانا به لعلمه بغوائل الغنى،و أن

ص: ۹۴

يكون متوكلا فى باطنه على اللّه،واثقا به فى إتيان قدر ضرورته،و يكون قانعا به،كارها للزياده عليه،منقطع الطمع عن الخلق،غير ملتفت إلى ما فى أيديهم،و غير حريص على اكتساب المال كيف كان،و أن يكون صابرا شاكرا على فقره،

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اللّه عقوبات بالفقر،و مثوبات بالفقر،فمن علامات الفقر إذا كان مثوبه أن يحسن عليه خلقه،و يطيع به ربه،و لا يشكو حاله،و يشكر اللّه تعالى على فقره و من علاماته إذا كان عقوبه أن يسوء عليه خلقه،و يعصى ربه بترك طاعته و يكثر الشكايه،و يتسخط بالقضاء»، و هذا يدل على أن كل فقير ليس مثابا على فقره،بل من يرضى بفقره،و يفرح به،و يقنع بالكفاف، و يقصر الأمل،و إن لم يرض به و تشوف إلى الكثره و طول الأمل،و فاته عز القناعه،و تدنس بذل الحرص و الطمع،و جره الحرص و الطمع إلى مساوى الأخلاق،و ارتكاب المنكرات الخارقه للمروات حبط أجره و كان آثما قلبه.

و ينبغى أن يظهر التعفف و يستر الفقر و يستر،أنّه يستر و ألا يخالط الأغنياء، و لا يرغب فى مجالستهم،و لا يتواضع لهم لأجل غناهم بل يتكبر عليهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبه فى ثواب اللّه،و أحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقه باللّه» ،و ألا يسكت عن ذكر الحق مداهنه للأغنياء،و طمعا بما فى أيديهم،و لا يفتر بسبب فقره عن عباده اللّه،و يبذل قليل ما يفضل عنه،فإن ذلك جهد المقل، و فضله أكثر من أموال كثيره يبذلها الغنى،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «درهم من الصدقه أفضل عند اللّه من مائه ألف دينار،قيل و كيف ذلك يا رسول اللّه؟قال:أخرج رجل من عرض ماله مائه ألف دينار يتصدق بها،و أخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما

طیبه به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائه ألف دینار» و ینبغی ألا یدخر أزید من قدر الحاجه،فإن لم یدخر أکثر من قوت یومه و لیلته فهو من الصدیقین،و إن لم یدخر أکثر من قوت أربعین یوما کان من المتقین،و إن لم یدخر أکثر من قوت سنه-و هو الفضل المشترک بین الفقر و الغنی-کان من الصالحین،و لو زاد علیه خرج عن زمره الفقراء.

فصل وظیفه الفقراء

ما یعطی الفقیر بغیر سؤاله:إن کان(حراما أو شبهه)وجب علیه رده و الاجتناب عنه،و إن کان(حلالا)،فإن کان(هدیه)استحب قبوله تأسیا برسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إن لم تکن فیه منه،و لو کانت فیه منه فالأولی ترکه.و کان بعضهم إذا أعطاه صدیقه شیئا یقول له اترکه عندک،و انظر إن کنت أنا بعد قبوله فی قلبک أفضل منی قبل القبول فأخبرنی حتی آخذه و إلا فلا،و علامه ذلک أن یشق علی المعطی رده، و یفرح بالقبول،و یری المنه علی نفسه فی قبوله،و إن کان(صدقه أو زکاه)أو غیر ذلک مما یکون للثواب المحض،فینبغی أن ینظر فی استحقاقه لذلک،فإن کان من أهله قبله و إلا رده،و إن کان المعطی أعطاه لوصف یعلمه فیه کعلم أو ورع أو کونه علویا،و لو لم یکن له هذا الاختصاص لنفر طبعه،و لما تقرب إلی اللّه بإعطائه،و لم یکن هو باطنا کذلک فأخذه حرام،و إن لم یکن هدیه و لا صدقه بل أعطاه للشهره و الریاء و السمعه فینبغی أن یرد علیه و لا یقبله،و إلا کان معینا له علی غرضه الفاسد،و الإعانه علی الإثم إثم.

فصل موارد قبول العطاء و ردها

ما يعطى الفقير إن كان محتاجا إليه و لم يكن أزيد من حاجته فالأفضل له الأخذ إذا سلم من الآفات المذكوره،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «ما المعطى من سعه بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا»،

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من أتاه شيء من هذا المال من غير مسأله و لا استشراف فإنما هو رزق ساقه اللّه إليه فلا يرده»، و إن كان زائدا على قدر حاجته فليرد الزائد إن كان طالبا طريق الآخره، إذ الزياده على قدر الحاجه إنما يأتيك ابتلاء و فتنه لينظر اللّه إليك ما ذا تعمل فيه،و قدر الحاجه يأتيك رفقا بك،فأنت فى أخذ قدر الحاجه مثاب،و فيما زاد عليه إما عاص أو متعرض للحساب،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «لا حق لابن آدم إلا فى ثلاث:طعام يقيم صلبه،و ثوب يوارى عورته،و بيت يسكنه،فما زاد فهو حساب»، فلا ينبغى لطالب السعاده أن يأخذ الأزيد من قدر الحاجه،إذ النفس إذا رخصت فى نقض العزم و العهد ألفت به،و ردها بعد الألف و العاده مشكل.

و الحاصل أن أخذ قدر الحاجه راجع لكونه مما لا بد منه،و إيجابه ثواب المعطى،و لذلك

لما أمر موسى بن عمران عليه السلام بأن يفطر عند بنى إسرائيل قال:إلهى ما بالى فرقت رزقى على أيدى بنى إسرائيل يغدينى هذا يوما و يعشينى هذا ليله،فأوحى اللّه إليه:«هكذا أصنع بأوليائى أجرى أرزاقهم على أيدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم». فلا ينبغى أن يرى المعطى إلا من حيث إنه مسخر مأجور.

و أما أخـذ الزياده على قدر الحاجه فليس مما ينبغى،من كان حاله التكفل بأمور الفقراء و الإنفاق عليهم،لما فى طبعه من البذل و السـخاء، و الرفق و العطاء،فيجوز له أخـذ الزياده ليبـذلها على المسـتحقين،و لكن يلزم أن يبادر إلى الصـرف إليهم و لا ينبغى أن يـدخر،إذ فى إمسـاكه و لو فى يوم واحـد أو ليله واحـده فتنه و اختبـار،فربما مالت النفس إلى الإمساك و يصـير وبالا عليها،و قد نقل أن جماعه تصدوا لخدمه الفقراء و التكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الأماره بإعانه الشيطان فاتخذوها وسيله إلى التوسع فى المال،و التنعم فى المطعم و المشرب،و انجر أمرهم إلى الهلاك.

فصل لا يجوز السؤال من غير حاجه

ينبغى للمؤمن ألاـ يسأل الناس من غير حاجه اضـطر إليها،بل يسـتعف عن السؤال ما اسـتطاع،لأنه فقر معجل،و حساب طويل يوم القيامه و الأصل فيه التحريم لتضـمنه الشـكوى من اللّه،و إذلال السائل نفسه عند غير اللّه،و إيذاء المسـئول غالبا،إذ ربما لم تسمح نفسه بالبـذل عن طيب القلب،و بعـد السؤال ألجـأه الحياء أو الرياء إليه،و معلوم أن الإعطاء اسـتحياء أو رياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إياه إلى البخل لا يكون له حليه شرعا.

و لتضمنه هذه المفاسد ورد فى الشريعه المنع منه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «مسأله الناس من الفواحش»،

و قال صـلى اللّه عليه و آله: «من سأل عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، و من سأل و له ما يغنيه جاء يوم القيامه و وجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من سأل الناس و عنده قوت ثلاثه أیام لقی اللّه یوم یلقاه و لیس علی وجهه لحم»

(۱)

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما من عبد فتح علی نفسه بابا من المسأله إلا فتح اللّه علیه سبعین بابا من الفقر».

و قال: «إن المسأله لا تحل إلا لفقر مدقع أو غرم مفظع»

و قال: «السؤال عن ظهر غنی صداع فی الرأس،و داء فی البطن».

و قال: «من سأل الناس أموالهم تکثرا فإنما هی جمره فلیستقل منه أو لیستکثر».

و روی: «أنه جاءت فخذ من الأنصار إلی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فسلموا علیه فرد علیهم السلام،فقالوا یا رسول اللّه إن لنا إلیک حاجه فقال:(هاتوا حاجتکم)فقالوا إنها حاجه عظیمه فقال:

(هاتوها ما هی)قالوا:تضمن لنا علی ربک الجنه،فنکس رأسه،ثم نکت (۲)فی الأرض،ثم رفع رأسه فقال:(أفعل ذلک بکم علی ألا تسألوا أحدا شیئا)،فکان الرجل منهم یکون فی السفر فیسقط سوطه،فیکره أن یقول لإنسان ناولنیه فرارا من المسأله و ینزل فیأخذه،و یکون علی المائده و یکون بعض الجلساء أقرب إلی الماء منه فلا یقول ناولنی حتی یقوم فیشرب» (۳)

و بایع صلی اللّه علیه و آله قوما علی الإسلام فاشترط علیهم السمع و الطاعه،ثم قال لهم خفیه:«لا تسألوا الناس شیئا»،فکان بعد ذلک تقع المحفره من ید أحدهم فینزل لها و لا یقول لأحد ناولنیها.و کان

۱- ۱) روی هذا الحدیث عینه عن الصادق-علیه السلام-(الوسائل کتاب الزکاه أبواب الصدقه الباب ۳۲ الحدیث ۵).

۲- ۲) نکت الأرض بقضیب أو بإصبعه:ضربها به حال التفکر فأکثر فیها.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی الوسائل(کتاب الزکاه ابواب الصدقه الباب ۳۳ الحدیث ۴)و هو یرویه عن الکافی.

صلى اللّه عليه و آله يأمر غالبا بالتعفف عن السؤال،و يقول:«من سألنا أعطيناه،و من استغنى أغناه اللّه،و من لم يسألنا فهو أحب إلينا»

و قال:

«و ما قل من السؤال فهو خير»قالوا:و منک يا رسول اللّه؟قال:

«و منى»:«لو أن أحدكم أخذ حبلا فيأتى بحزمه حطب على ظهره فيبيعها و يكف بها وجهه،خير من أن يسأل».

و قال سيد الساجدين عليه السلام: «ضمنت على ربى أنه لا يسأل أحد أحدا من غير حاجه إلا اضطرته المسأله يوما إلى أن يسأل من حاجه»

و نظر عليه السلام يوم عرفه إلى رجال و نساء يسألون،فقال«هؤلاء شرار خلق اللّه،الناس مقبلون على اللّه و هم مقبلون على الناس».

و قال الباقر عليه السلام: «أقسم باللّه و هو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسأله إلا فتح اللّه عليه باب فقر»،

و قال الصادق عليه السلام: «طلب الحوائج إلى الناس استلاب (۱)للعز و مذهبه للحياء،و اليأس مما فى أيدى الناس عز للمؤمن فى دينه،و الطمع هو الفقر الحاضر».

و قال الصادق عليه السلام: «لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحدا،و لو يعلم المسئول ما عليه إذا منع ما منع أحد أحدا».

و قال: «من سأل من غير حاجه فكأنما يأكل الجمر».

ثم المنع و التحريم إنما هو فى السؤال بدون الاضطرار،و أما مع الحاجه و الاضطرار فلا ريب فى جوازه،و قد وردت به الرخصه،قال اللّه سبحانه:

وَ أَمَّا السّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ

(۲)

.

۱- ۱) الاستلاب بمعنى السلب،و هو من باب الافتعال.

٢- ٢) الضحى،الآيه:١٠.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «لا تردوا السائل و لو بشق تمره»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «لو لا أن السائل یکذب ما قدس من رده»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «للسائل حق و إن جاء علی الفرس»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «لا تردوا السائل و لو بظلف محترق»

(۱)

.و لو کان السؤال مطلقا حراما لما أجاز اللّه و رسوله إعانه العاصی علی معصیته.

ثم الحاجه المجوزه للسؤال:ما بلغت حد الاضطرار،کسؤال الجائع الخائف علی نفسه بالموت أو المرض لو لم یصل إلیه قوت،و سؤال العاری الذی بدنه مکشوف و یخاف من الحر و البرد-أو لم تبلغ إلیه،و هی إما حاجه(مهمه)کالاحتیاج إلی الجبه فی الشتاء بحیث لولاها لتأذی بالبرد تأذیا لا ینتهی إلی حد الضروره،و الاحتیاج إلی الکری مع القدره علی المشی مع المشقه،أو حاجه(خفیفه)کالاحتیاج إلی الإدام مع وجود الخبز-فالظاهر جواز السؤال فی جمیع ذلک(مع رجحانه فی الأول، و إباحته فی الثانی،و مرجوحیته فی الثالث)،بشرط إخلائه عن المحذورات المذکوره،أعنی الشکوی و الذل و الإیذاء،و تندفع هذه المحذورات بأن یظهر حاجته تعریضا بعد تقدیم الشکر للّه،و إظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الأصدقاء أو الأسخیاء،إذ السؤال من الصدیق لا یوجب الإذلال و السخی لا یتأذی بالسؤال بل یفرح به.

ثم ما ذکر إنما هو فی السؤال للاحتیاج إلیه بعد النسبه لما یحتاج إلیه فی الحال،و أما السؤال لما یحتاج إلیه فی الاستقبال،فإن کان یحتاج إلیه بعد السنه فهو حرام قطعا،و إن کان یحتاج إلیه قبلها،سواء کان بعد

۱- ۱) صححنا أکثر الأحادیث هنا علی ما فی سفینه البحار الجزء الأول ص ۵۸۵ و کتاب الزکاه من الوسائل أبواب الصدقه باب ۳۳-۳۷ و إحیاء الأحیاء فی کتاب الفقر.

أربعين يوما من يومه أو خمسين أو أقل أو أكثر،فإن أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجه فلا يحل له السؤال،و إن علم بأنه لا يتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهه و المرجوحيه،و كلما كان تراخى الحاجه عن يومه أكثر كانت الكراهه أشد.ثم معرفه درجات الحاجه و ضعفها و شدتها و الوقت الذى يحتاج فيه موكول إلى العبد و منوط باجتهاده و نظره لنفسه بينه و بين اللّه،فليعمل به بعد استغناء قلبه على ما يقتضيه سلوك طريق الآخره،و كلما كان يقينه أقوى،و ثقته بمجىء الرزق أتم،و قناعته بقوت الوقت أظهر،فدرجته عند اللّه أعلى.

فيا حبيبى،لا تهبط نفسك من أوج التوكل و الاعتماد على اللّه إلى حضيض الخوف و الاضطراب فى مجىء رزقك،و لا تصغ إلى تخويف الشيطان،فإنه يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء،و كن مطمئنا بوعد ربك إذ قال:

وَ اللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً

(١)

.

و اسمع

قول نبيك-صلى اللّه عليه و آله-حيث قال: «لو توكلتم على اللّه حق توكله،لرزقتم كما ترزق الطيور،تغدوا خماصا و تروح بطانا».

و منها:

اشاره

الحرص

و هو معنى راتب فى النفس،باعث على جميع ما لا يحتاج إليه و لا يفيده من الأموال،من دون أن ينتهى إلى حد يكتفى به،و هو أقوى شعب

١- ١) البقره،الآيه:٢٦٨.

حب الدنيا و أشهر أنواعه.و لا ريب فی كونه ملكه مهلكه و صفه مضله بل باديه مظلمه الأرجاء و الأطراف،و هاويه غير متناهيه الأعماق و الأكناف من وقع فيها ضل و باد،و من سقط فيها هلك و ما عاد.و التجربه و الاعتبار و الأخبار و الآثار متظاهره على أن الحريص لا ينتهی إلى حد يقف دونه، بل لا يزال يخوض فی غمرات الدنيا إلى أن يغرق،و تطرحه أرض إلى أرض حتى يهلك.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب،لابتغى وراءهما ثالثا،و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب،و يتوب اللّه على من تاب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«منهومان لا يشبعان:منهوم العلم،و منهوم المال».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «يشيب ابن آدم و تشب فيه خصلتان:الحرص،و طول الأمل»

و قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «مثل الحريص على الدنيا كمثل دوده القز،كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج،حتى تموت غما».

و قال الصادق عليه السلام: «إن فيما نزل به الوحی من السماء لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهبا و فضه لابتغى لهما ثالثا.يا ابن آدم إنما بطنك بحر من البحور و وارد من الأوديه،لا يملأه شیء إلا التراب» و قال بعض الأكابر:«من عجيب أمر الإنسان،أنه لو نودی بدوام البقاء فی أيام الدنيا لم يكن فی قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مده التمتع و توقع الزوال».ثم ما ورد من الأخبار فی ذمه أكثر من أن تحصى،و لا حاجه إلى إيرادها لاشتهارها.

و قال الباقر-عليه السلام-: «رب حريص على أمر قد شقی به حين أتاه، و رب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه». و أی خسران أشد من أن يسعى الإنسان فی طلب به هلاكه؟و أی تأمل فی أن كلما يحرص عليه الإنسان من أموال الدنيا يكون مهلكا له؟!

وصل القناعه

ضد الحرص(القناعه).و هى ملكه للنفس:توجب الاكتفاء بقدر الحاجه و الضروره من المال،من دون سعى و تعب فى طلب الزائد عنه،و هى صفه فاضله يتوقف عليها كسب سائر الفضائل،و عدمها يؤدى بالعبد إلى مساوئ الأخلاق و الرذائل،و هى المظنه للوصول إلى المقصد و أعظم الوسائل لتحصيل سعاده الأبد،إذ من قنع بقدر الضروره من المطعم و الملبس،و يقتصر على أقله قدرا أو أخسه نوعا،و يرد أمله إلى يومه أو إلى شهره،و لا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك،كان فارغ البال مجتمع الهم،فيتمكن من الاشتغال بأمر الدين و سلوك طريق الآخره، و من فاتته القناعه،و تدنس بالحرص و الطمع و طول الأمل،و خاض فى غمرات الدنيا،تفرق قلبه و تشتت أمره.فكيف يمكنه التشمر لتحصيل أمر الدين و الوصول إلى درجات المتقين؟و لذلك ورد فى مدح القناعه ما ورد من الأخبار،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «طوبى لمن هدى للإسلام،و كان عيشه كفافا به!»

. و قال: «ما من أحد،من غنى و لا فقير،إلا ود يوم القيامه أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا».

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «أيها الناس،أجملوا فى الطلب،فإنه ليس للعبد إلا ما كتب له فى الدنيا،و لن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له فى الدنيا و هى راغمه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «نفث روح القدس فى روعى:أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها.فاتقوا اللّه و أجملوا فى الطلب».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «كن ورعا تكن أعبد الناس

ص:۱۰۴

و کن قانعا تکن أشکر الناس،و أحب للنّاس ما تحب لنفسک تکن مؤمنا»

و فی الخبر القدسی: «یا ابن آدم،لو کانت الدنیا کلها لک لم یکن لک منها إلا القوت،فإذا أنا أعطیتک منها القوت و جعلت حسابها علی غیرک فأنا إلیک محسن».

و روی: «أن موسی سأل ربه تعالی،و قال:أی عبادک أغنی؟قال:أقنعهم لما أعطیته».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام «ابن آدم،إن کنت ترید من الدنیا ما یکفیک،فإن أیسر ما فیها یکفیک و إن کنت إنما ترید ما لا یکفیک،فإن کل ما فیها لا یکفیک».

و قال أبو جعفر الباقر علیه السلام: «إیاک أن تطمح بصرک إلی من هو فوقک فکفی بما قال اللّه عز و جل لنبیه-صلی اللّه علیه و آله-:

فَلاٰ تُعْجِبْکَ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ

(۱)

.و قال:

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا

(۲)

.

فإن دخلک من ذلک شیء،فاذکر عیش رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فإنما کان قوته الشعیر-و حلواه التمر،و وقوده السعف إذا وجده» (۳)

و قال: «من قنع بما رزقه اللّه فهو من أغنی الناس.

و قال

۱- ۱) التوبه،الآیه.۵۶.

۲- ۲) طه،الآیه:۱۳۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث و ما قبله علی ما فی(الکافی):باب القناعه،و کذا الحدیثین المذکورین بعده.إلا أن هذا الحدیث مروی

فی(الکافی)عن أبی جعفر -علیه السلام-و روی فی(الوسائل)عن کتاب الزهد،فی أبواب جهاد النفس من کتاب الجهاد:الباب ۶۱ الحدیث ۱۱،ما یقرب من عباره هذا الحدیث عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-.

الصادق علیه السلام: «من رضی من اللّه بالیسیر من المعاش رضی اللّه عنه بالیسیر من العمل».

و قال: «مکتوب فی التوراه:ابن آدم،کن کیف شئت کما تدین تدان،من رضی من اللّه بالقلیل من الرزق قبل اللّه منه الیسیر من العمل،و من رضی بالیسیر من الحلال خفت مؤنته و زکت مکسبته و خرج من حد الفجور».

و قال: «إن اللّه عز و جل یقول:

یحزن عبدی المؤمن إن قترت علیه،و ذلک أقرب له منی،و یفرح عبدی المؤمن إن وسعت علیه،و ذلک أبعد له منی».

و قال: «کلما ازداد العبد إیمانا ازداد ضیقا فی معیشته». و الأخبار الوارده فی فضیله القناعه أکثر من أن تحصی،و ما أوردناه کاف لأهل البصیره.

فصل علاج الحرص

طریق المعالجه فی إزاله الحرص و تحصیل القناعه:أن یتذکر أولا-ما فی القناعه من المدح و الشرافه،و عز النفس و فضیله الحریه،و ما فی الحرص من الذم و المهانه،و تحمل الذله و متابعه الشهوه.و یعرف أن من لا یؤثر عز النفس علی شهوه البطن،فهو قلیل العقل ناقص الإیمان.ثم یتذکر ما فی جمع المال من الآفات الدنیویه و العقوبات الأخرویه،و یکثر التأمل فیما مضی علیه عظماء الخلق و أعز أصنافهم،أعنی الأنبیاء و الأوصیاء و من سار بسیرتهم من السلف الأتقیاء،من صبرهم علی القلیل،و قناعتهم بالیسیر،و فیما یجری علیه الکفار من الهند و و الیهود و النصاری و أراذل

الناس و أغنيائهم و أمثالهم،من التنعم و جمع المال الكثير. و بعد هذا التأمل لا أظنه يشك فى أن الاقتداء بأعز الخلائق أحسن من الاقتداء بأراذلهم، بل المتأمل يعرف أن الحريص المتكالب على لذات الدنيا خارج عن أفق الإنسانيه،و داخل فى جريده البهائم،إذ الحرص على شهوات البطن و الفرج من لوازم البهيميه،و أحرص الناس على الشهوات لا يبلغ رتبه البهائم فى ذلك.فما من حريص على التنعم فى البطن إلا-و الحمار أكثر أكلا-منه،و ما من حريص على الجماع إلا و الخنزير أشد نزوا منه.فظهر أن الحريص فى مرتبه الخنزير و الحمير و اليهود و الهند،و القانع لا يساهمه فى الرتبه إلا الأنبياء و الأولياء.و بعد التأمل فى جميع ما ذكر،يتم العلاج العلمى،و به تسهل إزاله الحرص و اكتساب القناعه .فليبادر إلى العلاج العملى،و هو العمل بالاقتصاد فى أمر المعيشه،ليسد أبواب الخرج ما أمكن و رد النفس إلى ما لا بد منه.فإن من كثر خرجه و اتسع إنفاقه،لم تمكنه القناعه،فإن كان وحده،اكتفى بثوب خشن،و يقنع بأى طعام كان و يقلل من الإدام ما أمكنه،و هكذا الحال فى سائر ما يضطر إليه و يوطن نفسه عليه.و إن كان له عيال رد كل واحد منهم إلى هذا القدر.و إذا بنى أمره على الاقتصاد،لم يحتج إلى كثير جهد و إن كان معيلا.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «ما عال من اقتصد» (۱).

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ثلاث منجيات:خشيه اللّه فى السر و العلانيه،و القصد فى الغناء و الفقر،و العدل فى الرضا و الغضب».

و قال: «التدبير نصف المعيشه».

و قال: «من اقتصد أغناه اللّه،و من بذر أفقره اللّه».

---

۱ - ۱) روى فى(سفينه البحار):۲:۴۳۱،عن أمير المؤمنين-عليه السلام- مثل هذا الحديث هكذا:«ما عال امرؤ اقتصد»،و كذا فى(بحار الأنوار): ۲ مج ۱۵-۱۹۹.

و قال «الاقتصاد،و حسن الصمت،و الهدى الصالح،جزء من بضع و عشرين جزءا من النبوه».

و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «القصد مثراه و السرف متواه» (۱).

و قال السجاد-عليه السلام-: «لينفق الرجل بالقصد و بلغه الكفاف،و يقدم منه الأفضل لآخرته،فإن ذلک أبقى للنعمه و أقرب إلى المزيد من اللّه تعالى،و أنفع فى العافيه».

و قال الصادق -عليه السلام-: «إن القصد أمر يحبه اللّه،و إن السرف أمر يبغضه اللّه،حتى طرحک النواه،فإنها تصلح لشيء،و حتى صبک فضل شرابک (۲)

و قال-عليه السلام-: «ضمنت لمن اقتصد ألا يفتقر»

و قال-عليه السلام-: «إن السرف يورث الفقر،و إن القصد يورث الغناء».

و الأخبار فى مدح الاقتصاد أكثر من أن تحصى.

ثم إذا تيسرت له المعيشه فى الحال،فلا ينبغى أن يكون مضطربا لأجل الاستقبال،و يعتمد على فضل اللّه و وعده بأن الرزق الذى قدر له يأتيه و إن لم يكن حريصا و لا مضطربا لأجله و لا يعلم لنفسه مدخلا يأتى رزقه منه.و قال اللّه تعالى:

وَ مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِی اَلْأَرْضِ إِلاّٰ عَلَى اَللّٰهِ رِزْقُهٰا

(۳)

.

و قال: وَ مَنْ يَتَّقِ اَللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ (۴).

۱- ۱) صححنا الحديث على ما فى(الوافى):۵-۲۹۵،و قال فيه:«كلاهما بكسر الميم:اسم آله من الثروه.و التوى-بالمثناه-بمعنى الهلاک و التلف»

۲- ۲) صححنا الحديث على ما فى(الوافى):۵-۲۴۵.

۳- ۳) هود،الآيه:۶.

۴- ۴) الطلاق،الآيه:۲-۳.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «أبى اللّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب».

ثم ينبغى ألا ينظر إلى من هو فوقه،بل ينظر إلى من هو دونه فى التنعم و فى مال الدنيا،فإن الشيطان يصرف نظره فى أمر الدنيا إلى من هو فوقه،و يقول:لم تفتر عن طلب الدنيا و أرباب الأموال يتنعمون فى المطاعم و الملابس؟و يصرف نظره فى أمر الدين إلى من هو دونه،و يقول:

لم تضيق على نفسك و تخاف اللّه و فلان أعلم منك و لا يخاف اللّه؟

قال أبو ذر(ره): «أوصانى خليلى رسول اللّه أن أنظر إلى من هو دونى، لا إلى من هو فوقى فى الدنيا».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إذا نظر أحدكم إلى من فضله اللّه عليه فى المال و الخلق،فلينظر إلى من هو أسفل منه».

و منها:

اشاره

الطمع

و هو التوقع من الناس فى أموالهم،و هو أيضا من شعب حب الدنيا و من أنواعه،و من الرذائل المهلكه.

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله «إياك و الطمع،فإنه الفقر الحاضر».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«استغن عمن شئت تكن نظيره،و أرغب إلى من شئت تكن أسيره، و أحسن إلى من شئت تكن أميره».

و قال الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبد له طمع يقوده،و بئس العبد عبد له رغبه تذله»

و قيل للصادق عليه السلام:ما الذى يثبت الإيمان فى العبد؟قال:«الورع

و الذی یخرجه منه الطمع» (۱)و الأخبار فی ذم الطمع کثیره،و کفی به ذما أن کل طامع یکون ذلیلا مهینا عند الناس،و أن وثوقه بالناس و اعتماده علیهم أکثر من وثوقه باللّه،إذ لو کان اعتماده علی اللّه أکثر من اعتماده علی الناس لم یکن نظره إلیهم،بل لم یطمع من أحد شیئا إلا من اللّه سبحانه.

وصل الاستغناء عن الناس

ضد الطمع هو(الاستغناء عن الناس)و هو من الفضائل الموجبه لتقرب العبد إلی اللّه سبحانه،إذ من استغنی باللّه عن غیر اللّه أحبه اللّه.

و الأخبار الآمره بالاتصاف به و المادحه له کثیره.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «لیس الغنی عن کثره العروض،إنما الغنی غنی النفس»

و قال لأعرابی طلب منه موعظه:«اذا صلیت فصل صلاه مودع،و لا تحدثن بحدیث تعتذر منه غدا،و اجمع الیأس عما فی أیدی الناس».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «علیک بالیأس عما فی أیدی الناس،فإنه الغنی الحاضر».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «لیجتمع فی قلبک الافتقار إلی الناس و الاستغناء عنهم،فیکون افتقارک إلیهم فی لین کلامک و حسن بشرک،و یکون استغناؤک عنهم فی نزاهه عرضک و بقاء عزک»

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی)فی باب الطمع کما اثبتناه،لکن فی(سفینه البحار):۲-۹۳،رواه عن الصادق-علیه السلام- هکذا:«قال:قلت: ما الذی یثبت الإیمان فی قلب العبد؟قال:الذی یثبته فیه الورع،و الذی یخرجه منه الطمع».

و قال سید الساجدین-علیه السلام-: «رأیت الخیر کله قد اجتمع فی قطع الطمع عما فی أیدی الناس،و من لم یرج الناس فی شیء،و رد أمره إلی اللّه تعالی فی جمیع أموره،استجاب اللّه تعالی له فی کل شیء».

و قال الباقر-علیه السلام-: «سخاء المرء عما فی أیدی الناس أکثر من سخاء النفس و البذل،و مروه الصبر فی حال الفاقه و الحاجه و التعفف و الغنی أکثر من مروه الإعطاء،و خیر المال الثقه باللّه و الیأس مما فی أیدی الناس»

و قال-علیه السلام-: «الیأس مما فی أیدی الناس عز المؤمن فی دینه»

و قال الصادق علیه السلام: «شرف المؤمن قیام اللیل،و عزه استغناؤه عن الناس».

و قال-علیه السلام-: «شیعتنا من لا یسأل الناس،و لو مات جوعا».

و قال-علیه السلام-: «ثلاث هنّ فخر المؤمن و زینته فی الدنیا و الآخره:الصلاه فی آخر اللیل،و یأسه مما فی أیدی الناس، و ولایته للإمام من آل محمد-علیهم السلام-».

و قال علیه السلام:

«إذا أراد أحدکم ألا یسأل ربه شیئا إلا أعطاه،فلییأس من الناس کلهم و لا یکون له رجاء إلا عند اللّه،فإذا علم اللّه ذلک من قلبه،لم یسأل اللّه شیئا إلا أعطاه (۱)ثم طریق العلاج فی قطع الطمع و کسب الاستغناء قریب مما ذکر فی علاج إزاله الحرص و تحصیل القناعه،فتذکر.

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث هنا-ابتداء من الحدیث المروی عن علی-علیه السلام- علی(الکافی):باب الاستغناء عن الناس.و(الوسائل):کتاب الزکاه،أبواب الصدقه،الباب ۳۷.

و منها:

اشاره

البخل

و هو الإمساک حیث ینبغی البذل،کما أن الإسراف هو البذل حیث ینبغی الإمساک،و کلاهما مذمومان،و المحمود هو الوسط،و هو الجود و السخاء.إذ لم یؤمر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إلا بالسخاء،و قیل له:

وَ لاٰ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَهً إِلیٰ عُنُقِکَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا کُلَّ الْبَسْطِ

(۱)

.و قال تعالی: وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً (۲).

فالجود وسط بین الإقتار و الإسراف،و بین البسط و القبض،و هو تقدیر البذل و الإمساک بقدر الواجب اللائق.و لا یکفی فی تحقق الجود و السخاء أن یفعل ذلک بالجوارح ما لم یکن قلبه طیبا غیر منازع له فیه.

فإن بذل فی محل وجوب البذل و نفسه تنازعه و هو یضایرها فهو متسخ و لیس بسخی،بل ینبغی ألا یکون لقلبه علاقه مع المال إلا من حیث یراد المال له،و هو صرفه إلی ما یجب أو ینبغی صرفه إلیه.

۱- ۱) الإسراء،الآیه:۲۹.

۲- ۲) الفرقان،الآیه:۶۷.

فصل ذم البخل

البخل من ثمرات حب الدنيا و نتائجه،و هو من خبائث الصفات و رذائل الأخلاق.و لذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات و الأخبار.قال اللّه سبحانه:

اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ...

(۱)

.و قال تعالى: وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ .(۲)

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «إياكم و الشح،فإنه أهلك من كان قبلكم،حملهم على أن سفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يدخل الجنه بخيل و لا خب و لا خائن و لا شيء الملكه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «البخيل بعيد من اللّه،بعيد من الناس،بعيد من الجنه،قريب من النار.و جاهل.

سخى أحب إلى اللّه من عابد بخيل،و أدوى الداء البخل» (۳)

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «الموبقات ثلاث:شح مطاع،و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه يبغض

۱- ۱) النساء،الآيه:۳۶.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۱۸۰.

۳- ۳) الأحاديث كلها عاميه،صححناها على(إحياء العلوم)و(إحياء الأحياء).

الشیخ الزانی،و البخیل المنان،و المعیل المختال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إیاکم و الشح،فإنما هلک من کان قبلکم بالشح،أمرهم بالکذب فکذبوا،و أمرهم بالظلم فظلموا،و أمرهم بالقطیعه فقطعوا» (۱)

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «البخل شجره تنبت فی النار،فلا یلج النار إلا بخیل».

و قال: «خلق البخل من مقته،و جعل رأسه راسخا فی أصل شجره الزقوم،و دلی بعض أغصانها إلی الدنیا،فمن تعلق بغصن منها أدخله النار.ألا إن البخل من الکفر،و الکفر فی النار».

و قتل فی الجهاد رجل من أصحاب رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فبکته باکیه و قالت:وا شهیداه!فقال النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«ما یدریک أنه شهید؟فلعله کان یتکلم بما لا یعنیه،أو یبخل بما لا ینقصه».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه یبغض البخیل فی حیاته،و السخی عند موته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «السخی الجهول أحب إلی اللّه عز و جل من العابد البخیل».

و قال: «الشح و الإیمان لا یجتمعان فی قلب واحد».

و قال أیضا: «خصلتان لا تجتمعان فی مؤمن:البخل و سوء الخلق».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «لا ینبغی للمؤمن أن یکون بخیلا و لا جبانا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یقول قائلکم:الشحیح أعذر من الظالم.و أی ظلم أظلم عند اللّه من الشح؟حلف اللّه بعزته و عظمته و جلاله لا یدخل الجنه شحیح و لا بخیل».

و قال: «اللهم إنی أعوذ بک من البخل!».

و روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله-کان یطوف بالبیت،فإذا رجل متعلق بأستار الکعبه و هو یقول:بحرمه هذا البیت إلا غفرت لی ذنبی!فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

۱- ۱) صححنا الحدیث(علی البحار):ج ۳ من المجلد الخامس عشر ص ۱۴۳ و کذا الحدیث المتقدم.

و ما ذنبک؟صفه لی.قال:هو أعظم من أن أصفه لک.قال ویحک! ذنبک أعظم أم الأرضون؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال صلی اللّه علیه و آله ویحک!ذنبک أعظم أم الجبال؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال -صلی اللّه علیه و آله-:فذنبک أعظم أم البحار؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه قال-صلی اللّه علیه و آله-:فذنبک أعظم أم السماوات؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال:ذنبک أعظم أم اللّه؟قال:بل اللّه أعظم و أعلی و أجل.قال:ویحک اتصف لی ذنبک.قال:یا رسول اللّه،إنی رجل ذو ثروه من المال،و أن السائل لیأتینی لیسألنی فکأنما یستقبلنی بشعله من النار.فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:إلیک عنی!لا تحرقنی بنارک!فو الذی بعثنی بالهدایه و الکرامه،لو قمت بین الرکن و المقام، ثم صلیت ألفی ألف عام،و بکیت حتی تجری من دموعک الأنهار و تسقی بها الأشجار،ثم مت و أنت لئیم،لأکبک اللّه فی النار!ویحک!أ ما علمت أن اللّه یقول:

وَ مَنْ یَبْخَلْ فَإِنَّما یَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ

(۱)

.

وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ؟! (۲).

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «سیأتی علی الناس زمان عضوض،یعض المؤمن علی ما فی یدیه،و لم یؤمر بذلک.قال اللّه تعالی:

۱- ۱) محمد،الآیه:۳۸.

۲- ۲) الحشر،الآیه:۹.التغابن،الآیه:۱۶.

وَ لاٰ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

(۱)

.

و روى: «أنه ما من صباح إلا و قد وكل اللّه تعالى ملكين يناديان:

اللهم اجعل لكل ممسك تلفا،و لكل منفق خلفا!». و الأخبار فى ذم البخل أكثر من أن تحصى،مع أن تضمنه للمفاسد الدنيويه و الأخرويه مما يحكم به الوجدان و لا يحتاج إلى دليل و برهان،حتى أن النظر إلى البخيل يقسى القلب،و من كان له صفاء سريره،يكرب قلبه و يظلم من ملاقاته و قد قيل:«أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه).

وصل السخاء

ضد البخل(السخاء).و قد عرفت معناه،و هو من ثمره الزهد كما أن البخل من ثمره حب الدنيا.فينبغى لكل سالك لطريق الآخره أن يكون حاله القناعه إن لم يكن له مال،و السخاء و اصطناع المعروف إن كان له مال.و لا ريب فى كون الجود و السخاء من شرائف الصفات و معالى الأخلاق،و هو أصل من أصول النجاه،و أشهر أوصاف النبيين و أعرف أخلاق المرسلين.و ما ورد فى مدحه خارج عن حد الإحصاء،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «السخاء شجره من شجر الجنه أغصانها متدليه إلى الأرض،فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن السخاء من الإيمان فى الجنه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «السخاء شجره تنبت فى الجنه،فلا

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۳۷.

يلج الجنه إلا سخى».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «قال اللّه سبحانه إن هذا دين ارتضيته لنفسى،و لن يصلحه إلا السخاء و حسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ما جعل اللّه أولياءه إلا على السخاء و حسن الخلق».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن من موجبات المغفره:بذل الطعام.و إفشاء السلام،و حسن الكلام».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن السخى قريب من اللّه،قريب من الناس،قريب من الجنه،بعيد من النار».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«تجافوا عن ذنب السخى،فإن اللّه آخذ بيده كلما عثر»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «طعام الجواد دواء،و طعام البخيل داء»

(۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أفضل الأعمال:الصبر و السماحه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «خلقان يحبهما اللّه،و هما:حسن الخلق،و السخاء»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه جواد يحب الجود،و يحب معالى الأخلاق،و يكره سفاسفها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروه البعير،و إن اللّه تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكه-عليهم السلام-:».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «إن للّه عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد،فمن بخل بتلك المنافع عن العباد،نقلها اللّه عنه و حولها إلى غيره».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«الجنه دار الأسخياء».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «لشاب سخى مرهق فى الذنوب،أحب إلى اللّه من شيخ عابد بخيل (۲)

و قال صلى اللّه عليه و آله: «اصنع المعروف إلى من هو أهله و إلى من ليس بأهله،فإن

1- 1) (البحار):2 مج 15-221،باب السخاء و السماحه.

2- 2) صححنا الحديث على(البحار)فى الموضع المتقدم:(الشحيح)بدل (البخيل).

أصبت أهله فقد أصبت أهله،و إن لم تصب أهله فأنت من أهله».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنه بصلاه و لا صيام،و لكن دخلوها بسخاء الأنفس،و سلامه الصدور،و النصح للمسلمين».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن اللّه عز و جل جعل للمعروف وجوها من خلقه،حبب إليهم المعروف و حبب إليهم فعاله،و وجه طلاب المعروف إليهم و يسر عليهم إعطاءه،كما ييسر الغيث إلى البلده الجدبه فيحييها و يحيى بها أهلها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «السخى محبب فى السماوات و محبب فى الأرضين،خلق من طينه عذبه،و خلق ماء عينيه من ماء الكوثر،و البخيل مبغض فى السماوات مبغض فى الأرضين، خلق من طينه سبخه،و خلق ماء عينيه من ماء العوسج».-

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «إن أفضل الناس إيمانا أبسطهم كفا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «يؤتى يوم القيامه برجل،فيقال:احتج فيقول:يا رب،خلقتنى و هديتنى،و أوسعت على فلم أزل أوسع على خلقك،و أنشر عليهم لكى تنشر على هذا اليوم رحمتك و تيسره.فيقول الرب-تعالى ذكره-:صدق عبدى،أدخلوه الجنه».

و روى: «أنه أتى النبى-صلى اللّه عليه و آله-وفد من اليمن،و فيهم رجل كان أعظمهم كلاما و أشدهم استقصاء فى محاجه النبى صلى اللّه عليه و آله فغضب النبى حتى التوى عرق الغضب بين عينيه،و تربد وجهه و أطرق إلى الأرض فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال:ربك يقول لك:هذا رجل سخى يطعم الطعام.فسكن عن النبى-صلى اللّه عليه و آله-الغضب،و رفع رأسه و قال:لو لا أن جبرئيل أخبرنى عن اللّه عز و جل أنك سخى تطعم الطعام لشردت بك،و جعلتك حديثا لمن خلفك!فقال له الرجل:إن ربك يحب السخاء؟فقال:نعم!فقال:إنى أشهد ألا إله إلاّ اللّه،و أنك

رسول اللّه،و الذی بعثک بالحق،لا رددت عن مالی أحدا!» (۱)،

و قال صلی اللّه علیه و آله: «کل معروف صدقه،و کل ما أنفق الرجل علی نفسه و أهله کتب له صدقه،و ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه و ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه،و ما أنفق الرجل من نفقه فعلی اللّه خلفها».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل معروف صدقه، و الدال علی الخیر کفاعله،و اللّه تعالی یحب إغاثه اللهفان».

و روی:

«أنه أوحی اللّه إلی موسی-علیه السلام-:لا تقتل السامری،فإنه سخی» (۲)

و قال عیسی علیه السلام: «استکثروا من شیء لا تأکله النار قیل:و ما هو؟قال:«المعروف».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام «و من یبسط یده بالمعروف إذا وجده،یخلف اللّه له ما أنفق فی دنیاه، و یضاعف له فی آخرته» (۳).

و قال الباقر-علیه السلام-: «إن الشمس لتطلع و معها أربعه أملاک:ملک ینادی:یا صاحب الخیر أتم و أبشر و ملک ینادی یا صاحب الشر انزع و اقصر،و ملک ینادی:أعط منفقا خلفا و آت ممسکا تلفا،و ملک ینضح الأرض بالماء،و لو لا ذلک اشتعلت الأرض».

و قال الصادق علیه السلام لبعض جلسائه: «أ لا أخبرک بشیء تقرب به من اللّه و تقرب من الجنه و تباعد من النار؟»،فقال:بلی.فقال:«علیک بالسخاء».

و قال: «خیارکم سمحاؤکم،و شرارکم بخلاؤکم.و من خالص الإیمان:البر بالإخوان و السعی فی حوائجهم،و أن البار بالإخوان

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(سفینه البحار):۱-۶۰۷،و علی(الوافی): ۵-۲۹۳،فی باب الجود و البخل.لکن بینهما اختلاف یسیر،فرجحنا تصحیح الحدیث علی ما فی(السفینه).

۲- ۲) الروایات کلها عامیه،صححناها علی احیاء العلوم:۳-۲۱۰.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(الوافی):۵-۲۹۴،باب الجود و البخل.

ليحبه الرحمن،و فى ذلك مرغمه للشيطان،و تزحزح عن النيران و دخول الجنان».

و قال الكاظم عليه السلام: «السخى الحسن الخلق فى كنف اللّه،لا يستخلى اللّه منه حتى يدخله الجنه.و ما بعث اللّه نبيا و لا وصيا إلا سخيا،و لا كان أحد من الصالحين إلا سخيا،و ما زال أبى يوصينى بالسخاء حتى مضى».

فصل معرفه ما يجب أن يبذل

لعلك تقول:إنك قلت:السخاء هو الوسط بين الاقتار و الإسراف و هو صرف المال إلى ما يجب أو ينبغى صرفه إليه،و هذا غير كاف لمعرفه حد السخاء،لتوقفه على معرفه ما يجب أو ينبغى،و هو عندنا مبهم.

قلنا:ما يجب أو ينبغى يتناول الواجب و اللائق بحسب الشرع و المروه و العاده.فالسخى هو الذى يؤدى واجب الشرع و واجب المروه و العاده جميعا،فإن منع واحدا منها فهو بخيل،و إن كان الذى يمنع واجب الشرع أبخل. ثم ما يجب بذله شرعا مضبوط معين،من الزكاه و الخمس و غيرهما من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه،و الإنفاق على أهله و عياله على قدر احتياجهم.فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعى و يستحق اسم السخى شرعا،إذا كان الأداء بطيبه من قلبه،من دون أن يشق عليه،إذ لو شق عليه ذلك كان بخيلا بالطبع و متسخيا بالتكلف و أما ما يجب مروه و عاده،فهو ترك المضايقه فى بذل ما يستقبح المضايقه فيه عرفا و عاده،و هو يختلف فى الأحوال و الأشخاص،فتستقبح من الغنى المضايقه ما لا يستقبح من الفقير،و مع الأهل و الأقارب ما لا يستقبح

مع الأجانب،و مع الجار ما لا يستقبح من البعيد،و فى الضيافه ما لا يستقبح أقل منه فى المبايعه و المعامله،و يستقبح من المضايقه فى الأطعمه ما لا يستقبح فى غيرها . و بالجمله:يختلف ذلك بما فيه المضايقه من ضيافه أو معامله و بما فيه المضايقه من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلك.و بمن معه المضايقه من صديق أو قريب أو جار أو أجنبى أو بعيد،و بمن منه المضايقه من غنى أو فقير أو أمير أو رعيه أو عالم أو جاهل أو صبى أو كامل.

فالسخى هو الذى لا يمنع حيث ينبغى ألا يمنع شرعا أو مروه أو عاده، و البخيل من يمنع شيئا مما ينبغى ألا يمنع شرعا أو مروه أو عاده.و لا يمكن التنصيص على مقدار ذلك،فلعل حد البخل هو إمساك المال لغرض و ذلك الغرض أهم من حفظ المال،و فى مقابله الجود و السخاء.

ثم من يؤدى الواجب و يحفظ العاده و المروه،و لكن له مال كثير قد جمعه،لا يصرفه إلى المحتاجين و لا ينفقه فى الصدقات المستحبه ليكون له عده على نوائب الزمان،و إن لم يكن بخيلا-عند عوام الخلق،و لكنه بخيل عند أهل الفطانه و الكياسه،إذ التبرى عن البخل و الاتصاف بصفه الجود و السخاء لا يتحقق عندهم ما لم يبذل زياده على قدر واجب الشرع و واجب المروه و العاده اللائقه به،لطلب الفضيله و الثواب،و نيل الدرجات فى الآخره.و تختلف هذه الزياده باختلاف مقدار ماله،و باختلاف حاجه المحتاجين و صلاحهم و ورعهم.فاتصافه بالجود،بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير،و تختلف درجات ذلك.فاصطناع المعروف أمر وراء ما توجبه العاده و المروه،و هو الجود بشرط أن يكون عن طيبه من النفس و لا يكون لأجل غرض،من خدمه أو مدح و ثناء.إذ من يبذل المال بعوض المدح و الثناء أو غيره فليس بجواد،بل هو بياع يشترى المدح بماله،لكون المدح ألذ عنده من المال.

فالجود هو بذل الشیء عن طیبه من القلب من غیر غرض،و هذا و إن کان حقیقته،إلا أنه لا یتصور فی غیر حق اللّه،إذ ما من إنسان یبذل الشیء إلا لغرض،لکن إذا لم یکن غرضه إلا الثواب فی الآخره و رفع الدرجات،و اکتساب فضیله الجود،و تطهیر النفس عن رذیله البخل،سمی جوادا،و إن کان غرضه شیئا من الأمور الدنیویه لم یسم جوادا.

تنبیه الإیثار

أرفع درجات الجود و السخاء(الإیثار)،و هو أن یجود بالمال مع الحاجه إلیه.قال اللّه سبحانه فی معرض الثناء علی أهل الإیثار:

وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: أیما امرؤ اشتهی شهوه، فرد شهوته و آثر علی نفسه،غفر له».

و کان الإیثار من شعار رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-،

و لقد قالت بعض زوجاته: «إنه-صلی اللّه علیه و آله-ما شبع ثلاثه أیام متوالیه حتی فارق الدنیا،و لو شئنا لشبعنا،و لکنا نؤثر علی أنفسنا»

و روی: «أن موسی بن عمران قال:یا رب،أرنی بعض درجات محمد و أمته.قال:یا موسی،إنک لن تطیق ذلک،لکنی أریک منزله من منازله،جلیله عظیمه،فضلته بها علیک و علی جمیع خلقی.قال (۲):

۱- ۱) الحشر،الآیه:۹.

۲- ۲) أی الراوی.

فکشف له عن ملکوت السماوات،فنظر إلی منزله کادت أن تتلف نفسه من أنوارها و قربها من اللّه،فقال:یا رب،بما ذا بلغ إلی هذه الکرامه؟قال تعالی:بخلق اختصصته به من بینهم،و هو الإیثار یا موسی لا یأتینی أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحییت من محاسبته، و بوأته من جنتی حیث یشاء»

و سئل الصادق-علیه السلام-:«أی الصدقه أفضل؟قال علیه السلام:جهد المقل.أ ما سمعت قول اللّه عز و جل: وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ؟ و إیثار علی -علیه السلام-غیره فی جمیع أوقات عمره مشهور،و فی الکتب مسطور و لقد آثر حیاه رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-علی حیاته لیله المبیت فباهی اللّه به الملائکه،و أنزل فیه:

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ

(۱)

.

و لقد کان الخواص من شیعته و المقتدون به فی سنته و سیرته، یجتهدون فی المحافظه علی هذه الفضیله مهما أمکن.

فصل علاج مرض البخل

علاج مرض البخل یتم بعلم و عمل.و العلم یرجع إلی معرفه آفه البخل و فائده الجود،و العمل یرجع إلی البذل علی سبیل التکلف إلی أن یصیر طبعا له.فکل طالب لإزاله البخل و کسب الجود ینبغی أن یکثر التأمل فی أخبار ذم البخل و مدح السخاء،و ما توعد اللّه به علی البخل من العذاب

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۰۷.

العظيم،و يكثر التأمل فى أحوال البخلاء و فى نفره الطبع عنهم،حتى يعرف بنور المعرفه أن البذل خير له من الإمساك فى الدنيا و الآخره.ثم يكلف نفسه على البذل و مفارقه المال،و لا يزال يفعل ذلك إلى أن يهيج رغبته فى البذل،و كلما تحركت الرغبه ينبغى أن يجتنب الخاطر الأول و لا يتوقف لأن الشيطان يعده الفقر و يخوفه و يوسوسه بأنواع الوساوس الصاده عن البذل.

و لو كان مرض البخل مزمنا غير مندفع بما مر،فمن معالجاته أن يخدع نفسه بحسن الاسم و الاشتهار بالجود،فيبذل على قصد الرياء،حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى الاشتهار بصفه الجود،فيكون قد زال عن نفسه رذيله البخل و اكتسب خبث الرياء،و لكن يتعطف بعد ذلك على الرياء و يزيله بعلاجه،و يكون طلب الشهره و الاسم كالتسليه للنفس عند فطامها عن المال،كما يسلى الصبى عند فطامه عن الثدى باللعب بالعصافير و غيرها لا لكون اللعب مطلوبا بذاته،بل لينتقل من الثدى إليه ثم ينتقل عنه إلى غيره.فكذلك هذه الصفات الخبيثه ينبغى أن يسلط بعضها على بعض حتى يندفع الجميع،فتسلط الشهوه على الغضب حتى تكسر سورته بها،و يسلط الغضب على الشهوه حتى تكسر رعونتها به.و قد جرت سنه اللّه بدفع المؤذيات و المهلكات بعضها ببعض،إلى أن يندفع الجميع،سواء كانت من الصفات المؤذيه أو من الأشخاص المؤذيه من الظلمه و الأشرار،أ لا ترى أنه يسلط الظالمين و الأشرار بعضهم على بعض إلى أن يهلك الجميع؟ و مثال ذلك-كما قيل-:إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا، ثم يأكل بعض الديدان بعضا،إلى أن يرجع إلى اثنين قويين،ثم لا يزالان يتقابلان و يتعارضان،إلى أن يغلب أحدهما الآخر فيأكله و يسمن به،ثم لا يزال يبقى وحده جائعا إلى أن يموت.فكذلك هذه الصفات الخبيثه

يمكن أن يسلط بعض على بعضها حتى يقمعها،فيجعل الأضعف قوتا للأقوى،إلى أن لا تبقى إلا واحده.ثم تقع العنايه بمحوها و إذابتها بالمجاهده،و هو منع القوت منها،أى عدم العمل بمقتضاها،فإنها تقتضى لا محاله آثارا،فإذا خولفت خمدت و ماتت.مثلا البخل يقتضى إمساك المال،فإذا منع مقتضاه و بذل المال مع الجهد و المشقه مره بعد أخرى، ماتت صفه البخل و صارت صفه البذل طبعا،و سقط التعب و المشقه فيه.

ثم العمده فى علاجه أن يقطع سببه،و سببه حب المال،و سبب حب المال إما حب الشهوات التى يتوقف الوصول إليها على المال مع طول الأمل،إذ لو لم يكن له طول أمل و علم أنه يموت بعد أيام قلائل ربما لم يبخل بماله،أو ادخاره و إبقاؤه لأولاده،فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه،فيمسك المال لأجلهم،أو حبه عين المال من حيث إنه مال فيحب فإن بعض الناس من المشايخ و المعمرين يكون له من المال ما يكفيه لغايه ما يتصور من بقيه عمره،و تزيد معه أموال كثيره،و لا ولد له ليحتاط لأجله،مع ذلك لا نسمح نفسه بإخراج مثل الزكاه و مداواه نفسه عند المرض،بل هو محب للدنانير،عاشق لها،يتلذذ بوجودها فى يده،مع علمه بأنه عن قريب يموت،فتضيع أو تأخذها أعداؤه،و مع ذلك لا تسمح نفسه بأن يأكل منها أو يتصدق ببعضها.و هذا مرض عسر العلاج، لا سيما فى كبر السن،إذ حينئذ يكون المرض مزمنا و الطبيعه المدافعه له قاصره و البدن ضعيفا.و مثله مثل من عشق شخصا فأحب رسوله،ثم نسى محبوبه و اشتغل برسوله.فإن الدنانير رسول مبلغ إلى الحاجات، و هى محبوبه من هذه الحيثيه،لا من حيث أنها دنانير،فمن نسى الحاجات و صارت الدنانير محبوبه عنده فى نفسها،فهو فى غايه الضلاله و الخسران بل من رأى بين الفاضل منها عن قدر الحاجه و بين الحجر فرقا،فهو

فى غايه الجهل.

ثم لما كان الطريق فى قطع سبب كل عله أن يواظب على ضد هذا السبب،فيعالج حب الشهوات بالقناعه باليسير و بالصبر،و يعالج طول الأمل بكثره ذكر الموت و النظر فى موت الأقران و طول تعبهم فى جمع المال و ضياعه بعدهم،و يعالج التفات القلب إلى الأولاد بأن الذى خلقهم خلق أرزاقهم،و كم من ولد لم يرث مالا من أبيه و حاله أحسن ممن ورث،و بأن يعلم أن ولده إن كان تقيا صالحا فيكفيه اللّه،و إن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصيه و ترجع مظلمته عليه،و يعالج حب المال من حيث إنه مال،بأن يتفكر فى مقاصد المال و إنه لما ذا خلق،فلا يحفظ منه إلا بقدر حاجته،و يبذل الباقى على المستحقين ليبقى له ثوابه فى الآخره.

تذنيب

اعلم أن بذل الأموال و إنفاقها المترتب على صفه الجود و السخاء يتناول أمورا:بعضها واجب،و بعضها مندوب.و قد ورد فى فضيله كل منها بخصوصه أخبار،فلا بد لنا أن نشير إلى ذلك تأكيدا لبيان فضل السخاء،و إلى بعض ما لها من الآداب و الدقائق الباطنه،و نحيل ما لها من الأحكام و الشروط الظاهره إلى كتب الفقه،فنقول:

أما الأمور الواجبه،

ص :۱۲۶

فأولها: الزكاه

و الآيات و الأخبار الوارده فی ذم تارکها و مدح فاعلها کثیره.

قال اللّه سبحانه:

فَأَقِیمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّکٰاهَ

(۱)

.و قال تعالی:

وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاٰ یُنْفِقُونَهٰا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ

(۲)

.

و معنی الإنفاق فی سبیل اللّه إخراج الزکاه،کما ورد عن أهل البیت -علیهم السلام-،و أجمع علیه المفسرون.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «إذا منعت الزکاه منعت الأرض برکاتها».

و قال الباقر -علیه السلام-: «إن اللّه عزّ و جل قرن الزکاه بالصلاه،قال:

فَأَقِیمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّکٰاهَ

(۳)

.

فمن أقام الصلاه و لم یؤت الزکاه،فلم یقم الصلاه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «ما من ذی مال ذهب أو فضه یمنع زکاه ماله،إلا حبسه اللّه یوم القیامه بقاع قرقر،و سلط علیه شجاعا أقرع یریده و هو یحید عنه،فإذا رأی أنه لا یتخلص منه،أمکنه من یده،فقضمها کما یقضم الفحل،ثم یصیر طوقا فی عنقه،و ذلک قول اللّه تعالی:

۱- ۱) و

۲- ۳) الحج،الآیه:۷۸.المجادله،الآیه:۱۳.

۳- ۲) التوبه،الآیه:۳۵.

سَيُطَوَّقُونَ مٰا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ

(۱)

.

و ما من ذی مال إبل أو غنم أو بقر یمنع زکاه ماله،إلا حبسه اللّه یوم القیامه بقاع قرقر،تطأه کل ذات ظلف بظلفها،و تنهشه کل ذات ناب بنابها،و ما من ذی مال نخل أو کرم أو زرع یمنع زکاتها، إلا طوقه اللّه تعالی ریعه أرضه إلی سبع أرضین إلی یوم القیامه» (۲).

و قال علیه السلام: «ما فرض اللّه علی هذه الأمه شیئا أشد علیهم من الزکاه،و فیها تهلک عامتهم».

و قال: «من منع قیراطا من الزکاه، فلیس بمؤمن و لا مسلم،و هو قوله تعالی:

قٰالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّی أَعْمَلُ صٰالِحاً فِیمٰا تَرَکْتُ

(۳)

و قال علیه السلام: «إنما وضعت الزکاه اختبارا للأغنیاء،و معونه للفقراء.و لو أن الناس أدوا زکاه أموالهم،ما بقی مسلم فقیرا محتاجا، و لاستغنی بما فرض اللّه له.و إن الناس ما افتقروا و لا احتاجوا و لا جاعوا و لا عروا إلا بذنوب الأغنیاء،و حقیق علی اللّه أن یمنع رحمته ممن منع حق اللّه فی ماله.و أقسم بالذی خلق الخلق و بسط الرزق:أنه ما ضاع

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۸۰.

۲ - ۲) قال فی(الوافی):۶-۲۴۱،باب الزکاه:«بیان(القاع):الأرض السهله المطمئنه.و(القرقر):الأرض المستویه اللینه.و(الشجاع)- بالضم و الکسر-:الحیه،أو الذکر منها،أو ضرب منها.و(الفحل)-بالمهمله-: الذکر من کل حیوان،و من الإبل خاصه،و هو المراد هنا.(الریع)-بکسر الراء و فتحها-المرتفع من الأرض».

۳- ۳) المؤمنون،الآیه:۹۹-۱۰۰.

مال فی بر و لا بحر إلا بترک الزکاه،و ما صید صید فی بر و لا بحر إلا بترکه التسبیح فی ذلک الیوم،و إن أحب الناس إلی اللّه تعالی أسخاهم کفا و أسخی الناس من أدی زکاه ماله،و لم یبخل علی المؤمنین بما افترض اللّه لهم فی ماله».

و قال علیه السلام «إن الزکاه لیس یحمد بها صاحبها و إنما هو شیء ظاهر حقن بها دمه و سمی بها مسلما،و لو لم یؤدها لم تقبل له صلاه» (۱). و الأخبار فی فضل الزکاه و ذم تارکها أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لإیقاظ الطالبین.

فصل سر وجوب الزکاه،و فضیله سائر الإنفاقات

السر فی إیجاب الزکاه،بل فضیله مطلق إنفاق المال،ثلاثه أمور:

الأول-أن التوحید العام ألا یبقی للموحد محبوب سوی الواحد الفرد،

إذ المحبه لا تقبل الشرکه،و التوحید باللسان قلیل الجدوی،و إنما تمتحن درجه الحب بمفارقه سائر المحاب،و الأموال محبوبه عند الناس،لأنها آله تمتعهم بالدنیا،و لأجلها یأنسون بهذا العالم،و یخافون من الموت و یتوحشون منه،مع أن فیه لقاء المحبوب،فامتحنوا فی صدق دعواهم الحب التام للّه تعالی بمفارقتهم عن بعض محابهم،أعنی المال،و لذلک قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اللّٰهَ اشْتَریٰ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ

ص: ۱۲۹

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(الوافی):۶-۲۴۱-۲۴۲،باب الزکاه

لَهُمُ الْجَنَّهَ

(۱)

.

و لفهم هـذا السـر فی بـذل الأموال،انقسم الناس بحسب درجاتهم فی التوحیـد و المحبه ثلاثه أقسام:(قسم)صدقوا التوحید و وفوا بعهـده، و لم یجعلوا قلوبهم إلا محلا لحب واحـد.فنزلوا عن جمیع أموالهم،و لم یـدخروا شیئا من الدرهم و الدینار و غیرهما من أنواع المـال،و لم یتعرضوا لوجوب الزکـاه علیهم،حتی قیـل لبعضـهم:کم یجب من الزکـاه فی مائتی درهم؟فقال:أما علی العوام-بحکم الشرع-فخمسه دراهم،و أما نحن،فیجب علینا بذل الجمیع.

و سـئل الصـادق-علیه السـلام-«فی کم تجب الزکـاه من المـال؟فقـال:أمـا الزکـاه الظاهره،ففی کل ألف خمسه و عشـرون،و أما الباطنه،فلا تسـتأثر علی أخیک بما هو أحوج إلیه منک». و(قسم)درجتهم دون هذا،و هم الذین أمسـکوا أموالهم، و لکنهم راقبوا مواقیت الحاجـات و مراسم الخیرات،و یکون قصـدهم من الإمسـاک الإنفاق علی قـدر الحاجه،دون التنعم،و صـرف الفاضل عن قدر الحاجه إلی وجوه البر.و هؤلاء لا یقتصرون علی إعطاء مجرد ما یجب علیهم من الزکاه و الخمس،بل یؤدون جمیع أنواع البر و المعروف أو أکثرهـا و(قسـم)اقتصـروا علی أداء الـواجب،فلاـ یزیـدون علیـه و لاـ ینقصـون منـه.و هـو أدون الـدرجات و أقل المراتب،و هو درجه العوام الراغبین إلی المال،لجهلهم بحقیقته و فائدته،و ضعف حبهم للآخره.

الثانی-تطهیر النفس عن رذیله البخل،

فإنه من المهلکات-کما تقـدم-،و إنما تزول هذه الرذیله ببذل المال مره بعد أخری حتی یتعود إذ حب الشـیء لا ینقطع إلا بقهر النفس علی مفارقته،حتی یصیر ذلک

۱- ۱) التوبه.الآیه:۱۱۱.

اعتيادا.و على هذا،فالإنفاق يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك،و إنما طهارته بقدر بذله،و بقدر فرحه بإخراجه و استبشاره بصرفه إلى اللّه تعالى

الثالث-شكر النعمه،

فإن للّه سبحانه على عبده نعمه فى نفسه و نعمه فى ماله.فالعبادات البدنيه شكر لنعمه البدن،و الماليه شكر لنعمه المال.و ما أقبح بالغنى المسلم أن ينظر إلى فقير مسلم،و قد ضيق الرزق عليه و أحوج إليه،ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر اللّه تعالى على إغنائه عن السؤال،و إحواج غيره إليه،بإعطاء عشر أو ربع عشر من ماله.

فصل الحث على التعجيل فى الإعطاء

ينبغى للمعطى المنفق،عند ظهور داعيه الخير من باطنه،أن يغتنم الفرصه،و يسارع إلى الامتثال،تعجيلا لإدخال السرور فى قلوب الفقراء و حذرا عن عوائق الزمان المانعه عن الخيرات،و علما بأن فى التأخير آفات و تنبها بأن انبعاث داعيه الخير لمه الملك،و قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن،فما أسرع تقلبه،و الشيطان يعد الفقر و يأمر بالفحشاء و المنكر،و له لمه عقيب لمه الملك،و صونا للفقراء عن الاضطرار إلى السؤال،إذ

ورد: أن الإعطاء معه مكافاه لوجهه المبذول و ثمن لما أخذ منه،و ليس بمعروف.

و روى: «أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسه أوساق من تمر البغيبغه،و كان الرجل ممن ترجى نوافله، و يؤمل نائله و رفده،و كان لا يسأل عليا و لا غيره شيئا،فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام و اللّه ما سألك فلان شيئا!و لقد كان يجزيه من الخمسه أوساق وسق واحد.فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:لا كثر

اللّه فی المؤمنین ضربک!أعطی أنا،و تبخل أنت!اللّه أنت!إذا أنا لم أعط الذی یرجونی إلا من بعد المسأله،ثم أعطیه بعد المسأله،فلم أعطه إلا ثمن ما أخذت منه،و ذلک لأنی عرضته أن یبذل لی وجهه الذی یعفره فی التراب لربی و ربه عز و جل عند تعبده له و طلب حوائجه إلیه.فمن فعل هذا بأخیه المسلم،و قد عرف أنه موضع لصلته و معروفه،فلم یصدق اللّه فی دعائه،حیث یتمنی له الجنه بلسانه،و یبخل علیه بالحطام من ماله»

(۱)

.ثم ینبغی أن یعین لأداء صدقته وقتا فاضلا،کیوم الغدیر و شهر ذی الحجه،(لا)سیما العشره الأولی،أو شهر رمضان،(لا) سیما العشره الأخیره،

و قد ورد أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- کان أجود الخلق،و کان فی رمضان کالریح المرسله،لا یمسک فیه شیئا.

فصل فضیله إعلان الصدقه الواجبه

الصدقه الواجبه،أعنی الزکاه،إعلانها أفضل من إسرارها-إن کان فی إظهارها ترغیب للناس فی الاقتداء،و أمن من تطرق الریاء،و لم یکن الفقیر بحیث یستحیی من أخذها علانیه.

قال الصادق علیه السلام: «کلما فرض اللّه علیک فإعلانه أفضل من إسراره،و کلما کان تطوعا فإسراره أفضل من إعلانه،و لو أن رجلا حمل زکاه ماله علی عاتقه علانیه کان ذلک حسنا جمیلا.و قال فی قوله تعالی:

وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ

(۲)

:

ص: ۱۳۲

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۶،باب آداب الإعطاء.قال (البغیبغه)ضیعه بالمدینه،و(النوافل):العطایا،و(للّه أنت!):أی کن للّه و أنصفنی فی القول.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۷۱.

هی ما سوی الزکاه علانیه غیر سرّ». فلو دخل فی نفسه الریاء مع الإظهار،أو کان الفقیر یستحیی من أخذها علانیه،کان الأسرار بها أفضل:أما الأول:فظاهر،و أما الثانی:

فلما روی: «أنه قیل لأبی جعفر الباقر علیه السلام:الرجل من أصحابنا یستحی من أن یأخذ من الزکاه،فأعطیه من الزکاه و لا أسمی له أنها من الزکاه.فقال:

أعطه و لا تسم له،و لا تذل المؤمن».

و بالجمله:الإعلان کما یتصور فیه فائده الترغیب،یتطرق إلیه محذور الریاء و المن و الأذی،و ذلک یختلف بالأحوال و الأشخاص.فبالنظر إلی بعض الأحوال و الأشخاص،یکون الإعلان أفضل،و بالنظر إلی بعض آخر،یکون الأسرار أفضل.فلا بد لکل منفق أن یلاحظ حاله و وقته و یقابل الفائده بالمحذور،و یختار ما هو الأفضل.و من عرف الفوائد و الغوائل و لم ینظر بعین الشهوه،اتضح له ما هو الأولی و الألیق،

فصل ذم المن و الأذی فی الصدقه

ینبغی للمتصدق أن یجتنب عن المن و الأذی.قال اللّه سبحانه:

لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذیٰ

(۱)

.و قال: قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَهٌ خَیْرٌ مِنْ صَدَقَهٍ یَتْبَعُهٰا أَذیً (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تبارک و تعالی کره لی ست خصال،و کرهتهن للأوصیاء من ولدی و أتباعهم من بعدی:

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۴.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۶۳.

العبث فی الصلاه،و الرفث فی الصوم،و المن بعد الصدقه،و إتیان المساجد جنبا،و التطلع فی الوفد،و الضحک بین القبور».

و(المن):أن یری نفسه محسنا.و من ثمراتها الظاهره:الإظهار بالإنفاق،و التحدث به،و طلب المکافاه منه،بالشکر و الخدمه و التعظیم و المتابعه فی الأمور.و(الأذی):التعبیر،و التوبیخ،و الاستخفاف و الاستخدام،و القول السیء،و تقطیب الوجه،و هتک الستر.ثم معرفه الأذی ظاهره،و کذا معرفه الثمرات الظاهره للمن.و أما المن الباطنی، أی رؤیه نفسه محسنا،فیعرف بأن یکون استبعاده من خیانه القابض بعد العطاء أکثر من استبعاده منه قبله.

و علاج المن:أن یعرف أن المحسن هو الفقیر القابض لإیصاله الثواب و الإنجاء من العذاب،و کونه نائبا عن اللّه تعالی،و کون ما یعطیه حقا من اللّه سبحانه،أحال علیه الفقیر انجازا لما وعده من الرزق. و علاج الأذی:أن یعرف أن سببه استکثار العطاء و کراهیه إنفاق المال و التکبر علی الفقیر القابض برؤیه نفسه خیرا منه،لغنائه و احتیاجه،و جمیع ذلک جهل و حماقه.أما استکثاره العطاء،فلأن ما أعطاه بالنظر إلی ما یطلبه لأجله من رضا اللّه و ثواب الآخره فی غایه القله و الخسه،و کیف یستعظم العاقل بذل خسیس فان إذا أخذ فی مقابله خطیرا باقیا.و أما استحقاره الفقیر،فلما تقدم من فضل الفقیر علی الغنی،فکیف یری نفسه خیرا منه؟و کفی للفقیر فضلا:أن اللّه سبحانه جعل الغنی مسخرا له،بأن یکتسب المال بالجهد و التعب،و یسعی فی حفظه،و یسلمه إلی الفقیر بقدر حاجته،و یکف عنه الفاضل الذی یضره لو سلمه إلیه.فالغنی یخدم الفقیر فی طلب المال،مع کون ما یحمد منه للفقیر،و کون ما یذم منه من تحمل المشاق و تقلد المظالم و حراسه الفضلات إلی أن یموت فتأکله

الأعداء،على الغنى.

و بالجمله:العاقل،بعد التأمل،يعلم أن ما يعطيه قليل فى مقابله ما يأخذه،و أن الفقير محسن إليه.

قال أمير المؤمنين(ع): «و من علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه،لم يستبطئ الناس فى شكرهم،و لم يستزدهم فى مودتهم،فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك و وقيت به عرضك،و أعلم أن الطالب إليك لحاجه لم يكرم وجهه عن وجهك،فأكرم وجهك عن رده»

(۱)

.و ينبغى للمحترز عن المن و الأذى أن يتواضع و يتخضع للفقير عند إعطائه،بأن يضع الصدقه لديه و يمثل قائما بين يديه،أو يبسط كفه ليأخذ الفقير،و تكون يد الفقير هى العليا.

فصل ما ينبغى للمعطى

و مما ينبغى للمعطى أن يستصغر العطيه ليعظم عند اللّه،و إن استعظمها صغرت عند اللّه،

قال الصادق-عليه السلام-: «رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال:تصغيره،و تستيره،و تعجيله.فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه،و إذا سترته تممته،و إذا عجلته هنأته و إن كان غير ذلك محقته و نكدته» (۲). و استعظام العطاء غير المن و الأذى،إذ الصرف إلى عماره المسجد و مثله يتأتى فيه الاستعظاء،و لا يتأتى فيه المن و الأذى، و أن يعطى الأجود و الأحب و الأبعد عن الشبهه

۱- ۱) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۰،كتاب الزكاه باب ۵۷ المعروف و فضله.

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۰،كتاب الزكاه باب ۵۷ المعروف و فضله.

لأن اللّه طيب لا يقبل إلا طيبا،و إخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبه إلى اللّه،إذ إمساك الجيد لنفسه و أهله،و إنفاق الردىء فى سبيل اللّه يوجب إيثار غير اللّه و ترجيحه عليه،و لو فعل هذا لضيف و قدم إليه أردأ طعام فى البيت لانكسر قلبه و وغر به صدره.

هذا إذا كان نظره إلى اللّه بأن يتصدق لوجه اللّه،من غير ملاحظه عوض لنفسه فى دار الآخره،و إن كان نظره إلى نفسه و ثوابه فى الآخره فلا ريب فى أن العاقل لا يؤثر غيره على نفسه،و ليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى،و أكل فأفنى.و لعظم فائده إنفاق الأجود الأحب، و قبح إنفاق الردىء الأخس،قال اللّه تعالى:

أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا كَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لاٰ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّٰ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ

(۱)

:

أی لا تأخذونه إلا مع كراهيه و حياء،و هو معنى الإغماض،و ما هذا شأنه عندكم فلا تؤثروا به ربكم.و قال سبحانه:

لَنْ تَنٰالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ!

(۲)

.و قال:

وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مٰا يَكْرَهُونَ

(۳)

.

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۶۷.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۹۲.

۳- ۳) النحل،الآيه:۶۲.

و فی الخبر: «سبق درهم مائه ألف درهم». و ذلک بأن یخرجه الإنسان و هو من أحل ماله و أجوده،فیصدر ذلک عن الرضا و الفرح بالبذل،و قد یخرج مائه ألف درهم مما یکره من ماله،فیدل علی أنه لیس یؤثر اللّه بشیء مما یحبه.

و مما ینبغی له أن یغنی الفقیر إذا قدر،

ففی الخبر إذا أعطیته فأغنه و أن یقبل یده بعد الإعطاء،لأنه یقع فی ید اللّه تعالی أولا.

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «إذا ناولتم السائل فلیرد الذی ناوله یده إلی فیه فیقبلها،فإن اللّه عز و جل یأخذ الصدقات».

و قال النبی(ص) «ما تقع صدقه المؤمن فی ید السائل حتی تقع فی ید اللّه،ثم تلا هذه الآیه.

أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ هُوَ یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبٰادِهِ وَ یَأْخُذُ الصَّدَقٰاتِ؟

(۱)

.

و قال الصادق-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی یقول:ما من شیء إلا و قد وکلت به من یقبضه غیری،إلا الصدقه،فإنی أتلقفها بیدی تلقفا،حتی أن الرجل لیتصدق بالتمر أو بشق تمره،فأربیها له کما یربی الرجل فلوه و فصیله،فتأتی یوم القیامه و هی مثل أحد و أعظم من أحد» (۲). و أن یلتمس الدعاء من الفقیر،لأن دعاءه یستجاب فیه

کما روی: «أن علی بن الحسین-علیه السلام-کان یقول للخادم:

أمسک قلیلا حتی یدعو،فإن دعوه السائل الفقیر لا ترد».

و أنه(ع)

۱- ۱) التوبه،الآیه:۱۰۵.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۶۲،باب فضل الصدقه.

كان يأمر الخادم إذا أعطى السائل،أن يأمره أن يدعو بالخير.

و عن أحدهما -عليهما السلام-: «إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعاء،فإنه يستجاب لهم فيكم،و لا يستجاب لهم فى أنفسهم». و ما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض،لأنه شبيه المكافاه،و كانوا يقابلون الدعاء بمثله،و لو أرسلوا معروفا إلى فقير،قالوا للرسول أحفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله،خلاف طريقه أئمتنا الراشدين عليهم السلام فلا اعتبار به عندنا.

و مما ينبغى له أيضا أن يصرف الصدقات إلى من يكثر بإعطائه الأجر كأهل الورع و العلم،و أرباب التقوى و الصدق،و الكاملين فى الإيمان و التشيع.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: لا يأكل طعامك إلا تقى»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «اطعموا طعامكم الأتقياء»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أضف بطعامك من تحبه فى اللّه». و لكن يرفعهم من الزكاه الواجبه و الصدقات،لأنها أوساخ الأموال،و يوسع عليهم بالهدايا و الصلاه،

ففى الخبر: «مستحقوا الزكاه المستضعفون من شيعه محمد و آله:الذين لم تقو بصائرهم،و أما من قويت بصيرته و حسنت بالولايه لأوليائهم و البراءه من أعدائهم معرفته،فذاك أخوكم فى الدين، أمس بكم رحما من الآباء و الأمهات المخالفين،فلا تعطوه زكاه و لا صدقه فإن موالينا و شيعتنا منا كالجسد الواحد،تحرم على جماعتنا الزكاه و الصدقه و ليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البر،و ارفعوهم عن الزكاه و الصدقات و نزهوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم.أ يحب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن؟إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم...»الحديث.

و لا ينبغى أن يصرف إلى من نظره إلى الوسائط،بل ينبغى الصرف

إلی من بلغ مقام التوحید،و یری النعمه من اللّه،و لا ینظر إلی الوسائط إذ من لم یصف باطنه عن رؤیه الوسائط إلا من حیث أنهم وسائط، فغیر خال من نوع من الشرک الخفی.

قال الصادق-علیه السلام- فی قول اللّه تعالی:

وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ

(۱)

.

«هو قول الرجل:لو لا فلان لهلکت أو لو لا فلان لما أصبت کذا و لو لا فلان لضاع عیالی!أ لا تری أنه قد جعل اللّه شریکا فی ملکه، یرزقه أو یدفع عنه؟».فقال الراوی یجوز أن یقال:لو لا أن اللّه من علی بفلان لهلکت؟قال«نعم!لا بأس بهذا». و من أهل المزیه و الاختصاص بالبذل إلیه،من کان مستترا ساترا للحاجه،کائنا من أهل المروه،متغشیا فی جلباب التجمل،محصورا فی سبیل اللّه،محبوسا فی طریق الآخره بعیله أو مرض أو ضیق معیشه أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب،و الأولی من الکل الأقارب و أولو الأرحام من أهل الاحتیاج،فإن الإنفاق علیهم صدقه و صله.و فی صله الرحم من الثواب ما لا یخفی،

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «لأن أصل أخا من إخوانی بدرهم،أحب إلی من أتصدق بعشرین درهما،و لأن أصله بعشرین درهما أحب إلی من أن أتصدق بمائه درهم،و لأن أصله بمائه درهم أحب إلی من أعتق رقبه».

و فی خبر آخر: «لا صدقه و ذو رحم محتاج،الصدقه بعشره و القرض بثمانیه عشر،و صله الإخوان بعشرین،و صله الرحم بأربعه و عشرین».

و فی الخبر: «إن أفضل الصدقات و الصلاه الإنفاق علی ذی الرحم الکاشح»: یعنی المبغض،

۱- ۱) یوسف،الآیه:۱۰۶.

و كأنه لمخالفه الهوى و صدوره عن الخلوص و التقوى.

فصل ما ينبغى للفقراء فى أخذ الصدقه

ينبغى للفقير الآخذ أن يعلم أن اللّه تعالى أوجب صرف المال إليه ليكفى مهمته،فيتجرد للعباده و الاستعداد للموت،فينبغى أن يتأهب لذلك و لا يصرفه عنه فضول الدنيا، و يشكر اللّه على ذلك،و يشكر المعطى، فيدعو له و يثنى عليه مع رؤيه النعمه من اللّه سبحانه،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه».

و قال الصادق -عليه السلام-: «لعن اللّه قاطعى سبيل المعروف قيل:و ما قاطعوا سبل المعروف؟قال:الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره» (۱)

و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «من صنع بمثل ما صنع إليه فإنما كافاه،و من ضعفه كان شكورا،و من شكر كان كريما».

و ينبغى له أيضا أن يستر عيوب صاحب العطاء،و لا يذمه و لا يحقره و لا يغيره بالمنع إذا منع،و يفخم عند نفسه و عند الناس إعطاءه،بحيث لا يخرجه عن كونه واسطه،لئلا يكون مشركا، و أن يتوقى مواقع الحرمه و الريبه و الشبهه فى أصله و مقداره،فلا يأخذ ممن لا يحل ماله أو يشتبه، كعمال السلاطين و الجنود و من أكثر كسبه من الحرام، و لا الزياده على قدر الحاجه، و لا يسأل على رءوس الملأ ممن يستحى الرد،و أن يتورع العالم

۱- ۱) صححنا الحديث على(الكافى):۴-۳۳،كتاب الزكاه،باب من كفر المعروف.ط طهران ۱۳۷۷ ه.

و المتقی من أخذ الزکاه و الصدقات ما لم یضطر إلیها،تنزیها لنفسه عن الأوساخ،و أن یستر الأخذ بنیه أنه أبقی لستر المروه و التعفف،و أصون لنفسه عن الإهانه و الإذلال،و أعون للمعطی علی الإخفاء و الإسرار،و أسلم لقلوب الناس من الحسد و سوء الظن،أو یظهره بنیه الإخلاص و الصدق و إظهار المسکنه و العبودیه،و التبری عن الکبر،و تلبیس الحال و إقامه سیئه الشکر أو غیر ذلک.فإنه یختلف باختلاف النیات و الأشخاص و الأحوال،و لکل امرئ ما نوی،و کل مراقب للأحوال عارف بالفوائد و المفاسد،یمکنه الأخذ بالأنفع الأرجح.

تتمیم زکاه الأبدان

اعلم أنه کما فی المال زکاه فکذلک للبدن زکاه،و هو نقصه لیزید الخیر و البرکه لصاحبه.و هذا النقص إما أن یکون اختیارا،بأن یصرف فی الطاعه و یمنع عن المعصیه،أو اضطرارا،بأن یصاب بمرض و آفه.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-یوما لأصحابه: «ملعون کل مال لا یزکی،ملعون کل جسد لا یزکی،و لو فی کل أربعین یوما مره.قیل له:یا رسول اللّه،أما زکاه المال فقد عرفناها،فما زکاه الأجساد؟قال -صلی اللّه علیه و آله-:أن یصاب بآفه».فتغیرت وجوه الذین سمعوا منه ذلک،فلما رآهم قد تغیرت ألوانهم،قال:«هل تدرون ما عنیت بقولی؟فقالوا:لا یا رسول اللّه!قال:إن الرجل یخدش الخدشه، و ینکب النکبه،و یعثر العثره،و یمرض المرضه،و یشاک الشوکه،و ما أشبه هذا...»،حتی ذکر فی حدیثه اختلاج العین.

و قال-صلی اللّه علیه

و آله- «لكل شىء زكاه،و زكاه الأبدان الصيام».

و قال الصادق -عليه السلام-: «على كل جزء من أجزائك زكاه واجبه للّه عز و جل بل على كل منبت شعر من شعرك،بل على كل لحظه من لحاظك زكاه.

فزكاه العين:النظره بالعبره (۱)و الغض عن الشهوات و ما يضاهيها.

و زكاه الأذن:استماع العلم و الحكمه و القرآن،و فوائد الدين من الموعظه و النصيحه،و ما فيه نجاتك،و بالإعراض عما هو ضده من الكذب و الغيبه و أشباههما،و زكاه اللسان:النصح للمسلمين،و التيقظ للغافلين،و كثره التسبيح و الذكر و غيرها.و زكاه اليد:البذل و العطاء و السخاء بما أنعم اللّه عليك به،و تحريكها بكتابه العلم و منافع ينتفع بها المسلمون فى طاعه اللّه تعالى، و القبض عن الشر.و زكاه الرجل:السعى فى حقوق اللّه،من زياره الصالحين،و مجالس الذكر،و إصلاح الناس،و صله الأرحام،و الجهاد و ما فيه صلاح قلبك و سلامه دينك» (۲).

و ثانيها:

الخمس

و قد فرضه اللّه تعالى على عباده صونا لذريه نبيه-صلى اللّه عليه و آله- عن الافتقار،و تنزيها لهم عن الصدقات التى هى أوساخ الناس،فقال سبحانه:

وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ

ص: ۱۴۲

۱- ۱) فى نسخ(جامع السعادات):«النظر بالعبر»،و لعله الأولى.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۲۲،و فيه اختلاف كثير عن نسخ(جامع السعادات)بما لم يخرج عن المعنى.

وَ لِذِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتٰامیٰ وَ الْمَسٰاکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ،إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلیٰ عَبْدِنٰا یَوْمَ الْفُرْقٰانِ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعٰانِ،وَ اللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ

(۱)

.

و المستفاد من الآیه:أن مانع الخمس لا إیمان له.

و قال أمیر المؤمنین -علیه السلام-: «هلک الناس فی بطونهم و فروجهم،لأنهم لا یؤدون إلینا حقنا». و لا ریب فی عظم الثواب و الأجر فی أدائه و إیصاله إلی أهله،و کیف لا و هو إعانه ذریه الرسول-صلی اللّه علیه و آله-و قضاء حوائجهم،

و قد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «حقت شفاعتی لمن أعان ذریتی بیده و لسانه و ماله» (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «أربعه أنا لهم شفیع یوم القیامه:المکرم لذریتی،و القاضی لهم حوائجهم و الساعی لهم فی أمورهم عند ما اضطروا إلیه،و المحب لهم بقلبه و لسانه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من اصطنع إلی أحد من أهل بیتی یدا، کافیته یوم القیامه».

و عن الصادق-علیه السلام-قال: «إذا کان یوم القیامه،نادی مناد:أیها الخلائق،انصتوا،فإن محمدا یکلمکم.

فتنصت الخلائق،فیقوم النبی صلی اللّه علیه و آله فیقول:یا معشر الخلائق من کانت له عندی ید أو منه أو معروف فلیقم حتی أکافیه.فیقولون:

بآبائنا و أمهاتنا!و أی منه و أی معروف لنا؟!بل الید و المنه و المعروف للّه و لرسوله علی جمیع الخلائق.فیقول لهم:بلی!من آوی أحدا من أهل بیتی،أو برهم،أو کساهم من عری،أو أشبع جائعهم،فلیقم حتی أکافیه.فیقوم أناس قد فعلوا ذلک،فیأتی النداء من عند اللّه:

۱- ۱) الأنفال،الآیه:۴۱.

۲- ۲) صححنا هذا الحدیث علی(جامع الإخبار):الباب ۲،الفصل ۶.

یا محمد،یا حبیبی،قد جعلت مکافاتهم إلیک،فأسکنهم من الجنه حیث شئت.قال:فیسکنهم فی الوسیله حیث لا یحجبون عن محمد و أهل بیته -صلوات اللّه علیهم» (۱). و قد ظهر مما تقدم بعض ما تعلق به من الأسرار و الآداب و الشرائط الباطنه.

و ینبغی أن یکون معطیه فی غایه الحذر عن استعظامه و عن المن و الأذی و أن یکون فی غایه التخضع و التواضع للذریه العلویه عند إعطائه إیاهم، و یعلم أنه عبد من عباد اللّه،أعطاه مولاه نبذا من أمواله،ثم أمره بأن یوصل قلیلا منها إلی ذریه نبیه-صلی اللّه علیه و آله-،و جعل له أیضا فی مقابله هذا الإیصال زیاده المال فی الدنیا و عظیم الأجر و الثواب فی العقبی فما أقبح بالعاقل-مع ذلک-أن یستعظم ما یعطیه،و یمن علی أولاد نبیه -صلی اللّه علیه و آله-.

و ثالثها:

الإنفاق علی الأهل و العیال

و التوسع علیهم.و هو أیضا من الواجبات،علی النحو المقرر فی کتب الفقه.و ما ورد فی مدحه و عظم أجره أکثر من أن یحصی،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «الکاد علی عیاله کالمجاهد فی سبیل اللّه» (۲)

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «خیرکم خیرکم لأهله».

۱- ۱) صححنا الأحادیث الثلاثه الأخیره علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف أبواب الأمر بالمعروف،الباب ۱۷.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب مقدماتها، الباب ۲۲.و روی الحدیث فی(المستدرک)عن(غوالی اللئالی).

و قال صلی اللّه علیه و آله: «المؤمن یأکل بشهوه أهله،و المنافق یأکل أهله بشهوته» (۱)

و قال: «أفضل الصدقه صدقه عن ظهر غنی،و ابدأ بمن تعول،و الید العلیا خیر من الید السفلی،و لا یلوم اللّه علی الکفاف» (۲)

و قال صلی اللّه علیه و آله: «دینار أنفقته علی أهلک،و دینار أنفقته فی سبیل اللّه،و دینار أنفقته فی رقبه،و دینار تصدقت به علی مسکین، و أعظمها أجرا الدینار الذی أنفقته علی أهلک».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «ما أنفق الرجل علی أهله فهو صدقه،و أن الرجل لیؤجر فی رفع اللقمه إلی فم امرأته».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من الذنوب ذنوب لا یکفرها إلا الهّم بطلب المعیشه».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من کانت له ثلاث بنات،فأنفق علیهن و أحسن إلیهن حتی یغنیهن اللّه عنه أوجب اللّه تعالی له الجنه،إلا أن یعمل عملا لا یغفر اللّه له».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-یوما لأصحابه: «تصدقوا.فقال رجل:إن عندی دینارا.قال:أنفقه علی نفسک،فقال:إن عندی آخر قال:

أنفقه علی زوجتک.قال:إن عندی آخر.قال:أنفقه علی ولدک.

قال:إن عندی آخر،قال:أنفقه علی خادمک.قال:إن عندی آخر.قال-صلی اللّه علیه و آله-:أنت أبصر به» (۳)

و قال صلی اللّه علیه و آله: «ملعون ملعون من ألقی کله علی الناس!ملعون ملعون من ضیع من یعوله!»،

و قال-صلی اللّه علیه و آله-لأمیر المؤمنین

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب النکاح،أبواب النفقات، الباب ۲۱.و کذا الحدیث الآتی:«ملعون ملعون...».

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۹،و هو بمضمونه من المشهورات التی یرویها العامه و الخاصه.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(احیاء العلوم):۱-۲۰۳.

علیه السلام-بعد ما رآه فی البیت ینقی العدس،و فاطمه علیها السلام جالسه عند القدر:«اسمع منی یا أبا الحسن،و ما أقول إلا من أمر ربی:ما من رجل یعین امرأته فی بیتها،إلا کان له بکل شعره علی بدنه عباده سنه صیام نهارها و قیام لیلها،و أعطاه اللّه من الثواب مثل ما أعطاه الصابرین و داود النبی و یعقوب و عیسی-علیهم السلام-یا علی،من کان فی خدمه العیال فی البیت و لم یأنف،کتب اللّه اسمه فی دیوان الشهداء،و کتب له بکل یوم و لیله ثواب ألف شهید،و کتب له بکل قدم ثواب حجه و عمره و أعطاه اللّه بکل عرق فی جسده مدینه فی الجنه.یا علی،ساعه فی خدمه البیت خیر من عباده ألف سنه،و ألف حجه،و ألف عمره،و خیر من عتق ألف رقبه،و ألف غزوه،و ألف مریض عاده،و ألف جمعه،و ألف جنازه،و ألف جائع یشبعهم،و ألف عار یکسوهم،و ألف فرس یوجهه فی سبیل اللّه،و خیر له من ألف دینار یتصدق علی المساکین،و خیر له من أن یقرأ التوراه و الإنجیل و الزبور و الفرقان،و من ألف أسیره اشتراها فأعتقها،و خیر له من ألف بدنه یعطی للمساکین،و لا یخرج من الدنیا حتی یری مکانه فی الجنه.یا علی،من لم یأنف من خدمه العیال دخل الجنه بغیر حساب.یا علی،خدمه العیال کفاره للکبائر،و تطفئ غضب الرب،و مهور حور العین،و تزید فی الحسنات و الدرجات.یا علی، لا یخدم العیال إلا صدیق أو شهید،أو رجل یرید اللّه به خیر الدنیا و الآخره» (۱).

و قال السجاد علیه السلام: «أرضاکم عند اللّه أسبغکم علی عیاله»

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(جامع الأخبار):الباب ۸،الفصل ۳،طبع بمبئی سنه ۱۳۳۸،و لم نعثر علی الحدیث فی الکتب المعتبره.إلا أنه فی(مستدرک الوسائل)نقله عن(جامع الأخبار)نفسه فی أبواب مقدمات التجاره:الباب ۱۷.

و قال-علیه السلام-: «لئن ادخل السوق،و معی دراهم أبتاع لعیالی لحما،و قد قرموا (۱)إلیه،أحب إلی من أن أعتق نسمه».

و قال الصادق علیه السلام: «کفی بالمرء إثما أن یضیع من یعوله».

و قال علیه السلام: «من سعاده الرجل أن یکون القیم علی عیاله».

و قال الکاظم علیه السلام: «إن عیال الرجل أسراؤه،فمن أنعم اللّه علیه نعمه فلیوسع علی أسرائه،فإن لم یفعل أوشک أن تزول النعمه».

و قال أبو الحسن الرضا علیه السلام: «ینبغی للرجل أن یوسع علی عیاله لئلا یتمنوا موته».

و قال علیه السلام: «صاحب النعمه یجب علیه التوسعه علی عیاله» (۲). و الأخبار الوارده فی ثواب الإنفاق علی العیال و خدمتهم و التوسع علیهم مما لا تعد کثره.و ما ذکرناه کاف لإیقاظ أهل الاستبصار

فصل ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال

ینبغی لطالب الأجر و الثواب فی إنفاق العیال:أن یقصد فی کده و سعیه فی تحصیل النفقه و فی إنفاقه وجه اللّه و ثواب الآخره،إذ لا ثواب بدون القربه،و أن یجتنب عن تحصیل الحرام و الشبهه،و لا یدخل علی عیاله إلا الحلال،إذ أخذ الحرام،و إنفاقه أعظم الذنوب و أشد المعاصی، و أن یقصد فی التحصیل و الإنفاق،فلیحترز عن الإقتار لئلا یضیع عیاله

۱- ۱) قال فی(الوافی):۶-۲۸۸،باب التوسع علی العیال،فی شرح هذا الحدیث:«القرم:شده شهوه للحم».

۲- ۲) صححنا الأحادیث،ابتداء من الروایه عن السجاد،علی(الوسائل): کتاب النکاح،أبواب النفقات،الباب ۲۰ و ۲۱.

و عن الإسراف لئلا یضیع عمره فی طلب المال،فیکون من الخاسرین الهالکین.قال اللّه سبحانه:

وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا

(۱)

.و قال: وَ لاٰ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَهً إِلیٰ عُنُقِکَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا کُلَّ الْبَسْطِ (۲).

و قال: وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً (۳).

و عن الصادق-علیه السلام-: «أنه تلا هذه الآیه: (وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً) ،فأخذ قبضه من حصی و قبضها بیده،فقال:هذا الإقتار الذی ذکره اللّه فی کتابه.ثم أخذ قبضه أخری،فأرخی کفه کلها،ثم قال:هذا الإسراف.ثم أخذ قبضه أخری،فأرخی بعضها و أمسک بعضها،و قال:هذا القوام» (۴)و ینبغی ألا یستأثر نفسه أو بعض عیاله بمأکول طیب،و لا یطعم سائرهم منه،فإن ذلک یوغر الصدر و یبعد عن المعاشره بالمعروف،إلا أن یضطر إلیه،لمرض أو ضعف أو غیر ذلک.و ینبغی ألا یصف عندهم طعاما لیس یرید إطعامهم إیاه،و أن یقعد عیاله کلهم علی مائده عند الأکل

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۳۰.

۲- ۲) الإسراء،الآیه:۲۹.

۳- ۳) الفرقان،الآیه:۶۷.

۴- ۴) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۹۶.باب فضل القصد بین الإسراف و التقتیر.

فقد روی: «أن اللّه و ملائکته یصلون علی أهل بیت یأکلون فی جماعه».

و أما الأمور المستحبه من الإنفاق،الداخله تحت السخاء،

فأولها:

صدقه التطوع

و فضلها عظیم،و فوائدها الدنیویه و الأخرویه کثیره.

قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-: «تصدقوا و لو بتمره،فإنها تسد من الجائع و تطفئ الخطیئه،کما یطفئ الماء النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«اتقوا النار و لو بشق تمره،فإن لم تجدوا فبکلمه طیبه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «ما من عبد مسلم یتصدق بصدقه من کسب طیب،و لا یقبل اللّه إلا طیبا،إلا کان اللّه آخذها بیمینه،فیربیها له کما یربی أحدکم فصیله،حتی تبلغ التمره مثل أحد».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما أحسن عبد الصدقه إلا أحسن اللّه عز و جل الخلافه علی ترکته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل امرئ فی ظل صدقته،حتی یقضی بین الناس»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أرض القیامه نار،ما خلا ظل المؤمن،فإن صدقته تظله».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن اللّه لا إله إلاّ هو،لیدفع بالصدقه الداء و الدبیله،و الحرق و الغرق،و الهدم و الجنون ...» و عد سبعین بابا من الشر.

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «صدقه السر تطفئ غضب الرب عز و جل» (۱).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«إذا أطرقکم سائل ذکر باللیل فلا تردوه».

و فائده التخصیص بالذکر و اللیل:أن من یسألک لیلا فی صوره

۱- ۱) الأخبار النبویه المذکوره فی هذا الفصل أغلبها عامیه صححناها علی (إحیاء العلوم):ج ۱ بیان فضیله الصدقه.

الإنسان،يحتمل أن يكون ملكا أتاك للامتحان،

كما روى: «أنه سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام،و قال:يا موسى،أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل،إنه يأتيك من ليس بإنس و لا جان،بل ملائكه من ملائكه الرحمن،يبلونك فيما خولتك،و يسألونك فيما نولتك،فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران». و لذلك حث رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-على عدم رد السائل،

و قال: «أعط السائل و لو على ظهر فرس».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «لا تقطعوا على السائل مسألته فلو لا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم»

و قال الباقر-عليه السلام- «البر و الصدقه ينفيان الفقر،و يزيدان فى العمر،و يدفعان عن صاحبهما سبعين ميته سوء»

و قال الصادق-عليه السلام-: «داووا مرضاكم بالصدقه و ادفعوا البلاء بالدعاء،و استنزلوا الرزق بالصدقه،فإنها تفك من بين لحى سبعمائه شيطان،و ليس شىء أثقل على الشيطان من الصدقه على المؤمن و هى تقع فى يد الرب تعالى قبل أن تقع فى يد العبد»

و قال-عليه السلام- «الصدقه باليد تقى ميته السوء،و تدفع سبعين نوعا من البلاء،و تفك عن لحى سبعين شيطانا كلهم يأمره ألا يفعل».

و قال-عليه السلام- «يستحب للمريض أن يعطى السائل بيده،و يأمره أن يدعو له».

و قال عليه السلام: «باكروا بالصدقه،فإن البلاء لا يتخطاها،و من تصدق بصدقه أول النهار دفع اللّه عنه شر ما ينزل من السماء فى ذلك اليوم،فإن تصدق أول الليل دفع اللّه شر ما ينزل من السماء فى تلك الليله».

و كان -عليه السلام-إذا أعتم-أى صلى العتمه-و ذهب من الليل شطره، أخذ جرابا فيه خبز و لحم و دراهم،فحمله على عنقه،ثم ذهب به إلى أهل الحاجه من أهل المدينه،فقسمه فيهم و لا يعرفونه،فلما مضى أبو عبد اللّه عليه السلام،فقدوا ذلك،فعلموا أنه كان أبا عبد اللّه-عليه

و سئل علیه السلام عن السائل یسأل و لا یدری ما هو،فقال:«أعط من أوقع فی قلبک الرحمه».

و قال-علیه السلام- فی السؤال:«أطعموا ثلاثه، و إن شئتم أن تزدادوا فازدادوا،و إلا فقد أدیتم حق یومکم»

و قال-علیه السلام -فی الرجل یعطی غیره الدراهم یقسمها،قال:«یجری له من الأجر مثل ما یجری للمعطی،و لا ینقص من أجره شیئا.و لو أن المعروف جری علی سبعین ید،لأوجروا کلهم من غیر أن ینقص من أجر صاحبه شیء». و قد وردت أخبار کثیره فی فضل تصدق الماء و ثوابه،

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «أول ما یبدأ به فی الآخره صدقه الماء یعنی فی الأجر».

و قال أبو جعفر-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی یحب إیراد الکبد الحراء،و من سقی الماء کبدا حراء،من بهیمه و غیرها أظله اللّه فی ظل عرشه یوم لا ظل إلا ظله».

و قال الصادق-علیه السلام- «من سقی الماء فی موضع لا یوجد فیه الماء،کان کمن أعتق رقبه،و من سقی الماء فی موضع لا یوجد فیه الماء،کان کمن أحیی نفسا،و من أحیی نفسا فکأنما أحیی الناس جمیعا».

(تنبیه):

سئل رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أی الصدقه أفضل؟قال:أن تتصدق و أنت صحیح،تأمل البقاء و تخشی الفاقه، و لا تمهل حتی إذا بلغت الحلقوم قلت:لفلان کذا و لفلان کذا».

فصل فضیله الإسرار فی الصدقه المندوبه

لا کلام فی أن الإسرار فی الصدقه المندوبه أفضل من إظهارها للمعطی فی إعطائها،و یدل علیه

قول الصادق علیه السلام: «الصدقه فی السر

و اللّه أفضل من الصدقه فی العلانیه» (۱).

و قوله-علیه السلام-: کلما فرض اللّه علیک فإعلانه أفضل من إسراره،و کلما کان تطوعا،فإسراره أفضل من إعلانه».

و إنما الکلام فی أن الأفضل للآخذ فی أخذها أن یأخذها سرا أو علانیه.فقیل الأفضل له أخذها سرا،لأنه أبقی للتعفف و ستر المروه،و أسلم لقلوب الناس و ألسنتهم من الحسد و سوء الظن و الغیبه.و عون للمعطی علی العمل،و قد علمت أفضلیه السر علی الجهر فی الإعطاء،و أصون لنفسه عن الإذلال و الإهانه،و أخلص من شوب شرکه الحضار،فإن المستفاد من الأخبار:

أن الحضار شرکاء من أهدی له فی الهدیه.و الظاهر أن الصدقه مثلها إذا کان الحضار من أهلها.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أهدی له هدیه و عنده قوم،فهم شرکاؤه فیها».

و قال الباقر علیه السلام «جلساء الرجل شرکاؤه فی الهدیه».

و قال-علیه السلام-: «إذا أهدی للرجل هدیه من طعام،و عنده قوم،فهم شرکاؤه فی الهدیه:الفاکهه أو غیرها». و قیل:الأفضل أخذها علانیه،و التحدث بها،لتنقیه الکبر و الریاء،و تلبیس الحال،و إیجابه الإخلاص و الصدق،و إقامه منه الشکر،و إسقاط الجاه و المنزله،و إظهار العبودیه و المسکنه،مع أن العارف ینبغی ألا ینظر إلا إلی اللّه،و السر و العلانیه فی حقه واحد،فاختلاف الحال شرک فی التوحید.

و الحق أن الحکم بأفضلیه أحدهما علی الإطلاق غیر صحیح،إذ تختلف فضیله کل منها باختلاف النیات،و تختلف النیات باختلاف الأحوال و الأشخاص

۱- ۱) صححنا أغلب هذه الأخبار المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-فی هذا المقام علی(الوافی):۶-۲۸۲،۲۸۴ باب فضل الصدقه و باب فضل صدقه السر.

فینبغی لطالب السعاده أن یراقب نفسه،و یلاحظ حاله و وقته، و یری أن أی الحالتین من السر و الجهر بالنظر إلیه أقرب إلی الخلوص و القربه،و أبعد من الریاء و التلبیس و سائر الآفات،فیختار ذلک،و لا یتدلی بحبل الغرور،و لا ینخدع بتلبیس الطبع و مکر الشیطان.مثلا إذا کان طبعه مائلا إلی الإسرار و رأی أن باعث هذا المیل حفظ الجاه و المنزله و خوف سقوط القدر من أعین الناس،و نظر الخلق إلیه بعین الازدراء، و إلی المعطی کونه منعما محسنا إلیه،أو خوف ألا یعطیه الناس بعد ذلک لعلمهم بما أخذه،فلینتقل عن الإسرار و یأخذها علانیه،إذ لو أبقی نفسه علی ما استکن فیها من الداء الدفین،و عمل بمقتضاها،صار هالکا و إن کان طبعه مائلا إلی الإسرار،و أیقن بأن باعث المیل إلیه:إبقاء التعفف،و ستر المروه،و صیانه الناس عن الحسد،و سوء الظن و الغیبه، و لم یکن باعثه شیء من المفاسد المذکوره،فالأولی أن یأخذها سرا.

و یعرف ذلک بأن یکون تألمه بانکشاف أخذه للصدقه کتألمه بانکشاف صدقه أخذها بعض أقرانه و إخوانه المؤمنین،فإنه إن کان طالبا لبقاء السر و إعانه المعطی علی الاسرار،و صیانه العلم عن الابتذال،و حفظ الناس عن الحسد و الغیبه و سوء الظن،فینبغی أن یکون طالبا لها فی صدقه أخیه أیضا، إذ یحصل ما یحذر منه:من هتک الستر،و ابتذال العلم،و وقوع الناس فی الغیبه و الحسد بانکشاف صدقه أخیه أیضا.فإن کان انکشاف صدقته أثقل علیه من انکشاف صدقه غیره،فتقدیره الحذر من هذه المعانی تلبیس من النفس و مکر من الشیطان. و إذا کان طبعه مائلا إلی الإظهار،و وجد منه أن باعث هذا المیل هو التطیب لقلب المعطی،و الاستحثاث له علی مثله،و الإظهار للغیر بأنه من المبالغین فی الشکر،حتی یرغبوا فی الإحسان إلیه،فلیتنبه أن هذا الداء من الداء الدفین الذی یهلکه لو لم یعالجه،فلیترک

أخذها جهرا و التحدث بها،و ينتقل إلى الأخذ خفيه.و إن تيقن من نفسه بأن الباعث هو إقامه السنه فى الشكر،و التحدث بالنعمه،و إسقاط الجاه و المنزله،و إظهار العبوديه و المسكنه،أو غير ذلك من المقاصد الصحيحه من دون تطرق شىء من المفاسد المذكوره،فالإظهار الأفضل،و يعرف ذلك بأن تميل نفسه إلى الشكر،حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى و لا إلى من يرغب فى عطائه،و بين يدى جماعه يعلم أنهم يكرهون إظهار العطيه و يرغبون فى إخفائها،و عادتهم ألا يعطوها إلا من يخفيها و لا يتحدث بها و لا يشكر عليها.ثم إذا جزم بكون الباعث إقامه السنه فى الشكر،فينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى،فينظر أنه إن كان ممن يحب الشكر و النشر فيخفى الأخذ و لا يشكر،لأن قضاء حقه ألا ينصره على الإثم، و إن كان ممن لا يحب الشكر و لا يطلب النشر،فالأولى أن يشكره و يظهر صدقته.

و ينبغى لكل من يراعى قلبه أن يلاحظ هذه الدقائق و لا يهملها، إذ إعمال الجوارح مع إهمالها ضحكه للشيطان و شماته له،لكثره التعب فيها مع عدم تصور نفع لها،و العلم بهذه الدقائق و ملاحظتها هو العلم الذى ورد فيه أن تعلم مسأله واحده منه أفضل من عباده سنه،إذ بهذا العلم تحيى عباده العمر،و بالجهل به تموت عباده العمر.

و ثانيها:

الهديه

و هى ما يعطى و يرسل إلى أخيه المسلم،فقيرا كان أم غنيا،طلبا للاستيناس،و تأكيدا للصحبه و التودد.و هو مندوب إليه من الشرع، و مع سلامه القصد و النيه يكون عباده.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه

و آله-: «تحابوا تهادوا،فإنها تذهب بالضغائن.

و قال صلى اللّه عليه و آله-: «لو أهدى الى ذراع لقبلت».

و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «لأن أهدى لأخى المسلم هديه أحب إلى من أن أتصدق بمثلها»

و قال-عليه السلام-: «من تكرمه الرجل لأخيه المسلم،أن يقبل تحفته و أن يتحفه بما عنده،و لا يتكلف له شيئا».

و ثالثها:

الضيافه

و ثوابها جزيل،و أجرها جميل،و فضلها عظيم،و ثمرها جسيم.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «لا خير فيمن لا يضيف».

و مر-صلى اللّه عليه و آله-برجل له إبل و بقر كثير،فلم يضفه،و مر بامرأه لها شويهات،فذبحت له،فقال-صلى اللّه عليه و آله-«انظروا إليهما،فإنما هذه الأخلاق بيد اللّه عز و جل،فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «الضيف إذا جاء فنزل بالقوم،جاء برزقه معه من السماء،فإذا أكل غفر اللّه لهم بنزوله».

و قال: «ما من ضيف حل بقوم إلا و رزقه فى حجره».

و قال: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليكرم ضيفه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«لا تزال أمتى بخير:ما تحابوا،و أدوا،الأمانه،و اجتنبوا الحرام،و أقرءوا الضيف،و أقاموا الصلاه،و آتوا الزكاه،فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط و السنين».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا أراد اللّه بقوم خيرا أهدى لهم هديه.قالوا:و ما تلك الهديه؟قال:الضيف ينزل برزقه،و يرتحل بذنوب أهل البيت».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكه».

و قال-صلى اللّه

علیه و آله-: «الضیف دلیل الجنه».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«ما من مؤمن یحب الضیف إلا و یقوم من قبره و وجهه کالقمر لیله البدر فینظر أهل الجمع،فیقولون:ما هذا إلا نبی مرسل!فیقول ملک:هذا مؤمن یحب الضیف و یکرم الضیف،و لا سبیل له إلا أن یدخل الجنه»

و قال-علیه السلام-: «ما من مؤمن یسمع بهمس الضیف و فرح بذلک إلا غفرت له خطایاه،و إن کانت مطبقه بین السماء و الأرض».

و بکی -علیه السلام-یوما،فقیل له:ما یبکیک؟قال:«لم یأتنی ضیف منذ سبعه أیام،أخاف أن یکون اللّه قد أهاننی».

و عن محمد بن قیس عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-،قال: «ذکر أصحابنا قوما،فقلت:

و اللّه ما أتغدی و لا أتعشی إلا و معی منهم اثنان أو ثلاثه أو أقل أو أکثر فقال-علیه السلام-:فضلهم علیک أکثر من فضلک علیهم.قلت:

جعلت فداک!کیف ذا و أنا أطعمهم طعامی،و أنفق علیهم من مالی، و یخدمهم خادمی؟فقال:إذا دخلوا علیک دخلوا من اللّه بالرزق الکثیر، و إذا خرجوا خرجوا بالمغفره لک».

و کان إبراهیم الخلیل-علیه السلام- إذا أراد أن یأکل،خرج میلا أو میلین یلتمس من یتغدی معه،و کان یکنی(أبا الضیفان).

و جمیع الأخبار الوارده فی فضیله إطعام المؤمن و سعیه تدل علی فضیله الضیافه،

کقوله-صلی اللّه علیه و آله- بعد سؤاله عن الحج المبرور:

«هو إطعام الطعام و طیب الکلام».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من أطعم ثلاثه نفر من المسلمین أطعمه اللّه من ثلاث جنان فی ملکوت السماوات:الفردوس،و جنه عدن،و طوبی شجره تخرج فی جنه عدن غرسها ربنا بیده».

و قول الصادق-علیه السلام-: «من أشبع مؤمنا وجبت له الجنه».

و قوله-علیه السلام-: «من أطعم مؤمنا حتی یشبعه

لم يدر أحد من خلق اللّه ما له من الأجر فی الآخره،لا ملک مقرب و لا نبی مرسل،إلا اللّه رب العالمین».

و سئل-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما الإیمان؟فقال:إطعام الطعام».

و قال: «إن فی الجنه غرفا یری ظاهرها من باطنها،و باطنها من ظاهرها،یسکنها من أمتی من أطاب الکلام،و أطعم الطعام،و أفشی السلام،و صلی باللیل و الناس نیام».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أحب الأعمال إلی اللّه تعالی:

إشباع جوعه المؤمن،و تنفیس کربته،و قضاء دینه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه یحب الإطعام فی اللّه،و یحب الذی یطعم الطعام فی اللّه،و البرکه فی بیته أسرع من الشفره فی سنام البعیر».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «خیرکم من أطعم الطعام».

و قال(ص):

«من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتی یشبعه،و سقاه حتی یرویه،بعده اللّه من النار سبع خنادق،ما بین کل خندقین مسیره خمسمائه عام».

و فی الخبر: «أن اللّه تعالی یقول للعبد فی القیامه:یا ابن آدم،خفت فلم تطعمنی.فیقول:کیف أطعمک و أنت رب العالمین؟فیقول:جاع أخوک فلم تطعمه،و لو أطعمته کنت أطعمتنی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سقی مؤمنا من ظمإ،سقاه اللّه من الرحیق المختوم»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سقی مؤمنا شربه من ماء من حیث یقدر علی الماء،أعطاه اللّه بکل شربه سبعین ألف حسنه،و إن سقاه من حیث لا یقدر علی الماء،فکأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعیل» (۱).

---

۱ - ۱) صححنا أحادیث هذا الفصل علی(البحار):۴ مج ۱۵-۱۱۰،باب إطعام المؤمن و ۲۴۲،۲۴۴.باب آداب الضیف.و علی(الکافی):باب إطعام المؤمن.و علی(الوسائل):فی آداب المائده من کتاب الأطعمه و الأشربه.

فصل ما ينبغی أن يقصد بالضيافه

ينبغی أن يقصد فی ضيافته التقرب إلی اللّه،و التسنن بسنه رسول اللّه و استماله قلوب الإخوان،و إدخال السرور علی قلوب المؤمنين،و لا يقصد به الرياء و المفاخره و المباهاه،و إلا ضاع عمله،و أن يدعو الفقراء و الأتقياء و إن كان فی ضيافه الأغنياء و مطلق الناس فضيله أيضا.و ينبغی ألا يهمل فی ضيافته الأقارب و الجيران،إذ إهمالهم قطع رحم و إيحاش،و ألا يدعو من يعلم أنه تشق عليه الإجابه.و ينبغی أن يعجل فی إحضار الطعام لأنه من إكرام الضيف،

و قد ورد: «أن العجله من الشيطان،إلا فی خمسه أشياء،فإنها من سنه رسول اللّه-صلی اللّه عليه و آله-:

إطعام الضيف،و تجهيز البيت،و تزويج البكر،و قضاء الدين،و التوبه من الذنوب». و أن يحضر من الطعام قدر الكفايه،إذ التقليل عنه نقص فی المروه،و الزياده عليه تضييع،و أن يسعی فی إكرام الضيف:من طلاقه الوجه،و طيب الكلام معه عند دخوله و خروجه و علی المائده، و الخروج معه إلی باب الدار إذا خرج،

قال رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله: «إن من سنه الضيف أن يشيعه إلی باب الدار». و مما ينبغی له ألا يستخدم الضيف،

قال الباقر-عليه السلام-: «من الجفاء استخدام الضيف».

و كان عند الرضا-عليه السلام-ضيف،فكان يوما فی بعض الحوائج،فنهاه عن ذلك،و قام بنفسه إلی تلك الحاجه،و قال:

«نهی رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله عن أن يستخدم الضيف».

فصل آداب الضيافه

ينبغى لكل مؤمن أن يجيب دعوه أخيه إلى الضيافه،من غير أن يفرق بين الغنى و الفقير،بل يكون أسرع إجابه إلى دعوه الفقير،و ألا يمنعه بعد المسافه عن الإجابه إذا أمكن احتمالها عاده.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله «أوصى الشاهد من أمتى و الغائب،أن يجيب دعوه المسلم و لو على خمسه أميال،و لا يمنعه صوم التطوع عن الإجابه،بل يحضر،فإن علم سرور أخيه بالإفطار فليفطر،و يحتسب فى إفطاره أفضل ما يحتسب فى صومه»

و قال الصادق-عليه السلام-: «من دخل على أخيه و هو صائم، فأفطر عنده و لم يعلمه بصومه فيمن عليه،كتب اللّه له صوم سنه،و إن علم أنه متكلف و لا يسر بإفطاره فليتعلل».

و ينبغى ألا يقصد بالإجابه قضاء شهوه البطن،ليدخل عمله فى أمور الدنيا،بل ينوى الاقتداء بسنه رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و إكرام أخيه المؤمن،ليكون فى عمله مطيعا للّه مثابا فى الآخره،و أن يحترز عن الإجابه إذا كان الداعى من الظلمه أو الفساق،أو كانت ضيافته للفخر و المباهاه،و من كان طعامه حراما أو شبهه،أو لم يكن موضعه أو بساطه المفروش حلالا،أو كان فى الموضع شىء من المنكرات كاناء فضه،أو تصوير حيوان على سقف أو حائط،أو أحد آلات اللهو من المزامير و أمثالها،أو التشاغل بشىء من اللهو و اللعب و الهزل، فكل ذلك مما يمنع الإجابه،و يوجب تحريمها أو كراهيتها.

قال الصادق -عليه السلام-: «لا ينبغى للمؤمن أن يجلس مجلسا يعصى اللّه تعالى

فيه و لا يقدر على تغييره.و من ابتلى بحضور طعام ظالم إكراها و تقيه، فليقلل الأكل،و لا يأكل أطايب الأطعمه.

و ينبغى للضيف-أيضا-إذا دخل الدار ألا يصدر،و لا يقصد أحسن الأماكن،بل يتواضع و يرضى بالدون من المجلس،و إن أشار إليه صاحب الدار بموضع فلا يخالفه و يجلس فيه،و إن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع أو الانحطاط،و ألا يجلس فى مقابله باب حجره النسوان،و لا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام،فإنه دليل الشره و خسه النفس،و أن يخص بالتحيه و السلام أولا من يقرب منه.

و ينبغى لمن دعى إلى الضيافه ألا يطول الانتظار عليهم،و لا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد.

و رابعها:

الحق المعلوم و حق الحصاد و الجذاذ

و المراد من الأول:ما يعرضه الرجل و يقدره فى ماله،من قليل أو كثير،غير الصدقات الواجبه،يعطيه محتاجا أو يصل به رحمه.و المراد بالثانى:ما يعطى به إلى الفقراء من الضغث بعد الضغث:أى القبضه بعد القبضه من الزرع يوم حصاده،و من الحفنه بعد الحفنه:أى ملء الكف من التمر أو الحنطه أو غيرهما من الثمار و الفواكه و الحبوبات عند قطعها و تصفيتها.و هذان النوعان من الإنفاق معدودان فى صدقه التطوع،و قد وردت بخصوصهما أخبار كثيره لشده استحبابهما.

قال الصادق عليه السلام:

«إن اللّه فرض للفقراء فى أموال الأغنياء فريضه لا يحمدون إلا بأدائها و هى الزكاه،بها حقنوا دماءهم،و بها سموا مسلمين،و لكن اللّه تعالى فرض فى أموال الأغنياء حقوقا غير الزكاه،فقال اللّه تعالى:

وَ الَّذِينَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ

(۱)

.

و الحق المعلوم غیر الزکاه،و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه فی ماله،یجب علیه أن یفرضه علی قدر طاقته و سعه ماله،فیؤدی الذی فرض علی نفسه إن شاء کل یوم جمعه،و إن شاء فی کل شهر» (۲).

و قال-علیه السلام-: «الحق المعلوم لیس من الزکاه،هو الشیء تخرجه من مالک،إن شئت کل جمعه،و إن شئت کل شهر،و لکل ذی فضل فضله،و قول اللّه تعالی: (وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ) ،فلیس من الزکاه،و الماعون لیس من الزکاه،و هو المعروف تصنعه و القرض تقرضه و متاع البیت تعیره،و صله قرابتک لیس من الزکاه و قال اللّه تعالی: وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ،فالحق المعلوم غیر الزکاه،و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه أنه فی ماله و نفسه،و یجب له أن یفرضه علی قدر طاقته و وسعه» (۳).

و قال-علیه السلام-:

«و إن علیکم فی أموالکم غیر الزکاه.فقلت:أصلحک اللّه،و ما علینا فی أموالنا غیر الزکاه؟فقال:سبحان اللّه!أ ما تسمع قول اللّه تعالی؟ یقول فی کتابه:

وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ

(۴)

۱- ۱) المعارج،الآیه:۲۴.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۱،باب جمله ما یجب فی المال من الحقوق.

۳- ۳) نفس المصدر:باب جمله ما یجب فیه الزکاه(الوسائل):۲-۷، باب الحقوق فی المال سوی الزکاه.

۴- ۴) المعارج،الآیه:۲۴،۲۵.

قال:قلت:فما ذا الحق المعلوم الذی علینا؟قال:هو و اللّه الشیء یعلمه الرجل فی ماله،یعطیه فی الیوم أو فی الجمعه أو الشهر،قل أو کثر غیر أنه یدوم علیه» (۱).

و قال-علیه السلام -فی قول اللّه تعالی:

فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ):«هو الرجل یؤتیه اللّه الثروه من المال،فیخرج منه الألف و الألفین و الثلاثه آلاف و الأقل و الأکثر،فیصل به رحمه،و یحمل به الکل عن قومه».

و قال(ع) «فی الزرع حقان:حق تؤخذ به،و حق تعطیه.قلت:و ما الذی أؤخذ به و ما الذی أعطیه؟قال:أما الذی تؤخذ به،فالعشر و نصف العشر،و أما الذی تعطیه،فقول اللّه:

وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصٰادِهِ

(۲)

.

یعنی من حصدک الشیء ثم الشیء-و لا أعلمه إلا قال الضغث ثم الضغث-حتی تفرغ» (۳).

و قال-علیه السلام-: «لا تصرم باللیل و لا تحصد باللیل،و لا تضح باللیل،و لا تهذر باللیل.فإنک إن فعلت ذلک لم یأتک القانع و المعتر.فقلت:و ما القانع و المعتر؟فقال:القانع الذی یقنع بما أعطیته،و المعتر:الذی یمر بک فیسألک.و إن حصدت باللیل لم یأتک السؤال،و هو قول اللّه تعالی: وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصٰادِهِ عند الحصاد،یعنی القبضه بعد القبضه إذا حصدته،فإذا خرج فالحفنه

ص: ۱۶۲

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۱،باب جمله ما یجب فی المال من الحقوق و علی(الوسائل):۲-۷،باب جمله ما یجب فیه الزکاه.

۲- ۲) الأنعام،الآیه:۱۴۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۲.و علی(فروع الکافی): کتاب الزکاه،باب الحصاد و الجذاذ.و کذا ما بعده.

بعد الحفنه،و كذلك عند الصرام،و كذلك عند البذر.و لا تبذر باليل لأنك تعطى من البذر كما تعطى من الحصاد».

و قال الباقر-عليه السلام- فى قول اللّه تعالى وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصٰادِهِ :«هذا من الصدقه،يعطى المسكين القبضه بعد القبضه،و من الجذاذ الحفنه بعد الحفنه،حتى يفرغ» و فى مضمون هذه الأخبار أخبار كثيره أخر.

و خامسها:

القرض

و هو أيضا من ثمرات السخاء،لأن السخى تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله إلى حين استطاعته،كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله،و البخيل يشق عليه ذلك.و ثواب القرض عظيم،و فضله جسيم.

قال الباقر-عليه السلام-: «من أقرض رجلا قرضا إلى ميسره كان ماله فى زكاه،و كان هو فى الصلاه مع الملائكه حتى يقبضه».

و قال الصادق-عليه السلام-: «مكتوب على باب الجنه:الصدقه بعشره، و القرض بثمانيه عشر».

و قال عليه السلام: «ما من مؤمن أقرض مؤمنا يلتمس به وجه اللّه،إلا حسب اللّه له أجره بحساب الصدقه،حتى يرجع ماله إليه،يعنى أعطاه اللّه فى كل آن أجر صدقه،ذلك لأن له قضاءه فى كل آن،فلما لم يفعل فكأنما أعطاه ثانيا و ثالثا و هلم جرا،إلى أن يقبضه»

و قال عليه السلام: «لا تمانعوا قرض الخمير و الخبز و اقتباس النار،فإنه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق».

و قال:

«لا تمانعوا قرض الخمير و الخبز،فإن منعهما يورث الفقر» (۱)

۱- ۱) صححنا الأحاديث الوارده فى هذا المقام على(الوافى):۶-۲۹۲، باب القرض.

و سادسها:

إنظار المعسر و التحليل

و هو أيضا من أفراد البذل المترتب على السخاء،و قد ورد فى فضله أخبار كثيره،

قال الصادق-عليه السلام-: «من أراد أن يظله اللّه يوم لا ظل إلا ظله،فلينظر معسرا،أو يدع له من حقه».

و قال عليه السلام: «إن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قال فى يوم حار -و حنا كفه-:من أحب أن يستظل من فور جهنم؟-قالها ثلاث مرات-فقال الناس فى كل مره:نحن يا رسول اللّه.فقال:من أنظر غريما أو ترك المعسر».

و قال عليه السلام-: «صعد رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-المنبر ذات يوم،فحمد اللّه و أثنى عليه،و صلى على أنبيائه ثم قال:أيها الناس،ليبلغ الشاهد الغائب منكم،ألا-و من أنظر معسرا كان له على اللّه فى كل يوم ثواب صدقه بمثل ماله،حتى يستوفيه».

و قيل له-عليه السلام-:«إن لعبد الرحمن بن سبابه دينا على رجل قد مات،و قد كلمناه أن يحلله فأبى،فقال:ويحه!أ ما يعلم أن له بكل درهم عشره إذا حلله،و إن لم يحلله فإنما هو درهم بدرهم؟» (۱)و فى معناها أخبار كثيره آخر.

---

۱ - ۱) صححنا جميع الأحاديث الوارده فى هذا المقام على(الوافى):۶-۲۹۲ باب إنظار المعسر و التحليل،و على(فروع الكافى):باب إنظار المعسر،كتاب الزكاه.

و سابعها:

بذل الکسوه و السکنی و نحوهما

غیر ما ذکر من وجوه الإعانه بالمسلم،کبذل الکسوه و السکنی، و حمله علی الدابه،و إعطائه الماعون،و إعارته المتاع و سائر ما یحتاج إلیه، و اطراق الفحل و غیر ذلک،فإن جمیع ذلک من ثمرات السخاء،و منعهما من نتایج البخل.و فی کل واحد منها فضیله و ثواب،و ورد فی فضیله کل منها أخبار.

و مما یدل علی مدح کسوه المؤمن،

قول الباقر-علیه السلام-:

«لإن أحج حجه أحب إلی من أعتق رقبه و رقبه و رقبه(حتی انتهی إلی عشره)،و مثلها و مثلها(حتی انتهی إلی سبعین).و لإن أعول أهل بیت من المسلمین،أشبع جوعتهم،و أکسو عورتهم،و أکف وجوههم عن الناس،أحب إلی من أن أحج حجه و حجه(حتی انتهی إلی عشر) و عشر مثلها و مثلها(حتی انتهی إلی سبعین)» (۱).

و قال الصادق علیه السلام: «من کسا أخاه کسوه شتاء أو صیف،کان حقا علی اللّه أن یکسوه من ثیاب الجنه،و أن یهون علیه من سکرات الموت،و أن یوسع علیه فی قبره،و أن یلقی الملائکه إذا خرج من قبره بالبشری،و هو قول اللّه عز و جل فی کتابه:

وَ تَتَلَقّٰاهُمُ الْمَلاٰئِکَهُ هٰذٰا یَوْمُکُمُ الَّذِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ

(۲)

و قال:«من کسا أحدا من فقراء المسلمین ثوبا من عری،أو أعانه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۲،باب فضل الصدقه.

۲- ۲) الأنبیاء،الآیه:۱۰۳.

بشیء مما یقویه علی معیشته،وکل اللّه عز و جل به سبعه آلاف ملک من الملائکه،یستغفرون لکل ذنب عمله،إلی أن ینفخ فی الصور» (۱).

و ثامنها:

ما یبذل لوقایه العرض و النفس

ما یبذل لوقایه العرض،و حفظ الحرمه،و رفع شر الأشرار و ظلم الظلمه.فإن السخی لا یقصر فی شیء من ذلک،و البخیل ربما منع بخله عن ذلک،فیهتک عرضه و یذهب حرمته.و فی بعض الأخبار دلاله علی أن البذل لذلک صدقه.و تقدم أن ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه و کذا بذل ما تقتضیه المروه و العاده من ثمرات الجود و السخاء،و من منعه کان بخیلا.

و تاسعها:

ما ینفق فی المنافع العامه

و الخیرات الجاریه،من بناء المساجد و المدارس و الربط و القناطیر، و إجراء القنوات،و أمثال ذلک مما یبقی أثره علی مر الدهور،و یصل نفعه و ثوابه إلی صاحبه فی کل وقت إلی یوم النشور.و لا یخفی ثواب ذلک.و الأخبار الوارده فی مدحه و فضیلته أکثر من أن تحصی،و لا حاجه إلی ذکرها لاشتهارها بین الناس.

۱- ۱) صححنا الأحادیث الوارده فی هذا المقام علی(الکافی):باب من کسا مؤمنا.

تنبیه الفرق بین الإنفاق و البر و المعروف

اعلم أن لفظ الإنفاق و المعروف و البر یتناول جمیع ما تقدم من الإنفاقات الواجبه و المستحبه.و الفرق بینها:أن الإنفاق خاص بالمال،و المعروف اسم جامع لکل ما عرف من طاعه اللّه و التقرب إلیه و الإحسان إلی الناس، و کل ما ندب إلیه الشرع من فعل و ترک،و هو من الصفات الغالبه،أی أمر معروف بین الناس إذا رأوه لا ینکرونه،و الغالب فی الأخبار إراده ما یتعلق بالمال من معانیه.و البر کالمعروف فی شموله لجمیع أعمال الخیر فی الأصل،و انصراف إطلاقه غالبا فی الأخبار إلی ما یتعلق بالمال من وجوه الإنفاقات المتقدمه بأسرها،و ربما خص بما سوی الصدقه منها،لما ورد أن البر و الصدقه ینفیان الفقر و یزیدان فی العمر.و الظاهر أن مبنی الخبر علی ذکر الخاص بعد العام،فلا وجه للتخصیص.ثم الصدقه تتناول جمیع ما تقدم من وجوه الإنفاق،سوی المروه.و علی أی تقدیر،لا ریب فی أن ما ورد من الآیات و الأخبار فی فضیله مطلق الإنفاق و المعروف و البر یدل علی فضیله کل واحد مما تقدم من وجوه الإنفاق،کقوله سبحانه:

أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا کَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَکُمْ

(۱)

.

و قوله: وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ وَ أَنْتُمْ

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۷.

لاٰ تُظْلَمُونَ

(۱)

.و قوله: وَ آتَى الْمٰالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتٰامىٰ... الآيه (۲).و قوله: قُلْ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوٰالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ... (۳).و قوله: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خُلَّةٌ وَ لاٰ شَفٰاعَةٌ (۴).و قوله: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ... الآيه (۵).و قوله: اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاٰ يُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاٰ أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۶).

و قول رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «أول من يدخل الجنه المعروف و أهله،و أول من يرد على الحوض».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «إن البركه أسرع إلى البيت الذى يمتار فيه المعروف من الشفره فى سنام الجزور،أو من السيل إلى منتهاه».

و قول الباقر-عليه السلام-:

ص: ۱۶۸

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۷۲.

۲- ۲) البقره،الآيه:۱۷۶.

۳- ۳) البقره،الآيه:۲۱۵.

۴- ۴) البقره،الآيه:۲۵۴.

۵- ۵) البقره،الآيه:۲۶۱.

۶- ۶) البقره،الآيه:۲۶۲.

«إن من أحب عباد اللّه إلى اللّه،لمن حبب إليه المعروف و حبب إليه فعاله»

و قول الصادق عليه السلام: «إن من بقاء المسلمين و بقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق و يصنع المعروف،و إن من فناء الإسلام و فناء المسلمين أن تصير الأموال فى أيدى من لا يعرف فيها الحق و لا يصنع فيها المعروف»

و قوله-عليه السلام-: «رأيت المعروف كاسمه،و ليس شىء أفضل من المعروف إلا ثوابه».

و قوله عليه السلام مخاطبا لزراره «ثلاثه إن تعلمهن المؤمن كانت زياده فى عمره و بقاء لنعمه عليه.فقلت و ما هن؟فقال:تطويله فى ركوعه و سجوده فى صلاته،و تطويله لجلوسه على طعامه إذا أطعم على مائدته،و اصطناعه المعروف إلى أهله».

و قوله عليه السلام: «أقيلوا لأهل المعروف عثراتهم،و اغفروا لهم،فإن كف اللّه عليهم هكذا-و أومأ بيده كأنه يظلل بها شيئا».

و قوله-عليه السلام-:

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء».

و قال عليه السلام: «إن للجنه بابا يقال له المعروف،لا يدخله إلا أهل المعروف.و أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخره»: يعنى كما أنهم يصنعون المعروف فى الدنيا كذلك يصنعونه فى الآخره،يهبون حسناتكم لمن شاؤا،

كما قال الصادق عليه السلام فى خبر آخر: «يقال لهم فى الآخره:إن ذنوبكم قد غفرت لكم،فهبوا حسناتكم لمن شئتم و ادخلوا الجنه».

و قال عليه السلام: «قال أصحاب رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:يا رسول اللّه فداك آباؤنا و أمهاتنا!إن أصحاب المعروف فى الدنيا عرفوا بمعروفهم، فبم يعرفون فى الآخره؟فقال-صلى اللّه عليه و آله-:إن اللّه إذا أدخل أهل الجنه الجنه،أمر ريحا عبقه طيبه فلصقت بأهل المعروف،فلا يمر أحد منهم بملإ من أهل الجنه إلا وجدوا ريحه،فقالوا:هذا من أهل

المعروف» (۱).

و منها-أی من رذائل القوه الشهویه-:

اشاره

طلب الحرام

و عدم الاجتناب عنه.و لا ریب فی کونه مترتبا علی حب الدنیا و الحرص علیها،و هو أعظم المهلکات،به هلک أکثر من هلک،و جل الناس حرموا عن السعاده لأجله،و منعوا عن توفیق الوصول إلی اللّه بسببه.و من تأمل یعلم أن أکل الحرام أعظم الحجب للعبد من نیل درجه الأبرار،و أقوی الموانع له عن الوصول إلی عالم الأنوار،و هو موجب لظلمه القلب و کدرته،و هو الباعث لخبثه و غفلته،و هو العله العظمی لخسران النفس و هلاکها،و هو السبب الأقوی لضلالتها و خباثتها،هو الذی أنساها عهود الحمی،و هو الذی أ هواها فی مهاوی الضلاله و الردی و ما للقلب المتکون من الحرام و الاستعداد لفیوضات عالم القدس!و أنی للنطفه الحاصله منه و الوصول إلی مراتب الأنس!و کیف یدخل النور و الضیاء فی قلب أظلمته أدخنه المحرمات؟!و کیف تحصل الطهاره و الصفاء لنفس اخبثتها قذرات المشتبهات؟! و لأمر ما حذر عنه أصحاب الشرع و أمناء الوحی غایه التحذیر، و زجروا منه أشد الزجر،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن للّه ملکا علی بیت المقدس،ینادی کل لیله:من أکل حراما لم یقبل منه صرف و لا عدل»: أی لا نافله و لا فریضه.

و قال-صلی اللّه

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث الوارده هنا علی(الوافی):۶-۲۸۹-۲۹۰.و علی (الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف،أبواب فعل المعروف،الباب ۱-۶.

علیه و آله-: «من لم یبال من أین اکتسب المال،لم یبال اللّه من أین أدخله النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل لحم نبت من حرام فالنار أولی به».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «من أصاب ما لا-من مأثم،فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فی سبیل اللّه،جمع اللّه ذلک جمعا،ثم أدخله فی النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «إن أخوف ما أخاف علی أمتی من بعدی هذه المکاسب الحرام،و الشهوه الخفیه، و الربا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من اکتسب مالا من الحرام فإن تصدق به لم یقبل منه،و إن ترکه وراءه کان زاده إلی النار» (۱).

و قال الصادق-علیه السلام-: «إذا اکتسب الرجل مالا من غیر حله ثم حج فلبی،نودی:لا لبیک و لا سعدیک!و إن کان من حله، نودی لبیک و سعدیک!» (۲).

و قال-علیه السلام-: «کسب الحرام یبین فی الذریه».

و قال-علیه السلام- فی قوله تعالی:

وَ قَدِمْنٰا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً

(۳)

«إن کانت أعمالهم أشد بیاضا من القباطی،فیقول اللّه عز و جل

---

۱ - ۱) هذه النبویات-عدا الخامس-مذکوره فی(إحیاء العلوم):۲-۸۱، و صححناها علیه.أما الخامس،فقد رواه فی(الوسائل)عن(الکافی):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب منه،الباب ۱،الحدیث ۱.

۲ - ۲) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به،باب عدم جواز الإنفاق من الکسب الحرام،الحدیث ۳.و فی نسخ(جامع السعادات):«إذا کسب».

۳- ۳) الفرقان،الآیه:۲۳.

لها:کونی هباء.و ذلک أنهم کانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه» (۱)

و قال الکاظم-علیه السلام-: «إن الحرام لا ینمی،و إن نمی لم یبارک فیه،و إن أنفقه لم یؤجر علیه،و ما خلفه کان زاده إلی النار».

و فی بعض الأخبار: «أن العبد لیوقف عند المیزان،و له من الحسنات أمثال الجبال،فیسأل عن رعایه عیاله و القیام بهم،و عن ماله من أین اکتسبه و فیم أنفقه،حتی تفنی تلک المطالبات کل أعماله،فلا تبقی له حسنه.

فتنادی الملائکه:هذا الذی أکل عیاله حسناته فی الدنیا،و ارتهن الیوم بأعماله»

و ورد: «أن أهل الرجل و أولاده یتعلقون به یوم القیامه، فیوقفونه بین یدی اللّه تعالی،و یقولون:یا ربنا،خذ لنا،بحقنا منه، فإنه ما علمنا ما نجهل،و کان یطعمنا من الحرام و نحن لا نعلم.فیقتص لهم منه» (۲).

فصل عزه تحصیل الحلال

ینبغی لطالب النجاه أن یفر من الحرام فراره من الأسد،و یحترز منه احترازه من الحیه السوداء،بل أشد.و أنی یمکنه ذلک فی أمثال زماننا الذی لم یبق فیه من الحلال إلا الماء الفرات و الحشیش النابت فی أرض الموات،و ما عداه قد أخبثته الأیدی العادیه،و أفسدته المعاملات الفاسده

ص: ۱۷۲

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به الباب ۱،الحدیث ۶.و کذا ما قبله فی هذا الباب،الحدیث ۳.

۲ - ۲) هذان الخبران الأخیران لم نعثر لهما علی مستند.و قد ذکرهما فی(إحیاء العلوم):۳-۳۰،فقال عن الأول:«و فی الخبر»،و عن الثانی:«و یقال».

ما من درهم إلا و قد غصب من أهله مره بعد أولى،و ما من دينار إلا و قد خرج من أيدى من أخذه قهرا كره غب أولى،جل المياه و الأراضى من أهلها مغصوبه،و أنى يمكن القطع بحليه الأقوات و أكثر المواشى و الحيوانات من أهلها منهوبه،فأنى يتأتى الجزم بحليه اللحوم و الألبان و الدسوم.فهيهات ذلك هيهات!ما من تاجر إلا و معاملته مع الظالمين، و ما من ذى عمل إلا و هو مخالط للجائرين من عمال السلاطين.

و بالجمله:الحلال فى أمثال زماننا مفقود،و السبيل دون الوصول إليه مسدود.و لعمرى!أن فقده آفه عم فى الدين ضررها،و نار استطار فى الخلق شررها.و الظاهر أن أكثر الأعصار كان حالها كذلك،

و لذلك قال الإمام جعفر بن محمد الصادق-عليهما السلام-: «المؤمن يأكل فى الدنيا بمنزله المضطر».

و قال رجل للكاظم-عليه السلام-: «ادع اللّه جل و عز أن يرزقنى الحلال،فقال:أ تدرى ما الحلال؟قال:الكسب الطيب.فقال:كان على بن الحسين-عليهما السلام-يقول:الحلال قوت المصطفين.و لكن قل:أسألك من رزقك الواسع». و مع ذلك كله،لا ينبغى للمؤمن أن ييأس من تحصيل الحلال،و يترك الفرق و الفصل بين الأموال،فإن اللّه سبحانه أجل و أعظم من أن يكلف عباده بأكل الحلال و يسد عنهم طريق تحصيله.

فصل أنواع الأموال

اعلم أن الأموال على أقسام ثلاثه:حلال بين،و حرام بين، و شبهات بينهما.و لكل منها درجات،فإن الحرام و إن كان كله خبيثا،

إلا أن بعضه أخبث من بعض،فإن ما يؤخذ بالمعامله الفاسده مع التراضی لیس فی الحرمه کمال الیتیم الذی یؤخذ قهرا.و کذا الحلال و إن کان کله طیبا،إلا أن بعضه أطیب من بعض.و الشبهه کلها مکروهه،و لکن بعضها أشد کراهه من بعض.و کما أن الطبیب یحکم علی کل حلو بالحراره و لکن یقول بعضه حار فی الدرجه الأولی،و بعضه فی الثانیه،و بعضه فی الثالثه،و بعضه فی الرابعه،فکذلک الحرام بعضه خبیث فی الدرجه الأولی و بعضه فی الثانیه،و بعضه فی الثالثه،و بعضه فی الرابعه،و کذلک درجات الحلال فی الصفاء و الطیبه،و درجات الشبهه فی الکراهه.

ثم الحرام إما یحرم لعینه،کالکلب و الخنزیر و التراب و غیرها من المحرمات العینیه،أو لصفه حادثه فیه،کالخمر لإسکاره،و الطعام المسموم لسمیته،أو لخلل فی جهه إثبات الید علیه.و له أقسام غیر محصوره، کالمأخوذ بالظلم و القهر و الغصب و السرقه و الخیانه فی الأمانه و غیرها،و الغش و التلبیس و الرشوه،و بالبخس فی الوزن و الکیل،و بإحدی المعاملات الفاسده من الربا و الصرف و الاحتکار،و غیر ذلک مما هو مذکور فی کتب الفقه و قد نهی اللّه سبحانه عن جمیع ذلک فی آیات کثیره،کقوله تعالی:

وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ

(۱)

.و قوله:

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوٰالَ الْيَتٰامىٰ ظُلْماً...

(۲)

.و عن خصوص الربا بقوله:يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ذَرُوا

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۸۸.

۲- ۲) النساء،الآیه:۹.

مٰا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،ثم قال: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ،ثم قال: وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوٰالِكُمْ (۱)،ثم قال: وَ مَنْ عٰادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ (۲).

جعل أكل الربا فى أول الأمر مؤديا إلى محاربه اللّه،و فى آخره متعرضا للنار.و قد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه فى أخبار كثيره،و هى فى كتب الأخبار و الفقه مذكوره،و تفصيل جميع المحرمات موكول إلى كتب الفقه،و ليس هنا موضع بيانه،فليرجع فيه إلى كتب الفقهاء.

الفرق بين الرشوه و الهديه

و ربما يتوهم الاشتباه فى بعض الموارد بين الرشوه و الهديه،فلنشر إلى جليه الحال فيهما،فنقول:ههنا صور:

الأولى-أن يسلم أو يرسل مالا إلى بعض الإخوان طلبا للاستئناس و تأكيدا للصحبه و التودد.و قد عرفت كونه هديه و حلالا،سواء قصد به الثواب فى الآخره و التقرب إلى اللّه تعالى أيضا،أ و لم يقصد به الثواب بل قصد مجرد الاستئناس و التودد.

الثانيه-أن يقصد بالبذل عوض مالى معين فى العاجل،كأن يهدى

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۷۸-۲۷۹.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۷۵.

الفقیر إلی الغنی أو الغنی إلی الغنی شیئا طمعا فی عوض أکثر أو مساو من ماله.

و هذا أیضا نوع هدیه،و حقیقته ترجع إلی هبه بشرط العوض،و إذا و فی بما(یطمع فیه) (۱)من العوض فلا ریب فی حلیته.

قال الصادق علیه السلام: «الربا رباءان:ربا یؤکل،و ربا لا یؤکل فأما الذی یؤکل فهدیتک إلی الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها،فذلک الربا الذی یؤکل و هو قول اللّه تعالی:

وَ مٰا آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ یَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ

(۲)

.

و أما الذی لا یؤکل،فهو الذی نهی اللّه عز و جل عنه،و أوعد علیه النار»

(۳)

و عنه-علیه السلام-:«قال:قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- الهدیه علی ثلاثه وجوه:هدیه مکافأه،و هدیه مصانعه، و هدیه للّه عز و جل»

(۴)

. و فی بعض الأخبار نوع إشعار بالحل،و إن لم یتحقق الوفاء بما(یطمع فیه) (۵)من العوض،

کخبر إسحاق بن عمار عن الصادق-علیه السلام-:«قال: قلت له علیه السلام:الرجل

۱- ۱) فی النسخ:«یطعمه»،فرجحنا ما أثبتناه.

۲- ۲) الروم،الآیه:۳۹.

۳- ۳) صححناه علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب الربا،الباب ۳، الحدیث ۱.

۴- ۴) صححناه علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به،الباب ۱۱۹،الحدیث ۲.

۵- ۵) فی النسخ:(یطعمه).

الفقیر یهدی الی الهدیه،یتعرض لما عندی،فآخذها و لا أعطیه شیئا أ یحل لی؟قال نعم!هی لک حلال،و لکن لا تدع أن تعطیه» (۱)و هل یحل مع إعطائه العوض المطموع فیه إذا لم یکن من ماله،بل کان من الأموال التی أعطته الناس لیصرف إلی الفقراء من الزکوات و الأخماس و سائر وجوه البر،و الظاهر الحل إذا کان المهدی من أهل الاستحقاق و المهدی له معطیا إیاه،و إن لم یکن لیهدی له شیئا.و فیه تأمل،کما یظهر بعد ذلک.

الثالثه-أن یقصد به الإعانه بعمل معین،کالمحتاج إلی السلطان أو ذی شوکه یهدی إلی وکیلهما،أو من له مکانه عندهما،فینظر إلی ذلک العمل،فإن کان حراما،کالسعی فی تنجز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غیر ذلک،أو واجبا،کدفع ظلم أو استخلاص حق ینحصر الدفع و الاستخلاص به،أو شهاده معینه،أو حکم شرعی یجب علیه،أو أمثال ذلک،فهو رشوه محرمه یحرم أخذها،و إن کان العمل مباحا لا-حراما و لا واجبا.فإن کان فیه تعب،بحیث جاز الاستئجار علیه،فما یأخذه حلال و جار مجری الجعاله،کأن یقول:أوصل هذه الفضه إلی السلطان و لک دینار.أو اقترح علی فلان أن یعیننی علی کذا أو یعطینی کذا،و توقف تنجز غرضه علی تعب أو کلام طویل،فما یأخذه فی جمیع ذلک مباح،إذا کان الغرض مشروعا مباحا،و هو مثل ما یأخذه وکیل القاضی للخصومه بین یدیه،بشرط ألا یتعدی من الحق.و إن لم یکن العمل مما فیه تعب بل کان مثل کلمه أو فعله لا تعب فیها أصلا،و لکن کانت تلک الکلمه أو تلک الفعله من مثله مفیده،لکونه ذا منزله،کقوله للبواب لا-تغلق دونه باب السلطان،فقال بعض العلماء:الآخذ علی هذا حرام،إذ لم

۱- ۱) صححناه علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به، الباب ۱۱۹،الحدیث ۲.

يثبت فى الشرع جواز ذلك.و يقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمه واحده ينبه بها على دواء يتفرد بمعرفته.و فيه نظر،إذ الظاهر جواز هذا الأخذ مع مشروعيه الغرض و عدم كونه واجبا عليه.

الرابعه-أن يطلب به حصول التودد و المحبه،و لكن لا ـ من حيث إنه تودد فقط،بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض ينحصر جنسها و إن لم ينحصر عينها،و كان بحيث لو لا ـ جاهه لكان لا يهدى إليه،فإن كان جاهه لأجل علم أورع أو نسب فالأمر فيه أخف،و الظاهر كون الأخذ حينئذ مكروها،لأنه هديه فى الظاهر مع كونه مشابها للرشوه.و إن كان لأجل ولايه تولاها،من قضاء أو حكومه أو ولايه صدقه أو وقف أو جبايه مال أو غير ذلك من الإعمال السلطانيه،فالظاهر كون ما يأخذه حراما لو كان بحيث لا يهدى إليه لو لا تلك الولايه،لأنه رشوه عرضت فى معرض الهديه،إذ القصد بها فى الحال طلب التقرب و المحبه،و لكن لأمر ينحصر فى جنسه،لظهور أن ما يمكن التوصل إليه بالولايات ما ذا،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهديه،و القتل بالموعظه،يقتل البرىء لتوعظ به العامه».

و روى:

«أنه صلى اللّه عليه و آله بعث واليا على صدقات الأزد،فلما جاء أمسك بعض ما معه،و قال:هذا لكم و هذا لى هديه.فقال-صلى اللّه عليه و آله-:ألا ـ جلست فى بيت أبيك و بيت أمك حتى تأتيك هديه إن كنت صادقا!ثم قال:ما لى استعمل الرجل منكم،فيقول:هذه لكم و هذه هديه لى،ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له!و الذى نفسى بيده! لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى اللّه بحمله،و لا يأتين أحدكم يوم القيامه ببعير له رغاء،أو بقره لها خوار أو شاه تيعر...ثم رفع يديه

حتى رأوا بياض إبطيه،و قال:اللهم هل بلغت؟» (۱).

و على هذا،فينبغى لكل وال أو حاكم و قاض و غيرهم من عمال السلاطين،أن يقدر نفسه فى بيت أبيه و أمه معزولا بلا شغل،فما كان يعطى حينئذ يجوز له أن يأخذه فى ولايته أيضا،و ما لا يعطى مع عزله و يعطى لولايته يحرم أخذه،و ما أشكل عليه من عطايا أصدقائه فهو شبهه و طريق الاحتياط فيها واضح.

وصل الورع عن الحرام

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه و الاحتياط عنه،و هو الورع بأحد إطلاقيه،فإن الورع قد يفسر بملكه التنزه و الاجتناب عن مال الحرام أكلا و طلبا و أخذا و استعمالا،و قد يفسر بكف النفس عن مطلق المعاصى و منعها عما لا ينبغى.فعلى الأول يكون ضدا لعدم الاجتناب عن المال الحرام،و يكون من رذائل قوه الشهوه،و على الثانى يكون ضدا للملكه الولوع على مطلق المعصيه،و يكون من رذائل القوه الغضبيه و الشهويه جميعا.

ثم الظاهر أن التقوى مرادفه للورع،فإن لها أيضا تفسيرين:أحدهما الاتقاء عن الأموال المحرمه،و قد أطلقت التقوى فى بعض الأخبار على هذا المعنى.و ثانيهما:ملكه الاتقاء عن مطلق المعاصى،خوفا من سخط اللّه و طلبا لرضاه.فعلى الأول يكون ضدا لعدم التنزه عن المال الحرام و رذيله

۱- ۱) صححنا هذين النبويين على ما فى(إحياء العلوم):۲-۱۳۷.

لقوه الشهوه،و على الثانى يكون ضدا لملكه ارتكاب المعاصى و رذيله للقوتين معا.

ثم اللازم على طريقتنا أن يذكر الورع و التقوى بالتفسير الأول هنا و بالتفسير الثانى فى المقام الرابع الذى نذكر فيه ما يتعلق بالقوتين أو بالثلاث من الرذائل و الفضائل.إلا أنا نذكر ما ورد فى فضيلتهما هنا،لدلاله ما ورد فى فضيلتهما بالتفسير الثانى على فضيلتهما بالتفسير الأول أيضا،و لعدم فائده فى استئناف عنوان على حده لمطلق المعصيه و ذكر ما ورد فى ذمها، ثم تذييلها بضدها الذى هو الورع و التقوى بتفسيريهما العام.إذ بعد ذكر جميع الأجناس و الأنواع و الأصناف من المعاصى و الطاعات،بأحكامها و لوازمها و ذمها و مدحها،لا فائده لاستئناف ذكر مطلق المعصيه أو الطاعه إذ لا يتعلق بهما غرض سوى ذكر ما ورد فى ذم مطلق المعصيه،و ما ورد فى مدح مطلق الطاعه،و هذا أمر ظاهر لا حاجه إليه فى كتب الأخلاق.

نعم،نشير إلى مطلق العصيان و ضده،أعنى الورع و التقوى بالمعنى الأعم إجمالا،ضبطا للأنواع و الأقسام.

فصل مدح الورع

الورع و التقوى عن الحرام أعظم المنجيات،و عمده ما ينال به إلى السعادات و رفع الدرجات.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:

«خير دينكم الورع».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من لقى اللّه سبحانه ورعا،أعطاه اللّه ثواب الإسلام كله».

و فى بعض الكتب السماويه «و أما الورعون،فإنى أستحيى أن أحاسبهم».

و قال الباقر-عليه السلام-:

«إن أشد العباده الورع».

و قال-علیه السلام-: «ما شیعتنا إلا من أتقی اللّه و أطاعه،فاتقوا اللّه و اعملوا لما عند اللّه،لیس بین اللّه و بین أحد قرابه.أحب العباد إلی اللّه تعالی و أکرمهم علیه أبقاهم و أعملهم بطاعته»

و قال الصادق-علیه السلام-: «أوصیک بتقوی اللّه و الورع و الاجتهاد و اعلم أنه لا ینفع اجتهاد لا ورع فیه».

و قال: «اتقوا اللّه و صونوا دینکم بالورع».

و قال علیه السلام-: «علیکم بالورع،فإنه لا ینال ما عند اللّه إلا بالورع».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه ضمن لمن اتقاه،أن یحوله عما یکره إلی ما یحب،و یرزقه من حیث لا یحتسب».

و قال-علیه السلام-: «إن قلیل العمل مع التقوی خیر من کثیر بلا تقوی».

و قال علیه السلام: «ما نقل اللّه عبدا من ذل المعاصی إلی عز التقوی،إلا أغناه من غیر مال،و أعزه من غیر عشیره،و آنسه من غیر بشر».

و قال -علیه السلام-: «إنما أصحابی من اشتد ورعه،و عمل لخالقه،و رجا ثوابه، هؤلاء أصحابی».

و قال علیه السلام-: «ألا و إن من اتباع أمرنا و إرادته الورع،فتزینوا به یرحمکم اللّه،و کیدوا أعداءنا ینعشکم اللّه».

و قال-علیه السلام-: «أعینونا بالورع،فإن من لقی اللّه تعالی منکم بالورع،کان له عند اللّه فرجا.إن اللّه عز و جل یقول:

وَ مَنْ یُطِعِ اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولٰئِکَ رَفِیقاً

(۱)

.

۱- ۱) النساء،الآیه:۶۸.

فمنا النبی،و منا الصدیق و الشهداء و الصالحون»

و قال أبو جعفر -علیه السلام-: «قال اللّه عز و جل.یا بن آدم،اجتنب ما حرم علیک تکن من أورع الناس».

و سئل الصادق-علیه السلام-عن الورع من الناس،فقال:«الذی یتورع عن محارم اللّه عز و جل» (۱).

و لکون طلب الحرام و عدم الاجتناب عنه باعثا للهلاک،و توقف النجاه و السعاده فی الآخره علی الورع عن المحرمات،مع افتقار الناس فی الدنیا إلی المطاعم و الملابس،ورد فی فضیله کسب الحلال و مدحه

ما ورد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «طلب الحلال فریضه علی کل مسلم و مسلمه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من بات کالا من طلب الحلال،بات مغفورا له».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«العباده سبعون جزءا،أفضلها طلب الحلال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: العباده عشره أجزائه فی طلب الحلال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده،مر علی الصراط کالبرق الخاطف»،

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده،نظر اللّه إلیه بالرحمه،ثم لا یعذبه أبدا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده حلالا،فتح اللّه له أبواب الجنه،یدخل من أیها شاء»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من أکل من کد یده،کان یوم القیامه فی عداد الأنبیاء،و یأخذ ثواب الأنبیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من طلب الدنیا استعفافا عن الناس و سعیا علی أهله و تعطفا علی جاره

۱- ۱) صححنا الأحادیث الوارده فی هذا الفصل علی الکافی باب الطاعه و التقوی و باب الورع.و علی(البحار):۲ مج ۱۵-۹۶-۸۹ باب الطاعه و التقوی، و باب الورع و اجتناب الشبهات.

لقی اللّه عز و جل یوم القیامه و وجهه کالقمر لیله البدر» (۱)

و کان -صلی اللّه علیه و آله-إذا نظر إلی الرجل و أعجبه،قال:«هل له حرفه؟فان قال:لا،قال:سقط من عینی.قیل:و کیف ذاک یا رسول اللّه؟قال:لأن المؤمن إذا لم تکن له حرفه یعیش بدینه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سعی علی عیاله من حله،فهو کالمجاهد فی سبیل اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من طلب الدنیا حلالا فی عفاف،کان فی درجه الشهداء»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل الحلال أربعین یوما،نور اللّه قلبه،و أجری ینابیع الحکمه من قلبه علی لسانه».

و طلب منه-صلی اللّه علیه و آله-بعض الصحابه أن یجعله اللّه تعالی مستجاب الدعوه،فقال له:«أطب طعمتک تستجب دعوتک».

و قال الصادق علیه السلام-: «اقرؤا من لقیتم من أصحابکم السلام،و قولوا لهم:إن فلان بن فلان یقرؤکم السلام، و قولوا لهم:علیکم بتقوی اللّه عز و جل،و ما ینال به ما عند اللّه،إنی و اللّه ما آمرکم إلا بما نأمر به أنفسنا،فعلیکم بالجد و الاجتهاد،و إذا صلیتم الصبح و انصرفتم،فبکروا فی طلب الرزق،و اطلبوا الحلال،فإن اللّه عز و جل سیرزقکم و یعینکم علیه» (۲)

۱- ۱) صححنا أکثر الأحادیث المذکوره هنا علی الوسائل:کتاب التجاره، أبواب مقدماتها،الباب ۴.و علی فروع الکافی:کتاب المعیشه،باب الحث علی الطلب و التعرض للرزق.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب التجاره،فی الباب المتقدم،

فصل مداخل الحلال

اعلم أن مداخل الحلال خمسه:

الأول-ما لا يؤخذ من مالك،كنيل المعادن،و إحياء الموات، و الاصطياد،و الاحتطاب،و الاحتشاش،و الاستقاء من الشطوط و الأنهار و هذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصا بذى حرمه من الناس،و تفصيل ذلك موكول إلى كتاب إحياء الموات.

الثانى-ما يؤخذ قهرا ممن لا حرمه له،و هو الفىء،و الغنيمه،و سائر أموال الكفار المحاربين.و ذلك حلال للمسلمين بالشروط المقرره فى كتاب الغنائم و الجزيه.

الثالث-ما ينتقل إليه بالرضى من غير عوض،من حى أو ميت، كالهبه،و الميراث،و الوصيه،و الصدقات.و هذا حلال بشرط أن يكون المنقول منه اكتسبه من مداخل الحلال،و يضمن سائر الشروط المقرره فى كتاب الهبات و الفرائض و الوصايا و الصدقات.

الرابع-ما يؤخذ تراضيا بمعاوضه،و ذلك حلال بالشرائط و الآداب المقرره فى فن المعاملات من الفقه،من البيع،و السلم،و الإجاره،و الصلح و الشركه،و المضاربه،و المزارعه،و المساقاه،و الحواله،و الضمان، و الكتابه،و الخلع،و الصداق،و غير ذلك من المعاوضات.

الخامس-ما يحصل من الزراعه و منافع الحيوانات.و هو حلال إذا كان الأرض و البذر و الماء و الحيوانات حلالا بأحد الوجوه المتقدمه.

فهذه مداخل الحلال،فينبغى لطالب النجاه أن يكون ما يكتسبه

ص :۱۸۴

من المال من أحد هذه المداخل،بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحليه.

فصل درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع و التقوى عن الحرام على أربع درجات:

الأولى-ورع العدول:و هو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه،و تسقط به العداله،و يثبت به العصيان و التعرض للنار،و هو الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين.

الثانيه-ورع الصالحين:و هو الاجتناب من الشبهات أيضا.

الثالثه-الورع عما يخاف أداؤه إلى محرم أو شبهه أيضا،و إن لم يكن فى نفسه حراما و لا شبهه،فهو ترك ما لا بأس به مخافه ما به بأس.

الرابعه-ورع الصديقين:و هو الاجتناب عن كل ما ليس للّه، و يتناول لغير اللّه،و غير نيته التقوى على عبادته و إن كان حلالا صرفا لا يخاف أداؤه إلى حرام أو شبهه.و الصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ أنفسهم،المتفردون للّه تعالى بالقصد، الراؤن كل ما ليس للّه تعالى حراما،العاملون بقوله سبحانه:

قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِی خَوْضِهِمْ یَلْعَبُونَ

(۱)

.

۱- ۱) الإنعام،الآیه:۹۱.

تتمیم

قال الصادق-علیه السلام-: «التقوی علی ثلاثه أوجه:تقوی من خوف النار و العقاب،و هو ترک الحرام،و هو تقوی العام.و تقوی من اللّه،و هو ترک الشبهات فضلا عن الحرام،و هو تقوی الخاص.

و تقوی فی اللّه،و هو ترک الحلال فضلا عن الشبهه» (۱)و إلی هذه المراتب الثلاث أشیر فی الکتاب الإلهی بقوله:

لَیْسَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ

(۲)

.

الغدر و الخیانه

فی المال أو العرض أو الجاه.و یدخل تحته الذهاب بحقوق الناس خفیه،و حبسها من غیر عسر،و بالبخس فی الوزن و الکیل،و بالغش بما یخفی،و غیر ذلک من التدلیسات المموهه و التلبیسات المحرمه.و جمیع

---

۱ - ۱) هذا مقتبس من(مصباح الشریعه):الباب ۸۳ و فیه تقدیم و تأخیر فی مراتب التقوی عما هنا و لم یتبین لنا وجه صحه التعبیر:تقوی العام و تقوی الخاص فأثبتناه کما وجدناه.

۲- ۲) المائده،الآیه:۹۶.

ذلک من خباثه القوه الشهویه،و رذائلها،و من الرذائل المهلکه و خبائثها.

و قد وردت فی ذم الخیانه و بأقسامها أخبار کثیره،و جمیع ما یدل علی ذم الذهاب بحقوق الناس و أخذ أموالهم بدون رضاهم یدل علی ذمها.

و ضد الخیانه(الأمانه)،و قد وردت فی مدحها و عظم فوائدها أخبار کثیره،

کقول الصادق-علیه السلام-: «إن اللّه عز و جل لم یبعث نبیا إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه إلی البر و الفاجر»

و قوله-علیه السلام-: «لا تغتروا بصلاتهم و لا بصیامهم،فإن الرجل ربما لهج بالصلاه و الصوم حتی لو ترکه استوحش،و لکن اختبروهم بصدق الحدیث و أداء الأمانه» (۱)

و قوله-علیه السلام-: «انظر ما بلغ به علی علیه السلام عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فالزمه،فإن علیا-علیه السلام-إنما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بصدق الحدیث و أداء الأمانه» (۲)

و قوله-علیه السلام-: «ثلاث لا عذر فیها لأحد:أداء الأمانه إلی البر و الفاجر،و الوفاء بالعهد إلی البر و الفاجر،و بر الوالدین، برین کانا أو فاجرین» (۳).

ص:۱۸۷

۱- ۱) فی نسخ جامع السعادات و البحار و الوسائل:«عند صدق الحدیث...» و رجحنا نسخه الکافی.

۲- ۲) صححنا هذه الأحادیث الثلاثه علی البحار:۲ مج ۱۵-۱۲۳-۱۲۴ باب الصدق و لزوم أداء الأمانه،و علی الکافی:باب الصدق و أداء الأمانه،و علی الوسائل:کتاب الودیعه الباب ۱.

۳- ۳) روی فی الکافی باب بر الوالدین-:هذا الحدیث عن أبی جعفر -علیه السلام-و جاء فیه:«ثلاث لم یجعل اللّه عز و جل لأحد فیهن رخصه...» و لکن فی الوسائل-کتاب الودیعه الباب ۲ الطبعه الحجریه-رواه عن الکافی کما فی المتن.

و قوله-علیه السلام-:«کان أبی یقول أربع من کن فیه کمل إیمانه،و إن کان من قرنه إلی قدمه ذنوبا لم ینقصه ذلک،و هی:الصدق،و أداء الأمانه،و الحیاء،و حسن الخلق» (۱).

و قوله-علیه السلام-: «أهل الأرض مرحومون ما یخافون و أدوا الأمانه و عملوا بالحق».

و قیل له علیه السلام:«إن امرأه بالمدینه کان الناس یضعون عندها الجواری فیصلحن،و مع ذلک ما رأینا مثل ما صب علیها من الرزق.فقال:إنها صدقت الحدیث و أدت الأمانه،و ذلک یجلب الرزق» (۲) و الأخبار فی فضیله الأمانه کثیره.

و لقد قال لقمان:«ما بلغت إلی ما بلغت إلیه من الحکمه،إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه». فمن تأمل فی ذم الخیانه و إیجابها الفضیحه و العار فی الدنیا و العذاب و النار فی الآخره،و فی فضیله الأمانه و أدائها إلی خیر الدنیا و سعاده الآخره،سهل علیه ترک الخیانه و الاتصاف بالأمانه.

أنواع الفجور

من الزنا،و اللواط،و شرب الخمر،و الاشتغال بالملاهی،و استعمال آلاتها،من العود،و المزمار،و الرباب،و الدف،و أمثالها.فإن کل ذلک من رذائل القوه الشهویه.و کذا لبس الذهب و الحریر للرجال.و قد وردت فی ذم کل واحد منها بخصوصه أخبار کثیره،و لا حاجه إلی ذکرها،لشیوعها و اشتهارها.

۱- ۱) روی فی الکافی باب حسن الخلق-هذا الحدیث عن الصادق-علیه السلام-،و لیس فیه:«کان أبی یقول».

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب الودیعه،الباب ۱ و هو یرویه عن الکافی.

و منها:

الخوض فی الباطل

و هو التکلم فی المعاصی و الفجور و حکایتها،کحکایات أحوال النساء و مجالس الخمر،و مقامات الفساق،و تنعم الأغنیاء،و تجبر الملوک و مراسمهم المذمومه و أحوالهم المکروهه،و أمثال ذلک.فکل ذلک من رداءه القوه الشهویه و خباثتها.

ثم لما کانت أنواع الباطل غیر محصوره لکثرتها،فالخوض فیه أیضا کذلک،و تکون له أنواع غیر متناهیه،و لا یفتح باب کلام إلا و ینتهی إلی واحد منها،فلا خلاص منه إلا باقتصار الکلام علی قدر الحاجه من مهمات الدین و الدنیا.و ربما وقعت من الرجل من أنواع الخوض فی الباطل کلمه تهلکه و هو مستحقر لها،فإن أکثر الخوض فی الباطل حرام،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «أعظم الناس خطایا یوم القیامه أکثرهم خوضا فی الباطل». و إلیه الإشاره بقوله تعالی.

وَ کُنّٰا نَخُوضُ مَعَ الْخٰائِضِینَ

(۱)

.و قوله تعالی: فَلاٰ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّٰی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن الرجل لیتکلم بالکلمه من

۱- ۱) المدثر،الآیه:۴۵.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۳۹.

رضوان اللّه،مـا يظن أن تبلغ ما بلغت،فيكتب اللّه له بها رضوانه إلى يوم القيامه.و إن الرجل ليتكلم بالكلمه من سـخط اللّه ما يظن أن تبلغ ما بلغت،فيكتب اللّه عليه بها سخطه إلى يوم القيامه» (۱)

و قـال سـلمان الفارسـى-رضـى اللّه عنه-: «أكثر الناس ذنوبا يوم القيامه،أكثرهم كلاما فى معصـيه اللّه». و كان رجل من الأنصار يمر على مجلس الخائضـين فى الباطل،فيقول لهم:«توضـئوا،فإن بعض ما تقولون شـر من الحدث» ثم الخوض فى الباطل هو ذكر محظورات سـبق وجودها بمجرد شـهوه النفس،من دون حاجه داعيه إليه،فلا مدخليه له بمثل الغيبه و النميمه و الفحش و المراء و الجـدال و أمثالها،و يـدخل فيه الخوض فى حكايات البدع و المذاهب الفاسده،فإن الحديث عنها خوض فى الباطل،و ورد النهى عنه

و منها:

اشاره

التكلم بما لا يعنى أو بالفضول

و المراد بالأول:التكلم بما لا فائده فيه أصلا،لا فى الدين و لا فى الدنيا،و الثانى-أعنى فضول الكلام-:أعم منه،إذ يتناول الخوض فى مـا لاـ يعنى و الزيـاده فى مـا يعنى على قـدر الحاجه.فـإن من يعنيه أمر و يتمكن من تقريره و تـأديته و تـأديه مقصـوده بكلمه واحده،و مع ذلك ذكر كلمتين فالثانيه فضول،أى فضل على الحاجه،و لا ريب فى أن التكلم بما لا يعنى و بالفضول مذموم،و إن لم يكن فيه إثم،و هو ناش عن رداءه القوه الشهويه،إذ الباعث عليه ليس إلا مجرد تشهى النفس و هواها.

۱- ۱) صحناه على كنز العمال:۲-۱۱۲.

و السر فى ذمه:أنه يوجب تضييع الوقت،و المنع من الذكر و الفكر و ربما يبنى لأجل تهليله أو تسبيحه قصر فى الجنه،و ربما ينفح من نفحات رحمه اللّه عند الفكره ما يعظم جدواه،فمن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز،فأخذ بدله مدره لا ينتفع بها،كان خاسرا.فمن ترك ذكر اللّه و الفكر فى عجائب قدرته،و اشتغل بمباح لا يعنيه،و إن لم يأثم،إلا أنه قد خسر،حيث فاته الربح العظيم بذكر اللّه و فكره.فإن رأس مال العبد أوقاته،و مهما صرفها إلى ما لا يعنيه،و لم يدخر بها ثوابا فى الآخره، فقد ضيع رأس ماله.على أن الغالب تأديه الخوض فى ما لا يعنى و فى الفضول إلى الخوض فى الباطل،و ربما أدى إلى الكذب بالزياده و النقصان.و لذا ورد فى ذمه ما ورد،

و قد روى: «أنه استشهد يوم أحد غلام من أصحاب النبى-صلى اللّه عليه و آله-،و وجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه،و قالت:هنيئا لك الجنه يا بنى!فقال النبى-صلى اللّه عليه و آله-:و ما يدريك؟لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه و يمنع ما لا يضره؟».

و ورد أيضا: «أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قال لبعض أصحابه-و هو مريض-:ابشر.فقالت أمه:هنيئا لك الجنه!فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:و ما يدريك؟لعله قال ما لا يعنيه أو منع ما يعنيه؟»:يعنى إنما تتهنأ الجنه لمن لا يحاسب و من يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه،و إن كان كلامه مباحا،فلا تتهنأ له الجنه مع المناقشه فى الحساب،فإنه نوع من العذاب.

و روى: «أنه تكلم رجل عند النبى-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:فأكثر،فقال له النبى كم دون لسانك من حجاب؟فقال:شفتاى و أسنانى.فقال:أ فما كان فى ذلك ما يرد كلامك؟».

و فى روايه أخرى: «أنه قال ذلك فى رجل أثنى عليه،فاستهتر فى الكلام،ثم قال:ما أوتى رجل شرا من

فضل فی لسانه».

و روی: «أنه قدم رهط من بنی عامر علی رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-،فشرعوا بالمدح و الثناء علیه.فقال-صلی اللّه علیه و آله-:قولوا قولکم،و لا یستهوینکم الشیطان! (۱). و مراده -صلی اللّه علیه و آله-:أن اللسان إذا أطلق الثناء،و لو بالصدق، فیخشی أن یستهویه الشیطان إلی الزیاده المستغنی عنها .و قال بعض الصحابه «إن الرجل لیکلمنی بالکلام و جوابه أشهی الی من الماء البارد علی الظمآن فاترکه خیفه أن یکون فضولا».و قال بعض الأکابر:«من کثر کلامه کثر کذبه».و قال بعضهم:«یهلک الناس فی خصلتین:فضول المال و فضول الکلام».

فصل حد التکلم بما لا یعنی

التکلم بما لا یعنی و بالفضول لا تنحصر أنواعه و أقسامه،لعدم تناهیها، و إنما حده أن تتکلم بما لو سکتّ عنه لم تأثم،و لم تتضرر فی شیء مما یتعلق بک،و لم یعطل شیء من أمورک.مثاله:أن تحکی مع قوم أسفارک و ما رأیت فیها من جبال و أنهار،و ما وقع لک من الوقایع،و ما استحسنته من الأطعمه و الثیاب،و ما تعجبت منه من مشایخ البلاد و وقائعهم.فهذه أمور لو سکت عنها لم تأثم و لم تتضرر،و لا یتصور فیها فائده دینیه و لا دنیویه لأحد،فإذا بالغت فی الاجتهاد حتی لا تمتزج بحکایتک زیاده و نقصان و لا تزکیه نفس من حیث التفاخر بمشاهده الأحوال العظیمه،و لا اغتیاب

۱- ۱) صححنا أحادیث الباب کلها علی(احیاء العلوم):۳-۹۳-۹۹، و علی(کنز العمال):۲-۱۸۴،۱۳۰.

شخص و لا مذمه شیء مما خلقه اللّه،فإنک مع ذلک کله مضیع وقتک.

ثم کما أن التکلم بما لا یعنیک مذموم،کذلک سؤالک غیرک عما لا یعنیک مذموم،بل هو أشد ذما،لأنک بالسؤال مضیع وقتک،و قد ألجأت أیضا صاحبک بالجواب إلی تضییع وقته.و هذا إذا کان الشیء مما لا یتطرق إلی السؤال عنه آفه،و لو کان فی جوابه آفه-کما هو الشأن فی أکثر الأسئله عما لا یعنیک-کنت آثما عاصیا.مثلا:لو سألت غیرک عن عبادته،فتقول:هل أنت صائم؟فان قال:نعم،کان مظهرا عبادته فیدخل علیه الریاء،و إن لم یدخل الریاء سقطت عبادته-علی الأقل- من دون عباده السر،و عباده السر تفضل عباده الجهر بدرجات،و إن قال:لا،کان کاذبا،و إن سکت،کان مستحقرا إیاک و تأذیت به، و إن احتال لمدافعه الجواب افتقر إلی تعب و جهد فیه.فقد عرضته بالسؤال إما للریاء و الکذب،أو للاستحقار،أو التعب فی حیله الدفع.

و کذلک سؤالک عن کل ما یخفی و یستحیی من إظهاره،أو عما یحتمل أن یکون فی إظهاره مانع،کان یحدث به أحد غیرک،فتسأله و تقول:

ما ذا تقول؟و فیم أنتم؟و کأن تری إنسانا فی الطریق فتقول:من أین إذ ربما یمنع مانع من إظهار مقصوده.و من هذا القبیل سؤالک غیرک:

لم أنت ضعیف؟أو ما هذا الضعف أو الهزال الذی حدث بک؟أو أی مرض فیک؟و أمثال ذلک.و أشد من ذلک أن تخوف مریضا بشده مرضه و تقول:ما أشد مرضک و ما أسوأ حالک!فإن جمیع ذلک و أمثالها،مع کونها من فضول الکلام و الخوض فی ما لا یعنی،یتضمن إثما و إیذاء.و لیس من مجرد التکلم بما لا یعنی و الفضول،و إنما مجرد ما لا یعنی ما لا یتصور فیه إیذاء و کسر خاطر و استحیاء من الجواب،

کما روی: «أن لقمان دخل علی داود علیه السلام و هو یسرد الدرع،و لم یکن یراها قبل ذلک

فجعل يتعجب مما يرى.فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمه،فأمسك نفسه و لم يسأله.فلما فرغ داود،قام و لبسها،و قال:نعم الدرع للحرب فقال لقمان:الصمت حكم و قليل فاعله». و هذا و أمثاله من الأسئله إذا لم يكن فيه ضرر و هتك ستر و إيقاع فی رياء أو كذب،فهو مما لا يعنی، و تركه من حسن الإسلام.

فصل علاج الخوض فيما لا يعنی

سبب الخوض فی ما لا يعنی و فی فضول الكلام:إما الحرص علی معرفه ما لا حاجه إليه،أو المباسطه بالكلام علی سبيل التودد،أو ترجيه الوقت بحكايات أحوال لا فائده فيها،و كل ذلک من رداءه قوه الشهوه.

و علاج ذلک من حيث العلم:أن يتذكر ذمه كما مر،و مدح ضده،أعنی الصمت،و تركه-كما يأتی-و يعلم أن الموت بين يديه،و أنه مسئول عن كل كلمه،و أن أنفاسه رأس ماله،و أن لسانه شبكه يقدر علی أن يقتنص بها الحور العين،فإهماله و تضييعه خسران،و من حيث العمل أن يعتزل عن الناس مهما أمكن،و يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود لسانه ترک ما لا يعنيه،و أن يقدم التأمل و التروی علی كل كلام يريد أن يتكلم به فإن كان فيه فائده دينيه أو دنيويه تكلم به و إلا تركه.و كان بعضهم يضع فی فمه حجرا،خوفا من التكلم بالفضول و ما لا يعنيه.

وصل الصمت

ضد التکلم بما لا یعنیه و بالفضول ترکها،إما بالصمت أو بالتکلم فیما یعنیه مما یتعلق بدینه أو دنیاه.و فوائد الصمت و مدحه یأتی فی موضعه.

و قد وردت أخبار فی المدح علی خصوص ترک ما لا یعنی و فضول الکلام

کقول النبی صلی اللّه علیه و آله-: «من حسن إسلام المرء ترکه ما لا یعنیه»

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «طوبی لمن أمسک الفضل من لسانه، و أنفق الفضل من ماله!». و انظر کیف قلب الناس الأمر فی ذلک، فأمسکوا فضل المال و أطلقوا فضل اللسان.

و روی:«أنه-صلی اللّه علیه و آله-قال ذات یوم: إن أول من یدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنه.فلما دخل هذا الرجل،قالوا له:أخبرنا بأوثق عملک فی نفسک ترجو به.فقال:إنی رجل ضعیف العمل،و أوثق ما أرجو اللّه به سلامه الصدر و ترک ما لا یعنینی»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-لأبی ذر «ألا أعلمک بعمل خفیف علی البدن ثقیل فی المیزان.قال:بلی یا رسول اللّه قال:هو الصمت،و حسن الخلق،و ترک ما لا یعنیک».

قال ابن عباس:

«خمس هن أحسن من الدراهم المونقه:لا تتکلم فیما لا یعنیک،فإنه فضل و لا آمن علیک الوزر.و لا تتکلم فیما یعنیک حتی تجد له موضعا،فإنه رب متکلم فی أمر یعنیه قد وضعه فی غیر موضعه فعنت.و لا تمار حلیما و لا سفیها،فإن الحلیم یغلبک بصمته،و إن السفیه یؤذیک بمنطقه.و اذکر أخاک إذا تغیب عنک بما تحب أن یذکرک به،و اعفه مما تحب أن یعفیک

منه.و اعمل عمل رجل یری أنه مجازی بالإحسان مأخوذ بالاحترام» (۱)

و قیل للقمان:ما حکمتک؟قال:«لا أسأل عما کفیت،و لا أتکلف ما لا یعنینی» و ما ورد فی فضیله ترک الفضول و ما لا یعنی فی أخبار الحجج-علیهم السلام-و کلمات الأکابر من الحکماء و العرفاء أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لأهل الاستبصار.

۱- ۱) ذکر هذه الروایه عن ابن عباس فی(إحیاء العلماء):۳-۹۷.و فیه اختلاف کثیر عما هنا،و لم یحصل لنا تحققها علی مصدر آخر.و الأحادیث النبویه هنا رواها فی(إحیاء العلوم)أیضا فی الموقع المذکور.

المقام الرابع (فیما یتعلق بالقوی الثلاث من العاقله و قوتی الغضب و الشهوه،أو باثنتین منها من الرذائل و الفضائل).

اشاره

الحسد و ذمه-الغبطه-بواعث الحسد-لا تحاسد بین علماء الآخره و العارفین-علاج الحسد-القدر الواجب فی نفی الحسد-النصیحه-الإیذاء و الإهانه-کف الأذی-ذم الظلم-العدل-إخافه المؤمن-إدخال السرور علی المؤمن-ترک إعانه المسلمین-قضاء حوائج المسلمین-المداهنه فی الأمر بالمعروف-السعی فیه-وجوبه و شروطه-لا تشترط العداله فیه-مراتبه- ما ینبغی فی الآمر و الناهی-أنواع المنکرات-الهجران-التآلف-قطع الرحم-صله الرحم-المراد منه-عقوق الوالدین-برهما-حق الجوار- حدود الجوار و حقه-طلب العثرات-ستر العیوب-إفشاء السر-کتمان السر-النمیمه-السعایه-الإفساد بین الناس-الإصلاح-الشماته-المراء علاجه-طیب الکلام-السخریه-المزاح-المذموم منه-الغیبه-لا تنحصر الغیبه باللسان-بواعثها-ذمها-مسوغاتها-کفارتها-البهتان-المدح الکذب-ذمه-مسوغاته-التوریه-المبالغه-شهاده الزور-علاج الکذب-الصدق و مدحه-أنواعه-اللسان أضر الجوارح-الصمت-حب الجاه-ذمه-الجاه أحب من المال-لا بد للإنسان من جاه-دفع إشکال- الکمال الحقیقی فی العلم و القدره و الجاه و المال-علاج حب الجاه-الخمول- مراتب حب المدح-أسبابه-علاجه-ضد حب المدح-الریاء-ذمه -أقسامه-تأثیر الریاء علی العباده السرور بالاطلاع علی العباده-متعلقات الریاء- بواعثه-الریاء الجلی و الخفی-کیف یفسد الریاء العمل-شوائب الریاء المبطله للعمل-علاجه-الوسوسه بالریاء-الإخلاص-مدحه-آفاته-النفاق.

ص: ۱۹۷

فمنها:

اشاره

الحسد

و هو تمنى زوال نعم اللّه تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح، فإن لم ترد زوالها عنه و لكن تريد لنفسک مثلها فهو(غبطه)و منافسه، فإن لم يكن له فيها صلاح و أردت زوالها عنه فهو(غيره).ثم إن كان باعث حسدك مجرد الحرص على وصول النعمه إلى نفسك،فهو من رداءه القوه الشهويه،و إن كان باعثه محض وصول المكروه إلى المحسود فهو من رذائل القوه الغضبيه،و يكون من نتائج الحقد الذى هو من نتائج الغضب،و إن كان باعثه مركبا منهما،فهو من رداءه القوتين.و ضده (النصيحه)،و هى إراده بقاء نعمه اللّه على أخيك المسلم مما له فيه صلاح.

و لا ريب فى أنه لا يمكن الحكم على القطع بكون هذه النعمه صلاحا أو فسادا.فربما كانت وبالا على صاحبه و فسادا له،مع كونها نعمه و صلاحا فى بادى النظر.فالمناط فى ذلك غلبه الظن،فما ظن كونه صلاحا فإراده زواله حسد و إراده بقائه نصيحه،و ما ظن كونه فاسدا فإراده زواله غيره.ثم إن اشتبه عليك الصلاح و الفساد،فلا ترد زال نعمه أخيك و لا بقاءها إلا مقيدا بالتفويض و شرط الصلاح،لتخلص من حكم الحسد و يحصل لك حكم النصيحه.و المعيار فى كونك ناصحا:أن تريد لأخيك ما تريد لنفسك،و تكره له ما تكره لنفسك.و فى كونك حاسدا:

أن تريد له ما تكره لنفسک،و تكره له ما تريد لنفسک.

فصل ذم الحسد

الحسد أشد الأمراض و أصعبها،و أسوأ الرذائل و أخبثها،و يؤدى بصاحبه إلى عقوبه الدنيا و عذاب الآخره،لأنه فى الدنيا لا يخلو لحظه عن الحزن و الألم،إذ هو يتألم بكل نعمه يرى لغيره،و نعم اللّه تعالى غير متناهيه لا- تنقطع عن عباده،فيدوم حزنه و تألمه.فوبال حسده يرجع إلى نفسه،و لا يضر المحسود أصلا،بل يوجب ازدياد حسناته و رفع درجاته من حيث إنه يعيبه،و يقول فيه ما لا يجوز فى الشريعه،فيكون ظالما عليه، فيحمل بعضا من أوزاره و عصيانه،و تنقل صالحات أعماله إلى ديوانه، فحسده لا يؤثر فيه إلا- خيرا و نفعا،و مع ذلك يكون فى مقام التعاند و التضاد مع رب الأرباب و خالق العباد،إذ هو الذى أفاض النعم و الخيرات على البرايا كما شاء و أراد بمقتضى حكمته و مصلحته،فحكمته الحقه الكامله أوجبت بقاء هذه النعمه على هذا العبد،و الحاسد المسكين يريد زوالها،و هل هو إلا سخط قضاء اللّه فى تفضيل بعض عباده على بعض و تمنى انقطاع فيوضات اللّه التى صدرت عنه بحسب حكمته و إراده خلاف ما أراد اللّه على مقتضى مصلحته؟!بل هو يريد نقصه سبحانه،و عدم اتصافه بصفاته الكماليه.إذ إفاضه النعم منه سبحانه فى أوقاتها اللائقه على محالها المستعده من صفاته الكماليه التى عدمها نقص عليه تعالى،و إلا- لم يصدر عنه،و هو يريد ثبوت هذا النقص،ثم لتمنيه زوال النعم الإلهيه التى هى الوجودات و رجوع الشرور إلى الأعدام يكون طالبا للشر و محبا له،و قد صرح الحكماء بأن من رضى بالشر،و لو بوصوله إلى العدو،

فهو شریر فالحسد أشد الرذائل،و الحاسد شر الناس.و أی معصیه أشد من کراهه راحه مسلم من غیر أن یکون له فیها مضره؟و لذا ورد به الذم الشدید فی الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه فی معرض الإنکار:

أَمْ یَحْسُدُونَ النّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ

(۱)

.

و قال: وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمانِکُمْ کُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ (۲).و قال: إِنْ تَمْسَسْکُمْ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْکُمْ سَیِّئَهٌ یَفْرَحُوا بِها (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «الحسد یأکل الحسنات کما تأکل النار الحطب».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «قال اللّه عز و جل لموسی بن عمران:یا بن عمران،لا تحسدن الناس علی ما آتیتهم من فضلی،و لا تمدن عینیک إلی ذلک،و لا تتبعه نفسک،فإن الحاسد ساخط لنعمی،صاد لقسمی الذی قسمت بین عبادی.و من یک کذلک فلست منه و لیس منی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «لا تحاسدوا و لا تقاطعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا،و کونوا عباد اللّه إخوانا».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «دب إلیکم داء الأمم من قبلکم:الحسد و البغضاء،و البغضه هی الحالقه،لا أقول حالقه الشعر،و لکن حالقه الدین.و الذی نفس محمد بیده!لا تدخلون الجنه حتی تؤمنوا،و لن

۱- ۱) النساء،الآیه:۵۳.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۰۹.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۳۰.

تؤمنوا حتى تحابوا.أ لا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟افشوا السلام بينكم!»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «كاد الفقر أن يكون كفرا،و كاد الحسد أن يغلب القدر».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «سيصيب أمتى داء الأمم.قالوا:و ما داء الأمم؟قال:الأشر،و البطر، و التكاثر،و التنافس فى الدنيا،و التباعد و التحاسد،حتى يكون البغى ثم الهرج».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أخوف ما أخاف على أمتى أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون و يقتتلون».

و قال صلى اللّه عليه و آله «إن لنعم اللّه أعداء.فقيل:و من هم؟قال:الذين يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله».

و ورد فى بعض الأحاديث القدسيه: «أن الحاسد عدو لنعمتى،متسخط لقضائى،غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى».

و قال الإمام أبو جعفر الباقر-عليهما السلام-: «إن الرجل ليأتى بأدنى بادره فيكفر (۱)،و إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب».

و قال أبو عبد اللّه عليه السلام: «آفه الدين:الحسد و العجب و الفخر».

و قال عليه السلام: «إن المؤمن يغبط و لا يحسد، و المنافق يحسد و لا يغبط» (۲).

و قال: «الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود،كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنه،و لآدم الاجتباء و الهدى و الرفع إلى محل حقائق العهد و الاصطفاء.فكن محسودا و لا تكن حاسدا

۱- ۱) فى بعض نسخ(الكافى):«ليتأذى»و فى نسخ(جامع السعادات): «ليأتى بأى»و رجحنا نسخه(الوسائل)و(البحار)كما فى المتن.

۲- ۲) صححنا أحاديث هذا الفصل على(البحار):۳ مج ۱۵-۱۳۱-۱۳۲ باب الحسد.و على(الكافى):باب الحسد.و على(سفينه البحار):۱-۲۵۰-۲۵۱ و على(احياء العلوم):۳-۱۶۲-۱۶۴ و على(الوسائل):أبواب جهاد النفس الباب ۵۴.

فإن میزان الحاسد أبدا خفیف بثقل میزان المحسود،و الرزق مقسوم،فما ذا ینفع الحسد الحاسد،و ما ذا یضر المحسود الحسد.و الحسد أصله من عمی القلب و الجحود بفضل اللّه تعالی،و هما جناحان للکفر،و بالحسد وقع ابن آدم فی حسره الأبد،و هلک مهلکا لا ینجو منه أبدا،و لا توبه للحاسد لأنه مصر علیه معتقد به مطبوع فیه،یبدو بلا معارض به و لا سبب، و الطبع لا یتغیر عن الأصل،و إن عولج» (۱). و قال بعض الحکماء:

«الحسد جرح لا یبرأ».و قال بعض العقلاء:«ما رأیت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد،إنه یری النعمه علیک نقمه علیه».و قال بعض الأکابر:

«الحاسد لا ینال من المجالس إلا مذمه و ذلا،و لا من الملائکه إلا لعنه و بغضا،و لا ینال من الخلق إلا جزعا و غما،و لا ینال عند النزع إلا شده و هولا،و لا ینال عند الموقف إلا فضیحه و نکالا».و الأخبار و الآثار فی ذم الحسد أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه یکفی لطالب الحق ثم ینبغی أن یعلم أنه إذا أصاب النعمه کافر أو فاجر و هو یستعین بها علی تهیج الفتنه و إیذاء الخلق و إفساد ذات البین،فلا مانع من کراهتها علیه و حب زوالها منه،من حیث أنها آله للفساد،لا من حیث أنها نعمه.

فصل المنافسه و الغبطه

قد علمت أن المنافسه هی تمنی مثل ما للمغبوط،من غیر أن یرید زواله عنه،و لیست مذمومه،بل هی فی الواجب واجبه،و فی المندوب

ص:۲۰۲

۱- ۱) هذا الخبر فی(مصباح الشریعه):الباب ۵۱،و صححناه علیه.

مندوبه و فی المباح مباحه.قال اللّه سبحانه:

وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ

(۱)

.

و علیها یحمل

قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-: «لا حسد إلا فی اثنین:رجل آتاه اللّه مالا،فسلطه علی ملکه فی الحق.و رجل آتاه اللّه علما،فهو یعمل به و یعلمه الناس»: أی لا غبطه إلا فی ذلک،سمیت الغبطه حسدا کما یسمی الحسد منافسه،اتساعا لمقارنتهما.و سبب الغبطه حب النعمه التی للمغبوط،فإن کانت أمرا دینیا فسببها حب اللّه و حب طاعته،و إن کانت دنیویه فسببها حب مباحات الدنیا و التنعم فیها.و الأول لا کراهه فیه بوجه،بل هو مندوب إلیه.و الثانی و إن لم یکن حراما، إلا أنه ینقص درجته فی الدین،و یحجب عن المقامات الرفیعه،لمنافاته الزهد و التوکل و الرضا.

ثم الغبطه لو کانت مقصوره علی مجرد حب الوصول إلی ما للمغبوط لکونه من مقاصد الدین و الدنیا،من دون حب مساواته له و کراهه نقصانه عنه،فلا حرج فیه بوجه،و إن کان معه حب المساواه و کراهه التخلف و النقصان،فهنا موضع خطر.إذ زوال النقصان إما بوصوله إلی نعمه المغبوط أو بزوالها عنه،فإذا انسدت إحدی الطریقتین تکاد النفس لا تنفک عن شهوه الطریقه الأخری.إذ یبعد أن یکون إنسان مریدا لمساواه غیره فی النعمه فیعجز عنها،ثم لا ینفک عن میل إلی زوالها،بل الأغلب میله إلیه،حتی إذا زالت النعمه عنه کان ذلک عنده أشهی من بقائها علیه، إذ بزوالها یزول نقصانه و تخلفه عنه.فإن کان بحیث لو ألقی الأمر إلیه ورد إلی اختیاره لسعی فی إزاله النعمه عنه،کان حاسدا حسدا مذموما

۱- ۱) المطففین،الآیه:۲۶.

و إن منعه مانع العقل من ذلک السعی،و لکنه وجد من طبعه الفرح و الارتیاح بزوال النعمه عن المغبوط،من غیر کراهه لذلک و مجاهده لدفعه فهو أیضا من مذموم الحسد،و إن لم یکن فی المرتبه الأولی،و إن کره ما یجد فی طبعه من السرور و الانبساط بزوال النعمه بقوه عقله و دینه، و کان فی مقام المجاهده لدفع ذلک عن نفسه،فمقتضی الرحمه الواسعه أن یعفی عنه،لأن دفع ذلک لیس فی وسعه و قدرته إلا بمشاق الریاضیات.

إذ ما من إنسان إلا و یری من هو فوقه من معارفه و أقاربه فی بعض النعم الإلهیه،فإذا لم یصل إلی مقام التسلیم و الرضا،کان طالبا لمساواته له فیه و کارها عن ظهور نقصانه عنه.فإذا لم یقدر أن یصل إلیه،مال طبعه بلا اختیار إلی زوال النعمه عنه،و اهتز و ارتاح به حتی ینزل هو إلی مساواته.و هذا و إن کان نقصا تنحط به النفس عن درجات المقربین، سواء کان من مقاصد الدنیا أو الدین،إلا أنه لکراهته له بقوه عقله و تقواه،و عدم العمل بمقتضاه،یعفی عنه إن شاء اللّه،و تکون کراهته لذلک من نفسه کفاره له.

و قد ظهر من تضاعیف ما ذکر:أن الحسد المذموم له مراتب أربع:

الأولی-أن یحب زوال النعمه عن المحسود و إن لم تنتقل إلیه،و هذا أخبث المراتب و أشدها ذما.

الثانیه-أن یحب زوالها لرغبته فی عینها،کرغبته فی دار حسنه معینه،أو امرأه جمیله بعینها،و یحب زوالها من حیث توقف و صوله إلیها علیه، لا من حیث تنعم غیره بها.و یدل علی تحریم هذه المرتبه و ذمها قوله تعالی:

وَ لاٰ تَتَمَنَّوْا مٰا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلیٰ بَعْضٍ

(۱)

.

الثالثه-ألا یشتهی عینها،بل یشتهی لنفسه مثلها،إلا أنه إن

۱- ۱) النساء،الآیه:۳۱.

عجز عن مثلها أحب زوالها عنه،کیلا یظهر التفاوت بینهما،و مع ذلک لو خلی و طبعه،اجتهد و سعی فی زوالها.

الرابعه-کالثالثه،إلا أنه إن اقتدر علی إزالتها منعه قاهر العقل أو غیره من السعی فیه،و لکنه یهتز و یرتاح به من غیر کراهه من نفسه لذلک الارتیاح.

و الغبطه لها مرتبتان:

الأولی-أن یشتهی الوصول إلی مثل ما للمغبوط،من غیر میل إلی المساواه و کراهه للنقصان،فلا یحب زوالها عنه.

الثانیه-أن یشتهی الوصول إلیه مع میله إلی المساواه و کراهته للنقصان،بحیث لو عجز عن نیله،وجد من طبعه حبا خفیا لزوالها عنه و ارتاح من ذلک إدراکا للمساواه و دفعا للنقصان،إلا أنه کان کارها من هذا الحب،و مغضبا علی نفسه لذلک الارتیاح،و ربما سمیت هذه المرتبه ب(الحسد المعفو عنه)و کأنه المقصود

من قوله-صلی اللّه علیه و آله-:

«ثلاث لا ینفک المؤمن عنهن:الحسد،و الظن،و الطیره...ثم قال:و له منهن مخرج،إذا حسدت فلا تبغ-أی إن وجدت فی قلبک شیئا فلا تعمل به،و کن کارها له-و إذا ظننت فلا تحقق،و إذا تطیرت فامض».

فصل بواعث الحسد

اشاره

بواعث الحسد سبعه:

الأول-خبث النفس و شحها بالخیر لعباد اللّه.

فإنک تجد فی زوایا العالم من یسر و یرتاح بابتلاء العباد بالبلایا و المحن،و یحزن من حسن حالهم

و سعه عیشهم.فمثله إذا وصف له اضطراب أمور الناس و إدبارهم، و فوات مقاصدهم و تنغص عیشهم،یجد من طبعه الخبیث فرحا و انبساطا و إن لم یکن بینه و بینهم عداوه و لا رابطه،و لم یوجب ذلک تفاوتا فی حاله من وصوله إلی جاه أو مال أو غیر ذلک.و إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد اللّه و انتظام أموره،شق ذلک علیه،و إن لم یوجب ذلک نقصا فی شیء مما له.فهو یبخل بنعمه اللّه علی عباده من دون قصد و غرض،و لا تصور انتقال النعمه إلیه،فیکون ناشئا عن خبث نفسه و رذاله طبعه.و لذا یعسر علاجه،لکونه مقتضی خباثه الجبله،و ما یقتضیه الطبع و الجبله تعسر إزالته،بخلاف ما یحدث من الأسباب العارضه.

الثانی-العداوه و البغضاء.

و هی أشد أسبابه،إذ کل أحد-إلا أوحدی من المجاهدین-إذا أصابت عدوه بلیه فرح بذلک،إما لظنها مکافأه من اللّه لأجله،أو لحبه طبعا ضعفه و هلاکه.و مهما أصابته نعمه ساءه ذلک،لأنه ضد مراده،و ربما تصور لأجله أنه لا منزله له عند اللّه حیث لم ینتقم من عدوه و أنعم علیه،فیحزن لذلک.

الثالث-حب الرئاسه و طلب المال و الجاه.

فإن من غلب علیه حب التفرد و الثناء،و استقره الفرح بما یمدح به من أنه وحید الدهر و فرید العصر فی فنه،من شجاعه أو علم أو عباده أو صناعه أو جمال أو غیر ذلک،لو سمع بنظیر له فی أقصی العالم ساءه ذلک،و ارتاح بموته أو زوال النعمه التی یشارکه فیها،لیکون فائقا علی الکل فی فنه،و متفردا بالمدح و الثناء فی صفته.

الرابع-الخوف من فوت المقاصد.

و ذلک یختص بمتزاحمین علی مقصود واحد،فإن کل واحد،منهما یحسد صاحبه فی وصوله هذا المقصود طلبا للتفرد به،کتحاسد الضرات فی مقاصد الزوجیه.و الإخوه فی نیل

المنزله فی قلب الأبوین توصلا إلی مالهما،و التلامذه لأستاذ واحد فی نیل المنزله فی قلبه،و ندماء الملک و خواصه فی نیل المنزله و الکرامه عنده،و الوعاظ و الفقهاء المتراحمین علی أهل بلده واحده فی نیل القبول و المال عندهم،إذا کان غرضهم ذلک.

الخامس-التعزز:

و هو أن یثقل علیه أن یترفع علیه بعض أقرانه و یعلم أنه لو أصاب بعض النعم یستکبر علیه و یستصغره،و هو لا یطیق ذلک لعزه نفسه،فیحسده لو أصاب تلک النعمه تعززا لنفسه.فلیس غرضه أن یتکبر،لأنه قد رضی بمساواته،بل غرضه أن یدفع کبره.

السادس-التکبر:

و هو أن یکون فی طبعه الترفع علی بعض الناس و یتوقع منه الانقیاد و المتابعه فی مقاصده،فإذا نال بعض النعم خاف ألا یحتمل تکبره و یترفع عن خدمته،و ربما أراد مساواته أو التفوق علیه، فیعود مخدوما بعد إن کان خادما،فیحسده فی وصول النعمه لأجل ذلک و قد کان حسد أکثر الکفار لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من هذا القبیل،حیث قالوا:کیف یتقدم علینا غلام فقیر یتیم؟ لَوْ لاٰ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلیٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ (۱).

السابع-التعجب:

و هو أن یکون المحسود فی نظر الحاسد حقیرا و النعمه عظیمه،فیعجب من فوز مثله بمثلها،فیحسده و یحب زوالها عنه و من هذا القبیل حسد الأمم لأنبیائهم،حیث قالوا:

۱- ۱) الزخرف،الآیه:۳۱.

مٰا أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا

(۱)

. فَقٰالُوا:أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنٰا (۲). وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ (۳).

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبه الوحی و الرساله،و حسدوه بمجرد ذلک،من دون قصد تکبر أو رئاسه أو عداوه أو غیرها من أسباب الحسد.

و قد تجتمع هذه الأسباب أو أکثرها فی شخص واحد،فیعظم لذلک حسده،و تقوی قوه لا یقدر معها علی المجامله،فتظهر العداوه بالمکاشفه.

و ربما قوی الحسد بحیث یتمنی صاحبه أن یزول عن کل أحد ما یراه له من النعمه،و ینتقل إلیه.و مثله لا ینفک عن الجهل و الحرص،إذ هو یتمنی استجماع جمیع النعم و الخیرات الحاصله لجمیع الناس له،و لا ریب فی استحاله ذلک،و لو قدر إمکانه لا یمکنه الاستمتاع بها،فلو لم یکن حریصا لم یتمن ذلک أصلا،و لو کان عالما لدفع هذا التمنی بقوته العاقله.

(تنبیه)

بعض الأسباب المذکوره،کما یقتضی أن یتمنی زوال النعمه و السرور به کذلک یقتضی تمنی حدوث البلیه و الارتیاح منه.إلا أن المعدود من الحسد هو الأول،و الثانی معدود من العداوه.فالعداوه أعم منه،إذ هی تمنی وقوع مطلق الضرر بالعدو،سواء کان زوال نعمه أو حدوث بلیه.و الحسد تمنی زوال مجرد النعمه.

۱- ۱) یس،الآیه:۱۵.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه:۴۸.

۳- ۳) المؤمنون،الآیه:۳۴.

فصل لا تحاسد بين علماء الآخره و العارفين

الأسباب المذكوره إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها فى مجالس المخاطبات و يتواردون على الأغراض،فإذا خالف بعضهم بعضا فى غرض من أغراضه،أبغضه و ثبت فيه الحقد،فعند ذلك يريد استحقاره و التكبر عليه،و يكون فى صدد مكافاته على المخالفه لغرضه، و يكره تمكنه من النعمه التى توصله إلى أغراضه،فيتحقق الحسد.و لذا ترى أنه لا- تحاسد بين شخصين فى بلدتين متباعدتين،لعدم رابطه بينهما، إلا إذا تجاورا فى محل واحد،و تواردا على مقاصد تظهر فيها مخالفه بينهما فيحدث منهما التباغض،و تثور منه بقيه أسباب الحسد.و ترى كل صنف يحسد مثله دون غيره،لتواردهما على المقاصد،و تزاحمهما على صنعه واحده فالعالم يحسد العالم دون العابد،و التاجر يحسد التاجر دون غيره،إلا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفه،و هكذا يغم من اشتد حرصه على حب الجاه و أحب الصيت و الاشتهار فى جميع أطراف العالم و شاق التفرد بما هو فيه،فإنه يحسد كل من فى العالم ممن يشاركه فى الفن الذى يتفاخر به.

ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا،إذ منافعها لضيقها و انحصارها تصير محل التزاحم و التعارك،بحيث لا يمكن وصول منفعه منها،كمنصب أو مال إلى أحد إلا بزوالها عن الآخر.و أما الآخره،فلا ضيق فيها،فلا تنازع بين أهلها.و مثالها فى الدنيا العلم،فإنه منزه عن المزاحمه،فمن يحب العلم باللّه و صفاته و أفعاله و معرفه النظام الجملى من البدو إلى النهايه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا.إذ العلم لا يضيق عن كثره العالمين،

و المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم،و يفرح كل واحد منهم بمعرفته و يلتذ به،و لا ينقص ما لديه بمعرفه غيره،بل يحصل بكثره العارفين زياده الأنس و ثمره الإفاده و الاستفاده.إذ معرفه اللّه بحر واسع لا ضيق فيه، و كل علم يزيد بالإنفاق و تشريك غيره من أبناء النوع،يصير منشأ لزياده اللذه و البهجه،و قس على العلم التقرب و المنزله عند اللّه و غيرهما من النعم الأخرويه.فإن أجل ما عند اللّه من النعم و أعلى مراتب المنزله و القرب عنده تعالى لذه لقائه،و ليس فيها ممانعه و مزاحمه،و لا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض،بل يزيد الأنس بكثرتهم.

و قد ظهر مما ذكر:أنه لا تحاسد بين علماء الآخره،لأنهم يلتذون و يبتهجون بكثره المشاركين فى معرفه اللّه و حبه و أنسه،و إنما يقع التحاسد بين علماء الدنيا،و هم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال و الجاه.إذ المال أعيان و أجسام،إذا وقعت فى يد واحد خلت عنها أيدى الآخرين.و الجاه ملك القلوب،و إذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم،انصرف عن تعظيم الآخر،أو نقص عنه لا محاله،فيكون ذلك سببا للتحاسد.و أما إذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفه اللّه،لم يمنع ذلك من أن يمتلئ غيره به.

فلو ملك إنسان جميع ما فى الأرض،لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه و انحصاره.و أما العلم فلا نهايه له،و مع ذلك لو ملك إنسان بعض العلوم لم يمنع ذلك من تملك غيره له.

فظهر أن الحسد إنما هو فى التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل،فلا حسد بين العارفين و لا بين أهل العليين،لعدم ضيق و مزاحمه فى المعرفه و نعيم الجنه،و لذا قال اللّه سبحانه فيهم:

وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلی سُرُرٍ

مُتَقٰابِلِينَ

(۱)

.

بل الحسد من صفات المسجونين فی سجن السجین.

فیا حبیبی،إن کنت مشفقا علی نفسک،طالبا لعماره رمسک،فاطلب نعمه لا مزاحمه فیها،و لذه لا مکدر لها.و ما هی إلا لذه معرفه اللّه و حبه و أنسه،و الانقطاع إلی جناب قدسه،و إن کنت لا تلتذ بذلک،و لا تشتاق إلیه،و تنحصر لذاتک بالأمور الحسیه و الوهمیه،فاعلم أن جوهر ذاتک معیوب،و عن عالم الأنوار محجوب،و عن قریب تحشر مع البهائم و الشیاطین،و تکون مغلولا معهم فی أسفل السافلین.و مثلک فی عدم درک هذه اللذه،مثل الصبی و العنین فی عدم درک لذه الوقاع.فکما أن هذه اللذه یختص بإدراکها رجال أصحاء،فکذلک لذه المعرفه یختص بإدراکها:

رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِیهِمْ تِجٰارَهٌ وَ لاٰ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّٰهِ

(۲)

.

و لا یشتاق غیرهم إلیها،إذ الشوق بعد الذوق،فمن لم یذق لم یعرف،و من لم یعرف لم یشتق،و من لم یشتق لم یطلب،و من لم یطلب لم یدرک،و من لم یدرک کان مطرودا عن العلیین،ممنوعا عن مجاوره المقربین،محبوسا مع المحرومین فی أضیق درکات السجین.

وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِکْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ

(۳)

.

۱- ۱) الحجر،الآیه:۴۷.

۲- ۲) النور،الآیه:۳۷.

۳- ۳) الزخرف،الآیه:۳۶.

فصل علاج الحسد

اشاره

لما علم أن الحسد من الأمراض المهلكه للنفوس،فاعلم أن أمراض النفوس لا تداوى إلا بالعلم و العمل.و العلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضرك فى الدين و الدنيا،و لا يضر محسودك فيهما،بل ينتفع به فيهما.

و مهما عرفت ذلك عن بصيره و تحقيق،و لم تكن عدو نفسك لا صديق عدوك،فارقت الحسد.

و أما أنه يضر بدينك و يؤدى بك إلى عذاب الأبد و عقاب السرمد فلما علمت من الآيات و الأخبار الوارده فى ذمه و عقوبه صاحبه،و لما عرفت من كون الحاسد ساخطا لقضاء اللّه تعالى،و كارها لنعمه التى قسمها لعباده،و منكرا لعدله الذى أجراه فى ملكه.و مثل هذا السخط و الإنكار لإيجابه الضديه و العناد لخالق العباد،كاد أن يزيل أصل التوحيد و الإيمان فضلا عن الإضرار بهما.على أن الحسد يوجب الغش و العداوه بالمؤمن، و ترك نصيحته و موالاته و تعظيمه و مراعاته و مفارقه أنبياء اللّه و أوليائه فى حبهم الخير و النعمه له،و مشاركه الشيطان و أحزابه فى فرحهم بوقوع المصائب و البلايا عليه،و زوال النعم عنه.و هذه خبائث فى النفس، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

و أما أنه يضرك فى الدنيا،لأنك تتألم و تتعذب به،و لا تزال فى تعب و غم و كد و هم،إذ نعم اللّه لا تنقطع عن عباده و لا عن أعدائك، فأنت تتعذب بكل نعمه تراها لهم،و تتألم بكل بليه تنصرف عنهم، فتبقى دائما مغموما محزونا،ضيق النفس منشعب القلب،فأنت باختيارك

ص :۲۱۲

تجر إلی نفسک ما ترید لأعدائک و یرید أعداؤک لک.و ما أعجب من العاقل أن یتعرض لسخط اللّه و مقته فی الآجل،و دوام الضرر و الألم فی العاجل فیهلک دینه و دنیاه من غیر جدوی و فائده.

و أما أنه لا یضر المحسود فی دینه و دنیاه فظاهر،لأن النعمه لا تزول عنه بحسدک.إذ ما قدره اللّه من النعم علی عباده لا بد أن یستمر إلی وقته و لا ینفع التدبیر و الحیله فی دفعه،لا مانع لما أعطاه و لا راد لما قضاه:

لِکُلِّ أَجَلٍ کِتٰابٌ . وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ (۱).

و لو کانت النعم تزول بالحسد،لم تبق علیک و علی کافه الخلق نعمه،لعدم خلوک و خلوهم عن الحسد،بل لم تبق نعمه الإیمان علی المؤمنین،إذ الکفار یحسدونهم،کما قال اللّه سبحانه:

وَدَّتْ طٰائِفَهٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ لَوْ یُضِلُّونَکُمْ وَ مٰا یُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا یَشْعُرُونَ

(۲)

.

و لو تصورت زوال النعمه عن محسودک بحسدک،و عدم زوالها عنک بحسد حاسدک،لکنت أجهل الناس و أشدهم غباوه.نعم،ربما صار حسدک منشأ لانتشار فضل المحسود،کما قیل:

و إذا أراد اللّه نشر فضیله

طویت،أتاح لها لسان حسود

فإذا لم تزل نعمته بحسدک،لم یضره فی الدنیا،و لا یکون علیه إثم فی الآخره.

و أما أنه ینفعه فی الدین،فلذلک ظاهر من حیث کونه مظلوما من

۱- ۱) الرعد،الآیه:۹،۴۰.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۶۹.

جهتک،(لا)سیما إذا أخرجک الحسد إلی ما لا ینبغی من القول و الفعل کالغیبه،و البهتان،و هتک ستره،و إفشاء سره،و القدح فیه،و ذکر مساویه.فتحتمل بهذه الهدایا التی تهدیها إلیه بعضا من أوزاره و عصیانه و تنقل شطرا من حسناتک إلی دیوانه،فیلقاک یوم القیامه مفلسا محروما عن الرحمه،کما کنت تلقاه فی الدنیا محروما عن النعمه.فأضفت له نعمه إلی نعمه،و لنفسک نقمه إلی نقمه.

و أما أنه ینفعه فی الدنیا،فهو أن أهم أغراض الناس مساءه الأعداء و سوء حالهم،و کونهم متألمین معذبین.و لا عذاب أشد مما أنت فیه من ألم الحسد.فقد فعلت بنفسک ما هو غایه مراد حسادک فی الدنیا.و إذا تأملت هذا،عرفت أن کل حاسد عدو نفسه،و صدیق عدوه.فمن تأمل فی ذلک،و تذکر ما یأتی من فوائد النصیحه و حب الخیر و النعمه للمسلمین،و لم یکن عدو نفسه،فارق الحسد البته.

و أما العمل النافع فیه،فهو أن یواظب علی آثار النصیحه التی هی ضده،بأن یصمم علی أن یکلف نفسه بنقیض ما یقتضیه الحسد من قول و فعل،فإن بعثه الحسد علی التکبر علیه،ألزم نفسه التواضع له،و إن بعثه علی غیبته و القدح فیه،کلف لسانه المدح و الثناء علیه،و إن بعثه علی الغش و الخرق بالنسبه إلیه،کلف نفسه بحسن البشر و اللین معه،و إن بعثه علی کف الإنعام عنه،ألزم نفسه زیادته.و مهما فعل ذلک عن تکلف و کره و داوم علیه،انقطعت عنه ماده الحسد علی التدریج.علی أن المحسود إذا عرف منه ذلک طاب قلبه و أحبه،و إذا ظهر حبه للحاسد زال حسده و أحبه أیضا،فتتولد بینهما الموافقه،و ترتفع عنهما ماده المحاسده و هذا هو المعالجه الکلیه لمطلق مرض الحسد.و العلاج النافع لکل نوع منه،أن یقمع سببه،من خبث النفس و حب الرئاسه و الکبر و عزه النفس

و شده الحرص و غیر ذلک مما ذکر،و علاج کل واحد من هذه الأسباب یأتی فی محله.

تنبیه القدر الواجب فی نفی الحسد

اعلم أن مساواه حسن حال العدو و سوء حاله،و عدم وجدان التفرقه بینهما فی النفس،لیست مما تدخل تحت الاختیار.فالتکلیف به تکلیف بالمحال.فالواجب فی نفی الحسد و إزالته هو القدر الذی یمکن دفعه،و بیان ذلک-کما أشیر إلیه-أن الحسد:

(أولا)إما یبعث صاحبه علی إظهاره بقول أو فعل،بحیث یعرف حسده من آثاره الاختیاریه،و لا ریب فی کونه مذموما محرما،و کون صاحبه عاصیا آثما،لا لمجرد آثاره الظاهره التی هی الغیبه و البهتان مثلا، إذ هی أفعال صادره عن الحسد،محلها الجوارح،و لیست عین الحسد، إذ هو صفه للقلب لا صفه للفعل،و محله القلب دون الجوارح،قال اللّه سبحانه:

وَ لاٰ یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حٰاجَهً مِمّٰا أُوتُوا

(۱)

.و قال:

وَدُّوا لَوْ تَکْفُرُونَ کَمٰا کَفَرُوا فَتَکُونُونَ سَوٰاءً

(۲)

.و قال:

إِنْ تَمْسَسْکُمْ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ

(۳)

.

۱- ۱) الحشر،الآیه:۹.

۲- ۲) النساء،الآیه:۸۸.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۲۰.

فلو كان الإثم على مجرد أفعال الجوارح،لم يكن أصل الحسد الذى هو صفه القلب معصيه،و الأمر ليس كذلك،فيكون عاصيا لنفس الحسد الذى فى قلبه أيضا،أعنى ارتياحه بزوال النعمه مع عدم كراهه ذلك من نفسه.و الإثم حقيقه على عدم كراهته و عدم مقته و قهره على نفسه لهذا الارتياح الذى يجده منها،لكونه اختياريا ممكن الزوال،لا على نفس الارتياح و الاهتزاز،لما أشير إليه من أنه طبيعى غير ممكن الدفع لكل أحد فهذا القسم من الحسد أشد أنواعه،لترتب معصيته على أصله،و أخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومه.

(ثانيا)أولا-يبعثه على إظهاره بالآثار القوليه و الفعليه،بل يكف ظاهره عنها،إلا أنه بباطنه يحب زوال النعمه من دون كراهه فى نفسه لهذه الحاله.و لا-ريب فى كونه مذموما محرما أيضا،لأنه كسابقه بعينه و لا فرق إلا فى أنه لا تصدر منه الآثار الفعليه و القوليه الظاهره،فهو ليس بمظلمه بحسب الاستحلال منها،بل معصيه بينه و بين اللّه،لأن الاستحلال إنما هو من الأفعال الظاهره الصادره من الجوارح.

(ثالثا)أولا يبعثه على الآثار الذميمه الظاهره،و مع ذلك يلزم قلبه كراهه ما يترشح منه طبعا من حب زوال النعمه،حتى أنه يمقت نفسه و يقهرها على هذه الحاله التى رسخت فيها.و الظاهر عدم ترتب الإثم عليه إذ تكون كراهته التى من جهه العقل فى مقابله الميل من جهه الطبع،فقد أدى الواجب عليه.و أصل الميل الطبيعى لا-يدخل تحت الاختيار غالبا، إذ تغير الطبع بحيث يستوى عنده المحسن و المسىء،و عدم التفرقه بين ما يصل منهما إليه من النعمه و البليه،ليس شريعه لكل وارد.نعم من تنور قلبه بمعرفه ربه،و أشرقت نفسه باضواء حبه و أنسه،و صار مستغرقا بحب اللّه تعالى مثل الشكران الواله،و استشعر بالارتباط الخاص الذى

بين العله و المعلول،و الاتحاد الذى بين الخالق و المخلوق،و علم أنه أقوى النسب و الروابط،ثم تيقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده، و الكائنات برمتها صادره عن فيضه وجوده،و أن الأعيان الممكنه متساويه فى ارتضاع لبان الوجود من ثدى واحده،و الحقائق الكونيه غير متفاوته فى شرب ماء الرحمه و الجود من مشرع الوحده الحقيقيه-فقد ينتهى أمره إلى ألا تلتفت نفسه إلى تفاصيل أحوال العباد،بل ينظر إلى الكل بعين واحده،و يرى الكل عبادا للّه و أفعاله،و هى عين الرحمه،و يراهم مسخرين له،فلا ينظر إلى شىء بعين السخط و المساءه،و إن ورد منه ما ورد من السوء و البليه،لأنه ينظر إليه من حيث هو حتى يظهر التفاوت بل من حيث انتسابه إليه سبحانه،و الكل فى الانتساب إليه سواء.

ثم من الناس من ذهب إلى أنه لا إثم على الحسد ما لم تظهر آثاره على الجوارح،و على هذا ينحصر الحسد المحرم فى القسم الأول.و احتج على ما ذهب إليه بما ذكرناه

من قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن:الحسد...»،

و بقوله-صلى اللّه عليه و آله-:

ثلاث فى المؤمن له منهن مخرج،و مخرجه من الحسد ألا يبغى» و الصحيح أن تحمل أمثال هذه الأخبار على القسم الثالث،و هو ما يكون فيه ارتياح النفس بزوال النعمه طبعا مع كراهه له من جهه العقل و الدين،حتى تكون هذه الكراهه فى مقابله حب الطبع.إذ أخبار ذم الحسد تدل بظاهرها على أن كل حاسد آثم،و الحسد عباره عن صفه القلب لا عن الأفعال الظاهره.و على هذا المذهب،لا يكون إثم على صفه القلب،بل إنما يكون على مجرد الأفعال الظاهره على الجوارح.

فقد اتضح بما ذكر،أن الأحوال المتصوره لكل أحد بالنسبه إلى أعدائه ثلاثه:الأولى:أن يحب مساءتهم،و يظهر الفرح بمساءتهم بلسانه

و جوارحه،أو يظهر ما يؤذيهم قولا أو فعلا،و هـذا محظور محرم قطعا، و صاحبه عاص آثم جزما.الثانيه:أن يحب مساءتهم طبعا،و لكن يكره حبه لـذلك بعقله،و يمقت نفسه عليه،و لو كانت له حيله فى إزاله ذلك الميل لأزاله.و هذا معفو عنه وفاقا،و فاعله غير آثم إجماعا.الثـالثه:و هى مـا بين الأولـيين:أن يحسـد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسـده،و من غير إنكار منه على قلبه،و لكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها،و هذا محل الخلاف.و قد عرفت ما هو الحق فيه.

وصل النصيحه

قـد عرفت أن ضـد الحقـد و الحسـد(النصـيحه)،و هى إراده بقـاء نعمه اللّه للمسـلمين،و كراهه وصول الشـر إليهم.و قـد تطلق فى الأخبار على إرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم و غبطتهم،و هو لازم للمعنى الأول.

فينبغى أن نشير إلى فوائدها و ما ورد فى مدحها،تحريكا للطالبين على المواظبه عليها ليرتفع بها ضدها.

اعلـم أن من أحب الخير و النعمه للمسـلمين كـان شـريكا فى الخير، بمعنى أنه فى الثـواب كـالمنعم و فاعـل الخير.و قـد ثبت من الأخبار،أن من لـم يدرك درجه الأخيار بصالحات الأعمال،و لكنه أحبهم،يكون يوم القيامه محشورا معهم،

كما ورد: «إن المرء يحشر مع من أحب».

و قال أعرابى لرسول اللّه:«الرجل يحب القوم و لما يلحق بهم.فقال صلى اللّه عليه و آله:المرء مع من أحب»

و قال رجل بحضره النبى-بعد ما ذكرت الساعه-:«ما أعددت لها من كثير صلاه و لا صيام،إلا أنى أحب اللّه

و رسوله.فقال-صلى اللّه عليه و آله-أنت مع من أحببت»، قال الراوى:فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ،إذ أكثر ثقتهم كانت بحب اللّه و بحب رسوله.

و روى: «أنه قيل له صلى اللّه عليه و آله:الرجل يحب المصلين و لا يصلى،و يحب الصوام و لا يصوم -حتى عد أشياء-فقال:هو مع من أحب». و بهذا المضمون وردت أخبار كثيره.

و الأخبار الوارده فى مدح خصوص النصيحه و ذم تركها،و فى ثواب ترك الحسد و عظم فوائده،أكثر من أن تحصى.

عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:«قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: إن أعظم الناس منزله عند اللّه يوم القيامه أمشاهم فى أرضه بالنصيحه لخلقه».

و عن أبى جعفر عليه السلام قال:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه».

و قال الباقر-عليه السلام-: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحه».

و قال الصادق عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحه له فى المشهد و المغيب».

و قال عليه السلام: «عليك بالنصح للّه فى خلقه،فلن تلقاه بعمل أفضل منه» ،و بمضمونها أخبار.

و عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:«قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: من سعى فى حاجه لأخيه فلم ينصحه،فقد خان اللّه و رسوله»

و قال الصادق-عليه السلام-: «من مشى فى حاجه أخيه،ثم لم يناصحه فيها،كان كمن خان اللّه و رسوله،و كان اللّه خصمه» (۱).

و الأخبار الأخر بهذا المضمون أيضا كثيره.

و روى: «أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-شهد لرجل من

۱- ۱) صححنا الأحاديث فى النصيحه كلها على(الكافى):باب نصيحه المؤمن و باب من لم يناصح أخاه المؤمن.

من الأنصار بأنه من أهل الجنه»، و كان باعثه-بعد التفتيش-خلوه عن الغش و الحسد على خير أعطى أحدا من المسلمين.

و روى: «أن موسى-عليه السلام-لما تعجل إلى ربه،رأى فى ظل العرش رجلا، فغبطه بمكانه،و قال:إن هذا لكريم على ربه.فسأل ربه أن يخبر باسمه فلم يخبره باسمه،و قال:أحدثك عن عمله:كان لا يحسد الناس على ما آتاهم اللّه من فضله،و كان لا يعق والديه،و لا يمشى بالنميمه».

و غايه النصيحه،أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن أحدكم مرآه أخيه،فإذا رأى به شيئا فليمط عنه هذا».

و منها:

اشاره

الإيذاء و الإهانه و الاحتقار

و لا ريب فى كون ذلك فى الغالب مترتبا على العداوه و الحسد، و إن ترتب بعض أفرادها فى بعض الأحيان على مجرد الطمع أو الحرص ليكون من رداءه القوه الشهويه،أو على مجرد الغضب و سوء الخلق و الكبر،و إن لم يكن حقد و حسد.و على أى تقدير،لا شبهه فى أن الإيذاء للمؤمن و احتقاره محرم فى الشريعه،موجب للهلاك الأبدى

قال اللّه سبحانه:

وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من آذى مؤمنا فقد آذانى،و من آذانى فقد آذى اللّه،و من آذى اللّه فهو ملعون فى التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان».

و فى خبر آخر: «فعليه لعنه اللّه و الملائكه و الناس أجمعين» (۲).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يحل للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظره تؤذيه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «أ لا أنبئكم بالمؤمن!من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم و أموالهم.أ لا أنبئكم بالمسلم! من سلم المسلمون من لسانه و يده.و المؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعه».

و قال الصادق عليه السلام: «قال اللّه عز و جل:«ليأذن بحرب منى من آذى عبدى المؤمن».

و قال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامه،نادى مناد:أين المؤذون لأوليائى؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم،فيقال:هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم و عاندوهم و عنفوهم فى دينهم.ثم يؤمر بهم إلى جهنم».

و قال-عليه السلام-:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: قال اللّه تبارك و تعالى.من أهان لى وليا فقد ارصد لمحاربتى»

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه تبارك و تعالى يقول:من أهان لى وليا فقد أرصد

۱- ۱) الأحزاب،الآيه:۵۸.

۲- ۲) صححنا الحديثين على(جامع الأخبار):الباب ۷،الفصل ۴.

لمحاربتی،و أنا أسرع شیء إلی نصره أولیائی».

و قال علیه السلام:

«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: قال اللّه عز و جل:قد نابذنی من أذل عبدی المؤمن».

و قال علیه السلام: «من حقر مؤمنا مسکینا أو غیر مسکین،لم یزل اللّه عز و جل حاقرا له ماقتا،حتی یرجع عن محقرته إیاه» (۱). و فی معناها أخبار کثیره آخر.

و من عرف النسبه التی بین العله و المعلول،و الربط الخاص الذی بین الخالق و المخلوق،یعلم أن إیذاء العباد و إهانتهم یرجع فی الحقیقه إلی إیذاء اللّه و إهانته،و کفاه بذلک ذما.فیجب علی کل عاقل أن یکون دائما متذکرا لذم إیذاء المسلمین و احتقارهم،و لمدح ضدهما،من رفع الأذیه عنهم و إکرامهم-کما یأتی-،و یحافظ نفسه عن ارتکابهما،لئلا یفتضح فی الدنیا و یعذب فی الآخره.

وصل کفّ الأذی عن المسلمین

اشاره

لا ریب فی فضیله أضداد ما ذکر و فوائدها،من کفّ الأذی عن المؤمنین و المسلمین و إکرامهم و تعظیمهم.و الظواهر الوارده فی مدح دفع الضرر و کف الأذی عن الناس کثیره،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:

«من رد عن قوم من المسلمین عادیه ماء أو نار وجبت له الجنه» (۲)

۱- ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب من آذی المسلمین و احتقرهم و علی.(إحیاء العلوم):۲-۱۷۲،۱۷۱.

۲- ۲) صححناه علی(فروع الکافی):کتاب الجهاد،فی ملحق باب فضل الشهاده.و علی(أصوله):فی باب الاهتمام بأمور المسلمین.

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «أفضل المسلمین من سلم المسلمون من لسانه و یده».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-فی حدیث طویل أمر فیه بالفضائل: «...فإن لم تقدر فدع الناس من الشر،فإنها صدقه تصدقت بها علی نفسک».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله- «رأیت رجلا یتقلب فی الجنه فی شجره قطعها عن ظهر الطریق کانت تؤذی المسلمین».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من زحزح من طریق المسلمین شیئا یؤذیهم، کتب اللّه له به حسنه أوجب له بها الجنه» (۱).

و کذا الأخبار التی وردت فی مدح إکرام المؤمن و تعظیمه کثیره.

قال الصادق-علیه السلام-: «قال اللّه سبحانه:لیأمن غضبی من أکرم عبدی المؤمن».

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکرم أخاه المسلم بکلمه یلطفه بها،و فرج عنه کربته،لم یزل فی ظل اللّه الممدود،و علیه الرحمه ما کان فی ذلک».

و قال صلی اللّه علیه و آله «ما فی أمتی عبد ألطف أخاه فی اللّه بشیء من لطف،إلا أخدمه اللّه من خدم الجنه».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أیما مسلم خدم قوما من المسلمین إلا أعطاه اللّه مثل عددهم خداما فی الجنه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «من أخذ من وجه أخیه المؤمن قذاه،کتب اللّه عز و جل له عشره حسنات،و من تبسم فی وجه أخیه کانت له حسنه»

و قال-علیه السلام-: «من قال لأخیه:مرحبا،کتب اللّه له مرحبا إلی یوم القیامه».

و قال علیه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن فأکرمه، فإنما أکرم اللّه عز و جل».

و قال علیه السلام لإسحاق بن عمار:«أحسن یا إسحاق إلی أولیائی ما استطعت،فما أحسن مؤمن إلی مؤمن و لا أعانه

۱- ۱) صححنا هذه الأحادیث الأربعه الأخیره علی(إحیاء العلوم):۲-۱۷۱ ۱۷۲.

إلا خمش وجه إبليس و قرح قلبه» (۱).

ثم ينبغى تخصيص بعض طبقات الناس بزياده التعظيم و الإكرام، كأهل العلم و الورع،لما ورد من الحث الأكيد فى الأخبار على إكرامهم و الإحسان إليهم،و كذا ينبغى تخصيص ذى الشيبه المسلم بزياده التوقير و التكريم،و قد ورد ذلك فى الأخبار الكثيره،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من عرف فضل كبير لسنه فوقره،آمنه اللّه من فزع يوم القيامه».

و قال الصادق-عليه السلام-: «إن من إجلال اللّه عز و جل إجلال الشيخ الكبير».

و قال عليه السلام-: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا و يرحم صغيرنا». و الأخبار فى هذا المضمون كثيره.

و كذا ينبغى تخصيص كريم القوم بزياده الإكرام،

لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله- «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» (۲).

و كذا تخصيص الذريه العلويه بزياده الإكرام و التعظيم.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «حقت شفاعتى لمن أعان ذريتى بيده و لسانه و ماله».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أربعه أنالهم شفيع يوم القيامه:

المكرم لذريتى،و القاضى لهم حوائجهم،و الساعى لهم فى أمورهم عند ما اضطروا إليه،و المحب لهم بقلبه و لسانه» (۳).

و قال صلى اللّه عليه و آله «أكرموا أولادى،و حسنوا آدابى».

و قال صلى اللّه عليه و آله «أكرموا

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب إلطاف المؤمن و إكرامه،و باب من آذى المسلمين و احتقرهم.

۲- ۲) صححنا هذه الأحاديث على(أصول الكافى):باب أجلال الكبير، و باب وجوب أجلال ذى الشيبه،و باب إكرام الكريم و على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب أحكام العشره،الباب ۶۷.

۳- ۳) تقدم هذان الحديثان فى ص ۱۳۹ من هذا الجزء.

أولادی،الصالحون للّه و الصالحون لی». و الأخبار فی فضل السادات و ثواب من یکرمهم و یعینهم أکثر من أن تحصی.

و إضرار المسلم قریب من معنی إیذائه،و ربما کان الإضرار أخص منه،فما یدل علی ذمه یدل علی ذمه،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله- «خصلتان لیس فوقهما شیء من الشر:الشرک باللّه تعالی،و الضر بعباد اللّه». و کذا ضده،أعنی إیصال النفع إلیه،قریب من معنی ضده و أخص منه.فما یدل علی مدحه یدل علی مدحه.و لا ریب فی أن إیصال النفع إلی المؤمنین من شرائف الصفات و الأفعال.و الأخبار الوارده فی فضیلته کثیره،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «الخلق عیال اللّه،فأحب الخلق إلی اللّه من نفع عیال اللّه و أدخل علی أهل بیته سرورا».

و سئل صلی اللّه علیه و آله:«من أحب الناس إلی اللّه؟قال:أنفع الناس للناس» (۱)

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «خصلتان من الخیر لیس فوقهما شیء من البر:الإیمان باللّه،و النفع لعباد اللّه».

تنبیه ذم الظلم بالمعنی الأخص

اعلم أن الظلم قد یراد به ما هو ضد العداله،و هو التعدی عن الوسط فی أی شیء کان،و هو جامع للرذائل بأسرها-کما أشیر إلیه- و هذا هو الظلم بالمعنی الأعم،و قد یطلق علیه الجور أیضا،و قد یراد به ما یرادف الإضرار و الإیذاء بالغیر،و هو یتناول قتله و ضربه و شتمه و قذفه و غیبته

۱- ۱) هذان الحدیثان صححناهما علی(أصول الکافی):باب الاهتمام بأمور المسلمین.

و أخذ ماله قهرا و نهبا و غصبا و سرقه و غير ذلک من الأقوال و الأفعال المؤذيه.و هذا هو الظلم بالمعنى الأخص،و هو المراد إذا أطلق فى الآيات و الأخبار و فى عرف الناس.و باعثه إن كانت العداوه و الحسد،يكون من رذائل قوه الغضب،و إن كان الحرص و الطمع فى المال،يكون من رذائل قوه الشهوه.و هو أعظم المعاصى و أشدها عذابا باتفاق جميع الطوائف و يدل على ذمه-بعد ما ورد فى ذم كل واحد من الأمور المندرجه تحته كما يأتى بعضها-ما تكرر فى القرآن من اللعن على الظالمين،و كفاه ذما أنه تعالى قال فى مقام ذم الشرک:

إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

(۱)

و قال: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّٰاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۲).و قال: وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غٰافِلاً عَمّٰا يَعْمَلُ الظّٰالِمُونَ (۳).و قال: وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (۴).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «إن أهون الخلق على اللّه،من ولى أمر المسلمين فلم يعدل لهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-

۱- ۱) لقمان،الآيه:۱۳.

۲- ۲) الشورى،الآيه:۴۲.

۳- ۳) إبراهيم،الآيه:۴۲.

۴- ۴) الشعراء،الآيه:۲۲۷.

«جور ساعه فی حکم،أشد و أعظم عند اللّه من معاصی تسعین سنه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «اتقوا الظلم،فإنه ظلمات یوم القیامه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من خاف القصاص،کف عن ظلم الناس»

و روی: «أنه تعالی أوحی إلی داود:قل للظالمین لا تذکرونی،فإن حقا علی أن أذکر من ذکرنی،و إن ذکری إیاهم أن ألعنهم».

و قال علی ابن الحسین-علیهما السلام لابنه أبی جعفر-علیه السلام-حین حضرته الوفاه :«یا بنی،إیاک و ظلم من لا یجد علیک ناصرا إلا اللّه».

و قال أبو جعفر-علیه السلام-: «ما من أحد یظلم بمظلمه إلا أخذه اللّه تعالی بها فی نفسه أو ماله».

و قال رجل له-علیه السلام-:«إنی کنت من الولاه،فهل لی من توبه؟فقال:لا!حتی تؤدی إلی کل ذی حق حقه».

و قال-علیه السلام-: «الظلم ثلاثه:ظلم یغفره اللّه تعالی، و ظلم لا یغفره اللّه تعالی،و ظلم لا یدعه اللّه.فأما الظلم الذی لا یغفره اللّه عز و جل فالشرک،و أما الظلم الذی یغفره اللّه عز و جل فظلم الرجل نفسه فیما بینه و بین اللّه عز و جل،و أما الظلم الذی لا یدعه فالمداینه بین العباد»

و قال الصادق-علیه السلام -فی قوله تعالی:

إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ

(۱)

.

«قنطره علی الصراط،لا یجوزها عبد بمظلمه».

و قال علیه السلام «ما من مظلمه أشد من مظلمه لا یجد صاحبها علیها عونا إلا اللّه تعالی»

و قال: «من أکل مال أخیه ظلما،و لم یرده إلیه،أکل جذوه من النار یوم القیامه».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه عز و جل أوحی إلی نبی من أنبیائه فی مملکه جبار من الجبارین:أن ائت هذا الجبار،فقل

۱- ۱) الفجر،الآیه ۱۴.

له:إنی لم استعملک علی سفک الدماء و اتخاذ الأموال،و إنما استعملتک لتکف عنی أصوات المظلومین،فإنی لن أدع ظلامتهم و إن کانوا کفارا»

و قال علیه السلام: «أما إن المظلوم یأخذ من دین الظالم أکثر مما یأخذ الظالم من مال المظلوم...ثم قال:من یفعل الشر بالناس فلا ینکر الشر إذا فعل به.أما إنه یحصد ابن آدم ما یزرع.و لیس یحصد أحد من المر حلوا،و لا من الحلو مرا».

و قال علیه السلام: «من ظلم،سلط اللّه علیه من یظلمه،أو علی عقبه أو علی عقب عقبه»قال الراوی:«قلت هو یظلم،فیسلط اللّه علی عقبه أو علی عقب عقبه؟!قال:فإن اللّه تعالی یقول:

وَ لْیَخْشَ الَّذِینَ لَوْ تَرَکُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّیَّهً ضِعٰافاً خٰافُوا عَلَیْهِمْ فَلْیَتَّقُوا اللّٰهَ وَ لْیَقُولُوا قَوْلاً سَدِیداً

(۱)

.

و الظاهر أن مؤاخذه الأولاد بظلم آبائهم إنما هو فی الأولاد الذین کانوا راضین بفعل آبائهم،أو وصل إلیهم أثر ظلمهم،أی انتقل إلیهم منهم بعض أموال المظلومین. و قال بعض العلماء:الوجه فی ذلک:أن الدنیا دار مکافاه و انتقام،و إن کان بعض ذلک مما یؤخر إلی الآخره.

و فائده ذلک أما بالنسبه إلی الظالم فإنه یردعه عن الظلم إذا سمع،و أما بالنسبه إلی المظلوم فإنه یستبشر بنیل الانتقام فی الدنیا مع نیله ثواب الظلم الواقع علیه فی الآخره،فإنه ما ظفر أحد بخیر مما ظفر به المظلوم،لأنه یأخذ من دین الظالم أکثر مما أخذ الظالم من ماله،کما تقدم،و هذا مما

۱- ۱) صححنا أحادیث الباب علی(أصول الکافی):باب الظلم.و الآیه من الحدیث الأخیر:سوره النساء،الآیه:۸.

يصحح الانتقام من عقب الظلم أو عقب عقبه،فإنه و إن كان فى صوره الظلم،لأنه انتقام من غير أهله،مع أنه لا تزر وازره وزر أخرى،إلا أنه نعمه من اللّه عليه فى المعنى من جهه ثوابه فى الدارين،فإن ثواب المظلوم فى الآخره أكثر مما جرى عليه من الظلم فى الدنيا.

ثم إن معين الظالم،و الراضى بفعله،و الساعى له فى قضاء حوائجه و حصول مقاصده،كالظالم بعينه فى الإثم و العقوبه.

قال الصادق عليه السلام: «العالم بالظلم،و المعين له،و الراضى به،شركاء ثلاثتهم».

و قال عليه السلام: «من عذر ظالما بظلمه،سلط اللّه عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له،و لم يأجره اللّه على ظلامته».

و قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «شر الناس المثلث؟»،قيل:و ما المثلث قال:«الذى يسعى بأخيه إلى السلطان،فيهلك نفسه،و يهلك أخاه، و يهلك السلطان».

و قال صلى اللّه عليه و آله-: «من مشى مع ظالم فقد أجرم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا كان يوم القيامه،نادى مناد:أين الظلمه و أعوان الظلمه و من لاق لهم دواه أو ربط لهم كيسا أو مدهم بمده قلم؟فاحشروهم معهم».

وصل العدل بالمعنى الأخص

ضد الظلم بالمعنى الأخص هو العدل بالمعنى الأخص،و هو الكف عنه،و رفعه،و الاستقامه،و إقامه كل أحد على حقه.و العدل بهذا المعنى هو المراد عند إطلاقه فى الآيات و الأخبار،و فضيلته أكثر من أن

تحصى.قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسٰانِ...

(۱)

.و قال:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا وَ إِذٰا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّٰاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «عدل ساعه خير من عباده سبعين سنه قيام ليلها و صيام نهارها»

و قال الصادق عليه السلام:

«من أصبح و لا يهم بظلم أحد،غفر له ما اجترم».

و قال عليه السلام «من أصبح لا ينوى ظلم أحد،غفر اللّه تعالى له ذنب ذلك اليوم،ما لم يسفك دما أو يأكل مال يتيم حراما»

و قال-عليه السلام-: «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن.ما أوسع العدل إذا عدل فيه،و إن قل».

و قال عليه السلام: «العدل أحلى من الشهد،و ألين من الزبد،و أطيب ريحا من المسك».

و قال-عليه السلام-: «اتقوا اللّه و اعدلوا،فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون» (۳).

و مما يدل على فضيله العدل بهذا المعنى ما ورد فى ثواب رد المظالم.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «درهم يرده العبد إلى الخصماء خير له من عباده ألف سنه،و خير له من عتق ألف رقبه،و خير له من

۱- ۱) النحل،الآيه:۹۰.

۲- ۲) النساء،الآيه:۵۷.

۳- ۳) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب الظلم و باب الإنصاف و العدل.

ألف حجه و عمره».

و قـال-صـلى اللّه عليه و آله-: «من رد درهما إلى الخصـماء،أعتق اللّه رقبته من النار،و أعطاه بكل دانق ثواب نبى، و بكل درهم ثواب مدينه فى الجنه من دره حمراء».

و قال صـلى اللّه عليه و آله «من رد أدنى شىء إلى الخصماء،جعل اللّه بينه و بين النار سترا كما بين السماء و الأرض،و يكون فى عداد الشهداء».

و قال صلى اللّه عليه و آله:

«من أرضى الخصماء من نفسه،وجبت له الجنه بغير حساب،و يكون فى الجنه رفيق إسماعيل بن إبراهيم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن فى الجنه مـدائن من نـور،و على المـدائن أبواب من ذهب مكلله بالـدر و اليـاقوت،و فى جوف المـدائن قباب من مسـك و زعفران،مـن نظر إلى تلـك المـدائن يتمنى أن تكـون لـه مـدينه منهـا».قـالوا:يـا نـبى اللّـه،لمـن هـذه المـدائن؟قـال:«للتـائبين النادمين،المرضين الخصماء من أنفسهم.

فإن العبد إذا رد درهما إلى الخصماء،أكرمه اللّه كرامه سبعين شهيدا.

فإن درهما يرده العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار و قيام الليل.

و من رد درهما ناداه ملك من تحت العرش:استأنف العمل،فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من مات غير تائب،زفرت جهنم فى وجهه ثلاث زفرات،فأولاها لا تبقى دمعه إلا جرت من عينيه،و الزفره الثـانيه لاـ يبقى دم إلاـ خرج مـن منخريـه، و الزفره الثـالثه لاـ يبقى قيـح إلاـ خرج مـن فمه.فرحـم اللّه من تـاب،ثم أرضـى الخصماء،فمن فعل فأنا كفيله بالجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «لرد دانق من حرام يعدل عند اللّه سبعين ألف حجه مبروره» (۱).

۱- ۱) صححنا الأحاديث النبويه هذه كلها على(جامع الأخبار):الباب ۷ الفصل ۷ و لم نعثر لها على أثر فى الكتب المعتبره.

و منها:

اشاره

إخافه المؤمن

و إدخال الكرب فی قلبه.و هما شعبتان من الإیذاء و الإضرار، فیترتبان غالبا علی العداوه و الحسد،و قد یترتبان علی مجرد الغضب أو سوء الخلق أو الطمع،و هما من رذائل الأفعال،و الأخبار الوارده فی ذمهما کثیره،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-: «من نظر إلی مؤمن نظره لیخیفه بها،أخافه اللّه تعالی یوم لا ظل إلا ظله».

و قول الصادق علیه السلام: «من روع مؤمنا بسلطان لیصیبه منه مکروه فأصابه فهو مع فرعون و آل فرعون فی النار».

و قوله-علیه السلام-: «من أدخل السرور علی مؤمن فقد أدخله علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و من أدخله علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فقد وصل ذلک إلی اللّه، و کذلک من أدخل علیه کربا» (۱). و الأخبار الوارده فی هذا المعنی کثیره

وصل إدخال السرور فی قلب المؤمن

و ضد ذلک إزاله الخوف عنه،و تفریج کربه.و إدخال السرور فی

۱- ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی)باب إدخال السرور علی للمؤمن،و باب من أخاف مؤمنا.

قلبه.و هی من أعظم شعب النصیحه،و لا حد للثواب المترتب علیها، کما نطقت به الأخبار.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من حمی مؤمنا من ظالم،بعث اللّه له ملکا یوم القیامه یحمی لحمه من نار جهنم».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما، غفر اللّه له ثلاثا و سبعین مغفره».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «انصر أخاک ظالما أو مظلوما»،فقیل:کیف ینصره ظالما؟قال:«تمنعه من الظلم».

و قال الإمام أبو عبد اللّه الصادق-علیه السلام-: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده،فنفس کربته و أعانه علی نجاح حاجته،کتب اللّه تعالی له بذلک اثنتین و سبعین رحمه من اللّه،یعجل له منها واحده یصلح بها أمر معیشته،و یدخر له إحدی و سبعین رحمه لأفزاع یوم القیامه و أ هواله».

و قال-علیه السلام-: «من نفس عن مؤمن کربه،نفس اللّه عنه کرب الآخره،و خرج من قبره و هو ثلج الفؤاد»

و قال الرضا علیه السلام: «من فرج عن مؤمن،فرج اللّه قلبه یوم القیامه».

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من سر مؤمنا فقد سرنی،و من سرنی فقد سر اللّه».

و عن أبی عبد اللّه علیه السلام-قال:

«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: إن أحب الأعمال إلی اللّه عز و جل إدخال السرور علی المؤمنین».

و قال الباقر-علیه السلام-:

«تبسم الرجل فی وجه أخیه حسنه،و صرفه القذی عنه حسنه،و ما عبد اللّه بشیء أحب إلی اللّه من إدخال السرور علی المؤمن».

و قال-علیه السلام- «إن فیما ناجی اللّه عز و جل به عبده موسی علیه السلام:قال:إن لی عبادا أبیحهم جنتی و أحکمهم فیها،قال:یا رب،و من هؤلاء الذین تبیحهم جنتک و تحکمهم فیها؟قال:من أدخل علی مؤمن سرورا...

ثم قال:إن مؤمنا کان فی مملکه جبار،فولع به،فهرب منه إلی دار

الشرک،فنزل برجل من أهل الشرک فأظله و أرفقه و أضافه،فلما حضره الموت،أوحی اللّه إلیه:و عزتی و جلالی!لو کان لک فی جنتی مسکن لأسکنتک فیها،و لکنها محرمه علی من مات مشرکا بی،و لکن یا نار هیدیه و لا تؤذیه،و یؤتی برزقه طرفی النهار»،قلت (1):من الجنه؟ قال:«من حیثما شاء اللّه».و قال علیه:«لا یری أحدکم إذا أدخل علی مؤمن سرورا أنه علیه أدخله فقط،بل و اللّه علینا،بل و اللّه علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله!-.

عن أبان بن تغلب،قال: «سألت أبا عبد اللّه علیه السلام عن حق المؤمن علی المؤمن.فقال:حق المؤمن علی المؤمن أعظم من ذلک،لو حدثتکم لکفرتم.إن المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره یقول له:ابشر بالکرامه من اللّه و السرور فیقول له:بشرک اللّه بخیر.قال:ثم یمضی معه یبشره بمثل ما قال،و إذا مر بهول قال:لیس هذا لک،و إذا مر بخیر قال:هذا لک.فلا یزال معه،یؤمنه مما یخاف و یبشره بما یحب،حتی یقف معه بین یدی اللّه عز و جل.فإذا أمر به إلی الجنه،قال له المثال:ابشر فإن اللّه عز و جل قد أمر بک إلی الجنه.قال:فیقول:من أنت رحمک اللّه؟تبشرنی من حین خرجت من قبری،و آنستنی فی طریقی،و خبرتنی عن ربی!قال فیقول:أنا السرور الذی کنت تدخله علی إخوانک فی الدنیا،خلقت منه لأبشرک و أونس وحشتک».

و روی ابن سنان،قال: «کان رجل عند أبی عبد اللّه علیه السلام،فقرأ هذه الآیه:

وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا

۱- ۱) القائل الراوی،و المجیب أبو جعفر-علیه السلام-.

فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

فقال أبو عبد اللّه-عليه السلام-:فما ثواب من أدخل عليه السرور فقلت:جعلت فداك!عشر حسنات.قال:أى و اللّه و ألف ألف حسنه!» (۲).

و منها:

اشاره

ترک إعانه المسلمين

و عدم الاهتمام بأمورهم.فإن من يعادى غيره أو يحاسده يترک إعانته و لا يهتم بأموره،و ربما كان ذلک من نتائج الكساله بها،أو ضعف النفس أو البخل.و بالجمله:لا ريب فى كونه من رذائل الصفات،و دليلا على ضعف الإيمان.و ما ورد فى ذمه من الأخبار كثير،

قال الباقر عليه السلام:

«من بخل بمعونه أخيه المسلم و القيام له فى حاجه،إلا ابتلى بالقيام بمعونه من يأثم عليه و لا يؤجر».

و قال الصادق-عليه السلام-: «أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخوانه،فاستعان به فى حاجه فلم يعنه،و هو يقدر،إلا ابتلاه اللّه تعالى بأن يقضى حوائج عده من أعدائنا،يعذبه اللّه عليها يوم القيامه».

و قال-عليه السلام-: «أيما مؤمن منع مؤمنا شيئا مما يحتاج إليه و هو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره،أقامه اللّه عز و جل يوم القيامه مسودا وجهه،مزرقه عيناه،مغلوله يداه إلى عنقه فيقال:هذا الخائن الذى خان اللّه و رسوله،ثم يؤمر به إلى النار»

و قال

۱- ۱) الأحزاب،الآيه:۵۸.

۲- ۲) صححنا الأحاديث كلها هنا على(أصول الكافى):باب إدخال السرور على المؤمن،باب تفريج كرب المؤمن.

-علیه السلام-: «من کانت له دار،فاحتاج مؤمن إلی سکناها، فمنعه إیاها،قال اللّه تعالی:یا ملائکتی،أبخل عبدی علی عبدی بسکنی الدنیا؟و عزتی و جلالی!لا یسکن جناتی أبدا».

و قال-علیه السلام-لنفر عنده: «ما لکم تستخفون بنا؟»،فقام إلیه رجل من أهل خراسان، فقال:معاذ لوجه اللّه أن نستخف بک أو بشیء من أمرک!فقال:

«إنک أحد من استخف بی»،فقال:معاذ لوجه اللّه أن استخف بک فقال له:«ویحک!أ لم تسمع فلانا،و نحن بقرب الجحفه،و هو یقول لک:احملنی قدر میل،فقد و اللّه أعییت.و اللّه ما رفعت به رأسا،لقد استخففت به.و من استخف بمؤمن فبنا استخف،و ضیع حرمه اللّه عز و جل (۱).

و قال علیه السلام: «من أتاه أخوه فی حاجه یقدر علی قضائها فلم یقضها له،سلط اللّه علیه شجاعا ینهش إبهامه فی قبره إلی یوم القیامه مغفورا له أو معذبا».

و قال أبو الحسن علیه السلام:

«من قصد إلیه رجل من إخوانه مستجیرا به فی بعض أحواله،فلم یجره بعد أن یقدر علیه،فقد قطع ولایه اللّه عز و جل».

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس بمسلم».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس منهم و من سمع رجلا ینادی یا للمسلمین فلم یجبه فلیس بمسلم» (۲).

۱- ۱) صححنا هذا الحدیث بالخصوص علی(الوسائل):کتاب الحج،باب تحریم الاستخفاف و هو یرویه عن(الکافی).
۲- ۲) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب من استعان أخوه به فلم یعنه،و باب قضاء حاجه المؤمن،و باب من منع مؤمنا شیئا من عنده،و باب الاهتمام بامور المسلمین.

وصل قضاء حوائج المسلمين

ضد هذه الرذيله:قضاء حوائج المسلمين و السعى فى إنجاح مقاصدهم و هو من أعظم أفراد النصيحه،و لا حد لمثوبته عند اللّه

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «من قضى لأخيه المؤمن حاجه،فكأنما عبد اللّه دهره» (۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من مشى فى حاجه أخيه ساعه من ليل أو نهار،قضاها أو لم يقضها،كان خيرا له من اعتكاف شهرين».

و قال أبو جعفر-عليه السلام-: «أوحى اللّه عز و جل إلى موسى عليه السلام:إن من عبادى من يتقرب إلى بالحسنه فأحكمه فى الجنه فقال موسى:يا رب،و ما تلك الحسنه؟قال يمشى مع أخيه المؤمن فى قضاء حاجته،قضيت أم لم تقض».

و قال-عليه السلام-: «من مشى فى حاجه أخيه المسلم،أظله اللّه بخمسه و سبعين ألف ملك،و لم يرفع قدما إلا كتب اللّه له حسنه،و حط عنه بها سيئه،و يرفع له بها درجه،فإذا فرغ من حاجته كتب اللّه عز و جل له بها أجر حاج و معتمر»

و قال-عليه السلام-: «إن المؤمن لترد عليه الحاجه لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه،فيدخله اللّه تبارك و تعالى بهمه الجنه».

و قال الصادق -عليه السلام-: «من قضى لأخيه المؤمن حاجه،قضى اللّه تعالى له يوم القيامه مائه ألف حاجه،من ذلك أولها الجنه،و من ذلك أن يدخل قرابته و معارفه و إخوانه الجنه،بعد أن لا يكونوا نصابا».

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه تعالى خلق خلقا من خلقه،انتجبهم لقضاء حوائج

۱- ۱) صححناه على(الوسائل).كتاب الأمر بالمعروف،باب استحباب قضاء حاجه المؤمن،رواه عن(مجالس الطوسى).و لم نعثر على مصدر للنبوى الثانى.

فقراء شيعتنا،ليثيبهم على ذلك الجنه.فإن استطعت أن تكون منهم فكن»

و قال-عليه السلام-: «قضاء حاجه المؤمن خير من عتق ألف رقبه، و خير من حملان ألف فرس فى سبيل اللّه».

و قال-عليه السلام-:

«لقضاء حاجه امرئ مؤمن أحب إلى اللّه تعالى من عشرين حجه،كل حجه ينفق فيها صاحبها مائه ألف».

و قال-عليه السلام-: «من طاف بالبيت طوافا واحدا كتب اللّه له سته آلاف حسنه،و محى عنه سته آلاف سيئه، و رفع له سته آلاف درجه- و فى روايه:و قضى له سته آلاف حاجه-حتى إذا كان عند الملتزم،فتح له سبعه أبواب من الجنه»،قلت له:جعلت فداك!هذا الفضل كله فى الطواف؟قال:«نعم!و أخبرك بأفضل من ذلك:

قضاء حاجه المؤمن المسلم أفضل من طواف و طواف و طواف...حتى بلغ عشرا».

و قال-عليه السّلام-: «تنافسوا فى المعروف لإخوانكم و كونوا من أهله،فإن للجنه بابا يقال له المعروف،لا يدخله إلا من اصطنع المعروف فى الحياه الدنيا،فإن العبد ليمشى فى حاجه أخيه المؤمن فيوكل اللّه عز و جل به ملكين،واحدا عن يمينه و آخر عن شماله، يستغفران له ربه،و يدعوان بقضاء حاجته»...ثم قال:«و اللّه لرسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-أسر بقضاء حاجه المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجه».

و قال-عليه السلام-: «ما قضى مسلم لمسلم حاجه إلا ناداه اللّه تعالى:على ثوابك،و لا أرضى لك بدون الجنه».

و قال-عليه السلام-: «أيما مؤمن أتى أخاه فى حاجه فإنما ذلك رحمه من اللّه ساقها إليه و سببها له،فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمه بقبولها و إن رده عن حاجته و هو يقدر على قضائها فإنها رد عن نفسه رحمه من اللّه عز و جل،ساقها إليه و سببها له،و ذخر اللّه تلك الرحمه إلى يوم القيامه،حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها،إن شاء صرفها

إلی نفسه،و إن شاء صرفها إلی غیره»...ثم قال علیه السلام للراوی:

«فإذا کان یوم القیامه،و هو الحاکم فی رحمه من اللّه تعالی قد شرعت له،فإلی من تری یصرفها؟»،لا أظن یصرفها عن نفسه،قال:

لا تظن!و لکن استیقن،فإنه لن یردها عن نفسه»

و قال-علیه السلام-:

«من مشی فی حاجه أخیه المؤمن یطلب بذلک ما عند اللّه حتی تقضی له، کتب اللّه عز و جل له بذلک مثل أجر حجه و عمره مبرورتین،و صوم شهرین من أشهر الحرم و اعتکافهما فی المسجد الحرام،و من مشی فیها بنیه و لم تقض،کتب اللّه له بذلک مثل حجه مبروره،فارغبوا فی الخیر».

و قال علیه السلام: «لئن أمشی فی حاجه أخ لی مسلم،أحب إلی من أن أعتق ألف نسمه،و أحمل فی سبیل اللّه علی ألف فرس مسرجه ملجمه»

و قال-علیه السلام-: «من سعی فی حاجه أخیه المسلم،و طلب وجه اللّه،کتب اللّه عز و جل له ألف ألف حسنه،یغفر فیها لأقاربه و جیرانه و إخوانه و معارفه،و من صنع إلیه معروفا فی الدنیا،فإذا کان یوم القیامه قیل له:ادخل النار،فمن وجدته فیها صنع إلیک معروفا فی الدنیا فأخرجه بإذن اللّه عز و جل،إلا أن یکون ناصبیا».

و قال أبو الحسن -علیه السلام-: «إن للّه عبادا فی الأرض یسعون فی حوائج الناس، هم الآمنون یوم القیامه.و من أدخل علی مؤمن سرورا،فرح اللّه قلبه یوم القیامه» (۱). و الأخبار الوارده بهذه المضامین کثیره،و ما ذکرناه کاف لتحریک الطالبین علی قضاء حوائج المؤمنین.و مما یدل علی مدحه و شرافته،ما ورد فی ثواب إطعام المؤمن و سقیه و کسوته،کما یأتی.

۱- ۱) صححنا الأحادیث-ابتداء من الحدیث عن أبی جعفر علیه السلام- علی(أصول الکافی):باب قضاء حاجه المؤمن،و باب السعی فی حاجه المؤمن.

و منها:

اشاره

التهاون و المداهنه

فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و هو ناش إما من ضعف النفس و صغرها،أو من الطمع المالی ممن یسامحه،فیکون من رذائل القوه الغضبیه من جانب التفریط،أو من رذائل القوه الشهویه من جانب الإفراط و هو من المهلکات التی یعم فسادها و ضرها،و یسری إلی معظم الناس أثرها و شرها.کیف و لو طوی بساط الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر اضمحلت الدیانه،و تعطلت النبوه،و عمت الفتره،و فشت الضلاله، و شاعت الجهاله،و ضاعت أحکام الدین،و اندرست آثار شریعه رب العالمین،و هلک العباد،و خرجت البلاد.و لذا تری و تسمع أن فی کل عصر نهض بإقامه هذه السنه بعض المؤیدین،من غیر أن تأخذهم فی اللّه لومه لائمین،من أقویاء العلماء المتکفلین لعلمها و إلقائها،و من سعداء الأمراء الساعین فی إجرائها و إمضائها،رغب الناس إلی ضروب الطاعات و الخیرات،و فتحت علیهم برکات الأرض و السماوات،و فی کل قرن لم یقم بإحیائها عالم عامل و لا سلطان عادل،استشری الفساد،و اتسع الخرق و خرجت البلاد،و استرسل الناس فی اتباع الشهوات و الهوی،و انمحت أعلام الهدایه و التقوی.

و لذا تری فی عصرنا-لما اندرس من هذا القطب الأعظم عمله و علمه و انمحت بالکلیه حقیقته و اسمه،و عز علی بسیط الأرض دین یحرس الشریعه و استولت علی القلوب مداهنه الخلیقه-أن الناس فی بیداء الضلاله حیاری

ص :۲۴۰

و فی أیدی جنود الأبالسه أساری،و لم یبق من الإسلام إلا اسمه و من الشرع إلا رسمه.

و لأجل ذلک ورد الذم الشدید فی الآیات و الأخبار علی ترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و المداهنه فیهما،قال اللّه سبحانه:

لَوْ لاٰ یَنْهٰاهُمُ الرَّبّٰانِیُّونَ وَ الْأَحْبٰارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَکْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مٰا کٰانُوا یَصْنَعُونَ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«ما من قوم عملوا بالمعاصی،و فیهم من یقدر أن ینکر علیهم فلم یفعل،إلا یوشک أن یعمهم اللّه بعذاب من عنده».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن اللّه تعالی لیبغض المؤمن الضعیف الذی لا دین له»،فقیل له:و ما المؤمن الذی لا دین له؟قال:«الذی لا ینهی عن المنکر».و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«أ تهلک القریه و فیها الصالحون؟قال:نعم!قیل:بم یا رسول اللّه؟قال:بتهاونهم و سکوتهم عن معاصی اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لتأمرن بالمعروف و لتنهن عن المنکر،أو لیستعملن علیکم شرارکم،فیدعو خیارکم فلا یستجاب لهم» (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن اللّه تعالی لیسأل العبد:ما منعک إذ رأیت المنکر أن تنکر؟».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ان اللّه لا یعذب الخاصه

۱- ۱) المائده،الآیه:۶۶.

۲- ۲) روی فی(فروع الکافی)-باب الأمر بالمعروف-هذا الحدیث عن أبی الحسن الرضا-علیه السلام-.و صححنا الحدیث الذی قبل الأخیر علی(فروع الکافی)فی الموضع المذکور أیضا.

بذنوب العامه،حتی یظهر المنکر بین أظهرهم،و هم قادرون علی أن ینکروه فلا ینکرونه».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-فی بعض خطبه: «إنما هلک من کان قبلکم،حیث عملوا بالمعاصی و لم ینههم الربانیون و الأحبار عن ذلک،و أنهم لما تمادوا فی المعاصی و لم ینههم الربانیون و الأحبار عن ذلک نزلت بهم العقوبات،فأمروا بالمعروف و نهوا عن المنکر...».

و قال علیه السلام: «من ترک إنکار المنکر بقلبه و یده و لسانه،فهو میت بین الأحیاء».

و قال-علیه السلام- «أمرنا رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أن نلقی أهل المعاصی بوجوه مکفهره».

و قال-علیه السلام- «إن أول ما تغلبون علیه من الجهاد الجهاد بأیدیکم ثم بألسنتکم،ثم بقلوبکم فمن لم یعرف بقلبه معروفا و لم ینکر منکرا قلب فجعل أعلاه أسفله»

و قال الباقر-علیه السلام-: «أوحی اللّه عز و جل إلی شعیب النبی -علیه السلام-:إنی معذب من قومک مائه ألف:أربعین ألفا من شرارهم،و ستین ألفا من خیارهم.فقال-علیه السلام-:یا رب، هؤلاء الأشرار فما بال الأخیار؟فأوحی اللّه عز و جل إلیه:داهنوا أهل المعاصی،و لم یغضبوا لغضبی».

و قال الصادق-علیه السلام-: «ما قدست أمه لم یؤخذ لضعیفها من قویها بحقه غیر متعتع».

و قال-علیه السلام-: «ویل لقوم لا یدینون اللّه بالأمر بالمعروف و النهی عن المنکر»

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی بعث ملکین إلی أهل مدینه لیقلبها علی أهلها،فلما انتهیا إلی المدینه وجدا رجلا یدعو اللّه و یتضرع إلیه، فقال أحد الملکین لصاحبه:أ ما تری هذا الداعی؟فقال:قد رأیته، و لکن أمضی ما أمر به ربی.فقال:لا،و لکن لا أحدث شیئا حتی أراجع ربی.فعاد إلی اللّه تبارک و تعالی،فقال:یا رب إنی انتهیت إلی

المدینه،فوجدت عبدک فلانا یدعوک و یتضرع إلیک.فقال:امض ما أمرتک به،فإن ذا رجل لم یتمعر وجهه غیظا لی قط».

و قال -علیه السلام-لقوم من أصحابه: حق لی أن آخذ البریء منکم بالسقیم و کیف لا یحق لی ذلک و أنتم یبلغکم عن الرجل منکم القبیح فلا تنکرون علیه و لا تهجرونه و لا تؤذونه حتی یترکه».

و قال-علیه السلام-: «لأحملن ذنوب سفهائکم علی علمائکم...إلی أن قال:ما یمنعکم إذا بلغکم عن الرجل منکم ما تکرهون و ما یدخل علینا به الأذی،أن تأنوه فتؤنبوه و تعذلوه، و تقولوا له قولا بلیغا!»،قیل له:إذن لا یقبلون منا،قال:«اهجروهم و اجتنبوا مجالستهم».

و فی بعض الأخبار النبویه: «إن أمتی إذا تهاونوا فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر فلیأذنوا بحرب من اللّه». و قد وردت أخبار بالمنع عن حضور مجالس المنکر إذا لم یمکنه دفعه و النهی عنه،و لو حضر نزلت علیه اللعنه.و علی هذا لا یجوز دخول بیت الظلمه و الفسقه،و لا حضور المشاهد التی یشاهد فیها المنکر و لا یقدر علی تغییره،إذ لا یجوز مشاهده المنکر من غیر حاجه،اعتذارا بأنه عاجز.و لهذا اختار جماعه من السلف العزله،حذرا من مشاهده المنکر فی الأسواق و المجامع و الأعیاد،مع عجزهم عن التغییر.

ثم إذا کان الأمر فی المداهنه فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر بهذه المثابه،فیعلم أن الأمر بالمنکر و النهی عن المعروف کیف حاله.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «کیف بکم إذا فسدت نساؤکم و فسق شبابکم و لم تأمروا بالمعروف و لم تنهوا عن المنکر؟»فقیل له-صلی اللّه علیه و آله-:و یکون ذلک یا رسول اللّه؟!قال:«نعم! کیف بکم إذا أمرتم بالمنکر و نهیتم عن المعروف؟!»،فقیل له:

يا رسول اللّه،و يكون ذلك؟!قال:«نعم!و شر من ذلك!كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا و المنكر معروفا؟!»،و فى روايه:

«و عند ذلك يبتلى الناس بفتنه،يصير الحليم فيها حيران» (۱).

و من تأمل فى الأخبار و الآثار،و اطلع على التواريخ و السير و قصص الأمم السالفه و القرون الماضيه،و ما حدثت لهم من العقوبات،و ضم ذلك إلى التجربه و المشاهده فى عصره،من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماويه و الأرضيه،يعلم أن كل عقوبه سماويه و أرضيه،من الطاعون و الوباء، و القحط و الغلاء،و حبس المياه و الأمطار،و تسلط الظالمين و الأشرار، و وقوع القتل و الغارات،و حدوث الصواعق و الزلازل،و أمثال ذلك، تكون مسبوقه بترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بين الناس.

وصل السعى فى الأمر بالمعروف

اشاره

ضد المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،هى السعى فيهما و التشمير لهما.و هو أعظم مراسم الدين،و المهم الذى بعث اللّه لأجله النبيين،و نصب من بعدهم الخلفاء و الأوصياء،و جعل نوابهم أولى النفوس القدسيه من العلماء.بل هو القطب الذى تدور عليه أرحيه الملل و الأديان و تطرق الاختلال فيه يؤدى إلى سقوطها عن الدوران.و لهذا ورد فى

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث هنا على(فروع الكافى):باب الأمر بالمعروف و على (الوسائل):كتاب الأمر بالمعروف و على(المستدرك):۲-۳۶۰-۳۶۱ كتاب الأمر بالمعروف.

مدحه و الترغیب علیه مما لا یمکن إحصاؤه من الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّهٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

و قال: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ،تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ (۱).و قال: فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُکِّرُوا بِهِ أَنْجَیْنَا الَّذِینَ یَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِینَ ظَلَمُوا بِعَذٰابٍ بَئِیسٍ بِمٰا کٰانُوا یَفْسُقُونَ (۲).و قال: لاٰ خَیْرَ فِی کَثِیرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ،إِلاّٰ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَهٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَیْنَ النّٰاسِ،وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً .و قال: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا قَوّٰامِینَ بِالْقِسْطِ (۳).

و القیام بالقسط هو:الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «ما أعمال البر عند

۱- ۱) آل عمران،الآیه:۱۱۰،۱۰۴.

۲- ۲) الأعراف،الآیه:۱۶۴.

۳- ۳) النساء،الآیه:۱۳۵،۱۱۳.

الجهاد فی سبیل اللّه إلا کنفثه فی بحر لجی،و ما جمیع أعمال البر و الجهاد فی سبیل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلا کنفثه فی بحر لجی»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إیاکم و الجلوس علی الطرقات!»قالوا ما لنا بد،إنما هی مجالسنا نتحدث فیها،قال:«فإذا أبیتم إلا ذلک، فاعطوا الطریق حقه»،قالوا:و ما حق الطریق؟قال:«غض البصر و کف الأذی،و رد السلام،و الأمر بالمعروف،و النهی عن المنکر».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «ما بعث اللّه نبیا إلا-و له حواری، فیمکث النبی بین أظهرهم ما شاء اللّه،یعمل فیهم بکتاب اللّه و بأمره، حتی إذا قبض اللّه نبیه،مکث الحواریون یعملون بکتاب اللّه و بأمره و سنه نبیهم،فإذا انقرضوا،کان من بعدهم قوم یرکبون رءوس المنابر یقولون ما یعرفون و یعملون ما ینکرون.فإذا رأیتم ذلک،فحق علی کل مؤمن جهادهم بیده،فإن لم یستطع فبلسانه،فإن لم یستطع فبقلبه.و لیس وراء ذلک إسلام» (۱).

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «إن من رأی عدوانا یعمل به و منکرا یدعی إلیه فأنکره بقلبه،فقد سلم و بریء و من أنکره بلسانه فقد أجر،و هو أفضل من صاحبه،و من أنکره بالسیف لتکون کلمه اللّه العلیا و کلمه الظالمین السفلی،فذلک الذی أصاب سبیل الهدی و قام علی الطریق،و نور فی قلبه الیقین» (۲).

و قال-علیه السلام- «فمنهم المنکر للمنکر بقلبه و لسانه و یده،فذلک المستکمل لخصال الخیر و منهم المنکر بلسانه و قلبه،التارک بیده،فذلک متمسک بخصلتین من

۱- ۱) صححنا هذه النبویات الثلاثه علی(إحیاء العلوم):۲-۲۷۲،۲۷۱.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(المستدرک):کتاب الأمر بالمعروف،الباب ۳ و علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف،الباب ۳.و کذا الحدیث بعده، صححناه علی(الوسائل)فی الموضع المذکور.

خصال الخیر و مضیع خصله.و منهم المنکر بقلبه،و التارک بیده و لسانه، فذلک الذی ضیع أشرف الخصلتین من الثلاث و تمسک بواحده.و منهم تارک لإنکار المنکر بلسانه و قلبه و یده،فذلک میت الأحیاء.و ما أعمال البر کلها و الجهاد فی سبیل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلا کنفثه فی بحر لجی،و إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر لا یقربان من أجل و لا ینقصان من رزق،و أفضل من ذلک کلمه عدل عند إمام جائر»

و فی خبر جابر عن الباقر-علیه السلام-: «إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر سبیل الأنبیاء و منهاج الصلحاء،فریضه عظیمه،بها تقام الفرائض و تأمن المذاهب،و تحل المکاسب،و ترد المظالم،و تعمر الأرض و ینتصف من الأعداء،و یستقیم الأمر.فأنکروا بقلوبکم،و ألفظوا بألسنتکم،و صکوا بها جباههم،و لا تخافوا فی اللّه لومه لائم.فإن اتعظوا و إلی الحق رجعوا فلا سبیل علیهم:

إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَظْلِمُونَ النّاسَ وَ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ

(۱)

.

هنالک فجاهدوهم بأبدانکم،و أبغضوهم بقلوبکم،غیر طالبین سلطانا و لا باغین مالا،و لا مریدین لظلم ظفرا،حتی یفیئوا إلی أمر اللّه و یمضوا علی طاعته» (۲).

۱- ۱) الشوری،الآیه:۴۲.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(فروع الکافی):کتاب الجهاد،باب الأمر بالمعروف.

فصل وجوب الأمر بالمعروف و شروطه

مقتضی الآیات و الأخبار المذکوره،وجوب الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و لا خلاف فیه أیضا،إنما الخلاف فی کون وجوبهما کفائیا أو عینیا.و الحق الأول،کما یأتی.

ثم الواجب إنما هو الأمر بالواجب و النهی عن الحرام.و أما الأمر بالمندوب و النهی عن المکروه فمندوب،و إنما یجب بشروط أربعه:

الأول-العلم بکونهما معروفا و منکرا،لیأمن من الغلط،فلا یجبان فی المتشابه،فمن علم بالقطع الوجوب أو الحرمه،و عدم جواز الاختلاف فیه من ضروره الدین أو المذهب أو الإجماع القطعی النظری أو الکتاب و السنه أو من قول العلماء،فله أن یأمر و ینهی و یحتسب به علی کل أحد و من لم یعلمها بالقطع،بل علمها بالظن الحاصل من الاجتهاد أو التقلید و جوز الاختلاف فیه،فلیس له الأمر و النهی و الحسبه،إلا علی من کان علی هذا الاعتقاد من مجتهد أو مقلد،أو لزم علیه أن یکون هذا الاعتقاد و إن لم یکن علیه بالفعل للجهل،کالمقلد المطلق لمجتهد إذا لم یعلم بعض العقائد الاجتهادیه لمجتهده،فیتأتی لغیره إن یحتسب به علیه.و حاصل ما ذکر:أن القطعیات الوفاقیه تأتی لکل أحد أن یحتسب بها علی کل أحد بعد علمها و غیر القطعیات الجائز فیها الاختلاف و المرجح أحد طرفیها لاجتهاد لا یتأتی لمجتهدها و مقلده فیها الاحتساب،أی الأمر و النهی،إلا علی من کان موافقا فی الاعتقاد أو یلزم أن یکون موافقا.

الثانی-تجویز التأثیر.فلو علم أو غلب علی ظنه أنه لا یؤثر فیه، لم یجب،لعدم الفائده.

ص:۲۴۸

الثالث-القدره و التمكن منه،و عدم تضمنه مفسده.فلو ظن توجه الضرر إليه أو إلى أحد من المسلمين بسببه سقط،إذ لا ضرر و لا ضرار فى الدين.

الرابع-أن يكون المأمور أو المنهى مصرا على الاستمرار.فلو ظهر منهما أماره الإقلاع سقط،للزوم العبث.

ثم هذه الشروط يختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،كما يأتى.و يدل على اشتراط الثلاثه الأول

ما روى: «أنه سئل مولانا الصادق-عليه السلام-:أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أ واجب على الأمه جميعا؟فقال:لا.فقيل له:و لم؟ قال:إنما هو على القوى المطاع،العالم بالمعروف من المنكر،لا على الضعيف الذى لا يهتدى سبيلا إلى أى من أى يقول من الحق إلى الباطل.

و الدليل على ذلك من كتاب اللّه عز و جل،قوله:

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(۱)

.

فهذا خاص غير عام،كما قال اللّه عز و جل:

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ

(۲)

.

و لم يقل على أمه موسى،و لا على كل قوم،و هم يومئذ أمم مختلفه و الأمه واحد فصاعدا،كما قال اللّه عز و جل: إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ كٰانَ أُمَّةً قٰانِتاً لِلّٰهِ يقول مطيعا للّه عز و جل.و ليس على من يعلم ذلك فى هذه

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۰۴.

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۱۵۸.

الهدنه من حرج،إذا كان لا قوه له و لا عذر و لا طاقه».

قال مسعده «سمعت أبا عبد اللّه-عليه السلام- و سئل عن الحديث الذی جاء عن النبی صلی اللّه علیه و آله:(إن أفضل الجهاد کلمه عدل عند إمام جائر) ما معناه-قال:هذا علی أن یأمره بعد معرفته،و هو مع ذلک یقبل منه و إلا فلا».و فی خبر آخر:«إنما یؤمر بالمعروف و ینهی عن المنکر مؤمن فیتعظ أو جاهل فیتعلم.فأما صاحب سوط أو سیف فلا».

و فی خبر آخر: «من تعرض لسلطان جائر و أصابته بلیه،لم یؤجر علیها و لم یرزق الصبر علیها» (1). و من الشرائط أن یظهر المنکر علی المحتسب من غیر تجسس،فلا یجب،بل لا یجوز التجسس،کفتح الباب المغلق، و وضع الأذن و الأنف لاحتباس الصوت و الریح،و طلب إرائه ما تحت الثوب و أمثال ذلک،لنص الکتاب و السنه.

فصل عدم اشتراط العداله فیه

لا تشترط فیه العداله و ائتمار الآمر بما یأمر به و انتهاء الناهی عما ینهی عنه،لإطلاق الأدله،و لأن الواجب علی فاعل الحرام المشاهد فعله من غیره أمران:ترکه و إنکاره،و لا یسقط بترک أحدهما وجوب الآخر، کیف و لو شرط ذلک لاقتضی عدم وجوب ذلک إلا علی المعصوم،فینسد باب الحسبه بالکلیه.

۱- ۱) صححنا الأحادیث علی(فروع الکافی):باب الأمر بالمعروف،و باب إنکار المنکر بالقلب.اسقط المؤلف من الحدیث الأول قسما فأکملناه.

و أما الإنكار فی قوله تعالی:

أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

(۱)

.و قوله تعالی: لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ؟ کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ (۲).

و ما فی حدیث الأسری من قرض مقاریضهم بالنار،فانما هو علی عدم العمل بما یأمر به و یقوله،لا علی الأمر و القول.و کذلک ما روی:

«أن اللّه تعالی أوحی إلی عیسی:عظ نفسک،فان اتعظت فعظ الناس و إلا فاستحی منی» (۳).و قس علی ذلک جمیع ما ورد من هذا القبیل.

و ما قیل إن هدایه الغیر فرع الاهتداء،و تقویم الغیر فرع الاستقامه ففیه أن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر تاره یکون بالوعظ و تاره بالقهر و من لم یکن مهتدیا مستقیما،تسقط عنه الحسبه بالوعظ،لعلم الناس بفسقه فلا یتضمن وعظه و کلامه فائده،و لا یؤثر فی العالم بفسقه،و لا یخرج ذلک وعظه و قوله عن الجواز،کما لا تخرج حسبته القهریه عن التأثیر و الفائده أیضا.إذ الفاسق إذا منع غیره قهرا عن الزنا و اللواط و شرب الخمر، و اراق الخمور،و کسر آلات الملاهی،حصل التأثیر و الفائده بلا شبهه

ص: ۲۵۱

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۴.

۲- ۲) الصف،الآیه:۲-۳.

۳- ۳) صححنا الأحادیث کلها علی(فروع الکافی):باب الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف.و علی(المستدرک) ۲-۳۶۰،کتاب الامر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و الحاصل:أن أحد نوعى الاحتساب-اعنى الوعظى-يتوقف تأثيره على العداله،و أما نوعه الآخر-أعنى القهرى-فلا يتوقف عليه مطلقا.

فان قيل:اذا أتى رجل امرأه إكراها،و هى مستوره الوجه، فكشف وجهها باختيارها،فما اشنع و أقبح أن ينهاها الرجل فى أثناء الزنا عن كشف وجهها،و يقول لها:أنت مكرهه فى الزنا و مختاره فى كشف الوجه لغير المحرم،و ما أنا بمحرم لك،فاسترى وجهك.

قلنا:القبح و الاستنكار إنما هو لأجل أنه ترك الاهم و اشتغل بما هو الاهون،كما إذا ترك المشتبه و أكل الحرام،أو ترك الغيبه و شهد بالزور لا لأن هذا النهى هو حرام فى نفسه،أو خرج عن الوجوب إلى الاباحه أو الكراهه.و لأن نهيه هذا خرج بفسقه عن التأثير و الفائده،فالاستنكار عليه و تقبيح نهيه عن هذا من حيث إنه نزل نفسه مقام من يؤثر قوله، مع أنه لا يؤثر،كما تقدم آنفا.

ثم ما ذكرناه من عدم اشتراط العداله فى العمل بما يأمر به و ينهى عنه إنما هو فى آحاد الحسبه الصادره من أفراد الرعيه المطلعين على المنكر.و أما من نصب نفسه لا صلاح الناس و نصحهم،و بيان الاحكام الإلهيه نيابه عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و الأئمه المعصومين-عليهم السلام- فلا بد فيه من العداله و التقوى و العلم بالكتاب و السنه،و غير ذلك من شرائط الاجتهاد.و على هذا يحصل جواب آخر عن الآيات و الاخبار الوارده فى الإنكار على الواعظ غير المتعظ بتخصيصها به دون افراد الرعيه.و عليه يحمل قول الصادق-عليه السلام-فى(مصباح الشريعه) (١):«من لم ينسلخ عن هواجسه،و لم يتخلص من آفات نفسه و شهواتها،و لم يهزم

١- ١) الباب ۶۴ و قد صححنا الحديث عليه و على(بحار الأنوار):٢١-١١۴ باب الأمر المعروف.و على(مستدرك الوسائل):٢-٣۶٣-٣۶۵.

الشیطان،و لم یدخل فی کنف اللّه و أمان عصمته،لا یصلح له الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،لأنه إذا لم یکن بهذه الصفه،فکلما أظهر أمرا کان حجه علیه،و لا ینتفع الناس به.قال اللّه عز و جل:

أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

(۱)

.

و یقال له:یا خائن!أ تطالب خلقی بما خنت به نفسک و أرخیت عنه عنانک!». و کذا یحمل علیه قول الصادق-علیه السلام- (۲):

«صاحب الامر بالمعروف یحتاج إلی أن یکون عالما بالحلال و الحرام، فارغا من خاصه نفسه مما یأمرهم به و ینهاهم عنه،ناصحا للخلق،رحیما لهم،رفیقا بهم،داعیا لهم باللطف و حسن البیان،عارفا بتفاوت اخلاقهم لینزل کلا منزلته،بصیرا بمکر النفس و مکائد الشیطان،صابرا علی ما یلحقه لا یکافیهم بها و لا یشکو منهم،و لا یستعمل الحمیه و لا یغتلظ لنفسه، مجردا نیته للّه،مستعینا به و مبتغیا لوجهه،فان خالفوه و جفوه صبر،و إن وافقوه و قبلوا منه شکر،مفوضا أمره إلی اللّه،ناظرا إلی عیبه».

(تنبیه)اعلم أن المحتسب علیه-أعنی من یؤمر به أو ینهی عنه- و ان اشترط کونه عاقلا بالغا،إلا أن هذا الشرط إنما هو فی غالب الأوامر و النواهی،و بعضها لا یشترط فیه ذلک.إذ من رأی صبیا أو مجنونا یشرب الخمر،وجب علیه أن یمنعه و یریق خمره.و کذا إن رأی مجنونا یزنی بمجنونه أو بهیمه،فعلیه أن یمنعه منه،و لا یلزم منه أن یکون منع بهیمه عن افساد زرع انسان حسبه و نهیا عن منکر،إذ لا یصدق اسم المحتسب علیه و المنهی إلا علی من کان الفعل الممنوع عنه فی حقه منکرا و هو لا یکون الا الإنسان دون سائر الحیوانات.

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۴.

۲- ۲) (مصباح الشریعه):الباب المتقدم.

فصل مراتب الأمر بالمعروف

اعلم أن للامر بالمعروف و النهی عن المنكر مراتب:

الأولى-الإنكار بالقلب:بأن يبغضه على ارتكاب المعصيه.و هذا مشروط بعلم الناهی و اصرار المنهی،و لا يشترط بالشرطين الأخيرين.

الثانيه-التعريف:بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصيه،فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصی لجهلهم بأنه معصيه،و لو عرف كونه معصيه تركه.

الثالثه-إظهار الكراهه و الإعراض و المهاجره.

الرابعه-الإنكار باللسان:بالوعظ،و النصح،و التخويف، و الزجر،مرتبا الأيسر فالأيسر،الى أن يصل إلى التعنيف بالقول و التغليظ فی الكلام،كقوله:يا جاهل!يا أحمق!لا تخالف ربك!و ههنا شبكه عظيمه للشيطان،ربما يصطاد بها أكثر الوعاظ.فينبغی لكل عالم ناصح أن يراها بنور البصيره،و هی أن يحضره عند الوعظ و الإرشاد،و يلقی فی قلبه تعززه و شرافته بالعلم،و ذله من يعظه بالجهل و الخسه.فربما يقصد بالتعريف و الوعظ الاذلال و التجهيل،و إظهار شرف نفسه بالعلم،و هذه آفه عظيمه تتضمن كبرا و رياء.و ينبغی لكل واعظ دين ألا يغفل عن ذلك،و يعرف بنور بصيرته عيوب نفسه و قبح سريرته.و علامه براءه نفسه من هذه الآفه،أن يكون اتعاظ ذلك العاصی بوعظ غيره أو امتناعه من المعصيه بنفسه أحب إليه من اتعاظه بوعظه.

الخامسه-المنع بالقهر مباشره،ككسر آلات اللهو،و اراقه الخمر و استلاب الثوب المغصوب منه و رده إلى صاحبه،و أمثال ذلك.

السادسه-التهديد و التخويف:كقوله:دع عنك هذا،و إلا ضربتك أو كسرت رأسك!أو غير ذلك مما يجوز له أن يفعل لو لم ينته عن معصيته.و لا يجوز أن يهدده بما لا يجوز فعله،كقوله:دع هذا و إلا أضرب عنقك!أو أضرب ولدك،أو استبين زوجتك،و أمثال ذلك.

السابعه-مباشره الضرب باليد و الرجل و غير ذلك،من دون ان ينتهى إلى شهر سلاح و جراح.

الثامنه-الجرح بشهر بعض الأسلحه.و جوزه سيدنا المرتضى -رضى اللّه عنه-من أصحابنا و جماعه،و الباقون اشترطوا إذن الامام فى ذلك،إذ ربما لا يقدر عليه بنفسه،و يحتاج فيه إلى اعوان و أنصار يشهرون السلاح،و ربما يستمد الفاسق أيضا باعوانه،فيؤدى إلى المقاتله و المحاربه و حدوث فتنه عظيمه.

فصل معنى وجوبهما كفائيا

اذا اجتمعت الشرائط،و كان المطلع منفردا،تعين عليه.و إن كان ثمه غيره،و شرع أحدهما فى الأمر و النهى،فان ظن الآخر ان لمشاركته اثرا فى تعجيل ترتب الأثر و رسوخ الانزجار،وجب عليه أيضا،و إلا فلا.لأن الغرض وقوع المعروف و ارتفاع المنكر،فمتى حصلا بفعل واحد،كان السعى من الآخر عبثا.و هذا معنى كون وجوبهما كفائيا.

ص :255

فصل ما ينبغى فى الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر

ينبغى لكل من الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر أن يكون حسن الخلق،صابرا حليما قويا فى نفسه،لئلا ينزعج،و لا يضطرب إذا قيل فى حقه ما لا يليق به.فان أكثر الناس اتباع الهوى،فإذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم،فربما اطلقوا ألسنتهم فى حق الناهى،و يقولون فيه ما لا يليق بشأنه،و ربما تجاوزوا إلى سوء الأدب قولا و فعلا بالمشافهه.

و أن يكون رفيقا بالناس،فان الوعظ بالرفق و الملاءمه أوقع و أشد تأثيرا فى قلوب أكثر الناس.

و أن يكون قاطعا للطمع عن الناس،فان الطامع من الناس فى أموالهم أو إطلاق ألسنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبه،و لذا نقل:«أن بعض المشايخ كان له سنور،و كان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيئا من القد لسنوره،فرأى على القصاب منكرا،فدخل الدار أولا،و اخرج السنور،ثم جاء و وعظ القصاب و شدد عليه القول،فقال القصاب لا يأكل سنورك شيئا بعد ذلك،فقال:ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور و قطع الطمع عنك!».

تتميم أنواع المنكرات

اعلم أن المنكرات إما محظوره أو مكروهه،و المألوفه منها فى العادات أكثر من أن تحصى.

فمنهـا-ما يكون غالبا فى المساجـد:كاساءه الصـلاه،و الاخلال ببعض أفعالها،و التأخير عن اوقاتها،و إدخال النجاسه فيها،و التكلم فيهـا بـامور الـدنيا و البيع و الشـراء،و دخول الصبيـان و المجـانين فيهـا مع اشـتغالهم باللهو و اللعب،و قراءه القرآن فيها باللحن أو الغنـاء،و دخول النسوان فيهـا مع ظن تطرق الريبه،و نظر الأجـانب إليهن أو نظرهن إليهم،و دخول الجنب أو الحـائض فيها،و تغنى المؤذنين بالأذان أو غيره مما يقرؤن، و تقديمهم الأذان على الوقت،و وعظ من لا ينبغى أن يتمكن من الموعظه كمن يكذب فى حـديثه أو يفتى بالمسائـل و ليس أهلاـ لهـا،أو يظهر من وعظه كونه مرائيا طالبا للجاه،و أمثال ذلك.فان كل ذلك من المنكرات بعضها محظوره و بعضها مكروهه،ينبغى لكل مطلع ان ينهى عنها.

و منها-ما يكون غالبا فى الأسواق:من الكذب فى المحاولات و المعاملات و إخفاء العيب،و الايمان الكاذبه،و المنازعه بالضـرب و الشـتم و الطعـن و اللعـن و أمثـال ذلـك،و التبخس فى الكيـل و الميزان،و المعاملاـت الفاسـده باقسامهـا على مـا هـو مقرر فى الفقهيات.

و منها-ما يكون فى الشوارع:كوضع الاساطين،و بناء الدكات متصـله بالابنيه المملوكه،و تضـيق الطرق على الماره بوضع الأطعمه و الاحطاب و ربط الـدواب فيها،و سوق الدواب فيها و عليها الاشواك و النجاسات- اذا تأذى الناس منها و امكن العدول بها إلى موضع واسع،و إن لم يمكن فلاـ منع،اذ حـاجه أهل البلـد ربما تمس إلى ذلك-و تحميل الـدواب ما لا يطيقها من الحمل،و ذبح القصـاب على الطريق أو على بـاب دكـانه بحيث تلوث الطريق بالـدم،و طرح الكنـاسه على جواد الطريق،و رش الماء على الطرق بحيث يخشـى منه الزلق و السـقوط،و إرسال الماء من الميازيب المخرجه من الحائط إلى الطرق الضـيقه،و غير ذلك.و قس على ذلك

منكرات الحمـات،و الخانـات،و الأـسواق،و مجـالس العـامه،و مجـامع القضـاه و مـدارس الفقهـاء،و رباطـات الصـوفيه،و دواوين السلاطين،و غيرها.

فـان أمثـال مـا ذكر من المنكرات يجب أن ينهى عنهـا،فلو قام بالاحتساب و النهى عنها أحـد سـقط الحرج على البواقى،و إلا عم الحرج أهل البلد جميعا.و أمثال ما ذكر إنما هو من المنكرات اليسيره الجزئيه.

و أمـا المنكرات العظيمه:من البـدعه فى الـدين،و القتـل،و الظلم، و الزنـا،و اللـواط،و شـرب الخمر،و أنواع الغنـاء،و النظر إلى غير المحـارم و أكـل الحرام،و الصـلاه فى الامـاكن المغصوبه،و الوضوء و الغسل من المياه المحرمه،و التصـرف فى أموال الأوقاف و غصـبها،و المعـامله مع الظـالمين و الجهـل فى الأـصول الاعتقاديه و الفروع الواجبه،و آفات اللسان،فلا يمكن حصـرها لكثرتها،لا سيما فى أمثال زماننا.فلو امكن لمؤمن دين أن يغير هـذه المنكرات كلا أو بعضا بالاحتساب،فليس له أن يقعـد فى بيته، بل يجب عليه الخروج للنهى و التعليم.بـل ينبغى لكـل مسـلم أن يبـدأ بنفسه فيصـلحها بالمواظبه على الطاعات و ترک المحرمات،ثم يعلم ذلک أهله و أقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه،ثم إلى أهل محلته،ثم أهل بلده، ثم أهل السواد المكتنف بلده،ثم إلى غيرهم،و هكذا الاقرب فالأقرب الى اقصى العالم.فان قام به الادنى سقط عن الابعد،و إلا لزم الحرج على كل قادر عليه،قريبا كان أو بعيـدا.و لا يسـقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل يعرض عن فروض دينه و هو قادر على أن يسـعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فريضه.و هـذا شـغل شاغـل لمن يهمه أمر دينه يشـغله عن سـائر المشاغل.إلاـ أن إعراض النـاس عن أمـور دينهم فى عصرنا لم يبلغ حدا يقبل الإصلاح،الى ان تتعلق به مشيئه اللّه،فينهض بعض عباده السعداء الأقوياء،فيدفع هذه الوصمه،و يسد هذه الثلمه،و يتلافى هذه الفتره.

ص :۲۵۸

و منها:

اشاره

الهجره و التباعد

و لا ـ ریب فی کونه من نتائج العداوه و الحقد،أو الحسد أو البخل فیکون من رذائل قوه الغضب أو الشهوه.و هو من ذمائم الأفعال.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أیما مسلمین تهاجرا،فمکثا ثلاثا لا یصطلحان،إلا کانا خارجین من الإسلام،و لم یکن بینهما ولایه.فأیهما سبق الکلام لأخیه،کان السابق إلی الجنه یوم الحساب».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لا یحل لمسلم أن یهجر أخاه فوق ثلاث..»و قال الصادق-علیه السلام-:«لا یفترق رجلان علی الهجران،إلا استوجب أحدهما البراءه و اللعنه،و ربما استحق ذلک کلاهما»،فقال له معتب:

جعلنی اللّه فداک!هذا للظالم،فما بال المظلوم؟!قال:«لأنه لا یدعو أخاه إلی صلته،و لا یتعامس له عن کلامه.سمعت أبی-علیه السلام- یقول:اذا تنازع اثنان،فعاد أحدهما الآخر،فلیرجع المظلوم إلی صاحبه حتی یقول لصاحبه:أی أخی،انا الظالم،حتی یقطع الهجران بینه و بین صاحبه،فان اللّه تبارک و تعالی حکم عدل،یأخذ للمظلوم من الظالم».

و قال علیه السلام:«لا یزال ابلیس فرحا ما اهتجر المسلمان،فإذا التقیا اصطکت رکبتاه و تخلعت أوصاله،و نادی:یا ویله!ما لقی من الثبور» و قال الباقر علیه السلام:«إن الشیطان یغری بین المؤمنین ما لم یرجع أحدهم عن دینه،فإذا فعلوا ذلک استلقی علی قفاه و تمدد،ثم قال:

فزت.فرحم اللّه امرأ الف بین ولیین لنا.یا معشر المؤمنین،تآلفوا

و تعاطفوا» (۱).و الأخبار الوارده فی ذم الهجره و التباعد کثیره.

فیجب علی کل طالب لنجاه الآخره أن یتأمل فی أمثال هـذه الأخبار ثم یتـذکر ثواب ضـد ذلک و فوائـده،أعنی التآلف و التزاور بین الاخوان بنفسه،فیحافظ نفسه من حصول الانقطاع و التباعد مع أحد اخوانه، و لو حصل ذلک کلف نفسه المبادره إلی زیارته و تألفه،حتی یغلب علی الشیطان و نفسه الاماره،و یفوز بما یرجوه المتقون من عظیم الأجر و جزیل الثواب.

فصل التزاور و التآلف

قد أشیر إلی أن ضد التباعد و الهجران هو التزاور و التآلف،و هو من ثمرات النصـیحه و المحبه،و ثوابه أکثر من أن یحصـی.عن أبی جعفر -علیه السـلام-قـال:«قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-:حـدثنی جبرئیل-علیه السـلام-:أن اللّه عز و جل أهبط إلی الأرض ملکا،فاقبل ذلک الملک یمشـی حتی وقع إلی باب علیه رجل یسـتأذن علی رب الـدار، فقال له الملک:ما حاجتک إلی رب هـذه الـدار؟قـال:أخ لی مسـلم زرته فی اللّه تبـارک و تعالی.فقـال له الملـک:مـا جـاء بـک إلاـ ذاک؟فقـال:مـا جـاء بی إلا ذاک.قال:فانی رسول اللّه إلیک،و هو یقرئک السـلام،و یقول وجبت لک الجنه.و قال الملک:إن اللّه عز و جل یقول:أیما مسـلم زار مسـلما فلیس إیـاه زار،بـل إیـای زار،و ثوابه علی الجنه» .و قـال أمیر المؤمنین-علیه السـلام-:«لقاء الاخوان مغنم جسـیم،و إن قلوا».

۱- ۱) صححنا الاخبار کلها علی(الکافی):باب الهجران.

و قال أبو جعفر الباقر عليه السلام:«إن للّه عز و جل جنه لا يدخلها إلا ثلاثه:رجل حكم على نفسه بالحق،و رجل زار أخاه المؤمن فى اللّه و رجل آثر أخاه المؤمن فى اللّه».و قال-عليه السلام-:«إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره،فيوكل اللّه عز و جل به ملكا،فيضع جناحا فى الأرض و جناحا فى السماء يظله،فإذا دخل إلى منزله،ناداه الجبار تبارك و تعالى:أيها العبد المعظم لحقى،المتبع لآثار نبيى،حق على إعظامك،سلنى اعطك،ادعنى اجبك،اسكت ابتدئك.فإذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله،ثم يناديه تبارك و تعالى:

أيها العبد المعظم لحقى،حق على إكرامك،قد أوجبت لك جنتى، و شفعتك فى عبادى». و قال-عليه السلام-:«أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفا بحقه و كتب اللّه له بكل خطوه حسنه،و محيت عنه سيئه،و رفعت له درجه،فإذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء، فإذا التقيا و تصافحا و تعانقا،أقبل اللّه عليهما بوجهه،ثم باهى بهما الملائكه فيقول:انظروا إلى عبدى تزاورا و تحابا فى،حق على ألا أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف.فإذا انصرف شيعه ملائكه عدد نفسه و خطاه و كلامه، يحفظونه عن بلاء الدنيا و بوائق الآخره إلى مثل تلك الليله من قابل،فان مات فيما بينهما اعفى من الحساب،و ان كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره».

و قال الصادق-عليه السلام-:«من زار أخاه للّه لا لغيره، التماس موعد اللّه و تنجز ما عند اللّه،و كل اللّه به سبعين الف ملك ينادونه ألا طبت و طابت لك الجنه!».و قال-عليه السلام-:«من زار أخاه فى اللّه،قال اللّه عز و جل:إياى زرت،و ثوابك على،و لست أرضى لك ثوابا دون الجنه،و قال-عليه السلام-:«من زار أخاه

فى اللّه فى مرض أو صحه،لا يأتيه خداعا و لا استبدالا،و كل اللّه به سبعين الف ملك،ينادون فى قفاه:أن طبت و طابت لك الجنه!فانتم زوار اللّه،و أنتم وفد الرحمن،حتى يأتى منزله»،فقال له بشير:جعلت فداك!فان كان المكان بعيدا؟قال:«نعم يا بشير!و إن كان المكان مسيره سنه،فان اللّه جواد،و الملائكه كثير،يشيعونه حتى يرجع إلى منزله».و قال-عليه السلام-:«من زار أخاه فى اللّه تعالى و للّه، جاء يوم القيامه يخطر بين قباطى من نور (۱)،لا يمر بشىء الا أضاء له حتى يقف بين يدى اللّه عز و جل،فيقول اللّه له:مرحبا!و إذا قال مرحبا،اجزل اللّه عز و جل له العطيه».و قال-عليه السلام-:«لزياره مؤمن فى اللّه خير من عتق عشر رقاب مؤمنات،و من أعتق رقبه مؤمنه وقى بكل عضو عضوا من النار،حتى أن الفرج بقى الفرج».و قال -عليه السلام-لأبى خديجه:«كم بينك و بين البصره؟»قال:فى الماء خمس إذا طابت الريح،و على الظهر ثمان و نحو ذلك،فقال:

«ما أقرب هذا،تزاوروا و تعاهدوا بعضكم بعضا،فانه لا بد يوم القيامه يأتى كل انسان بشاهد شهد له على دينه».و قال:«إن المسلم إذا رأى أخاه،كان حياه لدينه إذا ذكر اللّه»و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، ما لقى المؤمنان قط إلا أفاد اللّه أحدهما من صاحبه خيرا».

و الأخبار الوارده بهذه المضامين كثيره.و السر فى هذا الترغيب الشديد على تزاور المؤمنين و ملاقاتهم،كونه دافعا للحسد و العداوه،جالبا للتأليف و المحبه.و هو أعظم ما يصلح به أمر دنياهم و عقباهم.و لذا ورد

۱- ۱) القبط-بالكسر-:أهل مصر الاصليون و إليهم تنسب الثياب البيض القبطيه. و الجمع(قباطى).

الثناء و المـدح فی الآیات و الأخبار علی نفس الألفه و انقطاع الوحشه،لا سیما اذا کانت الرابطه هی التقوی و الـدین.و ورد الذم فی التفرقه و التوحش، قال اللّه سبحانه فی مقام الامتنان علی المؤمنین بنعمه الألفه:

لَوْ أَنْفَقْتَ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مٰا أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ

(۱)

.و قال: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوٰاناً :أی بنعمه الألفه.و قال سبحانه: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِیعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا (۲).

و قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-:«المؤمن إلف مألوف و لا خیر فی من لا یألف و لا یؤلف».و هـذا هو السر فی الترغیب علی التسلیم و المصافحه و المعانقه.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

«أولی النـاس بـاللّه و برسوله من بـدأ بالسـلام».و قـال أمیر المؤمنین-علیه السـلام-:«لا تغضـبوا و لا تقبضوا،افشوا السـلام،و اطیبوا الکلام، و صلوا باللیل و النـاس نیام،تـدخلوا الجنه بسلام». و قال الباقر-علیه السـلام-:«إن اللّه یحب إفشاء السـلام».و قال-علیه السلام-:

«من التواضع أن تسلم علی من لقیت». و قـال الصـادق-علیه السـلام- «تصافحوا،فانها تـذهب بالسـخیمه».و قال:«مصافحه المؤمن أفضل من مصافحه الملائکه».و قال الباقر علیه السلام:«إن المؤمنین إذا

ص:۲۶۳

۱- ۱) الانفال،الآیه:۶۳.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۰۳.

التقیا فتصافحا.ادخل اللّه تعالی یده بین أیدیهما،و أقبل بوجهه علی أشدهما حبا لصاحبه.فإذا أقبل اللّه تعالی بوجهه علیهما،تحاتت عنهما الذنوب کما تتحاتت الورق من الشجر».و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«اذا لقی أحدکم أخاه فلیسلم و لیصافحه،فان اللّه تعالی أکرم بذلک الملائکه فاصنعوا صنع الملائکه».و قال الصادق-علیه السلام-:«إن المؤمنین اذا اعتنقا غمرتهما الرحمه،فإذا التزما لا یرید ان بذلک إلا وجه اللّه و لا یرید ان غرضا من اغراض الدنیا،قیل لهما:مغفورا لکما فاستأنفا، فإذا اقبلا علی الماء،قالت الملائکه بعضها لبعض:تنحوا عنهما،فان لهما سرا و قد ستر اللّه علیهما» (۱)

و منها:

اشاره

قطع الرحم

و هو إیذاء ذوی اللحمه و القرابه،أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهیه و الثروه و الخیرات الدنیویه،مع احتیاجهم إلیه.و باعثه إما العداوه أو البخل و الخسه،فهو من رذائل القوه الغضبیه أو الشهویه،و لا ریب فی کونه من أعم المهلکات المفسده للدنیا و الدین،قال اللّه سبحانه.

وَ الَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِیثاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولئِکَ

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(الکافی):باب زیاره الإخوان،و باب المصافحه،و باب المعانقه و علی(سفینه البحار):۱-۵۶۷.

لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أبغض الأعمال إلی اللّه الشرک باللّه،ثم قطیعه الرحم،ثم الأمر بالمنکر و النهی عن المعروف» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لا تقطع رحمک و إن قطعتک».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«لا تقطع رحمک و إن قطعتک».و قال تعالی:

«أنا الرحمن،و هذه الرحم شققت لها اسما من اسمی،فمن وصلها وصلته و من قطعها قطعته».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«حافتا الصراط یوم القیامه الرحم و الأمانه،فإذا مر الوصول للرحم المؤدی للامانه نفذ الی الجنه،و إذا مر الخائن للامانه القطوع للرحم لم ینفعهما معه عمل (۲)و تکفأ به الصراط فی النار».و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-فی خطبه «أعوذ باللّه من الذنوب التی تعجل الفناء»،فقام إلیه عبد اللّه بن الکوی الیشکری،فقال:یا أمیر المؤمنین،أو تکون ذنوب تعجل الفناء؟فقال «نعم،و یلک !قطیعه الرحم.إن أهل البیت لیجتمعون و یتواسون و هم فجره فیرزقهم اللّه،و إن أهل البیت لیتفرقون و یقطع بعضهم بعضا فیحرمهم اللّه و هم اتقیاء». و قال-علیه السلام-:«إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فی أیدی الأشرار».و قال الباقر علیه السلام-:«فی کتاب علی-صلوات اللّه علیه-:ثلاث خصال لا یموت صاحبهن ابدا حتی یری و بالهن:البغی،و قطیعه الرحم،و الیمین الکاذبه یبارز اللّه بها.و إن اعجل الطاعات ثوابا لصله الرحم.و ان القوم لیکونون فجارا فیتواصلون

۱- ۱) الرعد الآیه ۲۷.

۲- ۲) قال فی(الوافی):لم ینفعهما معه عمل،أی لم ینفع الخائن و لا القطوع مع الخیانه أو القطع عمل و فی نسخه من(الکافی):لم ینفعه معهما.

فتنمی أموالهم و یثرون.و إن الیمین الکاذبه و قطیعه الرحم لتذران الدیار بلاقع من أهلها.و تنقل الرحم،و إن نقل الرحم انقطاع النسل».و قال -علیه السلام-:«اتقوا الحالقه (۱)،فانها تمیت الرجال»،قیل:

و ما الحالقه؟قال:«قطیعه الرحم».و جاء رجل إلیه،فشکی أقاربه فقال له:«اکظم و افعل»،فقال:انهم یفعلون و یفعلون،فقال:

«أ ترید أن تکون مثلهم فلا ینظر اللّه إلیکم؟» (۲). و کتب أمیر المؤمنین -علیه السلام-الی بعض عماله:«مروا الأقارب أن یتزاوروا و لا یتجاوروا» (۳)،و ذلک لأن التجاور یورث التزاحم علی الحقوق،و ذلک ربما یورث التحاسد و التباغض و قطیعه الرحم،کما هو مشاهد فی أکثر أبناء عصرنا،و لیس الخبر کالمعاینه،و إذا لم یتجاوروا و تزاحمت (۴)دیارهم کان أقرب إلی التحابب،کما قیل بالفارسیه:«دوری و دوستی» (۵).

وصل ضد قطیعه الرحم:صله الرحم

اشاره

و هو تشریک ذوی اللحمه و القرابات بما ناله من المال و الجاه و سائر

۱- ۱) قال فی(مجمع البحرین)-ماده حلق-:«و فی الحدیث:اتقوا الحالقه قال بعض الشارحین:الحالقه هی الخصله التی من شأنها ان تحلق،أی تهلک و تستأصل الدین کما یستأصل الموسی الشعر».

۲- ۲) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):باب قطیعه الرحم،و باب صله الرحم.

۳- ۳) لم نعثر علی مصدر لهذا الحدیث.

۴- ۴) کذا فی النسخ،و الظاهر ان الصحیح«و تباعدت».

۵- ۵) یعنی:التباعد معه التحابب.

خیرات الدنیا،و هو أعظم القربات و أفضل الطاعات،قال اللّه سبحانه:

وَ اعْبُدُوا اللّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِی الْقُرْبی وَ الْيَتامی...

(۱)

.و قال: وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِی تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (۲).و قال:

اَلَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ -الی قوله- أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَی الدّارِ (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«اوصی الشاهد من أمتی و الغائب،و من فی أصلاب الرجال و ارحام النساء،الی یوم القیامه:أن یصل الرحم و إن کانت منه علی مسیره سنه،فان ذلک من الدین».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن اعجل الخیر ثوابا صله الرحم».

و قال:«من سره النساء فی الأجل،و الزیاده فی الرزق،فلیصل رحمه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن القوم لیکونون فجره و لا یکونون برره،فیصلون أرحامهم،فتنمی أعمالهم و تطول أعمارهم،فکیف إذا کانوا أبرارا برره».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«الصدقه بعشره» و القرض بثمانیه عشر،و صله الاخوان بعشرین،و صله الرحم بأربعه و عشرین»

۱- ۱) النساء،الآیه:۳۶.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱.

۳- ۳) الرعد الآیه ۲۲،۲۱.

و قیل له-صلی اللّٰه علیه و آله-:«أی الناس أفضل؟فقال:اتقاهم للّٰه،و أوصلهم للرحم،و آمرهم بالمعروف،و انهاهم عن المنکر».

و قال-صلی اللّٰه علیه و آله-:«إن أهل البیت لیکونون فجارا،تنمی أموالهم و یکثر عددهم إذا وصلوا ارحامهم»و قال-صلی اللّٰه علیه و آله- «أفضل الفضائل:أن تصل من قطعک،و تعطی من حرمک،و تعفو عمن ظلمک». و قال-صلی اللّٰه علیه و آله-:«من سره أن یمد اللّٰه فی عمره،و أن یبسط فی رزقه،فلیصل رحمه،فان الرحم لها لسان یوم القیامه ذلق،تقول:یا رب،صل من وصلنی،و اقطع من قطعنی.

فالرجل لیری بسبیل خیر حتی إذا أتته الرحم التی قطعها،فتهوی به إلی أسفل قعر فی النار».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«صلوا أرحامکم و لو بالتسلیم یقول اللّٰه تعالی: وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحٰامَ،إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً ». و قال الباقر-علیه السلام-:«إن الرحم متعلقه یوم القیامه بالعرش،تقول:اللهم صل من وصلنی و اقطع من قطعنی».

هذا تمثیل للمعقول بالمحسوس،و إثبات لحق الرحم علی أبلغ وجه،و تعلقها بالعرش کنایه عن مطالبه حقها بمشهد من اللّٰه.و قال علیه السلام:«صله الأرحام تحسن الخلق،و تسمح الکف،و تطیب النفس،و تزید فی الرزق و تنسئ فی الأجل».و قال:«صله الأرحام تزکی الأعمال،و تنمی الأموال،و تدفع البلوی،و تیسر الحساب،و تنسئ فی الأجل». و قال الصادق علیه السلام:«صله الرحم و البر لیهونان الحساب و یعصمان من الذنوب،فصلوا ارحامکم و بروا باخوانکم،و لو بحسن السلام و رد الجواب» و قال-علیه السلام-:«صله الرحم تهون الحساب یوم القیامه،و هی منسأه فی العمر،و تقی مصارع السوء».و قال-علیه السلام-:«صله

الرحم و حسن الجوار يعمران الديار و يزيدان فى الأعمار».و قال-عليه السلام-:«ما نعلم شيئا يزيد فى العمر إلا صله الرحم،حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين،فيكون وصولا للرحم،فيزيد اللّه فى عمره ثلاثين سنه،فيجعلها ثلاثا و ثلاثين سنه.و يكون أجله ثلاثا و ثلاثين سنه فيكون قاطعا للرحم،فينقصه اللّه تعالى ثلاثين سنه،و يجعل أجله ثلاث سنين» (۱).و الأخبار الوارده فى فضيله صله الرحم و عظم مثوباته أكثر من أن تحصى،و ما ذكرناه كاف لتنبيه الغافل.

تنبيه المراد بالرحم

المراد بالرحم الذى يحرم قطعه و تجب صلته،و لو وهب له شيء لا يجوز الرجوع عنه،هو مطلق القريب المعروف بالنسب،و إن بعدت النسبه و جاز النكاح.و المراد بقطعه أن يؤذيه بالقول أو الفعل،أو كان له شده احتياج إلى ما يقدر عليه زياده على قدر حاجته،من سكنى و ملبوس و مأكول فيمنعه،أو أمكنه أن يدفع عنه ظلم ظالم و لم يفعله،أو هاجره غيظا و حقدا من دون أن يعوده إذا مرض،أو يزوره إذا قدم من سفر و أمثال ذلك.فان جميع ذلك و أمثالها قطع للرحم.و اضدادها من دفع الأذيه،و مواساته بماله،و زيارته،و اعانته باللسان و اليد و الرجل و الجاه و غير ذلك:صله.

۱- ۱) صححنا الأخبار هنا كلها على(أصول الكافى):باب صله الرحم. و على(سفينه البحار):۱-۵۱۴.

ثم الظاهر تحقق الواسطه بين القطع و الصله،إذ كل إحسان،و لو كان مما لا يحتاج إليه قريبه و هو محتاج إليه،يسمى صله،و عدمه لا يسمى قطعا.

و منها:

اشاره

عقوق الوالدين

و هو أشد أنواع قطيعه الرحم،إذ أخص الأرحام و أمسها ما كان بالولاده،فيتضاعف تأكد الحق فيهما،فهو كقطيعه الرحم،إما يكون ناشئا من الحقد و الغيظ،أو من البخل و حب الدنيا،فيكون من رذائل إحدى قوتى الغضب و الشهوه.ثم جميع ما يدل على ذم قطيعه الرحم يدل على ذم العقوق،و لكونه أشد أنواع القطيعه و أفظعها،وردت فى خصوص ذمه آيات و أخبار أخر كثيره،كقوله تعالى:

وَ قَضى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً، إِمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً

(۱)

.

و قول رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«كن بارا و اقصر على الجنه،و إن كنت عاقا فاقصر على النار». و عن أبى جعفر-عليه السلام- قال:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى كلام له:إياكم و عقوق

ص: ۲۷۰

۱- ۱) الاسراء،الآيه:۲۳.

الوالـدين،فـان ريـح الجنه توجـد من مسيره الف عام،و لا يجـدها عاق، و لا قاطع رحم،و لا شـيخ زان،و لا جار إزاره خيلاء.إنما الكبريـاء للّه رب العـالمين».و قوله صـلى اللّه عليه و آله:«من أصـبح مسـخطا لابويه،أصـبح له بابان مفتوحان إلى النار».و عن أبى جعفر-عليه السـلام- قال:«إن أبى-عليه السـلام-نظر إلى رجل و معه ابنه يمشى و الابن متكئ على ذراع الأب،فما كلمه أبى مقتا له حتى فـارق الـدنيا».و قـال الصـادق عليه السـلام:«من نظر إلى أبويه نظر مـاقت،و همـا ظالمـان له لم يقبـل اللّه له صـلاه».و قال الصـادق-عليه السـلام-:«إذا كـان يوم القيامه،كشف غطاء من أغطيه الجنه،فوجـد ريحها من كانت له روح من مسـيره خمسـمائه عام،إلا صنفا واحدا»،فقيل له:من هم؟قال:

«العاق لوالديه».و قال-عليه السـلام-:«لو علم اللّه شـيئا هو أدنى من اف لنهى عنه،و هو أدنى العقوق.و من العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر إليهما» (۱)و سـئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يقول لبعض ولده:بأبى أنت و أمى!أو بأبوى أنت!أ ترى بذلك بأسا؟ فقال:«إن كان أبواه حيين فأرى ذلك عقوقا،و ان كانا قد ماتا فلا بأس».

و الأخبار فى ذم العقوق أكثر من تحصـى،و ورد فى بعض الأخبار القدسـيه:«بعزتى و جلالى و ارتفاع مكانى!لو أن العاق لوالديه يعمـل باعمـال الأنبياء جميعـا لم أقبلهـا منه».و روى أيضـا:«أن أول مـا كتب اللّه فى اللوح المحفوظ:إنى أنا اللّه لا إله إلا أنا،من رضى عنه والده فانا منه راض،و من سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط».و قد ورد

---

۱ - ۱) صـححنا الأحـاديث كلهـا على(أصـول الكـافى):بـاب العقـوق،و على (مسـتدرك الوسائـل):۲-۶۳۱ كتـاب النكـاح.و على(الوسائل):كتاب النكاح.

عن رسول اللّه انه قال:«كل المسلمين يرونى يوم القيامه،إلا عاق الوالدين،و شارب الخمر،و من سمع اسمى و لم يصل على».و قد ثبت من الأخبار و التجربه،أن دعاء الوالد على ولده لا يرد و يستجاب البته.

و دلت الأخبار على أن من لا ترضى عنه أمه تشتد عليه سكرات الموت و عذاب القبر.و كفى للعقوق ذما أنه ورد فى الإسرائيليات:«أنه تعالى أوحى إلى موسى:أن من بر والديه و عقنى كتبته برا،و من برنى و عق والديه كتبته عاقا».

وصل بر الوالدين

ضد العقوق(بر الوالدين)و الإحسان إليهما،و هو أفضل القربات و أشرف السعادات.و لذلك ورد ما ورد من الحث عليه،و الترغيب إليه قال اللّه سبحانه:

وَ اخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمٰا كَمٰا رَبَّيٰانِى صَغِيراً

(١)

.و قال: وَ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ لاٰ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً (٢).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:بر الوالدين أفضل

ص:٢٧٢

١- ١) بنى أسرائيل،الآيه:٢۴.

٢- ٢) النساء،الآيه:٣۶.

من الصلاه و الصوم و الحج و العمره و الجهاد فی سبیل اللّه».و قال صلی علیه و آله:«من أصبح مرضیا لابویه،أصبح له بابان مفتوحان إلی الجنه».و عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:«إن رجلا أتی إلی النبی -صلی اللّه علیه و آله-فقال:یا رسول اللّه أوصنی.فقال:لا تشرک باللّه شیئا و إن حرقت بالنار و عذبت إلا و قلبک مطمئن بالایمان،و والدیک فأطعهما و برهما حیین کانا أو میتین و إن أمراک،أن تخرج من أهلک فافعل فان ذلک من الایمان». و عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:«جاء رجل و سأل النبی صلی اللّه علیه و آله عن الوالدین.فقال:ابرر أمک، ابرر أمک ابرر أمک ابرر أباک ابرر أباک ابرر أباک و بدأ بالام قبل الأب».و عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:«جاء رجل إلی النبی صلی اللّه علیه و آله فقال:یا رسول اللّه،من أبر؟قال:امک.قال ثم من؟قال:امک.قال:ثم من؟قال:امک.قال:ثم من؟ قال:أباک»و أتاه رجل آخر و قال:«إنی رجل شاب نشیط،و أحب الجهاد،ولی والده تکره ذلک.فقال له النبی-صلی اللّه علیه و آله- ارجع فکن مع والدتک،فو الذی بعثنی بالحق!لأنسها بک لیله خیر من جهاد فی سبیل اللّه سنه». و قال أبو عبد اللّه علیه السلام:«ان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أتته اخت له من الرضاعه،فلما نظر الیها سربها،و بسط ملحفته لها،فاجلسها علیها،ثم أقبل یحدثها و یضحک فی وجهها،ثم قامت فذهبت و جاء أخوها،فلم یصنع به ما صنع بها، فقیل له:یا رسول اللّه،صنعت باخته ما لم تصنع به و هو رجل،فقال:

لأنها کانت أبر بوالدیها منه».

و قیل للصادق-علیه السلام-:«أی الأعمال أفضل؟قال:الصلاه لوقتها،و بر الوالدین،و الجهاد فی سبیل اللّه».و قال له علیه السلام

رجل:«إن أبی قد کبر جدا و ضعف،فنحن نحمله إذا أراد الحاجه فقال:إن استطعت أن تلی ذلک منه فافعل،و لقمه بیدک،فانه جنه لک غدا».و قال له علیه السلام رجل:«إن لی أبوین مخالفین.فقال برهما کما تبر المسلمین ممن یتولانا».و قال رجل للرضا-علیه السلام- «أدعو لوالدی إذا کانا لا یعرفان الحق؟قال:ادع لهما و تصدق عنهما، و ان کانا حیین لا یعرفان الحق فدارهما،فان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-قال:إن اللّه بعثنی بالرحمه لا بالعقوق».و قد وردت أخبار أخر فی الأمر بالبر و الإحسان إلی الوالدین،و إن کانا علی خلاف الحق و قال-علیه السلام-:«ما یمنع الرجل منکم أن یبر والدیه حیین و میتین و یصلی عنهما،و یتصدق عنهما،و یحج عنهما،و یصوم عنهما،فیکون الذی صنع لهما و له مثل ذلک،فیزیده اللّه عز و جل ببره و صلاته خیرا کثیرا» (۱).

و الأخبار فی ثواب بر الوالدین غیر محصوره.فینبغی لکل مؤمن أن یکون شدید الاهتمام فی تکریمهما و تعظیمهما و احترامهما،و لا یقصر فی خدمتهما،و یحسن صحبتهما،و ألا یترکهما حتی یسألاه شیئا مما یحتاجان إلیه بل یبادر إلی الإعطاء قبل أن یفتقرا إلی السؤال،کما ورد فی الأخبار، و إن أضجراه فلا یقل لهما أف،و ان ضرباه لا یعبس وجهه،و قال:غفر اللّه لکما،و لا یملأ عینیه من النظر إلیهما إلا برحمه ورقه،و لا یرفع صوته فوق صوتهما،و لا یده فوق ایدیهما،و لا یتقدم قدامهما،بل مهما أمکن

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):باب بر الوالدین و علی (الوسائل):کتاب النکاح ابواب احکام العشره،باب وجوب بر الوالدین، و باب وجوب بر الوالدین برین کانا او فاجرین،و باب جمله من حقوق الوالدین و علی(المستدرک)۲-۶۲۸ کتاب النکاح.

له لا يجلس عندهما،و كلما بالغ فى التذلل و التخضع كان أجره أزيد و ثوابه أعظم.

و بالجمله:اطاعتهما واجبه و طلب رضاهما حتم،فليس للولد أن يرتكب شيئا من المباحات و المستحبات بدون إذنهما،و لذا أفتى العلماء بأنه لا تجوز المسافره فى طلب العلم إلا باذنهما،إلا إذا كان فى طلب علم الفرائض من الصلاه و الصوم و أصول العقائد،و لم يكن فى بلده من يعلمه،و لو كان فى بلده من يعلمه لم تجز المسافره.و قد روى:«أن رجلا هاجر من اليمن إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و أراد الجهاد،فقال له ارجع إلى أبويك فاستأذنهما،فان إذنا فجاهد،و إلا فبرهما ما استطعت، فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد»و جاء آخر إليه للجهاد،فقال «أ لك والده؟»قال:نعم!قال:«فالزمها،فان الجنه تحت قدمها» و جاء آخر،و طلب البيعه على الهجره إلى الجهاد،و قال:ما جئتك حتى أبكيت والدىّ.قال:«ارجع إليهما،فأضحكهما كما أبكيتهما».و لو وقعت بين الوالدين مخالفه،بحيث توقف رضى أحدهما على سخط الآخر فينبغى أن يجتهد فى الإصلاح بينهما بأى طريق امكن،و لو بالعرض إلى فقيه البلد حتى يطلبهما و يعظهما و يقيمهما على الوفاق،لئلا ينكسر خاطر أحدهما منه.

و اعلم أن حق كبير الأخوه على صغيرهم عظيم،فينبغى محافظته.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حق كبير الأخوه على صغيرهم كحق الوالد على ولده».

تذنیب حق الجوار

اشاره

حق الجوار قریب من حق الرحم،إذ الجوار یقتضی حقا وراء ما تقتضیه اخوه الإسلام،فیستحق الجار المسلم ما یستحقه کل مسلم و زیاده فمن قصر فی حقه عداوه أو بخلا فهو آثم.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«الجیران ثلاثه:فمنهم من له ثلاثه حقوق:حق الجوار و حق الإسلام،و حق القرابه.و منهم من له حقان:حق الإسلام، و حق الجوار.و منهم من له حق واحد:الکافر له حق الجوار».فانظر کیف اثبت للکافر حق الجوار.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«أحسن مجاوره من جاورک تکن مؤمنا».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و الیوم الآخر،فلا یؤذ جاره».و قال صلی اللّه علیه و آله:«لا إیمان لمن لم یأمن جاره بوائقه».و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«فلانه تصوم النهار و تقوم اللیل و تتصدق،و تؤذی جارها بلسانها.فقال صلی اللّه علیه و آله:لا خیر فیها،هی من أهل النار».

و عن علی علیه السلام:«إن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-کتب بین المهاجرین و الأنصار و من لحق بهم من أهل یثرب:أن الجار کالنفس غیر مضار و لا آثم،و حرمه الجار علی الجار کحرمه أمه»و قال الصادق علیه السلام-:«حسن الجوار زیاده فی الأعمار و عماره فی الدیار».و قال -علیه السلام-:«لیس منا من لم یحسن مجاوره من جاوره».و قال -علیه السلام-:«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:ما آمن بی من بات شبعانا و جاره جائع».و قال:«إن یعقوب علیه السلام

لما ذهب عنه بنيامين،نادى:يا رب أ ما ترحمنى،اذهبت عينى و أذهبت ابنى؟فأوحى اللّه تبارك و تعالى إليه:لو كنت امتهما لأحييتهما لك،اجمع بينك و بينهما،و لكن تذكر الشاه التى ذبحتها و شويتها و أكلت،و فلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئا».و فى روايه أخرى:«فكان بعد ذلك يعقوب ينادى مناديه كل غداه و مساء من منزله على فرسخ:ألا من أراد الغداء أو العشاء فليأت إلى يعقوب!» (۱).و فى بعض الأخبار (۲):«أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامه،و يقول:سل يا رب هذا لم منعنى معروفه و سد بابه دونى؟».

تتميم حدود الجوار و حقه

معرفه الجوار موكوله إلى العرف،فأى دار يطلق عليها الجار عرفا يلزم مراعاه حقوق أهلها.و المستفاد من بعض الأخبار:أن كل أربعين دارا من كل واحد من الجوانب الأربعه جيران.ثم لا ـ ينحصر حق الجار فى مجرد كف الأذى،اذ ذلك يستحقه كل أحد،بل لا بد من الرفق و إهداء الخير و المعروف،و تشريكه فيما يملكه و يحتاج إليه من المطاعم،كما ظهر من بعض الأخبار المتقدمه.و ينبغى أن يبدأه بالسلام،و لا يطيل

---

۱ – ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب حسن الجوار و على (المستدرك):۲-۷۸ و ۷۹ و على(الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ۸۵-۸۸.

۲ – ۲) هذا كلام ذكره فى(احياء العلوم):۲-۱۸۹ بعد قوله:«إذ يقال».

معه الکلام،و لا یکثر عن حاله السؤال،و یعوده فی المرض،و یعزیه فی المصیبه،و یقوم معه فی العزاء،و یهنئه فی الفرح،و یصفح عن زلاته، و یستر ما اطلع علیه من عوراته،و لا یضایقه فی وضع الجذع علی جداره و لا فی صب الماء فی میزابه،و لا فی مطرح التراب فی فنائه،و لا فی المرور عن طریقه،و لا یمنعه ما یحتاج إلیه من الماعون،و یغض بصره عن حرمه،و لا یغفل عن ملاحظه داره عند غیبته،و یتلطف لأولاده فی کلمته،و یرشده إلی ما یصلحه من أمر دینه و دنیاه،و إن استعان به فی أمر أعانه،و إن استقرضه أقرضه،و لا یستطیل علیه بالبناء فیحجب عنه الریح إلا باذنه،و إذا اشتری شیئا من لذائذ المطاعم و ظرفها فلیهد له،و إن لم یفعل فلیدخلها بیته سرا،و لا یخرج بها أولاده حتی یطلع علیها بعض أولاد جاره،فیشتهیه و ینکسر لذلک خاطره.

و منها:

اشاره

طلب العثرات

و تجسس العیوب و العورات و إظهارها.و لا ریب فی کونه من نتائج العداوه و الحسد،و ربما حدث فی القوه الشهویه رداءه توجب الاهتزاز و الانبساط،من ظهور عیب بعض المسلمین،و إن لم یکن عداوه و حقدا کما قیل:

و عین الرضا عن کل عیب کلیله

و لکن عین السخط تبدی المساویا

و من تصفح الآیات و الأخبار،یعلم أن من یتبع عیوب المسلمین

ص :۲۷۸

و یظهرهما بین الناس اسوأ الناس و اخبثهم،قال اللّه تعالی:

وَ لاٰ تَجَسَّسُوا

(۱)

.و قال: إِنَّ اَلَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ اَلْفٰاحِشَهُ فِی اَلَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من أذاع فاحشه کان کمبتدئها،و من عیر مؤمنا بشیء،لم یمت حتی یرتکبه».و قال صلی اللّه علیه و آله:«کل أمتی معافی،إلا المجاهرین»،و المجاهره أن یعمل الرجل سوأ فیخبر به.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من استمع خبر قوم و هم له کارهون،صبت فی أذنیه الآنک یوم القیامه».و عن أبی جعفر-علیه السلام-قال:«قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یا معشر من أسلم بلسانه و لم یسلم بقلبه!لا تتبعوا عثرات المسلمین،فانه من یتبع عثرات المسلمین یتبع اللّه عثراته،و من تتبع اللّه عثراته یفضحه».

و قال الباقر علیه السلام-:«من أقرب ما یکون العبد إلی الکفر ان یؤاخی الرجل الرجل علی الدین،فیحصی علیه زلاته لیعیره بها یوما ما».و قال الصادق-علیه السلام-:«من أنب مؤمنا أنبه اللّه عز و جل فی الدنیا و الآخره». و قیل للصادق-علیه السلام-:«شیء یقوله الناس،عوره المؤمن علی المؤمن حرام؟فقال:لیس حیث تذهب،إنما عوره المؤمن أن یراه یتکلم بکلام یعاب علیه فیحفظه علیه لیعیره به یوما إذا غضب» و قال الباقر-علیه السلام-:«قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إن أسرع الخیر ثوابا البر،و أسرع الشر عقوبه البغی،و کفی بالمرء عیبا

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) النور،الآیه:۱۹.

أن يبصر من الناس ما يعمى عنه،و أن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، و أن يؤذى جليسه بما لا يعنيه» (۱).و الأخبار الوارده بأمثال هذه المضامين كثيره.

وصل ستر العيوب

ضد كشف العيوب:سترها و اخفاؤها،و هو من أعظم شعب النصيحه و لا حد لثوابه،كما يستفاد من الأخبار الكثيره.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«من ستر على مسلم ستره اللّه فى الدنيا و الآخره».و قال صلى اللّه عليه و آله:«لا يستر عبد عيب عبد إلا ستره اللّه يوم القيامه» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يرى امرؤ من أخيه عوره فيسترها عليه،إلا دخل الجنه». و كفى بستر العيوب فضلا أنه من أوصاف اللّه سبحانه،و من شده اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا-و هو افحشها- بما لا يمكن اتفاقه إلا نادرا،و هو مشاهده أربعه عدول كالميل فى المكحله فانظر إلى أنه تعالى كيف أسبل الستر على العصاه من خلقه فى الدنيا، بتضييق الطرق المؤديه إلى كشفه.و لا تظنن أنك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر،فقد ورد فى الحديث:«أن اللّه تعالى إذا ستر على عبد عورته فى الدنيا فهو أكرم من يكشفها فى الآخره،و إن كشفها فى الدنيا فهو

---

۱ – ۱) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب من طلب عثرات المؤمنين و عوراتهم و على(الوسائل):ابواب احكام العشره،الباب ۱۵۰.و على (المستدرك):۲-۱۰۴.و على(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۵،باب تتبع عيوب الناس و افشائها.

أکرم من أن یکشفها أخری».و ورد أیضا:«أنه یؤتی یوم القیامه بعبد یبکی،فیقول اللّه سبحانه له:لم تبکی؟فیقول:أبکی علی ما سینکشف عنی من عوراتی و عیوبی عند الناس و الملائکه.فیقول اللّه:عبدی ما افتضحتک فی الدنیا بکشف عیوبک و فواحشک،و أنت تعصینی و تضحک!فکیف أفضحک الیوم بکشفها و أنت تعصینی و تبکی!». و فی خبر آخر:«أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-یطلب یوم القیامه من اللّه سبحانه ألا یحاسب أمته بحضره من الملائکه و الرسل و سائر الأمم،لئلا تظهر عیوبهم عندهم،بل یحاسبهم بحیث لا یطلع علی معاصیهم غیره سبحانه،و سواه -صلی اللّه علیه و آله-،فیقول اللّه سبحانه:یا حبیبی،أنا أرأف بعبادی منک،فإذا کرهت کشف عیوبهم عند غیرک،فأنا أکره کشفها عندک أیضا،فاحاسبهم وحدی بحیث لا یطلع علی عثراتهم غیری».

فإذا کانت عنایه اللّه سبحانه فی ستر عیوب العباد بهذه المثابه،فأنی لک أیها المسکین المبتلی بأنواع العیوب و المعاصی،تسعی فی کشف عیوب عباد اللّه،مع أنک مثلهم فی الاتصاف بأنواع العیوب و العثرات!و تأمل أنه لو أظهر أحد بعض فواحشک عند الناس کیف یکون حالک،فقس علیه حال غیرک ممن تکشف أنت بعض فواحشه.و قد ثبت و وضح من الأخبار و التجربه:أن من یفضح یفتضح،فیا حبیبی،ترحم علی نفسک و تأس بربک،فاسبل الستر علی عیوب غیرک.

و منها:

اشاره

إفشاء السر

و إذاعته.و هو أعم من کشف العیب.إذ السر قد یکون عیبا و قد لا یکون بعیب،و لکن فی افشائه إیذاء و إهانه بحق الأصدقاء أو غیرهم

ص:۲۸۱

من المسلمين،و هو من رذائل قوه الغضب إن كان منشأه العداوه،و من رذائل قوه الشهوه إن كان منشأه تصور نفع مالى،أو مجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها،و هو مذموم منهى عنه. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله-:«إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت،فهى أمانه».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«الحديث بينكم أمانه».و ورد:«أن من الخيانه أن تحدث بسر أخيك».و قال عبد اللّه بن سنان للصادق-عليه السلام-:«عوره المؤمن على المؤمن حرام؟فقال:نعم!قلت:

يعنى سفلته؟قال:ليس حيث تذهب،إنما هو إذاعه سره» (۱).

فصل كتمان السر

اشاره

ضد إفشاء السر:كتمانه،و هو من الأفعال المحموده،و قد أمر به فى الأخبار.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«طوبى لعبد نومه، عرفه اللّه و لم يعرفه الناس،أولئك مصابيح الهدى و ينابيع العلم،تتجلى عنهم كل فتنه مظلمه،ليسوا بالمذاييع البذر،و لا الجفاه المرائين».و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-:«طوبى لعبد نومه،لا يؤبه له، يعرف الناس و لا يعرفه الناس،يعرفه اللّه منه برضوان،أولئك مصابيح الهدى،تنجلى عنهم كل فتنه،و يفتح لهم باب كل رحمه،ليسوا بالبذر المذاييع،و لا الجفاه المرائين».و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام- «قولوا الخير تعرفوا به،و اعملوا الخير تكونوا من أهله،و لا تكونوا عجلا مذاييع.فان خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر اللّه،و شراركم المشاؤن

۱- ۱) صحىنا الأحاديث على البحار:۴-۱۷۵ مج ۱۵،باب تتبع عيوب الناس.

بالنميمه،المفرقون بين الأحبه،المبتغون للبراء المعايب» (۱).

تنبيه النميمه

النميمه تطلق فی الأكثر على أن ينم قول الغير إلى المقول فيه،كأن يقال:فلان تكلم فيك بكذا و كذا،أو فعل فيك كذا و كذا.و على هذا تكون نوعا خاصا من إفشاء السر و هتك الستر،و هو الذی يتضمن فسادا أو سعايه.و قد تطلق على ما لا يختص بالمقول فيه،بل على كشف ما يكره كشفه،سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، و سواء كان الكشف بالقول أو الكتابه أو بالرمز و الايماء،و سواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال،و سواء كان ذلك عيبا و نقصانا على المنقول عنه أو لم يكن.و على هذا يكون مساويه الافشاء السر و هتك الستر و حينئذ فكل ما يرى من أحوال الناس و لم يرضوا بافشائه،فإذاعته نميمه فاللازم على كل مسلم أن يسكت عما يطلع عليه من أحوال غيره،إلا إذا كان فی حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصيه.كما إذا رأى أحدا يتناول مال غيره،فعليه أن يشهد به مراعاه لحق المشهود له،و أما إذا رآه يخفى ما لا لنفسه،فحكايته نميمه و إفشاء للسر.

ثم الباعث على النيمه يكون غالبا إراده السوء بالمحكى عنه،فيكون داخلا تحت الإيذاء،و ربما كان باعثه إظهار المحبه للمحكى له،أو التفريح بالحديث،أو الخوض فی الفضول.و على أی تقدير،لا ريب فی أن

۱- ۱) صححنا الأحاديث كلها على(البحار):ج ۴ مج ۱۵:باب فضل كتمان السر و على(أصول الكافی):باب كتمان السر،و باب الروايه على المؤمن.

النمیمه أرذل الافعال القبیحه و اشنعها.و ما ورد فی ذمها من الآیات و الأخبار لا یحصی کثره،قال اللّه سبحانه:

هَمّٰازٍ مَشّٰاءٍ بِنَمِیمٍ. مَنّٰاعٍ لِلْخَیْرِ مُعْتَدٍ أَثِیمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِکَ زَنِیمٍ

(۱)

.

و الزنیم:هو ولد الزنا.فیستفاد من الآیه:أن کل من یمشی بالنمیمه فهو ولد الزنا.و قال سبحانه:

وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ

(۲)

.أی النمام المغتاب.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«لا یدخل الجنه نمام» و فی خبر آخر:«لا یدخل الجنه قتات»:أی النمام.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«احبکم إلی اللّه أحسنکم أخلاقا،الموطئون اکنافا،الذین یألفون و یؤلفون،و إن أبغضکم إلی اللّه المشاؤن بالنمیمه،المفرقون بین الأحبه،الملتمسون للبراء العثرات» (۳).و قال-صلی اللّه علیه و آله- «ألا انبئکم بشرارکم؟قالوا:بلی یا رسول اللّه،قال:المشاؤن بالنمیمه، المفرقون بین الأحبه،الباغون للبراء المعایب» (۴).و قال صلی اللّه علیه

۱- ۱) القلم،الآیه:۱۱-۱۳.

۲- ۲) الهمزه،الآیه:۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(المستدرک):۱۱۱ کتاب الحج.

۴- ۴) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب الحج،ابواب احکام العشره، الباب ۱۶۴.و علی(المستدرک):۱۱۰ کتاب الحج.و علی(أصول الکافی): باب النمیمه.

و آله: «من أشار على مسلم كلمه ليشينه بها فى الدنيا بغير حق،شانه اللّه فى النار يوم القيامه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«أيما رجل أشاع على رجل كلمه و هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا،كان حقا على اللّه أن يدينه بها يوم القيامه فى النار».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن اللّه لما خلق الجنه قال لها:تكلمى،قالت:سعد من دخلنى.

قال الجبار جل جلاله:و عزتى و جلالى!لا يسكن فيك ثمانيه نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر،و لا مصر على الزنا،و لا قتات-و هو النمام-، و لا ديوث،و لا شرطى،و لا مخنث،و لا قاطع رحم،و لا الذى يقول على عهد اللّه أن أفعل كذا و كذا ثم لم يف به». و قال الباقر-عليه السلام-:«الجنه محرمه على المغتابين المشائين بالنميمه».و قال-عليه السلام-:«يحشر العبد يوم القيامه و ما ندا دما (1)،فيدفع إليه شبه المحجمه أو فوق ذلك،فيقال له:هذا سهمك من دم فلان،فيقول:

يا رب،انك لتعلم أنك قبضتنى و ما سفكت دما،فيقول:بلى،سمعت من فلان روايه كذا و كذا فرويتها عليه،فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها،و هذا سهمك من دمه».و قال الصادق-عليه السلام-:

«من روى على مؤمن روايه يريد بها شينه و هدم مروته ليسقط من أعين

۱- ۱) قال فى مجمع البحرين-ماده(ندا)-:«فلان ماندا دما و لا قتل قتلا:أى ما سفك دما».و قد كتبت كلمه(ندا)فى جميع ما وجدناه من الكتب بالالف،و عسى أن تكون بالياء هكذا(ندى)كرضى.و احتمل فى الوافى أن تكون(ندى)بتشديد الدال،و ذكر احتمالات كثيره،فراجعه و قد روى فى (الوسائل)-كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ۱۶۳-مثل هذا الحديث عن(الشيخ الطوسى)،و قد جاء فيه:«و ما ادمى دما».أما الحديث المذكور هنا،فقد صححناه على(أصول الكافى)باب الاذاعه.

الناس،أخرجه اللّه تعالى من ولايته إلى ولايته إلى ولايه الشيطان،و لا يقبله الشيطان» (۱). و روی:«انه أصاب بنی أسرائیل قحط،فاستسقى موسى مرات،فما أجيب.فأوحى اللّه تعالى إليه:إنى لا استجيب لك و لمن معك و فيكم نمام قد أصر على النميمه.فقال موسى:يا رب،من هو حتى نخرجه من بيننا؟فقال:يا موسى،انهاكم عن النميمه و أكون نماما؟!فتابوا باجمعهم،فسقوا»و روی:«أن ثلث عذاب القبر من النميمه».

و من عرف حقيقه النميمه،يعلم أن النمام شر الناس و اخبثهم،كيف و هو لا ينفك من الكذب،و الغيبه،و الغدر،و الخيانه،و الغل،و الحسد و النفاق،و الإفساد بين الناس،و الخديعه.و قد قال اللّه سبحانه:

وَ يَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(۲)

.

و النمام يسعى فى قطع ما أمر اللّه به أن يوصل و يفسد فى الأرض.

و قال اللّه:

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّٰاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

(۳)

.و النمام منهم.

۱ – ۱) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب احكام العشره الباب ۱۵۷.و على(أصول الكافى):باب الروايه على المؤمن.

۲– ۲) البقره،الآيه:۲۷.

۳– ۳) الشورى،الآيه:۴۰.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«لا یدخل الجنه قاطع»:

أی قاطع بین الناس،و النمام قاطع بینهم.و قال صلی اللّه علیه و آله:

«شر الناس من اتقاه الناس لشره».و النمام منهم،و النمام أعظم شرا من کل أحد.

نقل:أن رجلا باع عبدا،فقال للمشتری:ما فیه عیب إلا النمیمه قال رضیت.فاشتراه،فمکث الغلام أیاما،ثم قال لزوجه مولاه:إن زوجک لا یحبک،و هو یرید أن یتسری علیک،و انا اسحره لک فی شعره فقالت:کیف اقدر علی أخذ شعره؟فقال:اذا نام فخذی الموسی و احلقی من قفاه عند نومه شعرات.ثم قال للزوج:إن امرأتک اتخذت خلیلا و ترید أن تقتلک،فتناوم لها حتی تعرف.فتناوم فجاءته المرأه بالموسی،فظن أنها تقتله،فقام و قتلها،فجاء أهلها و قتلوا الزوج، فوقع القتال بین القبیلتین،و طال الأمر بینهم.

ثم یلزم علی من تحمل إلیه النمیمه ألا یصدق النمام،لأنه فاسق، و الفاسق مردود الشهاده بقوله تعالی:

إِنْ جٰاءَکُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا

(۱)

.

و ان ینهاه عن ذلک،و ینصحه و یقبح له فعله،لقوله تعالی:

وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْکَرِ

(۲)

.

و ان یبغضه فی اللّه،لکونه مبغوضا عنده تعالی،و ألا یظن بأخیه سوأ بمجرد قوله،لقوله تعالی:

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۶.

۲- ۲) لقمان،الآیه:۱۷.

اِجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ

(۱)

.

و ألا يحمل عمله على التجسس و البحث لتحقيق ما حكى له،لقوله تعالى:«و لا تجسسوا».و ألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام،فلا يحكى نميمته،فيقول:فلان قد حكى كذا و كذا،فيكون به نماما و مغتابا.

و روى محمد بن فضيل عن الكاظم-عليه السلام-:«أنه قال له -عليه السلام-:جعلت فداك!الرجل من اخوانى يبلغنى عنه الشىء الذى اكرهه،فاسأله عنه فينكر ذلك،و قد أخبرنى عنه قوم ثقات.فقال لى:يا محمد،كذب سمعك و بصرك عن أخيك،فان شهد عندك خمسون قسامه،فقال لك قولا،فصدقه و كذبهم،و لا تذيعن عليه شيئا تشينه به و تهدم مروته،فتكون من الذين قال اللّه:

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِی الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ (۲).

و قد روى عن أمير المؤمنين-عليه السلام-:«أن رجلا أتاه يسعى إليه برجل،فقال:يا هذا،نحن نسأل عمن قلت،فان كنت صادقا مقتناك،و إن كنت كاذبا عاقبناك،و إن شئت أن نقيلك أقلناك قال:اقلنى يا أمير المؤمنين».و نقل:«أن رجلا زار بعض الحكماء و أخبره بخبر عن غيره،فقال:قد أبطأت عنى الزياره،و بغضت إلى أخى،و شغلت قلبى الفارغ،و اتهمت نفسك الأمينه».

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۲.

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره الباب ۱۵۷.و الآيه من سوره النور:۱۹.

تتمه السعایه

السعایه هی النمیمه،بشرط کون المحکی له من یخاف جانبه،کالسلاطین و الأمراء و الحکماء و الرؤساء و أمثالهم،فهی أشد أنواع النمیمه إثما و معصیه و هی أیضا تکون من العداوه و من حب المال و طمعه،فتکون من رداءه القوتین و خباثتهما.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«الساعی بالناس إلی الناس لغیر رشده».یعنی لیس ولد حلال.و ذکرت السعاه عند بعض الأکابر،فقال:ما ظنک بقوم یحمد الصدق من کل طبقه إلا منهم!

و منها:

اشاره

الافساد بین الناس

و هو فی الأکثر یحصل بالنمیمه،و إن لم یوجب کل نمیمه افسادا.

و لا ریب فی کونه من المهلکات المؤدیه إلی النار،قال اللّه سبحانه:

اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِیثاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ

(۱)

.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن فساد ذات البین هی الحالقه».

ص: ۲۸۹

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۷.

وصل الإصلاح

و ضده:الإصلاح بين الناس،و هو أعظم أفراد النصيحه،و لا غايه لمثوبته عند اللّه.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أفضل الصدقه إصلاح ذات البين».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:اتقوا اللّه و اصلحوا ذات بينكم،فان اللّه تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«كل الكذب مكتوب،إلا أن يكذب الرجل فى الحرب،فان الحرب خدعه،أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما»...و قال الصادق-عليه السلام-:«صدقه يحبها اللّه تعالى:إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا،و تقارب بينهم إذا تباعدوا».

و قال-عليه السلام-للمفضل:«إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعه فافتدها من مالى».و قال-عليه السلام-لابن عمار:«ابلغ عنى كذا و كذا فى أشياء أمر بها.فقال له ابن عمار:فابلغهم عنك،و أقول عنى ما قلت لى و غير الذى قلت؟قال:نعم!إن المصلح ليس بكذاب».

و قال-عليه السلام-:«المصلح ليس بكاذب» (۱):يعنى إذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الإصلاح لم يعد كلامه كذبا.و هذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس،لأن ترك الكذب واجب،و لا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه.

۱- ۱) صححنا الأحاديث عن الصادق-عليه السلام-على(أصول الكافى): باب الإصلاح بين الناس و صححنا النبويات على(كنز العمال):۲-۱۲۸،۱۴.

و منها:

الشماته

و هو إظهار أن ما حدث بغيره من البليه و المصيبه إنما هو من سوء فعله و اساءته،و الغالب صدوره عن العداوه أو الحسد.و علامته أن يكون مع فرح و مسره،و ربما صدر عن رداءه القوه الشهويه،بأن يهتز به و يميل إليه،مع جهله بمواقع القضاء و القدر،و إن لم يكن معه حقد و حسد.و التجربه و الأخبار شاهدان على أن كل من شمت بمسلم فى مصيبه لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها و يشمت به غيره فيها. قال الصادق -عليه السلام-:«لا تبدى الشماته لأخيك،فيرحمه اللّه و يحلها بك».

و قال-عليه السلام-:«من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن» (۱)على أن كل بليه و مصيبه ترد على مسلم يمكن أن تكون كفاره لذنوبه باعثار لرفع درجاته و اعلاء مرتبته فى دار الآخره.

و الدليل على ذلك:أن أعظم البلايا و المصائب موكله بالأنبياء،ثم بالأولياء،ثم بالأمثل فالأمثل فى درجات الاعتلاء.و لا ريب فى أن ورود المصائب و المحن عليهم ليس من سوء فعلهم و إساءتهم. فينبغى لكل عاقل أن يتأمل(أولا)أن الشماته بمسلم بمصيبه لا ينفك فى الدنيا من ابتلائه بمثلها،(و ثانيا)أنها إيذاء لأخيه المسلم،فلا ينفك عن العذاب فى الآخره (و ثالثا)ان نزول هذه المصيبه به لا يدل على سوء حاله عند اللّه،بل الأرجح دلالته على حسن حاله و تقربه عند اللّه سبحانه.فليحافظ على نفسه عن إبداء الشمانه لأحد من المسلمين،و يخوف من يراه من الشامتين عن عقوبه العاجل و عذاب الآجل.

۱- ۱) صححنا الحديثين على(أصول الكافى):باب الشماته.

و منها:

اشاره

المراء و الجدال و الخصومه

اعلم ان المراء طعن فی کلام الغیر لإظهار خلل فیه،من غیر غرض سوی تحقیره و اهانته،و إظهار تفوقه و کیاسته.و الجدال:مراء یتعلق بإظهار المسائل الاعتقادیه و تقریرها.و الخصومه:لجاج فی الکلام لاستیفاء مال أو حق و مقصود،و هذه تکون تاره ابتداء و تاره اعتراضا،و المراء لا یکون إلا اعتراضا علی کلام سبق،فالمراء داخل تحت الإیذاء،و یکون ناشئا من العداوه أو الحسد.و أما الجدال و الخصومه،فربما صدرا من من أحدهما أیضا،و ربما لم یصدرا منه.

و حینئذ،فالجدال إن کان بالحق-أی تعلق باثبات إحدی العقائد الحقه-و کان الغرض منه الإرشاد و الهدایه،و لم یکن الخصم لدودا عنودا فهو الجدال بالأحسن،و لیس مذموما،بل ممدوح معدود من الثبات فی الایمان الذی هو من نتائج قوه المعرفه و کبر النفس،قال اللّه سبحانه:

وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ الْکِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ

(۱)

.

و إن لم یکن بالحق،فهو مذموم اقتضته العصبیه أو حب الغلبه أو الطمع،فیکون من رذائل القوه الغضبیه أو الشهویه،و ربما أورث شکوکا و شبهات تضعف العقیده الحقه،و لذا نهی اللّه سبحانه عنه و ذم علیه،فقال:

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یُجٰادِلُ فِی اللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ لاٰ هُدیً وَ لاٰ

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۴۶.

کِتٰابٍ مُنِیرٍ

(۱)

.و قال: وَ إِذٰا رَأَیْتَ الَّذِینَ یَخُوضُونَ فِی آیٰاتِنٰا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ (۲).

و الخصومه أیضا إن کانت بحق،أی کانت مما یتوقف علیه استیفاء مال أو حق ثابت،فهی ممدوحه معدوده من فضائل القوه الشهویه،و إن کانت بباطل،أی تعلقت بما یدعیه کذبا أو بلا علم و یقین،فهی مذمومه معدوده من رذائلها.فالخصومه المذمومه تتناول المخاصمه فیما یعلم قطعا عدم استحقاقه،و فیما لا علم له بالاستحقاق،کخصومه وکیل القاضی، فانه قبل أن یعرف الحق فی أی جانب،یتوکل فی الخصومه من أی جانب کان،و یخاصم من غیر علم و ایقان،فمثله خبّاط العثرات و رکاب الشبهات،یضر بالمسلمین بلا غرض،و یتحمل أوزار الغیر بلا عوض، فهو أخسر الناس اعمالا و اعظمهم فی الآخره أوزارا و نکالا و تتناول أیضا مخاصمه من یطلب حقه و لکنه لا یقتصر علی قدر الحاجه،بل یظهر اللدد و العناد فی الخصومه قصدا للتسلط و الإیذاء،و من یمزج بخصومته کلمه مؤذیه لا یحتاج إلیها فی إظهار الحق و بیان الحجه،و من یحمله علی الخصومه محض العناد بقهر الخصم و کسره مع استحقاره لذلک القدر من المال،و ربما صرح بأن قصدی العناد و الغلبه علیه و کسر عرضه،و إذا أخذت منه هذا المال رمیته،و لا أبالی،فمثله غرضه اللدد و اللجاج.

فتنحصر الخصومه الجائزه بمخاصمه المظلوم الذی یطلب حقه و ینصر حجته بطریق الشرع من غیر قصد عناد و إیذاء،مع الاقتصار علی قدر

۱- ۱) الحج،الآیه:۸.

۲- ۲) الانعام،الآیه:۶۸.

الحاجه فی الخصومه من دون أن یتکلم بالزائد و لا بکلمات مؤذیه،ففعله لیس بحرام و إن کان الأولی ترکه ما وجد إلیه سبیلا،إذ ضبط اللسان فی الخصومه علی حد الاعتدال متعذر أو متعسر،لأنها توغر الصدر،و تهیج الغضب،و إذا هاج الغضب ذهب المتنازع فیه من البین،و اشتد الحقد بین المتخاصمین حتی یحزن کل واحد بمسره صاحبه و یفرح بمساءته.

فالخصومه مبدأ کل شر،فینبغی ألا یفتح بابها إلا عند الضروره علی قدر الضروره،و لا یتعدی عن الواجب،إذ أقل درجاتها تشوش الخاطر، حتی أنه فی الصلاه لیشتغل بمخاصمه الخصم،و یتضمن الطعن و الاعتراض أی التجهل و التکذیب،إذ من یخاصم غیره إما یجهله أو یکذبه،فیکون آتیا بسوء الکلام،و یفوت به ضده،اعنی طیب الکلام،مع ما ورد فیه من الثواب.و کذا الحال فی المراء و الجدال.

و بالجمله:المراء و الجدال و الخصومه،سوی ما استثنی،من ذمائم الأفعال و مبادئ أکثر الشرور و الفتن،و لذا ورد بها الذم الشدید فی الأخبار قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من جادل فی خصومه بغیر علم،لم یزل فی سخط حتی ینزع».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «إن أبغض الرجال إلی اللّه الأبد الخصم».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «ما أتانی جبرئیل قط إلا وعظنی،فآخر قوله لی:إیاک و مشاده الناس فانها تکشف العوره و تذهب بالعز».و قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إیاکم و المراء و الخصومه،فانهما یمرضان القلوب علی الاخوان،و ینبت علیهما النفاق».و قال علی بن الحسین-علیهما السلام-:«ویل أمه فاسقا من لا یزال مماریا!ویل أمه فاجرا من لا یزال مخاصما!ویل أمه آثما من کثر کلامه فی غیر ذات اللّه!».و قال الصادق-علیه السلام- «لا تمارین حلیما و لا سفیها،فان الحلیم یغلبک و السفیه یؤذیک».و قال

«إيـاك و المشـاده،فانها تورث المعرّه و تظهر العوره».و قال عليه السـلام «إياكم و الخصومه،فانها تشـغل القلب،و تورث النفاق،و تكسب الضغائن» (۱)فمن تأمل فى ما يـدل على ذمها و سوء عاقبتها عقلا و نقلا -فمع عـدم ترتب فائده عليها،و تذكر ما ورد فى مدح تركها و فوائد ضدها،اعنى طيب الكلام-يسهل عليه ان يتركها و لا يحوم حولها.

تذنيب علاج المراء

طريـق المعـالجه فى إزاله المراء و الجـدال و الخصومه:أن يعلم انهـا توجب التبـاغض و المبـاينه،و تزيـل الألـفه و المحبه،و تقطع الالتيـام و الوحـده و لا ريب فى أن قوام النظام الأصـلح بالالتيام و الوحـده،كما اقتضـته العنايه الإلهيه و الحكمه الازليه،و المباينه الراجعه إلى الكـثره ينافيهمـا،و لاـ ينبغى للعاقـل أن يرتكـب مـا يضـاد فعـل اللّه و حكمتـه.و هـذا هـو العلاـج العلمى، و أما العملى،فليواظب على ضده هذه الثلاثه،أعنى طيب الكلام،و يكلف نفسه عليه،حتى يصير ملكه له و ترتفع اضدادها عنه بالمره.

۱- ۱) صحـحنا الأحاديث على(الكافى):باب المراء و الخصومه.و على (الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشـره،الباب ۱۳۵ و ۱۳۶.و على (احياء العلوم):۲-۱۰۲.

وصل طيب الكلام

قد أشير إلى أن ضد الرذائل الثلاث:طيب الكلام،و ما ورد فى مدحه و فى ثواب تركها أكثر من أن يحصى.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«ثلاث من لقى اللّه تعالى بهن دخل الجنه من أى باب شاء:

من حسن خلقه،و خشى اللّه فى المغيب و المحضر،و ترک المراء و إن كان محقا».و قال صلى اللّه عليه و آله:«يمكنكم من الجنه طيب الكلام و إطعام الطعام».و قال صلى اللّه عليه و آله:«إن فى الجنه لغرفا يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها،أعدها اللّه لمن اطعم الطعام و أطاب الكلام».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الكلمه الطيبه صدقه».و روى «أن عيسى-عليه السلام-مر به خنزير.فقال:مر بسلامه.فقيل له:يا روح اللّه،تقول هذا للخنزير!فقال:اكره أن اعود لسانى الشر» و قال بعض الحكماء:«الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنّه فى الجوارح»

و منها:

السخريه و الاستهزاء

و هو محاكاه أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم و خلقهم،قولا و فعلا،أو ايماء و إشاره،على وجه يضحک منه.و هو لا ينفک عن الإيذاء و التحقير و التنبيه على العيوب و النقائص.و إن لم يكن ذلک بحضره المستهزأ به،فيتضمن الغيبه أيضا.و باعثه إما العداوه أو التكبر و استصغار المستهزأ به،فيكون من رذائل القوه الغضبيه،أو قصد ضحک الأغنياء

ص :۲۹۶

و تنشيط قلوبهم،طمعا فى بعض أوساخهم الملوثه،و أخذ النبذ من حطامهم المحرمه،و لا ريب فى انه صفه من لا حظّ له فى الدين،و شيمه اراذل احزاب الشياطين،لأنهم يظهرون أكاذيب الأقوال و يرتكبون أعاجيب الأفعال،يخلعون قلائد الحريه عن الرقاب،و يهتكون استار الحياء بمرأى من أولى الألباب،يبتغون عيوب المؤمنين و عوراتهم،و يظهرون نقائص المسلمين و عثراتهم،يقلدون أفعال الأخيار على وجه يضحك الاشرار، و يحاكون صفات الأبرار على أفضح الوجوه فى الانظار.و لا ريب فى أن المرتكب لهذه الأفعال بعيد عن الإنسانيه بمراحل،و مستوجب لعقوبه العاجل و عذاب الآجل،و لا يخلو ساعه عن الصغار و الهوان،و لا وقع له فى قلوب أهل الايمان،و كفاه ذما انه جعل تلك المعاصى الخبيثه وسيله لتحصيل المال أو الواقع فى قلوب أبناء الدنيا،و يلزمه عدم اعتقاده بأن اللّه سبحانه هو المتكفل لأرزاق العباد.

و الطريق فى دفعه-بعد التأمل فى سوء عاقبته،و وخامه خاتمته، و فيما يلزمه من الذله و الهوان فى الدنيا-أن يبادر إلى إزاله العداوه و التكبر إن كان باعثه ذلك،و إن كان باعثه تنشيط قلوب أهل الدنيا طمعا فى مالهم،فليعلم أن لكل نفس ما قدر لها من الأموال و الأرزاق،و يصل إليها من اللّه سبحانه البته،فان من يتق اللّه و يتوكل عليه يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب،و يكون فى الآخره سعيدا،و ان أغواه الشيطان و حثه على تحصيلها من المداخل الخبيثه،لم يصل إليه أكثر مما قدر له،و كان فى الآخره شقيا.

و ليعلم أيضا أن المتوكل على اللّه و المتصف بالحريه،لا يبدل التوكل و الحريه بهذه الأفعال لأجل الوصول إلى بعض خبائث الأموال،فليعاتب نفسه و يزجرها بالمواعظ و النصائح،و يتذكر ما ورد فى الشريعه من ذم

المستهزئين و تعذيبهم يوم القيامه بصوره الاستهزاء،قال اللّه جل شأنه:

لاٰ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ

(۱)

.

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنه،فيقال:هلم هلم!فيجىء بكربه و غمه،فإذا أتى اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر،فيقال:هلم هلم!فيجىء بكربه و غمه،فإذا أتى أغلق دونه.فما يزال كذلك،حتى يفتح له الباب،فيقال له:هلم هلم فما يأتيه».و قال ابن عباس فى قوله تعالى:

يٰا وَيْلَتَنٰا مٰا لِهٰذَا الْكِتٰابِ لاٰ يُغٰادِرُ صَغِيرَةً وَ لاٰ كَبِيرَةً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا

(۲)

.

«الصغيره:التبسم بالاستهزاء بالمؤمن،و الكبيره:القهقهه بذلك» و فيه إشاره إلى أن الضحك على الناس من الجرائم العظيمه.

ثم جميع ما ذكر إنما هو فى حق من يؤذى الناس و يهينهم باستهزائه و سخريته،و أما من جعل نفسه سسخره و يسر بأن يهزل و يسخر به،و إن كان هو ظالما لنفسه خارجا عن شعار المؤمنين،حيث أهان نفسه و أذلها، إلا أن سخريه الغير به من جمله المزاح،و يأتى ما يذم منه و ما يحمد،و إنما المحرم منه ما يؤدى إلى ايذائه و تحقيره:بأن يضحك على كلامه إذا يخبط

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۱.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۵۰.

و لـم ینتظـم،أو علی أفعـاله إذا کـانت مشـوشه،أو علی صـورته و خلقتـه إذا کـان قصـیرا أو طویلاـ أو ناقصـا بعیـب من العیوب.فالضحک علی جمله ذلک داخل فی السخریه المنهی عنها.

و طریق علاجه-بعد تـذکر ما تقـدم-أن اسـتهزاءه یوجب خزی نفسه یوم القیامه عنـد اللّه و عنـد الملائکه و النبیین و عند الناس أجمعین،فلو تفکر فی حسـرته و حیائه و خجله و خزیه یوم یحمل سیئات من استهزأ به و یساق إلی النار،لأدهشه ذلک عن إخزاء غیره،و لو عرف حقیقه حـاله یوم القیـامه،لکان الأولی له أن یضـحک علی نفسه تاره و یبکی علیها أخری، لأنه باسـتهزائه به عند بعض أراذل النـاس عرض نفسه لأـن یأخـذ بیـده ذلـک الغیر یوم القیـامه علی ملأـ من النـاس و یسوقه تحت السـیاط،کمـا یساق الحمـار، الی النـار مستهزئا بـه،مسـرورا بخزیـه و تمکین اللّه تعـالی إیـاه علی الانتقـام منه.فمن تأمـل فی ذلـک،و لم یکن عـدوا لنفسه،اجتنب عن السخریه و الاستهزاء کل الاجتناب.

و منها:

اشاره

المزاح

و أصله مذموم منهی عنه،و سببه إما خفه فی النفس،فیکون من رذائل القوه الغضبیه،أو میل النفس و شهوتها إلیه،أو تطییب خاطر بعض أهـل الـدنیا طمعـا فی مـالهم،فیکون من رذائل القوه الشـهویه.و سبب الـذم فیه.أنه یسـقط المهابه و الوقار،و ربما أدی إلی التبـاغض و الوحشه و الضـغینه، و ربمـا انجر إلی الهزل و الاسـتهزاء،و أدخـل صـاحبه فی جمله المسـتهزأ بهم، و ربمـا صار باعثا لظهور العداوه-کما قیل-و ربما جرّ إلی اللعب،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«لا تمار أخاك و لا تمازحه»،و قال بعض الأكابر لابنه:«يا بنى،لا تمازح الشريف فيحقد عليك،و لا الدنیء فيجترئ عليك»،و قال آخر:«إياكم و الممازحه،فانها تورث الضغينه و تجر إلى القطيعه». و قال آخر:«المزاح مسلبه للبهاء،و مقطعه للاصدقاء» و قيل:«لكل شیء بذر،و بذر العداوه المزاح».و من مفاسد المزاح:

أنه سبب للضحك،و هو منهى عنه.قال اللّه تعالى:

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً

(۱)

.

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«إن الرجل ليتكلم بالكلمه فيضحك بها جلساءه،يهوى بها أبعد من الثريا»،و قال:«لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا و لضحكتم قليلا»،و هو يدل على أن الضحك علامه الغفله عن الآخره،و قال بعض:«من كثر ضحكه قلت هيبته،و من مزح استخف به،و من أكثر من شیء عرف به،و من كثر كلامه كثر سقطه،و من كثر سقطه قلّ حياؤه،و من قل حياؤه قل ورعه،و من قل ورعه مات قلبه». و خاطب عارف نفسه و قال:«أ تضحك و لعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟!»و قال رجل لأخيه:يا أخى، هل أتاك أنك وارد النار؟قال:نعم!قال:و هل أتاك أنك خارج منها؟فقال:لا،قال:ففيم الضحك؟فما رئى بعد ذلك ضاحكا حتى مات».و نظر بعضهم إلى قوم يضحكون فى يوم الفطر،فقال:«إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين،و إن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين».

ثم المذموم من الضحك هو القهقهه،و التبسم الذى ينكشف فيه

۱- ۱) التوبه،الآيه:۸۳.

السن و لا يسمع الصوت ليس مذموما،بل محمود لفعل النبى صلى اللّه عليه و آله (۱).

تذنيب المذموم من المزاح

الحق أن المذموم من المزاح هو الإفراط فيه و المداومه عليه،أو ما يؤدى إلى الكذب و الغيبه و أمثالهما،و يخرج صاحبه عن الحق.و أما القليل الذى يوجب انبساط خاطر و طيبه قلب،و لا يتضمن إيذاء و لا كذبا و لا باطلا،فليس مذموما،لقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«إنى لأمزح و لا أقول إلا حقا».و لما روى:«أنهم قالوا له صلى اللّه عليه و آله:يا رسول اللّه،انك تداعبنا!فقال:إنى و إن داعبتكم،فلا أقول إلا حقا».و لما روت العامه:«أنه صلى اللّه عليه و آله كان كثير التبسم، و كان أفكه الناس»و ورد:«أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كسا ذات يوم واحده من نسائه ثوبا واسعا،و قال لها:البسيه و أحمدى،و جرى منه ذيلا كذيل العروس».و قال صلى اللّه عليه و آله:«لا تدخل الجنه عجوز.فبكت العجوز.فقال:إنك لست يومئذ بعجوز»و جاءت امرأه اليه،و قالت:«إن زوجى يدعوك.فقال صلى اللّه عليه و آله:زوجك هو الذى بعينه بياض؟قالت:و اللّه ما بعينه بياض؟فقال:بلى،إن بعينه بياضا.فقالت:لا و اللّه؟فقال:ما من أحد إلا بعينه بياض».

۱- ۱) راجع أخبار المزاح و الضحك و التبسم:كتاب(الوسائل):الباب ۸۰-۸۴ من أبواب أحكام العشره،و الظاهر ان المؤلف لم يرجع إلى أخبارنا التى فيها غنى عن النقل عن أناس مجهولين.

و أراد به البياض المحيط بالحدقه.و جاءته امرأه أخرى،و قالت:«احملنى يا رسول اللّه على بعير،فقال:بل نحملك على ابن البعير.فقالت:

ما أصنع به،انه لا يحملنى،فقال صلى اللّه عليه و آله:هل من بعير إلا و هو ابن بعير؟».و كان صلى اللّه عليه و آله يدلع لسانه للحسين عليه السلام فيرى لسانه فيهش له،و قال لصهيب-و به رمد و هو يأكل التمر-:

«أتأكل التمر و أنت أرمد؟فقال:إنما آكل بالشق الآخر.فتبسم رسول اللّه حتى بدت نواجذه».و روى:«أن خوات ابن جبير كان جالسا إلى نسوه من بنى كعب بطريق مكه،و كان ذلك قبل اسلامه.فطلع عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله-فقال له:مالك مع النسوه؟قال:يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود.فمضى رسول اللّه لحاجته ثم عاد،فقال:يا أبا عبد اللّه أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟قال:فسكت و استحييت،و كنت بعد ذلك استخفى منه حياء،حتى أسلمت و قدمت المدينه،فاطلع على يوما و أنا أصلى فى المسجد،فجلس إلى،فطولت الصلاه،فقال:لا تطول فانى انتظرك،فلما فرغت قال:يا أبا عبد اللّه،أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟قلت:و الذى بعثك بالحق نبيا؟ما شرد منذ أسلمت!فقال:اللّه أكبر اللّه أكبر،اللهم اهد أبا عبد اللّه.فحسن اسلامه».و كان نعيمان الأنصارى،رجلا مزّاحا،فإذا دخل المدينه شىء نفيس من اللباس أو المطاعم اشترى منه،و جاء به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و يقول:

هذا أهديته لك.فإذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه،جاء به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله،و قال:يا رسول اللّه،أعطه ثمن متاعه،فيقول له النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«أ و لم تهده لنا؟»فيقول:لم يكن عندى و اللّه ثمنه،و أحببت أن تأكل منه،فيتبسم رسول اللّه و يأمر لصاحبه بثمنه و أمثال هذه المطايبات مرويه عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و عن الأئمه

-علیهم السلام-و أكثرها منقوله مع النسوان و الصبيان،و كان ذلک معالجه لضعف قلوبهم،من غير ميل إلى هزل و لا كذب و لا باطل،و كان صدور ذلک عنهم أحيانا و على الندره،و مثلهم كانوا يقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق و الاعتدال،و أما غيرهم فإذا فتح باب المزاح فربما وقع فى الإفراط و الباطل.فالأولى لأمثالنا تركه مطلقا.

و منها:

اشاره

الغيبه

و هى أن يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه.سواء كان ذلک ينقص فى بدنه أو فى أخلاقه أو فى أقواله،أو فى أفعاله المتعلقه بدينه أو دنياه،بل و إن كان بنقص فى ثوبه أو داره أو دابته.

و الدليل على هذا التعميم-بعد إجماع الأمه على أن من ذكر غيره بما يكره إذا سمعه فهو مغتاب-ما روى عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- أنه قال:«هل تدرى ما الغيبه؟»قالوا:اللّه و رسوله أعلم.قال:

«ذكرك أخاك بما يكره»،قيل له:أ رأيت ان كان فى أخى ما أقول؟ قال:«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته،و إن لم يكن فيه فقد بهته».

و ما روى:«انه ذكر رجل عنده،فقالوا:ما أعجزه!فقال-صلى اللّه عليه و آله-:اغتبتم أخاكم،قالوا:يا رسول اللّه،قلنا ما فيه.قال:إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه».و ما روى عن عائشه قالت:«دخلت علينا امرأه،فلما ولت،أومأت بيدى انها قصيره،فقال صلى اللّه عليه و آله:

اغتبتيها».و ما روى انها قالت:«إنى قلت لامرأه مره و أنا عند النبى -صلى اللّه عليه و آله-:إن هذه لطويله الذيل.فقال لى:الفظى الفظى! فلفظت مضغه لحم».و قد روى:«ان أحد الشيخين قال للاخر:إن

فلانا لنؤم،ثم طلبا أدما من رسول اللّه ليأكلا به الخبز.فقال:صلى اللّه عليه و آله-:قد ائتدمتما.فقالا:ما نعلمه،فقال:بلى!إنكما أكلتما من لحم صاحبكما».

و أما ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال:«صفه الغيبه أن تذكر أحدا بما ليس هو عند اللّه بعيب و يذم ما يحمده أهل العلم فيه.و أما الخوض فى ذكر الغائب بما هو عند اللّه مذموم و صاحبه فيه ملوم،فليس بغيبه،و إن كره صاحبه إذا سمع به و كنت أنت معافى عنه و خاليا منه.

و تكون فى ذلك مبينا للحق من الباطل ببيان اللّه و رسوله،و لكن على شرط ألا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق و الباطل فى دين اللّه عز و جل، و أما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى،فهو مأخوذ بفساد مراده و ان كان صوابا» (۱)فهو مخصوص بما إذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه، أو كان ساترا على نفسه كارها لظهوره.و يدل على ذلك ما روى عنه عليه السلام أيضا،أنه سئل عن الغيبه،فقال:«هو أن تقول لأخيك فى دينه ما لم يفعل،و ثبت عليه أمرا قد ستره اللّه عليه لم يقم فيه حد».

و قال عليه السلام:«الغيبه أن تقول فى أخيك ما ستره اللّه عليه،و أما الأمر الظاهر فيه،مثل الحده و العجله،فلا».و قال الكاظم عليه السلام «من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس،لم يغتبه،و من ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس،اغتابه،و من ذكره بما ليس فيه فقد بهته» (۲).و يأتى ان المجاهر بمعصيته غير ساتر لها،لا غيبه له فيها.

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۴۹.و قد تقدم الشك فى صحه(مصباح الشريعه)فى الجزء الأول.

۲- ۲) صححنا الأحاديث الثلاثه على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب احكام العشره،الباب ۱۵۴،و على(أصول الكافى):باب الغيبه و البهت.و على(البحار)۴ مج ۱۵-۱۸۴ باب الغيبه،و قال فى الموضع المذكور عن الحديث الأول:«الغيبه هو أن تقول»:الضمير للغيبه،و تذكيره بتأويل الاغتياب أو باعتبار الخبر.

و الحاصل:ان الإجماع و الأخبار متطابقان على أن حقيقه الغيبه هو أن يذكر الغير بما يكرهه إذا سمعه،سواء كان ذلك بنقص فى نفسه أو بدنه.

أو فى دينه أو دنياه،أو فيما يتعلق به من الأشياء،و ربما قيل إنه لا غيبه فيما يتعلق بالدين،لأنه ذم من ذمه اللّه و رسوله،فذكره بالمعاصى و ذمه جائز.و أيد ذلك بما روى:«أنه ذكر عند رسول اللّه امرأه و كثره صومها و صلاتها و لكنها تؤذى جيرانها.فقال:هى فى النار». و ذكرت امرأه أخرى بأنها بخيله،فقال:«فما خيرها إذن؟».و لا ريب فى بطلان هذا القول:لما عرفت من عموم الأدله.و ما ورد من ذم الأشخاص المعينه فى كلام اللّه و كلام حججه إنما هو لتعريف الأحكام و تبيينها،و سؤال الأصحاب عنهم و ذكرهم بالمعاصى،إنما كان لحاجتهم إلى معرفه الأحكام لا للذم و إظهار العيب،و لذا لم يكن ذلك إلا فى مجلس الرسول-صلى اللّه عليه و آله.أو الأئمه-عليهم السلام-.

فصل لا تنحصر الغيبه باللسان

اعلم أن الغيبه لا تنحصر باللسان،بل كل ما يفهم نقصان الغير،و يعرف ما يكرهه فهو غيبه،سواء كان بالقول أو الفعل،أو التصريح أو التعريض أو بالاشاره و الإيماء،أو بالغمز و الرمز،أو بالكتابه و الحركه،و لا ريب فى أن الذكر باللسان غيبه محرمه.لتفهيمه الغير نقصان أخيك و تعريفه بما يكرهه،لا لكون المفهم و المعرف لسانا،فكل ما كان مفهما و معرفا فهو مثله.

فالغيبه تتحقق بإظهار النقص بالفعل و المحاكاه،كمشيه الأعرج،بل هو أشد من الغيبه باللسان،لأنه أعظم فى التصوير و التفهيم منه،و بالإيماء و الإشاره،و قد روى:«أنه دخلت امرأه على عائشه،فلما ولت،أومأت بيدها أنها قصيره.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قد اغتبتها».

و بالكتابه،إذ القلم أحد اللسانين،و بالتعريض،كأن يقول:الحمد للّه الذى لم يبتلنا بالدخول على الظلمه،و التبذل فى طلب الجاه و المال، أو يقول:«نعوذ باللّه من قله الحياء،و نسأله أن يعصمنا منه،معرضا فى كل ذلك بمن ارتكب ذلك،فيذكره بصيغه الدعاء،و ربما قدم مدح من يريد غيبته،ثم اتبعه بإظهار عيبه،كأن يقول:لقد كان فلان حسن الحال،و لكنه ابتلى بما ابتلى به كلنا من سوء الحال،و هو جمع بين الرياء و الغيبه،و مدح نفسه بالتشبه بالصلحاء فى ذم أنفسهم.

و من المغتابين المنافقين من يظهر فى مقام غيبه مسلم الاغتمام و الحزن من سوء حاله،كأن يقول:لقد ساءنى ما جرى على صديقنا فلان من الاهانه و الاستخفاف،أو ارتكابه معصيه كذا،فنسأل اللّه أن يجعله مكرما أو يصلح حاله،أو يقول:قد ابتلى ذلك المسكين بآفه عظيمه،تاب اللّه علينا و عليه.و هو كاذب فى ادعائه الحزن و الكآبه،و فى إظهار الدعاء،إذ لو اغتم لأغتم بإظهار ما يكرهه أيضا،و لو قصد الدعاء لأخفاه فى خلواته، فاظهار الحزن و الدعاء ناش عن خبث سريرته،و هو يظن أنه ناش عن صفاء طويته،هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوه البصيره بمكائد اللعين و تلبيساته،فيسخر بهم و يضحك عليهم،و يحبط أعمالهم بمكائده،و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا.و ربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم و لم يتنبه له بعض الحاضرين،فيقول اسماعا له و اعلاما لما يقوله:«سبحان اللّه ما أعجب هذه!»حتى يتوجه إليه و يعلم ما يريد،فيستعمل اسم اللّه آله لتحقيق خبثه.

ص:٣٠٦

ثم المستمع للغیبه أحد المغتابین،کما ورد به الخبر (۱).و قد دل ذلک أیضا ما تقدم من حدیث الشیخین،و ما روی:«أنه صلی اللّه علیه و آله لما رجم ما عزا فی الزنا،قال رجل لآخر:هذا أقعص کما یقعص الکلب.

فمر النبی صلی اللّه علیه و آله معهما بجیفه،فقال:انهشا من هذه الجیفه، فقالا:یا رسول اللّه ننهش جیفه!فقال:ما أصبتما من أخیکما أنتن من هذه».فجمع بینهما،مع ان أحدهما کان قائلا و الآخر مستمعا.

و هو إما لا یسر باستماعها،إلا أنه لا ینکرها باللسان و لا یکرهها بالقلب،أو یسر و یفرح باستماعها،إلا أن النفاق و التزهد حملاه علی عدم التصدیق،و ربما منع منها ریاء و تزهدا،مع کونه مشتهیا لها بقلبه،و ربما توصل بالحیل المرغبه للمغتاب فی زیاده الغیبه.مع التباس الأمر علیه بأنه یشتهیها،مثل أن یظهر التعجب و یقول:عجبت منه ما علمت أنه کذلک و ما عرفته إلی الآن إلا بالخیر،و کنت أحسب فیه غیر هذا عافانا اللّه من بلائه.فان ذلک تصدیق للمغتاب،و باعث لزیاده نشاطه فی الغیبه،فکأنه یستخرج منه الغیبه بهذا الطریق.

و الحاصل أن المستمع لا یخرج عن اثم الغیبه إلا بأن ینکر بلسانه، أو یقطع الکلام بکلام آخر،أو یقوم من المجلس،و إن لم یقدر علی شیء من ذلک،فلینکر بقلبه،و إن قال بلسانه:اسکت،و هو یشتهیه بقلبه فذلک نفاق،و لا یخرجه من الإثم ما لم یکرهه بقلبه.و مع عدم الخوف لا یکفی أن یشیر بالید أو حاجبه أو جبینه،أی اسکت،إذ ذلک استحقار للمذکور،مع أنه ینبغی أن یعظمه فیذب عنه صریحا.قال

---

۱ - ۱) إشاره إلی ما رواه الشیخ أبو الفتوح الرازی فی تفسیره،عن رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-أنه قال:«المستمع أحد المغتابین».و إلی قول أمیر المؤمنین -علیه السلام-«السامع للغیبه أحد المغتابین».(بحار الأنوار):۴ مج ۱۵-۱۷۹.

النبى صلى اللّه عليه و آله:«من أذل عنده مؤمن و هو يقدر على أن ينتصر له فلم ينصره،أذله اللّه يوم القيامه على رءوس الخلائق».و قال «من رد عن عرض أخيه بالغيب،كان حقا على اللّه ان يرد عن عرضه يوم القيامه».و قال صلى اللّه عليه و آله:«من ذب عن عرض أخيه بالغيب،كان حقا على اللّه أن يعتقه من النار».و قال صلى اللّه عليه و آله-:«من رد عن عرض أخيه،كان له حجابا من النار».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«ما من رجل ذكر عنده اخوه المسلم،و هو يستطيع نصره و لم بكلمه و لم ينصره،إلا أذله اللّه عز و جل فى الدنيا و الآخره.و من ذكر عنده اخوه المسلم فنصره،نصره اللّه فى الدنيا و الآخره».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من حمى عرض أخيه المسلم فى الدنيا،بعث اللّه له ملكا يحميه يوم القيامه من النار».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«من تطول على أخيه فى غيبته،سمعها عنه فى مجلس فردها،رد اللّه عنه الف الف باب من الشر فى الدنيا و الآخره و ان لم يردها و هو قادر على ردها،كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مره» و قال الباقر عليه السلام«من اغتيب عنده اخوه المؤمن فنصره و اعانه، نصره اللّه فى الدنيا و الآخره،و من لم ينصره و لم يدفع عنه و هو يقدر على نصرته و عونه،إلا خفضه اللّه فى الدنيا و الآخره».و بهذه المضامين أخبار كثيره اخر.

فصل بواعث الغيبه

اعلم ان باعث الغيبه-غالبا-إما الغضب أو الحقد أو الحسد،

فيكون من نتائجها،و من رذائل قوه الغضب،و له بواعث أخر:

الأول-السخريه و الاستهزاء:فان ذلك كما يجرى فى الحضور يجرى فى الغيبه أيضا،و قد عرفت ان منشأهما ما ذا؟.

الثانى-اللعب و الهزل و المطايبه:فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب و المحاكاه.و يأتى ان باعث الهزل و المزاح ما ذا،و انه متعلق بالقوه الشهويه.

الثالث-إرادته الافتخار و المباهاه:بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول:فلان لا يعلم شيئا.و غرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه و أنه أفضل منه.و ظاهر أن منشأ ذلك التكبر أو الحسد،فيكون أيضا من رذائل القوه الغضبيه.

الرابع-أن ينسب إلى شىء من القبائح،فيريد أن يتبرأ منه بذكر الذى فعله،و كان اللازم عليه أن يبرئ نفسه منه،و لا يتعرض للغير الذى فعله،و قد يذكر غيره بأنه كان مشاركا له فى الفعل،ليتمهد بذلك عذر نفسه فى فعله،و ربما كان منشأ ذلك صغر النفس و خبثها.

الخامس-مرافقه الاقران و مساعدتهم على الكلام،حذرا عن تنفرهم و استثقالهم إياه لولاه،فيساعدهم على إظهار عيوب المسلمين و ذكر مساويهم،ظنا منه أنه مجامله فى الصحبه،فيهلك معهم.و باعث ذلك أيضا صغر النفس و ضعفها.

السادس-أن يستشعر من رجل أنه سيذكر مساويه،أو يقبح حاله عند محتشم،أو يشهد عليه بشهاده،فيبادره قبل ذلك بإظهار عداوته، أو تقبيح حاله،ليسقط أثر كلامه و شهادته.و ربما ذكره بما هو فيه قطعا،بحيث ثبت ذلك عند السامعين ليكذب عليه بعده،فيروج كذبه بالصدق الأول و يستشهد به و يقول:ليس الكذب من عادتى،فانى أخبرتكم قبل ذلك

من أحواله كذا و كذا،فكان كما قلت،فهذا أيضا صدق كسابقه.

و هذا أيضا منشأه الجبن و ضعف النفس.

السابع-الرحمه،و هو أن يحزن و يغتم بسبب ما ابتلى به غيره، فيقول:المسكين فلان قد غمنى ما ارتكبه من القبح،أو ما حدث به من الاهانه و الاستخفاف!فيكون صادقا فى اغتمامه،إلا انه لما ذكر اسمه و اظهر عيبه صار مغتابا،و قد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه و عيبه ممكنا فاوقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه و رحمته.

الثامن-التعجب من صدور المنكر و الغضب للّه عليه،بأن يرى منكرا من انسان أو سمعه،فيقول عند جماعه:ما اعجب من فلان أن يتعارف مثل هذا المنكر!أو يغضب منه،فيظهر غضبه و اسمه و منكره، فانه وإن كان صادقا فى تعجبه من المنكر و غضبه عليه،لكن كان اللازم ان يتعجب منه و يغضب عليه،و لكنه لا يظهر اسمه عند من لم يطلع على ما صدر منه المنكر،بل يظهر غضبه عليه بالنهى عن المنكر و الأمر بالمعروف من غير أن يظهره لغيره،فلما أوقعه الشيطان فى ذكره بالسوء صار مغتابا و بطل ثواب تعجبه و غضبه،و صار آثما من حيث لا يدرى.

و هذه الثلاثه الأخيره مما يغمض دركها،لأن أكثر الناس يظنون أن الرحمه و التعجب و الغضب إذا كان للّه كان عذرا فى ذكر الاسم، و هو خطأ محض،إذ المرخص فى الغيبه حاجات مخصوصه لا مندوحه فيها عن ذكر الاسم دون غيرها، و قد روى:«أن رجلا مر على قوم فى عصر النبى-صلى اللّه عليه و آله-،فلما جاوزهم،قال رجل منهم:إنى أبغض هذا الرجل للّه،فقال القوم:و اللّه لبئس ما قلت!و إنا نخبره بذلك،فاخبروه به،فاتى الرجل رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و حكى له ما قال،و سأله أن يدعوه.فدعاه،و سأله عما قال فى حقه

فقال:نعم!قد قلت ذلك.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:

و لم تبغضه؟فقال:أنا جاره و أنا به خبير،و اللّه ما رأيته يصلى صلاه قط إلا هذه المكتوبه!فقال:يا رسول اللّه،فاسأله هل رآنى أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها و الركوع و السجود؟فسأله،فقال:لا فقال:و اللّه ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذى يصومه كل بر و فاجر!قال:فاسأله يا رسول اللّه هل رآنى افطرت فيه أو نقصت من حقه شيئا؟فسأله،فقال:لا!فقال:و اللّه ما رأيته يعطى سائلا قط و لا مسكينا،و لا رأيته ينفق من ماله شيئا فى سبيل الخير إلا هذه الزكاه التى يؤديها البر و الفاجر!قال:فاسأله هل رآنى نقصت منها شيئا أو ما كست فيها طالبها الذى يسألها؟فسأله فقال:لا!فقال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-للرجل:قم،فلعله خير منك».و لا ريب فى أن إنكار القوم عليه بعد قوله أبغضه للّه يفيد عدم جواز إظهار المنكر الصادر من شخص لغيره،و إن كان فى مقام الغضب و البغض للّه.

فصل ذم الغيبه

لما علمت حقيقه الغيبه و بواعثها،فأعلم أنها أعظم المهلكات و أشد المعاصى،و قد نص اللّه سبحانه على ذمها فى كتابه،و شبه صاحبها بآكل لحم الميته،فقال: وَ لاٰ تَجَسَّسُوا وَ لاٰ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً،أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ

أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ

(۱)

.و قال: لاٰ يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّٰ مَنْ ظُلِمَ وَ كٰانَ اللّٰهُ سَمِيعاً عَلِيماً (۲).و قال: مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«المسلم علی المسلم حرام دمه و ماله و عرضه».و الغیبه تتناول العرض.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الغیبه،فان الغیبه أشد من الزنا،فان الرجل قد یزنی و یتوب فیتوب اللّه علیه،و إن صاحب الغیبه لا یغفر له حتی یغفر له صاحبه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«مررت لیله أسری بی علی قوم یخمشون وجوهم باظافیرهم،فقلت:یا جبرئیل،من هؤلاء؟قال الذین یغتابون الناس،و یقعون فی اعراضهم». و خطب-صلی اللّه علیه و آله یوما حتی أسمع العواتق فی بیوتها،فقال:«یا معشر من آمن بلسانه و لم یؤمن بقلبه!لا تغتابوا المسلمین،و لا تتبعوا عوراتهم،فان من تتبع عوره أخیه یتتبع اللّه عورته حتی یفضحه فی جوف بیته».و خطب صلی اللّه علیه و آله یوما فذکر الربا و عظم شأنه،فقال:«إن الدرهم یصیبه الرجل من الربا أعظم عند اللّه فی الخطیئه من ست و ثلاثین زنیه یزنیها الرجل،و إن أربی الربا عرض الرجل المسلم».و مر-صلی اللّه علیه و آله-علی قبرین یعذب صاحباهما،فقال:«إنهما لیعذبان فی کبیره،

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۴۷.

۳- ۳) ق،الآیه:۱۸.

أما أحدهما فكان يغتاب الناس،و اما الآخر فكان لا يستبرى من بوله» و دعا بجريده رطبه أو جريدتين فكسرهما،ثم أمر بكل كسره فغرست على قبره،و قال:«أما إنه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين»و روى «أنه-صلى اللّه عليه و آله-أمر الناس بصوم يوم،و قال:لا يفطرن أحد حتى آذن له.فصام الناس،حتى إذا أمسوا،جعل الرجل يجيء فيقول:يا رسول اللّه،ظلت صائما فاذن لى لأفطر،فيأذن له،و الرجل و الرجل،حتى جاء رجل،فقال:يا رسول اللّه،فتاتان من أهلى ظلتا صائمتين،و انهما تستحيان أن تأتياك،فأذن لهما لتفطرا.فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه.ثم عاوده،فقال:انهما لم تصوما،و كيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس،أذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا.فرجع إليهما،فاخبرهما،فاستقاءتا،فقاءت كل واحده منهما حلقه من دم.فرجع إلى النبى صلى اللّه عليه و آله فاخبره،فقال:و الذى نفس محمد بيده!لو بقيتا فى بطنيهما لاكلتهما النار».و أوحى اللّه تعالى الى موسى عليه السلام:«من مات تائبا من الغيبه فهو آخر من يدخل الجنه،و من مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار».و قال صلى اللّه عليه و آله:«من مشى فى غيبه أخيه و كشف عورته كانت أول خطوه خطاها و ضعها فى جهنم،فكشف اللّه عورته على رءوس الخلائق.

و من اغتاب مسلما،بطل صومه و نقض وضوءه،فان مات و هو كذلك مات و هو مستحل لما حرم اللّه».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الغيبه أسرع فى دين الرجل المسلم من الاكله فى جوفه» (۱).و قال-صلى اللّه

۱- ۱) الروايه مذكوره فى(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۷.قال فى الموضع المذكور:«بيان:الاكله-كفرحه-داء فى العضو يأتكل منه،و قد يقرأ بمد الهمزه على وزن فاعله،أى العله التى تأكل اللحم.و الأول أوفق باللغه.و قيل الاكله-بالضم-اللقمه،و كلاهما محتملان إلى أن ذكر الجوف يؤيد الأول و إراده الإضافه و الاذهاب يؤيد الثانى و الأول أقرب و أصوب،و تشبيه الغيبه بأكل اللقمه أنسب،لأن اللّه سبحانه شبهها بأكل اللحم».

علیه و آله-:«الجلوس فی المسجد انتظارا للصلاه عباده،ما لم یحدث»، فقیل:یا رسول اللّه،و ما الحدث؟قال:«الاغتیاب».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من اغتاب مسلما أو مسلمه لم یقبل اللّه صلاته و لا صیامه أربعین یوما و لیله،إلا أن یغفر له صاحبه».و قال-صلی اللّه علیه و آله:«من اغتاب مسلما فی شهر رمضان لم یؤجر علی صیامه»و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«من اغتاب مؤمنا بما فیه،لم یجمع اللّه بینهما فی الجنه أبدا،و من اغتاب مؤمنا بما لیس فیه،انقطعت العصمه بینهما، و کان المغتاب فی النار خالدا فیها و بئس المصیر».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«کذب من زعم أنه ولد من حلال و هو یأکل لحوم الناس بالغیبه.فاجتنب الغیبه فانها إدام کلاب النار».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ما عمر مجلس بالغیبه إلا خرب بالدین،فنزهوا أسماعکم من من استماع الغیبه،فان القائل و المستمع لها شریکان فی الإثم».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«ما النار فی التبن بأسرع من الغیبه فی حسنه العبد» (1) و قال الصادق علیه السلام:«من قال فی مؤمن ما رأته عیناه و سمعته أذناه،فهو من الذین قال اللّه عز و جل: إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَهُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ ».و قال علیه السلام:

«من روی علی مؤمن روایه یرید بها شینه و هدم مروته لیسقط من أعین

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(الوسائل):کتاب الحج،ابواب احکام العشره،الباب ۱۵۲.و علی(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۷.و علی(المستدرک): ۲-۱۰۶ و علی(احیاء العلوم):۳-۱۲۳.

الناس،اخرجه اللّه من ولايته إلى ولايه الشيطان،فلا يقبله الشيطان».

و قال عليه السلام:«من اغتاب أخاه المؤمن من غير تره بينهما فهو شرك شيطان» (1).و قال عليه السلام:«الغيبه حرام على كل مسلم،و انها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

و الأخبار الوارده فى ذم الغيبه مما لا يكاد يمكن حصرها،و ما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين.و العقل أيضا حاكم بأنها أخبث الرذائل،و قد كان السلف لا يرون العباده فى الصوم و الصلاه،بل فى الكف عن اعراض الناس،لأنه كان عندهم أفضل الأعمال،و يرون خلافه صفه المنافقين، و يعتقدون أن الوصول إلى المراتب العاليه فى الجنه يتوقف على ترك الغيبه، لما ورد عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-أنه قال:«من حسنت صلاته و كثرت عياله،و قل ماله،و لم يغتب المسلمين،كان معى فى الجنه كهاتين» و ما أقبح بالرجل المسلم أن يغفل عن عيوب نفسه،و يتجسس على عيوب اخوانه،و يظهرها بين الناس،فما باله يبصر القذى فى عين أخيه،و لا يبصر الجذع فى عين نفسه.

فيا حبيبى،اذا أردت أن تذكر عيوب غيرك،فاذكر عيوبك،و تيقن بأنك لن تصيب حقيقه الايمان،حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك،و حتى تبدأ باصلاح ذلك العيب.و إذا كان شغلك إصلاح عيوب نفسك،كان شغلك فى خاصه نفسك،و لم تكن لك فرصه للاشتغال بغيرك،و حينئذ كنت من أحب العباد إلى اللّه،لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس!».و اعلم أن عجز غيرك فى الاجتناب عن ذلك العيب و صعوبه ازالته عليه كعجزك عن الاجتناب عنه إن كان ذلك

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث الثلاثه على(الوسائل)فى الموضع المتقدم.و على (أصول الكافى)باب الغيبه و البهت.و على(المستدرك).

العیب فعلا اختیاریا،و إن کان أمرا خلقیا،فالذم له ذم للخالق تعالی.

فإن من ذم صنعه فقد ذم صانعها.قیل لبعض الحکماء:یا قبیح الوجه! فقال:«ما کان خلق وجهی إلی فاحسنه».و لو فرض براءتک عن جمیع العیوب،فلتشکر اللّه،و لا تلوث نفسک بأعظم العیوب.إذا أکل لحوم المیتات أشد العیوب و أقبحها،مع انک لو ظننت خلوّک عن جمیع العیوب لکنت أجهل الناس،و لا عیب أعظم من مثل هذا الجهل.

ثم ینبغی أن یعلم المغتاب ان الغیبه تحبط حسناته و تزید فی سیئاته.لما ثبت من الأخبار الکثیره:ان الغیبه تنقل حسنات المغتاب یوم القیامه إلی من اغتابه،و ان لم تکن له حسنه نقل إلیه من سیئاته.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«یؤتی أحدکم یوم القیامه،فیوقف بین یدی اللّه تعالی و یدفع إلیه کتابه،فلا یری حسناته،فیقول:إلهی لیس هذا کتابی، فإنی لا أری فیه طاعتی،فیقول له:إن ربک لا یضل و لا ینسی،ذهب عملک باغتیاب الناس.ثم یؤتی بآخر و یدفع إلیه کتابه،فیری فیه طاعات کثیره،فیقول:إلهی ما هذا کتابی،فإنی ما عملت هذه الطاعات،فیقول له:إن فلانا اغتابک فدفعت حسناته إلیک».و فی معناه أخبار اخر.

و لا ریب فی أن العبد یدخل النار بأن تترجح کفه سیئاته،و ربما تنقل إلیه سیئه واحده مما اغتاب به مسلما،فیحصل به الرجحان و یدخل لأجله النار.

و أقل ما فی الباب أن ینقص من ثواب صالحات أعماله،و ذلک بعد المخاصمه و المطالبه و السؤال و الجواب و المناقشه فی الحساب.و روی عن بعضهم:

«أن رجلا-قیل له:ان فلانا قد اغتابک،فبعث إلیه طبقا من الرطب، و قال:بلغنی أنک قد أهدیت الی من حسناتک،فأردت أن أکافیک علیها فاعذرنی،فانی لا أقدر أن أکافیک علی التمام».

و الحاصل:أن العاقل ینبغی أن یتأمل فی أن من یغتابه ان کان

صدیقا و محبا له،فاظهار عیوبه و عثراته بعید عن المروه و الإنصاف،و ان کان عدوا له،فتحمل خطایاه و معاصیه و نقل حسناته إلی دیوانه غایه الحماقه و الجهل.

فصل علاج الغیبه

الطریق فی علاج الغیبه و ترکها،أن یتذکر أولا ما تقدم من مفاسدها الأخرویه،ثم یتذکر مفاسدها فی الدنیا،فإنه قد تصل الغیبه إلی من اغتیب،فتصیر منشأ لعداوته أو لزیاده عداوته،فیتعرض لایذاء المغتاب و اهانته،و ربما انجر الأمر بینهما إلی ما لا یمکن تدارکه من الضرب و القتل و أمثال ذلک.ثم یتذکر فوائد أضدادها-کما نشیر إلیها-و بعد ذلک فلیراقب لسانه،و یقدم التروی فی کل کلام یرید أن یتکلم به،فان تضمن غیبه سکت عنه،و کلف نفسه ذلک علی الاستمرار،حتی یرتفع عن نفسه المیل الجلی و الخفی إلی الغیبه.

و العمده فی العلاج أن یقطع أسبابها المذکوره،و قد تقدم علاج الغضب و الحقد و الحسد و الاستهزاء و السخریه،و یأتی طریق العلاج فی الهزل و المطایبه و الافتخار و المباهاه.و أما تنزیه النفس بنسبه ما نسب إلیه من الجنایه إلی الغیر،فمعالجته أن یعلم أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق،و من اغتاب تعرض لمقت اللّه و سخطه قطعا،و لا یدری أنه یتخلص من سخط الناس أم لا،فیحصل بعمله ذم اللّه و سخطه تقدیرا،و ینتظر دفع ذم الناس نسیئه،و هذا غایه الجهل و الخذلان.

و أما تعرضه لمشارکه الغیر فی الفعل تمهیدا لعذر نفسه،کأن یقول إنی أکلت الحرام،لأن فلانا أیضا أکل،و قبلت مال السلطان،لأن فلانا

أيضا قبل،مع أنه أعلم منى،فلا ريب فى أنه جهل و سفه،لأنه اعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به.فان من خالف اللّه لا يقتدى به كائنا من كان،فلو دخل غيره النار و هو يقدر على عدم الدخول فهل يقتدى به فى الدخول،و لو دخل عد سفيا أحمق،ففعله معصيه،و عذره غيبه و غباوه،فجمع بين المعصيتين و الحماقه،و مثله كمثل الشاه،اذا نظرت الى العنز تردى نفسها من الجبل فهى أيضا تردى نفسها،و لو كان لها لسان ناطق و اعتذرت عن فعلها بأن العنز اكيس منى و قد اهلكت نفسها فكذلك فعلت أنا،لكان هذا المغتاب المعتذر يضحك عليها،مع أن حاله مثل حالها و لا يضحك على نفسه.

و العجب أن بعض الأشقياء من العوام،لما صارت قلوبهم عش الشيطان و صرفوا أعمارهم فى المعاصى،و اشتغلت ذممهم بمظالم الناس بحيث لا يرجى لهم الخلاص،مالت نفوسهم الخبيثه إلى ألا يكون معاد و حساب و حشر و عقاب،و لما وجد ذلك الميل منهم اللعين،خرج من الكمين، و وسوس فى صدورهم بأنواع الشكوك و الشبهات،حتى ضعف بها عقائدهم أو افسدها،و دعاهم فى مقام الاعتذار عن أعمالهم الخبيثه ألا يصرحوا بما ارتكز فى قلوبهم و يشتهونه،خوفا من القتل و أجراء أحكام الكفار عليهم و لم يدعهم أيضا تلبيسهم و تزويرهم و غلبه الشيطنه عليهم أن يعترفوا بالنقص و سوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على أن يعتذروا من سوء فعالهم بأن بعض العلماء يفعلون ما نفعل و لا يجتنبون عن مثل أعمالنا،من طلب الرئاسه و أخذ الأموال المحرمه،و لم يدروا أن هذا القول ناش من جهلهم و خباثتهم.

إذ تقول لهم:إن فعل هذا البعض إن صار منشأ لزوال ايمانكم بالمعاد و الحساب،فأنتم كافرون،و باعث أعمالكم الخبيثه هو الكفر و عدم الاذعان بأحوال النشأه الآخره.و إن لم يصر منشأ له،بل ايمانكم ثابت،

فاللازم عليكم العمل بمقتضاه،من غير تزلزل بعمل الغير كائنا من كان.

فما الحجه فى عمل هذا البعض،مع اعتقادكم بأنه على باطل؟!.

و أيضا لو كان باعث أعمالكم الخبيثه فعل العلماء،فلم اقتديتم بهذا البعض مع عدم كونه من علماء الآخره و عدم اطلاعه على حقيقه العلم؟ و لو كنتم صادقين فيما تنسبون إليه،فهو المتأكل بعلمه،و انما حصل نبذا من علوم الدنيا ليتوسل بها إلى حطامها،و لا يعد مثله عند أولى الألباب عالما،بل هو متشبه بالعلماء.و لم ما اقتديتم بعلماء الآخره المتخلفين بشراشرهم عن الدنيا و حطامها؟و إنكار وجود مثلهم،و القدح فى الكل مع كثرتهم فى أقطار الأرض غايه اللجاج و العناد.و لو سلمنا منكم ذلك،فلم ما اقتديتم بطوائف الأنبياء و الأوصياء،مع أنهم أعلم الناس باتفاق الكل،و حقيقه العلم ليس إلا عندهم؟فان أنكروا أعلميتهم و عصمتهم من المعاصى، و احتملوا كونهم أمثالا لهم،ظهر ما فى بواطنهم من الكفر الخفى.

و أما موافقه الاقران،فعلاجه أن يتذكر ان اللّه يسخط عليه و يبغضه اذا اختار رضا المخلوقين على رضاه،و كيف يرضى المؤمن ان يترك رضا ربه لرضا بعض أراذل الناس؟و هل هذا إلا كونه تعالى أهون عنده منهم؟ و هو ينافى الايمان.

و أما استشعاره من رجل انه يقبح عند محتشم حاله أو يشهد عليه بشهاده فيبادره بالغيبه اسقاطا لأثر كلامه،فعلاجه أن يعلم: (أولا)ان مجرد الاستشعار لا يستلزم الوقوع،فلعله لا يقبح حاله و لا يشهد عليه،فالمواخذه بمحض التوهم تنافى الديانه و الايمان. و(ثانيا)ان اقتضاء قوله سقوط أثر كلام من اغتابه فى حقه مجرد توهم،و التعرض لمقت اللّه يقينا بمجرد توهم ترتب فائده دنيويه عليه محض الجهل و الحماقه، و(ثالثا)أن تأدى فعل الغير-أعنى تقبيح حاله عند محتشم مع فرض وقوعه-الى اضراره فى حيز

الشک،إذ ربما لم یقبله المحتشم،و ربما لم تقبل شهادته شرعا،فتقبیح حاله و تحمل معاصیه بدون الجزم بصیرورته سببا لایذائه محض الجهل و الخذلان.

و أما الرحمه له علی اثمه و التعجب منه و الغضب للّه علیه،و إن کان کل منها حسنا،الا أنه إذا لم تکن معه غیبه،و أما إذا کانت معه غیبه أحبط أجره و بقی اثمها،فالعلاج ان یتأمل باعث الرحمه و التعجب و الغضب هو الایمان و حمایه الدین،و إذا کان معها غیبه أضرت بالدین و الایمان، و لیس شیء من الأمور الثلاث ملزوما للغیبه لإمکان تحققه بدونها،فمقتضی الایمان و حمایه الدین أن یترحم و یتعجب و یغضب للّه،مع ترک الغیبه و إظهار الإثم و العیب،لیکون مأجورا غیر آثم.

فصل مسوغات الغیبه

لما عرفت ان الغیبه ذکر الغیر بما یکرهه لو سمعه،فاعلم ان ذلک انما یحرم إذا قصد به هتک عرضه،و التفکه به،أو اضحاک الناس منه.و اما اذا کان ذلک لغرض صحیح لا یمکن التوصل إلیه إلا به.فلا یحرم، و الأغراض الصحیحه المرخصه له أمور.

الأول-النظلم عند من له رتبه الحکم و احقاق الحقوق،کالقضاه و المفتین و السلاطین،فان نسبه الظلم و السوء إلی الغیر عندهم لاستیفاء الحق جائز،لقول النبی صلی اللّه علیه و آله:«لصاحب الحق مقال»،و قوله صلی اللّه علیه و آله«لیّ الواجد یحل عرضه و عقوبته»و عدم إنکاره صلی اللّه علیه و آله علی قول هند بحضرته:إن أبا سفیان رجل شحیح لا یعطینی ما یکفینی إیای و ولدی،أ فآخذ من غیر علمه؟و قوله-صلی اللّه علیه و آله-

لها:«خذی ما یکفیک و ولدک بالمعروف».

الثانی-الاستعانه علی رفع المنکر و رد المعاصی إلی الصلاح،و انما یستباح بها ذکر مساءته بالقصد الصحیح لا بدونه.

الثالث-نصح المستشیر فی التزویج،و ایداع الأمانه،و امثالهما.

کذلک جرح الشاهد و المفتی و القاضی إذا سئل عنهم،فله ان یذکر ما یعرفه من عدم العداله و الأهلیه للافتاء و القضاء،بشرط صحه القصد و إراده الهدایه و عدم باعث حسد أو تلبیس من الشیطان،و کذلک توقی المسلمین من الشر و الضرر أو سرایه الفسق و البدعه،فإن من رأی عالما أو غیره من المؤمنین یتردد إلی ذی شر أو فاسق أو مبتدع،و خاف أن یتضرر و یتعدی إلیه الفسق و البدعه بمصاحبته.یجوز له أن یکشف له ما یعرفه من شره و فسقه و بدعته.بشرط کون الباعث مجرد خوف وصول الشر و الفساد أو سرایه الفسق و البدعه إلیه. قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أ ترعوون عن ذکر الفاجر حتی لا یعرفه الناس؟اذکروه بما فیه یحذره الناس».

و من جمله ما یدخل فی تحذیر المسلمین و توقیهم من الشر و الضرر،إظهار عیب یعلمه فی مبیع،و إن کرهه البایع،حفظا للمشتری من الضرر.مثل أن یشتری عبدا،و قد عرفه بالسرقه أو الفسق أو عیب آخر،أو فرسا،و قد عرفه بکونه مال الغیر،فله أن یظهر ذلک،لاستلزام سکوته ضررا علی المشتری.

الرابع-رد من ادعی نسبا لیس له.

الخامس-القدح فی مقاله أو دعوی باطله فی الدین.

السابع-ضروره التعریف،فانه إذا کان أحد معروفا بلقب یعرب عن عیب،و توقف تعریفه علیه،و لم یکن اثم فی ذکره،بشرط عدم إمکان التعریف بعباره أخری،لفعل الرواه و العلماء فی الاعصار و الامصار

فانهم يقولون:روى الأعمش و الأعرج و غير ذلك،لأن الغالب صيرورته بحيث لا يكرهه صاحبه.

الثامن-كون المقول فيه مستحقا للاستخفاف،لتظاهره و تجاهره بفسق،كالظلم و الزنا و شرب الخمر و غير ذلك،بشرط عدم التعدى عما يتظاهر به،اذ لو ذكره بغير ما يتظاهر به لكان اثما،و أما إذا ذكر منه مجرد ما يتجاهر به فلا اثم عليه،اذ صاحبه لا يستنكف من ذكره،و ربما يتفاخر به و يقصد إظهاره.و مع قطع النظر عن ذلك،فالأخبار داله عليه، كما تقدم جمله منها. و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«من القى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبه له».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ليس لفاسق غيبه».

و الظاهر أن ذكر ما يتجاهر به من العيوب ليس غيبه،لا شرعا و لا لغه،لا انه غيبه استثنى جوازها شرعا،قال الجوهرى:«الغيبه أن يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه،فان كان صدقا سمى غيبه و إن كان كذبا سمى بهتانا».

هذا و قد صرح جماعه بجواز الغيبه فى موضعين آخرين:أحدهما:

أن يكون اثنان أو أكثر مطلعين على عيب رجل،فيقع تحاكيه بينهم من غير أن يظهروه لغيرهم ممن لم يطلع عليه،و فى بعض الأخبار المتقدمه دلاله على جوازه،كما لا يخفى.و ثانيهما:أن يكون متعلقها-اعنى المقول فيه-غير محصور،كأن يقال:«قال قوم كذا،أو أهل البلد الفلانى كذا».و مثله إذا قال:«بعض الناس يقول أو يفعل كذا،أو من مر بنا اليوم شأنه كذا»،اذا لم يتعين البعض و المار عند المخاطب،و لو انتقل إلى شخص معين لقيام بعض القرائن،كانت غيبه محرمه،و كذا لو قال:«بعض من قدم من السفر،أو بعض من يدعى العلم»،إن

كان معه قرينه يفهم عين الشخص فهو غيبه و إلا فلا.و كذا ذكر مصنف فى كتابه فاضلا معينا،و تهجين كلامه بلا اقتران شىء من الاعذار المحوجه الى ذكره غيبه،و أما لو ذكره بدون تعيينه،كأن يقول:«و من الفضلاء من صدر عنه فى المقام هفوه أو عثره»،فليس غيبه. ثم السر فى اشتراط الغيبه بكونه تعريضا لشخص معين،و عدم كون التعرض بالمبهم و غير المحصور غيبه،عدم حصول الكراهه مع الإبهام و عدم الانحصار،كما لا يخفى.و ربما كان فى بعض الأخبار أيضا اشعار به،و قد كان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-اذا كره من انسان شيئا يقول:«ما بال أقوام يفعلون كذا و كذا»من دون تعيين للفاعل.

تذنيب كفاره الغيبه

كفاره الغيبه-بعد التوبه و الندم للخروج عن حق اللّه-أن يخرج من حق من اغتابه.و طريق الخروج من حقه،إن كان ميتا أو غائبا لم يمكن الوصول إليه،أن يكثر له من الاستغفار و الدعاء،ليحسب ذلك يوم القيامه من حسناته و يقابل بها سيئه الغيبه،و إن حيا يمكن الوصول اليه و لم تبلغ إليه الغيبه،و كان فى بلوغها إليه مظنه العداوه و الفتنه،فليكثر له أيضا من الدعاء و الاستغفار،من دون ان يخبره بها،و إن بلغت إليه أو لم تبلغه،و لم يكن فى بلوغها ظن الفتنه و العداوه،فليستحله متعذرا متأسفا مبالغا فى الثناء عليه و التودد إليه،و ليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه و يحله فان لم يطب قلبه من ذلك و لم يحله،كان اعتذاره و تودده حسنه يقابل بها سيئه الغيبه فى القيامه.

و الدليل على هذا التفصيل قول الصادق عليه السلام:«و إن اغتبت فبلغ المغتاب،فاستحل منه،فان لم تبلغه لم تلحقه،فاستغفر اللّه» (۱)و ذلک لأن فی الاستحلال مع عدم البلوغ إلیه إثاره للفتنه و جلب الضغائن و فی حکم من لم یبلغه من لم یقدر علی الوصول إلیه بموت أو غیبه،و علی هذا فقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«کفاره من اغتبته أن تستغفر له»،محمول علی صوره عدم إمکان الوصول إلیه،أو إمکانه مع إیجاب الاعلام و الاستحلال لإثاره الفتنه و العداوه.و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:

«من کانت لأخیه عنده مظلمه فی عرض أو مال،فلیتحللها منه من قبل أن یأتی یوم لیس هناک دینار و لا درهم،إنما یؤخذ من حسناته، فان لم تکن له حسنات أخذ من سیئات صاحبه فزیدت علی سیئاته»، محمول علی صوره البلوغ،مع عدم إیجاب الاعلام و الاستحلال فتنه و عداوه.

تتمیم البهتان

قد ظهر مما تقدم أن البهتان أن تقول فی مسلم ما یکرهه و لم یکن فیه،فان کان ذلک فی غیبته کان کذبا و غیبه،و إن کان بحضوره کان أشد أنواع الکذب.و علی ای تقدیر،فهو أشد إثما من الغیبه و الکذب قال اللّه سبحانه:

وَ مَنْ یَکْسِبْ خَطِیئَهً أَوْ إِثْماً ثُمَّ یَرْمِ بِهِ بَرِیئاً فَقَدِ

۱- ۱) هذا جزء من الحدیث المتقدم عن مصباح(الشریعه):۲۸۹،الباب ۴۹ فصححناه علیه.

اِحْتَمَلَ بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُبِیناً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من بهت مؤمنا أو مؤمنه،أو قال فیه ما لیس فیه،أقامه اللّه علی تل من نار،حتی یخرج مما قاله فیه».و قال الصادق علیه السلام:«من بهت مؤمنا أو مؤمنه بما لیس فیه،بعثه اللّه عز و جل فی طینه خبال،حتی یخرج مما قال» قلت:و ما طینه خبال؟قال:«صدید یخرج من فروج المومسات» (۲) ثم ما ورد فی ذم اللسان و کونه شر الأعضاء و منبع أکثر المعاصی-کما یأتی فی موضعه-یدل علی ذم الغیبه و البهتان،کما یدل علی ذم جمیع آفات اللسان مما تقدم:من الفحش،و اللعن،و الطعن،و السخریه،و غیر ذلک،و ما یأتی:من الکذب،و المزاح،و الخوض فی الباطل.و فضول الکلام،و غیر ذلک.

وصل المدح و مواضع حسنه و قبحه

الغیبه لما کانت راجعه إلی الذم،فضدها المدح و دفع الذم،و البهتان لما کان کذبا،فضده الصدق.و کما أن لکل واحده من آفات اللسان مما مر و مما یأتی ضدا خاصا،فکذلک لجمیعها ضد واحد عام هو الصمت -کما أشیر إلیه فیما سبق أیضا و ضد البهتان-أعنی الصدق-یأتی فی

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۱۱.

۲- ۲) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):باب الغیبه و البهتان. و علی(الوسائل):کتاب الحج،باب تحریم البهتان فی المؤمن.و علی(المستدرک): ۱۰۷،کتاب الحج،باب تحریم البهتان للمؤمن.

مقام بیان الکذب.و أما الضد العام لکل،فقد یأتی فی موضعه مع ما یدل بعمومه علی ذم جمیع آفات اللسان،فهنا نشیر إلی بیان المدح و ما یحمد منه،حتی یکون ضدا لها و فضیله للقوه الغضبیه أو الشهویه،و ما یذم منه حتی یکون رذیله لاحدهما،فنقول:

لا ریب فی أن مدح المؤمن فی غیبته و حضوره ممدوح مندوب إلیه لکونه ادخالا للسرور علیه،و قد علم مدحه و ثوابه،و لما ورد من أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أثنی علی أصحابه،و أنه قال لجماعه -لما اثنوا علی بعض الموتی-:«وجبت لکم الجنه،و أنتم شهداء اللّه فی الأرض» و لما ورد من«أن لبنی آدم جلساء من الملائکه،فإذا ذکر أحد أخاه المسلم بخیر،قالت الملائکه:و لک مثله،و إذا ذکره بسوء،قالت الملائکه:

یا ابن آدم المستور عورته،اربع علی نفسک!و أحمد اللّه إذ ستر عورتک» و لکنه لیس راجحا مندوبا علی الإطلاق،بل إذا سلم من آفاته،و هی أن یکون صدقا لا یفرط المادح فیه،بحیث ینتهی إلی الکذب،و ألا یکون المادح فیه مرائیا منافقا،بأن یکون غرضه إظهار الحب مع عدم کونه محبا فی الواقع سواء کان صادقا فیما ینسبه إلیه من المدح أم لا،و ألا یمدح الظالم و الفاسق و إن کان صادقا فیما یقول فی حقه،لأنه یفرح بمدحه و إدخال الفرح علی الظالم أو الفاسق غیر جائز،قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن اللّه لیغضب إذا مدح الفاسق».فالظالم الفاسق ینبغی أن یذم لیغتم،و لا یمدح لیفرح،و ألا یقول ما لا یتحققه و لا سبیل له الی الاطلاع علیه.

و هذه الآفه إنما تتطرق فی المدح بالأوصاف المطلقه و الخفیه،کقولک إنه تقی ورع زاهد خیر،أو قولک:إنه عدل رضی،و أمثال ذلک،

لتوقف الصدق فی ذلک علی قیام الأدله و الخبره الباطنه،و تحققهما فی غایه الندره.فالغالب أن المدح بامثال ذلک یکون من غیر تحقق و تثبت، و ألا یحدث فی الممدوح کبرا أو اعجابا یوجبان هلاکه،و لا رضی عن نفسه یوجب فتوره عن العمل،إذ من أطلقت الألسنه بالثناء علیه یرضی عن نفسه،و یظن أنه قد أدرک،و هذا یوجب فتوره عن العمل،إذ المتشمر له إنما هو من یری نفسه مقصرا،و لذلک قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:لرجل مدح بحضرته رجلا آخر:«ویحک!قطعت عنق صاحبک،لو سمعها ما أفلح»و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«اذا مدحت أخاک فی وجهه،فکأنما أمررت علی حلقه الموسی»و قال أیضا لمن مدح رجلا:«عقرت الرجل عقرک اللّه!».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لو مشی رجل إلی رجل بسکین مرهف،کان خیرا له من أن یثنی علیه فی وجهه».

و السر فی هذه الأخبار:أن المدح یوجب الفتور عن العمل،أو الکبر أو العجب،و هو مهلک،کقطع العنق و العقر و إمرار الموسی أو السکین علی الحلق،فان سلم المدح عن الآفات المذکوره المتعلقه بالمادح و الممدوح کان ممدوحا،و إلا کان مذموما.و بذلک یحصل الجمع بین ما ورد فی مدحه-کما تقدم-و ما ورد فی ذمه.

فاللازم علی المادح أن یحترز عما تقدم من الآفات المتعلقه به،و علی الممدوح أن یحترز من آفه الکبر و العجب و الفتور و الریاء،بأن یعرف نفسه و یتذکر خطر الخاتمه،و لا یغفل عن دقائق الریاء،و یظهر کراهه المدح،و إلیه الإشاره بقوله-صلی اللّه علیه و آله-:«احثوا التراب فی وجوه المداحین». و بالجمله:اللازم علی الممدوح ألا یتفاوت حاله بالمدح،و هذا فرع معرفه نفسه،و تذکر ما لا یعرفه المادح من عثراته

و ینبغی أن یظهر أنه لیس کما عرفوه،قال بعض الصالحین لما اثنی علیه «اللهم إن هؤلاء لا یعرفونی و أنت تعرفنی».و قال أمیر المؤمنین علیه السلام لما أثنی علیه:«اللهم اغفر لی ما لا یعلمون،و لا تؤاخذنی بما یقولون،و اجعلنی خیرا مما یظنون».

ثم الظاهر عدم المؤاخذه و الإثم بالانبساط و الارتیاح بالمدح،لکون النفوس مجبوله علی الفرح و السرور بنسبه الکمال إلیها،و لکن بشرط أن یکره من نفسه ذلک الارتیاح،و یقهر نفسه و یعاتبها علی ذلک،و یجتهد فی إزاله ذلک عنها،إذ مقتضی العقل الفرح بوجود الکمال فیه لا بنسبته الیه،فما ینسب إلیه منه إن کان موجودا فیه،فینبغی أن یکون فرحه به لا بنسبته إلیه،إذ الانبساط بتصریح رجل بأنک صاحب هذا الکمال حمق و سفه.و إن لم یکن موجودا فیه،فاللازم أن یحزن و یغضب،لکونه استهزاء لا مدحا. و الحاصل:أن العاقل ینبغی ألا یسر بمدح الغیر و لا یحزن بذمه،إذ من ملک یاقوته شریفه حمراء أی ضرر علیه إذا قال رجل إنها خرزه،و إذا ملک خرزه أی فائده له إذا قال انها یاقوته.

و منها:

اشاره

الکذب

و هو إما فی القول،أی الإخبار عن الأشیاء علی خلاف ما هی علیه و صدوره إما عن العداوه أو الحسد أو الغضب،فیکون من رذائل قوه الغضب،أو من حب المال و الطمع،أو الاعتیاد الحاصل من مخالطه أهل الکذب،فیکون من رذائل قوه الشهوه.

أو فی النیه و الاراده،و هو عدم تمحیضها باللّه،بألا یکون اللّه

سبحانه بانفراده باعث طاعاته و حركاته،بل يمازجه شىء من حظوظ النفس.و هذا يرجع إلى الرياء،و يأتى كونه من رذائل أىّ قوه.

و إما فى العزم،أى الجزم على الخير،و ذلك بأن يعزم على شىء من الخيرات و القربات،و يكون فى عزمه نوع ميل و ضعف و تردد يضاد الصدق فى العزيمه،و هذا أيضا من رداءه قوه الشهوه.

و إما فى الوفاء بالعزم،فان النفس قد تسخو بالعزم فى الحال، لعدم مشقه فى الوعد،فإذا حقت الحقائق،و حصل التمكن،و هاجت الشهوات،انحلت العزيمه،و لم يتفق الوفاء بالعزم،و هذا أيضا من رذائل قوه الشهوه و من أنواع الشره.

و إما فى الأعمال،و هو ان تدل أعماله الظاهره على أمر فى باطنه لا يتصف هو به،أى لا يكون باطنه مثل ظاهره و لا خيرا منه.و هذا غير الرياء،لأن المرائى هو الذى يقصد غير اللّه تعالى فى أعماله،و رب واقف على هيئه الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهده غيره سبحانه و لكن قلبه غافل عن اللّه و عن الصلاه،فمن نظر إلى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع و الاستكانه،يظن انه بشراشره منقطع إلى جناب ربه،و حذف ما سواه عن صحيفه قلبه،و هو بكليته عنه تعالى غافل،و إلى أمره من أمور الدنيا متوجه.و كذلك قد يمشى الرجل على هيئه الطمأنينه و الوقار،بحيث من يراه يجزم بأنه صاحب السكينه و الوقار،مع ان باطنه ليس موصوفا بذلك.فمثل ذلك كاذب فى عمله،و ان لم يكن مرائيا ملتفتا إلى الخلق، و لا نجاه من هذا الكذب إلا باستواء السريره و العلانيه،أو كون الباطن أحسن من الظاهر.و هذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوه الشهوه،و ربما كان من رذائل قوه الغضب،و ربما كان من رداءه القوه المدركه،بأن كان باعثه مجرد الوساوس.

و أما فی مقامات الـدین،کالکذب فی الخوف و الرجاء،و الزهد و التقوی،و الحب و التعظیم،و التوکل و التسـلیم،و غیر ذلک من الفضائل الخلقیه،فان لها مبادئ یطلق الاسم بظهورها،ثم لها حقائق و لوازم و غایات و الصادق المحقق من نال حقائقها و لوازمها و غایاتهـا،فمن لم یبلغهـا کـان کاذبـا فیها.مثلاـ الخوف من اللّه تعـالی له مبـدأ هو الایمـان به سـبحانه و حقیقه هو تـألم الباطن و احتراقه،و لوازم و آثار هی اصفرار اللون و ارتعاد الفرائض و تکدر العیش و تقسم الفکر و غیر ذلک،و غایات هی الاجتناب عن المعاصـی و السـیئات و المـواظبه علی الطاعـات و العبـادات،فمن آمن بـاللّه تعـالی صـدق علیه کـونه خائفـا منه خوفـا یطلق علیه الاـسم،إلاـ أنه إن لم تکن معه حرقه القلب و تکـدر العیش و التشـمر للعمـل کـان خوفـا کاذبـا، و إن کـان معه ذلک کان خوفا صادقـا،أی بالغـا درجه الحقیقه ،قـال أمیر المؤمنین-صـلوات اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الکـذب،فان کل راج طالب،و کل خائف هارب» (۱):أی لاـ تکـذبوا فی ادعـائکم الرجـاء و الخوف من اللّه،و ذلک لأن کل راجع طالب لما یرجو،ساع فی أسـبابه،و أنتم لسـتم کذلک،و کل خائف هارب مما یخاف منه،مجتنب مما یقربه منه،و أنتم لستم کذلک،و هذا مثل قوله علیه السلام فی نهج البلاغه:«کـذب و اللّه العظیم ما باله لا یتبین رجاءه فی عمله!و کل من رجا عرف رجاؤه إلا رجاء اللّه، فانه مـدخول،و کل خوف محقق إلا خوف اللّه فانه معلول...» (۲).

۱- ۱) صححنا الروایه علی(أصول الکافی):باب الکذب،و علی(البحار) ۳ مج ۱۵-۳۹،باب الکذب.

۲- ۲) هذا الکلام مروی فی(الوافی):۳-۴۰۹ باب الکذب.و فی(البحار) ۳ مج ۱۵-۳۵.و هو مروی عن(نهج البلاغه)کما صرح به العلامه المجلسی. -قدس سره-فی الموضع المذکور.

ثم الکـذب فی کـل مقـام لمـا کان راجعا إلی عـدمه،فیکون رذیله متعلقه بالقوه التی فی هـذا المقام فضـیله متعلقه بها.و بما ذکر یظهر:أن من له مبـدأ الایمـان،اعنی الإقرار بالشـهادتین،و کـان فاقـدا لحقیقته، اعنی الیقین القطعی بالمبـدإ و المعاد،أو للوازمه و غایـاته،اعنی الخوف الصـادق منه تعالی و التعظیم الحقیقی له سـبحانه و الاهتمـام البالغ فی امتثال أوامره و نواهیه،کان کاذبا فی دعوی الایمان.

فصل ذم الکذب

الکذب أقبح الذنوب و أفحشها،و أخبث العیوب و أشنعها،قال اللّه سبحانه:

إِنَّمٰا یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ

(۱)

.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفٰاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلیٰ یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ بِمٰا أَخْلَفُوا اللّٰهَ مٰا وَعَدُوهُ وَ بِمٰا کٰانُوا یَکْذِبُونَ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الکذب،فان الکذب یهدی إلی الفجور،و الفجور یهدی إلی النار».و قال صـلی اللّـه علیـه و آلـه:«المـؤمن إذا کـذب مـن غیر عـذر لعنه سـبعون الـف ملک، و خرج من قلبه نتن حـتی یبلـغ العرش،فیلعنه حمله العرش،و کتب اللّه

۱- ۱) النحل،الآیه:۱۰۵.

۲- ۲) التوبه،الآیه:۷۸.

علیه بتلک الکذبه سبعین زنیه،أ هونها کمن زنی مع أمه» (۱).و سئل صلی اللّه علیه و آله-:«یکون المؤمن جبانا؟قال:نعم!قیل:و یکون بخیلا؟قال:نعم!قیل و یکون کذابا؟قال:لا!»و قال صلی اللّه علیه و آله:«کبرت خیانه أن تحدث أخاک حدیثا هو لک به مصدق و أنت له به کاذب».و قال صلی اللّه علیه و آله:«الکذب ینقص الرزق».و قال صلی اللّه علیه و آله:«ویل للذی یحدث فیکذب لیضحک به القوم!ویل له ویل له!».و قال صلی اللّه علیه و آله:

«رأیت کأن رجلا جاءنی،فقال لی:قم،فقمت معه،فإذا أنا برجلین أحدهما قائم و الآخر جالس،و بید القائم کلوب من حدید یلقمه فی شدق الجالس فیجذبه حتی یبلغ کاهله،ثم یجذبه فیلقمه الجانب الآخر فیمده، فإذا مده رجع الآخر کما کان،فقلت للذی أقامنی:ما هذا؟فقال:

هذا رجل کذاب،یعذب فی قبره إلی یوم القیامه».و قال صلی اللّه علیه و آله:«ألا أخبرکم باکبر الکبائر:الإشراک باللّه،و عقوق الوالدین، و قول الزور»:أی الکذب.و قال صلی اللّه علیه و آله-:«إن العبد لیکذب الکذبه فیتباعد الملک منه مسیره میل من نتن ما جاء به». و قال صلی اللّه علیه و آله:«إن للشیطان کحلا و لعوقا و نشوقا.فاما لعوقه فالکذب،و أما نشوقه فالغضب،و أما کحله فالنوم» (۲).و قال روح اللّه لأصحابه:«من کثر کذبه ذهب بهاؤه»،و قال أمیر المؤمنین علیه

ص: ۳۳۲

۱- ۱) صححنا هذین الحدیثین علی(جامع الأخبار):الباب ۱۲ الفصل ۷.

۲- ۲) مثل مضمون هذه الروایه ورد فی(الوسائل)فی الموضع الآتی الباب ۱۳۸ و فی(المستدرک)فی الموضع الآتی و فی(سفینه البحار):۲:۴۷۳،و فیه اختلاف عما فی نسخ(جامع السعادات)،فان الموجود بهذه الکتب بهذا النص:«ان لا بلیس کحلا و لعوقا و سعوطا،فکحله النعاس،و لعوقه الکذب،و سعوطه الکبر».

السلام: «لا يجد العبد طعم الايمان حتى يترك الكذب،هزله وجده».

و قال عليه السلام:«أعظم الخطايا عند اللّه اللسان و الكذب،و شر الندامه ندامه يوم القيامه».و قال على بن الحسين-عليهما السلام-:«اتقوا الكذب الصغير منه و الكبير فى كل جد و هزل،فان الرجل إذا كذب فى الصغير اجترأ على الكبير».و قال أبو جعفر عليه السلام:«إن اللّه عز و جل جعل للشر أقفالا،و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب،و الكذب شر من الشراب».و قال عليه السلام:«الكذب هو خراب الايمان» و قال عليه السلام:«إن أول من يكذب الكذاب اللّه عز و جل،ثم الملكان اللذان معه،ثم هو يعلم أنه كاذب».و قال الامام الزكى العسكرى عليه السلام:«جعلت الخبائث كلها فى بيت،و جعل مفتاحها الكذب» و الأخبار الوارده فى ذم الكذب أكثر من أن تحصى.و أشد أنواع الكذب إثما و معصيه الكذب على اللّه و على رسوله و على الأئمه،و كفاه ذما أنه يبطل الصوم،و يوجب القضاء و الكفاره على الاقوى.قال الصادق عليه السلام:«إن الكذبه لتفطر الصائم»،قال الراوى:و أينا لا يكون ذلك منه،قال:«ليس حيث ذهبت،إنما الكذب على اللّه تعالى و على رسوله و على الأئمه-عليهم السلام-».و قال عليه السلام:«الكذب على اللّه و على رسوله و على الأوصياء-عليهم السلام-من الكبائر».و ذكر عنده عليه السلام الحائك،و كونه ملعونا،فقال:«إنما ذلك الذى يحوك الكذب على اللّه و على رسوله».و قال الباقر عليه السلام:«لا تكذب علينا كذبه،فتسلب الحنيفيه» (۱).

۱- ۱) صححنا أكثر الأحاديث هنا على(الوسائل):الباب ۱۳۸-۱۴۰ من ابواب أحكام العشره،و على(المستدرک):۲-۱۰۰-۱۰۲ و على(أصول الكافى) باب الكذب،و على(البحار):۳ مج ۱۵-۳۵،باب الكذب.

فصل مسوغات الكذب

الكذب حرام،لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره،أو لايجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع،فيصير سببا لجهله.و هذا القسم مع كونه أهون الدرجات و أقلها إثما،محرم أيضا،إذ إلقاء خلاف الواقع على الغير و سببيه جهله غير جائز،إلا أنه إذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحه مهمه،و لم يمكن التوصل إليها بالصدق،زالت حرمته و ارتفع اثمه فان كانت المصلحه مما يجب تحصيلها،كانقاذ مسلم من القتل و الاسر او حفظ عرضه او ماله المحترم،كان الكذب فيه واجبا.و ان كانت راجحه غير بالغه حد الوجوب،فالكذب لتحصيلها مباح أو راجح مثلها كالاصلاح بين الناس و الغلبه على العدو فى الحرب،و تطييب خاطر امرأته و استرضائها و قد وردت الأخبار المتكثره بجواز الكذب إذا توقف عليه تحصيل هذه المقاصد الثلاثه،كما روى:«ان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-لم يرخص فى شىء من الكذب إلا فى ثلاث:الرجل يقول القول يريد به الإصلاح،و الرجل يقول القول فى الحرب،و الرجل يحدث امرأته و المرأه تحدث زوجها»،و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«كل الكذب يكتب على ابن آدم،إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:كل الكذب مكتوب كذبا لا محاله إلا أن يكذب الرجل فى الحرب،فان الحرب خدعه،أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما،أو يحدث امرأته يرضيها».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا كذب على المصلح».و قال الصادق-عليه السلام-

ص :٣٣۴

«كل كذب مسئول عنه صاحبه يوما،إلا كذبا فى ثلاثه:رجل كايد فى حروبه،فهو موضوع عنه.أو رجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا،يريد بذلك الإصلاح ما بينهما.أو رجل وعد أهله شيئا و هو لا يريد أن يتم لهم».و قال-عليه السلام-:«الكلام ثلاثه:

صدق و كذب،و إصلاح بين الناس»،قيل له:ما الإصلاح بين الناس قال:«تسمع فى الرجل كلاما يبلغه فيخبث نفسه،فتلقاه و تقول:قد سمعت من فلان فيك من الخير كذا و كذا،خلاف ما سمعت منه» (۱)و قد تقدمت اخبار اخر فى هذا المعنى.

و هذه الأخبار و إن اختصت بالمقاصد الثلاثه،إلا أن غيرها من المقاصد الضروريه التى فوقها أو مثلها فى المصلحه يلحقها من باب الأولويه أو اتحاد الطريق.و الأخبار التى وردت فى ذم هتك السر و كشف العيوب و الفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع،و إن كان مطلعا مع كونه كذبا،فلا اثم على أحد بصدور الكذب عنه إذا كان وسيله إلى شىء من المقاصد الصحيحه الضروريه له أو لغيره من المسلمين،فان أخذه ظالم و سأله عن ماله فله أن ينكر،و إن أخذه سلطان و سأله عن فاحشه ارتكبها بينه و بين اللّه فله أن ينكر،و إن سئل عما يعلمه عن عيب أخيه أو سره فله أن ينكره،و لو وقع بين اثنين فساد فله أن يكذب،توسلا إلى الإصلاح بينهما و كذا يجوز له للاصلاح بين الضرات من نسائه أن يظهر لكل واحده أنها أحب إليه،و إن كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد ما لا يقدر عليه،يجوز أن يعدها فى الحال تطييبا لقلبها،و إن لم يكن صادقا

---

۱ - ۱) صححنا هذه الأخبار على(أصول الكافى):باب الكذب.و(الوسائل): كتاب الحج،الباب ۱۴۱ من ابواب العشره،و(كنز العمال):۲-۱۲۸.و (احياء العلوم):۳-۱۱۹.

فی وعده.و یلحق بالنساء الصبیان،فان الصبی إذا لم یرغب فیما یؤمر به من الکتابه و غیرها إلا بوعد أو وعید و تخویف،کان ذلک جائزا، و إن لم یکن فی نیته الوفاء به.و کذا لو تکدر منه انسان،و کان لا یطیب قلبه إلا بالاعتذار إلیه،بانکار ذنب و إظهار زیاده تودد،کان ذلک جائزا و إن لم یکن صدقا.

و الحاصل:أن الکذب لدفع ضرر أو شر أو فساد جائز،بشرط صحه القصد.و قد ورد:ان الکذب المباح یکتب و یحاسب علیه لتصحیح قصده،فان کان قصده صحیحا یعفی،و إلا یؤاخذ به.فینبغی ان یجهد فی تصحیح قصده،و ان یحترز عنه ما لم یضطر إلیه،و یقتصر فیه علی حد الواجب،و لا یتعدی إلی ما یستغنی عنه.

و لا ریب فی أن ما یجب و یضطر إلیه هو الکذب لأمور فی فواتها محذور و اضرار،و لیس کل الکذب لزیاده المال و الجاه و غیره ذلک مما یستغنی عنه،فانه محرم قطعا،إذ فواته لا یوجب ضررا و فسادا و اعداما للموجود بل إنما یوجب فوت حظ من حظوظ النفس.و کذلک فتوی العالم بما لا یحققه و فتوی من لیس له اهلیه الافتاء،إظهارا للفضل أو طلبا للجاه و المال،بل هو أشد أنواع الکذب إثما و حرمه،لأنه مع کونه کذبا لا یستغنی عنه،کذب علی اللّه و علی رسوله.

فالکذب إذا کان وسیله إلی ما یستغنی عنه حرام مطلقا،و إذا کان وسیله إلی ما لا یستغنی عنه ینبغی أن یوازن (۱)محذور الکذب مع محذور

۱- ۱) لم یثبت لهذه الموازنه علی عمومها دلیل من الشرع،و کل ما ثبت منه تلک المواضع المذکوره آنفا،التی جاز فیها الکذب،و هی:الإصلاح و الحرب و الزوجه،و فی الحصر بالمواضع الثلاثه فی الروایات المتقدمه دلیل علی عدم جواز الکذب فی غیرها،لا سیما مثل قوله-علیه السلام-:«کل کذب مسئول عنه صاحبه یوما،إلا کذبا فی ثلاثه...»و لکن ثبت استثناء بعض المواضع،کدفع الظلم، فلا یتعداها.

الصدق،فيترك أشدهما وقعا فى نظر الشرع.و بيان ذلك:أن الكذب فى نفسه محذور،و الصدق فى المواضع المذكوره يوجب محذورا،فينبغى أن يقابل أحد المحذورين بالآخر،و يوازنا بالميزان القسط،فان كان محذور الكذب أهون من محذور الصدق فله الكذب،و ان كان محذور الصدق أهون وجب الصدق،و قد يتقابل المحذوران بحيث يتردد فيهما،و حينئذ فالميل إلى الصدق أولى،إذ الكذب أصله الحرمه،و إنما يباح بضروره أو حاجه مهمه،و إذا شك فى كون الحاجه مهمه،لزم الرجوع إلى أصل التحريم.

تنبيه التوريه و المبالغه

كل موضع يجوز فيه الكذب،إن أمكن عدم التصريح به و العدول الى التعريض و التوريه،كان الأولى ذلك.و ما قيل:إن فى المعاريض لمندوحه عن الكذب،و إن فيها ما يغنى الرجل عن الكذب،ليس المراد به أنه يجوز التعريض بدون حاجه و اضطرار،إذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به،لأن المحذور من الكذب تفهيم الشىء على خلاف ما هو عليه فى نفسه،و هذا موجود فى الكذب بالمعاريض.فالمراد أن التعريض يجوز إذا اضطر الإنسان إلى الكذب،و مست الحاجه إليه،و اقتضته المصلحه فى بعض الأحوال فى تأديب النساء و الصبيان و من يجرى مجراهم

و فی الحذر عن الظلمه و الاشرار فی قتال الأعداء.فمن اضطر إلی الکذب فی شیء من ذلک فهو جائز له،لأن نطقه فیه إنما هو علی مقتضی الحق و الدین،فهو فی الحقیقه صادق،و إن کان کلامه مفهما غیر ما هو علیه لصدق نیته و صحه قصده و إرادته الخیر و الصلاح،فمثل هذا النطق لا یکون خارجا عن حقیقه الصدق،إذ الصدق لیس مقصودا لذاته،بل للدلاله علی الحق،فلا ینظر إلی قالبه و صورته،بل إلی معناه و حقیقته.نعم، ینبغی له فی هذه المواضع أن یعدل إلی المعاریض ما وجد إلیه سبیلا یصدق اللفظ حینئذ أیضا و إن کان متشارکا مع التصریح فی تفهیم الشیء علی خلاف ما هو علیه فی الواقع.و قد کان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- اذا توجه إلی سفر و راه بغیره،لئلا ینتهی الخبر إلی الأعداء فیقصدونه.

و مما یدل علی جواز التعریض مع صحه النیه،ما روی فی الاحتجاج «أنه سئل الصادق-علیه السلام-عن قول اللّه تعالی فی قصه إبراهیم -علیه السلام-:

قٰالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هٰذٰا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کٰانُوا یَنْطِقُونَ

(۱)

.

قال:ما فعله کبیرهم و ما کذب إبراهیم.قیل:و کیف ذلک؟ فقال:إنما قال إبراهیم فاسألوهم إن کانوا ینطقون،أی إن نطقوا فکبیرهم فعل،و إن لم ینطقوا فلم یفعل کبیرهم شیئا،فما نطقوا و ما کذب إبراهیم-علیه السلام-و سئل عن قوله تعالی:

أَیَّتُهَا الْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسٰارِقُونَ (۲).

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۶۳.

۲- ۲) یوسف،الآیه:۷۰.

قال:انهم سرقوا يوسف من أبيه،ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا:ما ذا تفقدون؟قالوا:نفقد صواع الملک،و لم يقولوا:سرقتم صواع الملک،انما سرقوا يوسف من أبيه».«و سئل عن قول إبراهيم:

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِی النُّجُومِ. فَقٰالَ إِنِّی سَقِيمٌ

(۱)

.

قال:ما کان إبراهيم سقيما،و ما کذب،انما عنی سقيما فی دينه، ای مرتادا».

و طريق التعريض و التوريه:أن يخبر المتکلم المخاطب بلفظ ذی احتمالين أحدهما غير مطابق للواقع و اظهر فی المقام،فيحمله المخاطب عليه،و ثانيهما مطابق له يريده المتکلم،کما ظهر من خبر الاحتجاج.و من أمثلته:أنه اذا طلبک ظالم و أنت فی دارک و لا تريد الخروج إليه،أن تقول لأحد أن يضع اصبعه فی موضع و يقول:ليس ههنا.و إذا بلغ عنک شیء إلی رجل،و أردت تطييب قلبه من غير أن تکذب،تقول له:ان اللّه ليعلم ما قلت من ذلک من شیء،علی أن يکون لفظه(ما)عندک للابهام، و عند المستمع للنفی.و قد ظهر مما ذکر:أن کل تعريض لغرض باطل کالتصريح فی عدم الجواز،لأن فيه تقريرا للغير علی ظن کاذب.نعم قد تباح المعاريض لغرض خفيف،کتطييب قلب الغير بالمزاح،کقول النبی-صلی اللّه عليه و آله-:«لا تدخل الجنه عجوز»و«فی عين زوجک بياض»و«نحملک علی ولد بعير»...و قس عليه أمثال ذلک و من الکذب الذی يجوز و لا يوجب الفسق،ما جرت به العاده فی المبالغه،کقولک:قلت لک کذا مائه مره،و طلبتک مائه مره.و أمثال ذلک لأنه لا يراد بذلک تفهيم المرات بعددها،بل تفهيم المبالغه.فان لم

۱- ۱) الصافات،الآيه:۸۸،۸۹.

یكن طلبه إلا مره واحده كان كاذبا،و ان طلبه مرات لا یعتاد مثلها فی الكثره فلا یأثم،و ان لم تبلغ مائه.

و من الكذب الذی لا اثم علیه ما یكون فی أنواع المجاز و الاستعارات و التشبیهات،إذ الغرض تفهیم نوع من المناسبه و المبالغه،لا دعوی الحقیقه و المساواه من جمیع الجهات.

و من الكذب الذی جرت العاده به،و یتساهل فیه،قول الرجل اذا قیل له:كل الطعام:(لا اشتهیه)،مع كونه مشتهیا له.و هذا منهی عنه كما تدل علیه بعض الاخبار،إلا إذا كان فیه غرض صحیح، و ما جرت العاده به قول الرجل:(اللّه یعلم)فیما لا یعلمه،و هو أشد أنواع الكذب،قال عیسی-علیه السلام-:«إن من أعظم الذنوب عند اللّه ان یقول العبد:ان اللّه یعلم لما لا یعلم».و من الكذب الذی عظم ذنبه و یتساهل فیه،الكذب فی حكایه المنام،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-«إن من أعظم الفریه ان یدعی الرجل إلی غیر أبیه، أو یری عینیه فی المنام ما لم یر،أو یقول علی ما لم أقل».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من كذب فی حلم،كلف یوم القیامه أن یعقد بین شعرتین».

تذنیب شهاده الزور،الیمین الكاذب،خلف الوعد

من أنواع الكذب و افحشها:شهاده الزور،و الیمین الكاذب، و خلف الوعد.

ص :۳۴۰

و یدل علی ذم الأول قوله تعالی فی صفه المؤمنین:

وَ الَّذِینَ لاٰ یَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذٰا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا کِرٰاماً

(۱)

.

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«شاهد الزور کعابد الوثن» و علی ذم الثانی قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«التجار هم الفجار!»فقیل:یا رسول اللّه،أ لیس اللّه قد أحل البیع؟فقال:

«نعم!و لکنهم یحلفون فیأثمون،و یحدثون فیکذبون»و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ثلاث نفر لا یکلمهم اللّه یوم القیامه و لا ینظر إلیهم و لا یزکیهم:المنان بعطیته،و المنفق سلعته بالحلف الفاجر،و المسبل إزاره» و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ما حلف حالف باللّه فادخل فیها جناح بعوضه،إلا کانت نکته فی قلبه إلی یوم القیامه»، و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ثلاث یشنأهم اللّه:التاجر او البایع الحلاف،و الفقیر المختال،و البخیل المنان».

و علی ذم الثالث قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و بالیوم الآخر فلیف إذا وعد».و قول الصادق-علیه السلام- «عده المؤمن أخاه نذر لا کفاره له،فمن اخلف فبخلف اللّه تعالی بدأ و لمقته تعرض،و ذلک قوله تعالی:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ. کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ

(۲)

.

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۷۲.

۲- ۲) الصف،الآیه:۲-۳.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أربع من كن فيه كان منافقا و من كانت فيه خله منهن كانت فيه خله من النفاق،حتى يدعها:اذا حدث كذب،و إذا وعد اخلف،و إذا خاصم فجر».

فمن وعد و كان عند الوعد عازما على ألا يفى،أو كان عازما على الوفاء و تركه بدون عذر،فهو منافق.و أما إن عن له عذر من الوفاء،لم يكن منافقا و آثما.و ان جرى عليه ما هو صوره النفاق،فالأولى أن يحترز عن صوره النفاق أيضا كما يحترز عن حقيقته،و ذلك بألا يجزم فى الوعد، بل يعلقه على المشيه و مثلها.

ايقاظ علاج الكذب

طريق معالجه الكذب:أولا-أن يتأمل فى ما ورد فى ذمه من الآيات و الاخبار،ليعلم أنه لو لم يتركه لادركه الهلاك الابدى.ثم يتذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب فى الدنيا و لا يعتنى أحد بقوله،و كثيرا ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه.و من أسباب افتضاحه أن اللّه سبحانه يسلط عليه النسيان،حتى أنه لو قال شيئا ينسى أنه قاله،فيقول خلاف ما قاله،فيفتضح،و إلى ذلك أشار الصادق-عليه السلام-بقوله:«إن مما أعان اللّه به على الكذابين النسيان».ثم يتأمل فى الآيات و الاخبار الوارده فى مدح ضده،أعنى الصدق كما يأتى،و بعد ذلك ان لم يكن عدوا لنفسه،فليقدم التروى فى كل كلام يريد أن يتكلم به،فان كان كذبا يتركه و ليجتنب مجالسه الفساق و أهل الكذب،و يجالس الصلحاء و أهل الصدق.

وصل الصدق و مدحه

ضد الکذب الصدق.و هو أشرف الصفات المرضیه،و رئیس الفضائل النفسیه،و ما ورد فی مدحه و عظم فائدته من الآیات و الأخبار مما لا یمکن احصاؤه،قال اللّه سبحانه:

رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَیْهِ

(۱)

.و قال:

اِتَّقُوا اللّٰهَ وَ کُونُوا مَعَ الصّٰادِقِینَ

(۲)

.و قال: اَلصّٰابِرِینَ وَ الصّٰادِقِینَ وَ الْقٰانِتِینَ وَ الْمُنْفِقِینَ وَ الْمُسْتَغْفِرِینَ بِالْأَسْحٰارِ (۳)و قال سبحانه: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ یَرْتٰابُوا -الی قوله- أُولٰئِکَ هُمُ الصّٰادِقُونَ (۴).و قال عز و جل: وَ لٰکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ .

ثم قال: وَ الصّٰابِرِینَ فِی الْبَأْسٰاءِ وَ الضَّرّٰاءِ وَ حِینَ الْبَأْسِ أُولٰئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا (۵).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«تقبلوا الی بست أتقبل

ص:۳۴۳

۱- ۱) الأحزاب،الآیه ۲۳.

۲- ۲) التوبه،الآیه ۱۲۰.

۳- ۳) آل عمران ۱۷.

۴- ۴) الحجرات،الآیه ۱۵.

۵- ۵) البقره الآیه ۱۷۷.

لکم بالجنه:اذا حدث أحدکم فلا یکذب،و إذا وعد فلا یخلف،و إذا ائتمن فلا یخن و غضوا أبصارکم،و کفوا أیدیکم،و احفظوا فروجکم» و عن الصادقین-علیهما السلام-:«ان الرجل لیصدق حتی یکتبه اللّه صدیقا». و عن الصادق علیه السلام قال:«کونوا دعاه الناس بالخیر بغیر ألسنتکم،لیروا منکم الاجتهاد و الصدق و الورع».و عنه علیه السلام «من صدق لسانه زکی عمله،و من حسنت نیته زید فی رزقه،و من حسن بره بأهل بیته مد له فی عمره».و عنه علیه السلام قال:«لا تنظروا الی طول رکوع الرجل و سجوده،فان ذلک شیء اعتاده،و لو ترکه لاستوحش لذلک،و لکن انظروا إلی صدق حدیثه و أداء أمانته».و قال علیه السلام لبعض أصحابه:«انظر إلی ما بلغ به علی-علیه السلام-عند رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فالزمه،فان علیا-علیه السلام-انما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه بصدق الحدیث و أداء الأمانه».و عنه-علیه السلام-قال:«إن اللّه لم یبعث نبیا إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه الی البر و الفاجر» (۱) و قال-علیه السلام-:«أربع من کن فیه کمل ایمانه و لو کان ما بین قرنه إلی قدمه ذنوب لم ینقصه ذلک-قال-هی الصدق،و أداء الأمانه،و الحیاء،و حسن الخلق».و قد وردت بهذه المضامین اخبار کثیره اخر. و من أنواع الصدق فی الشهاده،و هو ضد شهاده الزور و الصدق فی الیمین،و هو ضد الکذب فیه،و الوفاء بالعهد و هو ضد خلف الوعد،و هذا القسم من الصدق،اعنی الوفاء بالعهد،

---

۱ - ۱) صححنا اغلب الأحادیث علی(أصول الکافی):باب الصدق و أداء الأمانه.و علی(الوسائل):کتاب الحج،باب وجوب الصدق و علی(المستدرک) ۲-۸۴-۸۹.

أفضل أنواع الصدق القولی و أحبها،و لذا اثنی اللّه تعالی علی نبیه إسماعیل به،و قال:

إِنَّهُ کانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا

(۱)

.

قیل:انه واعد إنسانا فی موضع فلم یرجع إلیه،فبقی اثنین و عشرین یوما فی انتظاره.و روی:«أنه بایع رجل رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و وعده أن یأتیه فی مکانه ذلک،فنسی وعده فی یومه و غده، و أتاه فی الیوم الثالث و هو فی مکانه»و قال رسول اللّه:«العده دین» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«الوأی-أی الوعد-مثل الدین أو أفضل».

تکمیل أقسام الصدق

اشاره

الصدق کالکذب له أنواع سته:

الأول-الصدق فی القول،

و هو الاخبار عن الأشیاء علی ما هی علیه،و کمال هذا النوع بترک المعاریض من دون ضروره،حذرا من تفهیم الخلاف و کسب القلب صوره کاذبه،و رعایه معناه فی الفاظه التی یناجی بها اللّه سبحانه،فمن قال:«وجهت وجهی للذی فطر السماوات و الأرض»و فی قلبه سواه،أو قال:«إیاک نعبد»و هو یعبد الدنیا بتقید قلبه بها،إذ کل من تقید قلبه بشیء فهو عبد له،کما دلت علیه الاخبار،فهو کاذب.

الثانی-الصدق فی النیه و الاراده،

و یرجع ذلک إلی الإخلاص،

۱- ۱) مریم،الآیه ۵۴.

و هو تمحیض النیه و تخلیصها للّه،بألا یکون له باعث فی طاعاته،بل فی جمیع حرکاته و سکناته،إلا اللّه.فالشوب یبطله و یکذب صاحبه.

الثالث-الصدق فی العزم،

أی الجزم علی الخیر:فان الإنسان قد یقدم العزم علی العمل،و یقول فی نفسه:إن رزقنی اللّه کذا تصدقت منه کذا،و إن خلصنی اللّه من تلک البلیه فعلت کذا.فان کان فی باطنه جازما علی هذا العزم،مصمما علی العمل بمقتضاه،فعزمه صادق،و إن کان فی عزمه نوع میل و ضعف و تردد،کان عزمه کاذبا،إذ التردد فی العزیمه یضاد الصدق فیها،و کان الصدق هنا بمعنی القوه و التمامیه، کما یقال:لفلان شهوه صادقه،أی قوه تامه،أو شهوه کاذبه،أی ناقصه ضعیفه.

الرابع-الصدق فی الوفاء بالعزم:

فان النفس قد تسخو بالعزم فی الحال،إذ لا مشقه فی الوعد،فإذا حان حین العمل بمقتضاه،هاجت الشهوات و تعارضت مع باعث الدین،و ربما غلبته بحیث انحلت العزیمه و لم یتفق الوفاء بمتعلق الوعد،و هذا یضاد الصدق فیه،و لذلک قال اللّه سبحانه:

رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَیْهِ

(۱)

.

الخامس-الصدق فی الاعمال:

و هو تطابق الباطن و الظاهر و استواء السریره و العلانیه،أو کون الباطن خیرا من الظاهر،بألا تدل أعماله الظاهره علی أمر فی باطنه لا یتصف هو به،لا بأن یترک الاعمال،بل بأن یستجر الباطن إلی تصدیق الظاهر.و هذا أعلی مراتب الإخلاص، لإمکان تحقق نوع من الإخلاص بما دون ذلک،و هو أن یخالف الباطن

ص:۳۴۶

۱- ۱) الأحزاب،الآیه ۲۳.

الظاهر من دون قصد،فان ذلک لیس ریاء فلا یمتنع صدق اسم الإخلاص علیه.

توضیح ذلک:أن الریاء هو أن تقصد غیر اللّه سبحانه فی الاعمال و قد تصدر عن انسان اعمال ظاهره تدل علی أنه صاحب فضیله باطنه، من التوجه إلی اللّه و الانس به،أو السکینه و الوقار،أو التسلیم و الرضا و غیر ذلک،مع أنه فاقد لها،لحصول الغلبه المانعه عن تحققها،أو اتفاق صدور الاعمال الظاهره بهذه الهیئه من دون أن یقصد بها مشاهده غیره سبحانه،فهذا غیر صادق فی عمله،کاذب فی دلاله الظاهر علی الباطن و إن لم یکن مرائیا و لا ملتفتا إلی الخلق،فاذن مخالفه الظاهر للباطن ان کانت من قصد سمیت ریاء،و یفوت بها الإخلاص،و ان کانت من غیر قصد سمیت کذبا و یفوت بها الصدق،و ربما لم یفت بها بعض مراتب الإخلاص.و هذا النوع من الصدق-اعنی مساواه السر و العلانیه أو کونه خیرا منها-أعز من الانواع السابقه علیه،و لذلک کرر طلبه من اللّه سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله-فی دعواته بقوله:«اللهم اجعل سریرتی خیرا من علانیتی،و اجعل علانیتی صالحه» و ورد:«أنه إذا ساوت سریره المؤمن علانیته،باهی اللّه به الملائکه،یقول:هذا عبدی حقا!».و کان بعض الأکابر یقول:«من یدلنی علی بکاء باللیل بسام بالنهار؟».و لنعم ما قیل:

اذا السر و الاعلان فی المؤمن استوی

فقد عز فی الدارین و استوجب الثنا

و ان خالف الاعلان سرا فما له علی سعیه فضل سوی الکد و العنا

کما خالص الدینار فی السوق نافق و مغشوشه المردود لا یقتضی المنی

و من جمله هذا الصدق:موافقه القول و الفعل،فلا یقول ما لا یفعل و لا یأمر بما لا یعمل.فمن وعظ و لم یتعظ فی نفسه کان کاذبا.و من

هنا قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«انی و اللّه ما احثكم علی طاعه إلا و اسبقكم إليها،و لا انهاكم عن معصيه إلا و أتناهی قبلكم عنها».

السادس-الصدق فی مقامات الدين:

من الصبر،و الشكر،و التوكل و الحب،و الرجاء،و الخوف،و الزهد،و التعظيم،و الرضا،و التسليم، و غير ذلك.و هو أعلی درجات الصدق و أعزها،فمن اتصف بحقائق هذه المقامات و لوازمها و آثارها و غاياتها فهو الصديق الحق،و من كان له فيها مجرد ما يطلق عليه الاسم دون اتصافه بحقائقها و آثارها و غاياتها فهو كاذب فيها.أما تری أن من خاف سلطانا أو غيره كيف يصفر لونه و يتعذر عليه أكله و نومه و يتنغص عليه عيشه و يتفرق عليه فكره و ترتعد فرائصه و تتزلزل اركانه و جوانبه؟و قد ينزح عن وطنه و يفترق عن أهله و ولده،فيستبدل بالأنس الوحشه،و بالراحه التعب و المشقه،فيعترض للاخطار و يختار مشقه الاسفار،كل ذلك من دركك المحذور.فمثل هذا الخوف هو الخوف الصادق المحقق.ثم إن من يدعی الخوف من اللّه أو من النار و لا يظهر عليه شیء من ذلك عند إراده المعصيه و صدورها عنه،فخوفه خوف كاذب،قال النبی-صلی اللّه عليه و آله-:«لم أر مثل النار نام هاربها،و لم ار مثل الجنه نام طالبها».

ثم لا غايه لهذه المقدمات حتی يمكن لأحد أن ينال غايتها،بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله و مرتبته،فمعرفه اللّه و تعظيمه و الخوف منه غير متناهيه،فلذلك لما رأی النبی-صلی اللّه عليه و آله-جبرئيل علی صورته الاصليه،خر مغشيا عليه،و قال-بعد عودته إلی صورته الأولی و افاقته- «ما ظننت أحدا من خلق اللّه هكذا!قال له:فكيف لو رأيت أسرافيل إن العرش علی كاهله،و ان رجليه قد مرقتا تخوم الأرضين السفلی،و أنه ليتصاغر من عظمه اللّه حتی يصير كالوصع!»:أی كالعصفور الصغير

و قـال-صـلى اللّه عليه و آله-:«مررت ليله أسـرى بى-أنـا و جبرئيـل- بالملإ الأعلى كالحلس البالى من خشـيه اللّه»:اى كالكساء الذى يلقى على ظهر البعير.

فـانظر إلى اعـاظم الملائكه و النـبين،كيـف تصـير حـالهم من شـده الخشـيه و التعظيم،و هـذا انمـا هو لقوه معرفتهم بعظمه اللّه و جلاله،و فوق ما لم يدركوه من عظمته و قدرته مراتب غير متناهيه.فاختلاف الناس فى مراتب الخوف و التعظيم و الحب و الانس إنما هو بحسب اختلافهم فى معرفه اللّه، و ليس يمكن أن يوجد من بلغ غايتها،فاختلاف الناس إنما هو فى القدر الذى يمكن أن يبلغ إليه،و البلوغ إليه فى الجميع أيضا نادر،فالصادق فى جميع المقامات عزيز جدا.

و من علامـات هـذا الصـدق:كتمان المصائب و الطاعات جميعا،و كراهه اطلاع الخلق عليها.و قـد روى:«ان اللّه تعالى أوحى إلى موسـى-عليه السـلام-:إنى إذا أحببت عبـدا ابتليته ببلايا لا تقوى لها الجبال،لأنظر كيف صـدقه،فان وجـدته صابرا اتخـذته وليا و حبيبا،و ان وجدته جزوعا يشكونى إلى خلقى خذلته و لم أبال».و قال الصادق-عليه السلام-:

«اذا أردت أن تعلم أ صادق أنت أم كاذب،فانظر فى صدق معناك و عقد دعواك،و عيرهما بقسطاس من اللّه عز و جل كأنك فى القيامه،قال عز و جل:

وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

(۱)

.

فإذا اعتـدل معنـاك بغور دعواك ثبت لـك الصـدق.و أدنى حـد الصـدق ألا يخـالف اللسـان القلب و لا القلب اللسان،و مثل الصادق الموصوف بما

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۷.

ذکرنا کمثل النازع لروحه،إن لم ینزع فما ذا یصنع» (۱).

تنبیه اللسان أضر الجوارح

اعلم أن أکثر ما تقدم من الرذائل المذکوره فی هذا المقام:من الکذب و الغیبه،و البهتان،و الشماته،و السخریه،و المزاح و غیرها،و فی المقام الثالث-اعنی التکلم بما لا یعنی و الفضول و الخوض فی الباطل-من آفات اللسان و هو اضر الجوارح بالإنسان،و أعظمها إهلاکا له،و آفاته أکثر من آفات سائر الأعضاء،و هی و ان کانت من المعاصی الظاهره، إلا أنها تؤدی إلی مساوئ الأخلاق و الملکات.إذ الأخلاق انما ترسخ فی النفس بتکریر الأعمال،و الاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح،و کل جارحه تصلح لأن تصدر منها الأعمال الحسنه الجالبه للأخلاق الجمیله، و أن تصدر منها الاعمال القبیحه المورثه للأخلاق السیئه،فلا بد من مراعاه القلب و الجوارح معا بصرفهما إلی الخیرات و منعهما من الشرور.و عمده ما تصدر منه الذمائم الظاهره المؤدیه إلی الرذائل الباطنیه هو اللسان،و هو أعظم آفه للشیطان فی استغواء نوع الإنسان،فمراقبته أهم،و محافظته أوجب و ألزم.و السر فیه-کما قیل-:أنه من نعم اللّه العظیمه،و لطائف صنعه الغریبه،فانه و إن کان صغیرا جرمه،عظیم طاعته و جرمه،إذ لا یتبین الایمان و الکفر إلا بشهادته،و لا یهتدی إلی شیء من أمور النشأتین إلا بدلالته،و ما من موجود او معدوم إلا و هو یتناوله و یتعرض له باثبات

۱- ۱) هذا الحدیث فی(مصباح الشریعه):الباب ۷۵ فصححناه علیه.

أو نفی،اذ کل ما یتناوله العلم یعبر عنه اللسان اما بحق أو باطل،و لا شیء إلا و العلم یتناوله.

و هذه خاصیه لا توجد فی سائر الأعضاء،اذ العین لا تصل إلی غیر الالوان و الصور،و الاذن لا تصل إلی غیر الأصوات،و الید لا تصل إلی غیر الأجسام،و کذا سائر الأعضاء،و اللسان رحب المیدان وسیع الجولان لیس له مرد،و لا لمجاله منتهی و لا حد،فله فی الخیر مجال رحب،و فی الشر ذیل سحب،فمن أطلق عذبه اللسان و اهمله مرخی العنان سلک به الشیطان فی کل میدان،و أوقعه فی أودیه الضلاله و الخذلان،و ساقه اللّه شفا جرف هار،الی أن یضطره إلی الهلاک و البوار،و لذلک قال سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله-:«هل یکب الناس علی مناخرهم فی النار إلا حصائد ألسنتهم؟» (۱).فلا-ینجی من شر اللسان الا أن یقید بلجام الشرع،و لا-یطلق الا-فیما ینفع فی الدنیا و الآخره،و یکف عن کل ما یخشی غائلته فی العاجله و الآجله،و علم ما یحمد إطلاق اللسان فیه او یذم غامض عزیز،و العمل بمقتضاه علی من عرفه ثقیل عسیر،و هو اعصی الأعضاء علی الإنسان،اذ لا تعب فی تحریکه و لا مؤنه فی إطلاقه فلا یجوز التساهل فی الاحتراز عن آفاته و غوائله،و فی الحذر عن مصائده و حبائله.

و الآیات و الأخبار الوارده فی ذمه و فی کثره آفاته و فی الأمر بمحافظته و التحذیر عنه کثیره،و هی بعمومها تدل علی ذم جمیع آفاته مما مر و مما یأتی.قال اللّه سبحانه:

«مٰا یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ»

(۲)

.

۱- ۱) رواه فی«أصول الکافی»:باب الصمت و حفظ اللسان،فصححناه علیه.

۲- ۲) ق،الآیه:۱۸.

و قال: لاّ خَيْرَ فِی كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ،إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَهٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَيْنَ النّٰاسِ (۱).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من یتکفل لی بما بین لحییه و رجلیه،اتکفل له بالجنه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من وقی شر قبقبه و ذبذبه و لقلقه،فقد وقی» (۲):و القبقب:البطن و الذبذب الفرج،و اللقلق:اللسان.و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما النجاه؟قال:املک علیک لسانک».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«أکبر ما یدخل الناس النار الاجوفان:الفم،و الفرج»،و المراد بالفم اللسان.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«و هل یکب الناس علی مناخرهم فی النار إلا حصائد ألسنتهم؟».و قال له رجل:«ما أخوف ما یخاف علی؟فاخذ بلسانه،و قال:هذا».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «لا یستقیم ایمان عبد حتی یستقیم قلبه،و لا یستقیم قلبه حتی یستقیم لسانه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«اذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء کلها تکفر اللسان،فتقول:اتق اللّه فینا،فانما نحن بک،فان استقمت استقمنا،و إن اعوججت اعوججنا» (۳).«و قال له رجل:اوصنی! فقال-صلی اللّه علیه و آله-:أعبد اللّه کأنک تراه وعد نفسک فی الموتی و ان شئت أنبأتک بما هو أملک لک من هذا کله-و أشار بیده إلی لسانه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ان اللّه عند لسان کل قائل،فلیتق

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۱۳.

۲- ۲) تقدم هذا الحدیث فی ۲-۴.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(کنز العمال):۲-۱۱۱.

اللّه امرؤ علی ما یقول».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من لم یحسب کلامه من عمله،کثرت خطایاه و حضر عذابه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«یعذب اللّه اللسان بعذاب لا یعذبه به شیئا من الجوارح.فیقول أی رب!اعذبتنی بعذاب لم تعذب به شیئا من الجوارح.فیقال له:

خرجت منک کلمه بلغت مشارق الأرض و مغاربها،فسفک بها الدم الحرام،و انتهب بها المال الحرام،و انتهک بها الفرج الحرام.و عزتی و جلالی!لأعذبنک بعذاب لا أعذب به شیئا من جوارحک!».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:ان کان فی شیء شوم ففی اللسان». و قال أمیر المؤمنین-علیه السّلام-لرجل یتکلم بفضول الکلام:«یا هذا! إنک نملی علی حافظیک کتابا إلی ربک،فتکلم بما یعنیک،و دع ما لا یعنیک» (۱)و قال أمیر المؤمنین علیه السلام:«المرء مخبوء تحت لسانه، فزن کلامک،و اعرضه علی العقل و المعرفه،فان کان للّه و فی اللّه فتکلم و ان کان غیر ذلک فالسکوت خیر منه،و لیس علی الجوارح عباده اخف مؤنه و أفضل منزله و أعظم قدرا عند اللّه کلام فیه رضی اللّه عز و جل و لوجهه و نشر آلائه و نعمائه فی عباده،ألا أن اللّه لم یجعل فیما بینه و بین رسله معنی یکشف ما أسر إلیهم من مکنونات علمه و مخزونات وحیه غیر الکلام،و کذلک بین الرسل و الأمم،فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل (و الکلف و العباده) (۲).و کذلک لا معصیه أثقل علی العبد و أسرع عقوبه عند اللّه و أشدها ملامه و اعجلها سآمه عند الخلق منه،و اللسان

۱- ۱) صححنا الأحادیث الأربعه علی(أصول الکافی):باب الصمت و حفظ اللسان.و علی(الوافی):۲-۳۴۰ و علی(البحار)۳ مج ۱۵-۱۸۹،۱۸۸، باب السکوت و الصمت.

۲- ۲) و فی نسخ(جامع السعادات):«و الطف العباده».

ترجمان الضمير و صاحب خبر القلب،و به ينكشف ما فى سر الباطن،و عليه يحاسب الخلق يوم القيامه،و الكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير اللّه و ليس شيء أحق بطول السجن من اللسان» (۱)و قال السجاد-عليه السلام-:«إن لسان ابن آدم يشرف فى كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول:كيف اصبحتم؟فيقولون بخير ان تركتنا!و يقولون:اللّه اللّه فينا!و يناشدونه و يقولون:انما نثاب و نعاقب بك».و قال الصادق عليه السلام:«ما من يوم إلا-و كل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان يقول:نشدتك اللّه أن نعذب فيك!» (۲).

تتميم الصمت

لما علمت كون اللسان شر الأعضاء و كثره آفاته و ذمه،فاعلم أنه لا نجاه من خطره إلا بالصمت،و قد أشير فيما سبق:أن الصمت ضد لجميع آفات اللسان،و بالمواظبه عليه تزول كلها،و هو من فضائل قوه الغضب أو الشهوه،و فضيلته عظيمه و فوائده جسيمه،فان فيه جمع الهم و دوام الوقار،و الفراغ للعباده و الفكر و الذكر،و للسلامه من تبعات القول فى الدنيا و من حسناته فى الآخره.و لذا مدحه الشرع و حث عليه،قال

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۴۶.

۲- ۲) الحديثان الأخيران مرويان فى(الكافى):باب الصمت.قال فى(الوافى) ۲-۳۴۰:«يكفر اللسان:أى يذل و يخضع.و التكفير:هو ان ينحنى الإنسان و يطأطئ رأسه قريبا من الركوع».

رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«من صمت نجا».و قال:

«الصمت حكم،و قليل فاعله».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من كف لسانه ستر اللّه عورته».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:ألا أخبركم بأيسر العباده و أ هونها على البدن:الصمت و حسن الخلق».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«رحم اللّه عبدا تكلم خيرا فغنم،أو سكت عن سوء فسلم».و جاء إليه-صلى اللّه عليه و آله-أعرابى و قال:«دلنى على عمل يدخلنى الجنه.قال:اطعم الجائع واسق الظمان،و أمر بالمعروف،و انه عن المنكر،فان لم تطق، فكف لسانك إلا من خير».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«اخزن لسانك إلا من خير،فانك بذلك تغلب الشيطان»و قال-صلى اللّه عليه و آله- «اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه،فانه يلقن الحكمه».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«الناس ثلاثه:غانم،و سالم،و شاحب، فالغانم:الذى يذكر اللّه،و السالم:الساكت،و الشاحب:الذى يخوض فى الباطل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن لسان المؤمن وراء قلبه،فإذا أراد أن يتكلم بشىء تدبره بقلبه،ثم أمضاه بلسانه.و ان لسان المنافق امام قلبه،فإذا هم بشىء امضاه بلسانه و لم يتدبره بقلبه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«أمسك لسانك،فانها صدقه تصدق بها على نفسك».ثم قال:«و لا يعرف عبد حقيقه الايمان حتى يخزن من لسانه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-لرجل أتاه:«ألا أدلك على امر يدخلك اللّه به الجنه؟قال:بلى يا رسول اللّه!قال:أنل مما أنالك اللّه!قال:فان كنت احوج ممن انيله؟قال:فانصر المظلوم.

قال:فان كنت أضعف ممن أنصره،قال:فاصنع للاخرق-يعنى

أشر عليه-.قال:فان كنت اخرق ممن أصنع له.قال:فاصمت لسانک إلا من خير،أما يسرک أن تكون فيك خصله من هذه الخصال تجرک إلى الجنه؟».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«نجاه المؤمن حفظ لسانه».و جاء رجل إليه-صلى اللّه عليه و آله-فقال:«يا رسول اللّه أوصنى!قال:احفظ لسانک.قال:يا رسول اللّه اوصنى!قال احفظ لسانک.قال:يا رسول اللّه اوصنى!قال:احفظ لسانک.ويحك و هل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟».

و قيل لعيسى بن مريم-عليه السلام-:«دلنا على عمل ندخل به الجنه.قال:لا تنطقوا أبدا.قالوا:لا نستطيع ذلک.قال:فلا تنطقوا إلا بخير».و قال-عليه السلام-أيضا:«العباده عشره اجزاء،تسعه منها فى الصمت،و جزء فى الفرار عن الناس».و قال:«لا تكثروا الكلام فى غير ذكر اللّه،فان الذين يكثرون الكلام فى غير ذكر اللّه قاسيه قلوبهم و لكن لا يعلمون».و قال لقمان لابنه:«يا بنى،إن كنت زعمت أن الكلام من فضه،فان السكوت من ذهب».

و قال أبو جعفر الباقر-عليه السلام:«كان أبو ذر يقول:

يا مبتغى العلم،إن هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر،فاختم على لسانک كما تختم على ذهبک و ورقک».و قال-عليه السلام-:«إنما شيعتنا الخرس».و قال الصادق-عليه السلام-لمولى له يقال له(سالم)-بعد أن وضع يده على شفتيه-:«يا سالم،احفظ لسانک تسلم،و لا تحمل الناس على رقابنا».و قال-عليه السلام-:«فى حكمه آل داود:

على العاقل أن يكون عارفا بزمانه،مقبلا على شأنه،حافظا للسانه».

و قال-عليه السلام-:«لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا فإذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا».و قال-عليه السلام-:«النوم راحه

للجسد،و النطق راحه للروح،و السكوت راحه للعقل».و قال-عليه السّلام- «الصمت كنز وافر،و زين الحليم،و ستر الجاهل».و قال أبو الحسن الرضا-عليه السلام-:«احفظ لسانك تعز،و لا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك».و قال-عليه السلام-:«من علامات الفقه:

الحلم،و العلم،و الصمت،ان الصمت باب من أبواب الحكمه،إن الصمت يكسب المحبه،انه دليل على كل خير».و قال-عليه السّلام-:«كان الرجل من بنى أسرائيل إذا أراد العباده صمت قبل ذلك بعشر سنين» (۱)و فى(مصباح الشريعه)عن مولانا الصادق-عليه السلام-قال:

«الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق و جف القلم به،و هو مفتاح كل راحه من الدنيا و الآخره،و فيه رضا الرب،و تخفيف الحساب و الصون من الخطايا و الزلل و قد جعله اللّه سترا على الجاهل و زينا للعالم،و معه عزل الهوى،و رياضه النفس،و حلاوه العباده،و زوال قسوه القلب،و العفاف و المروه و الظرف.فاغلق باب لسانك عما لك منه بد،لا سيما إذا لم تجد أهلا للكلام و المساعد فى المذاكره للّه و فى اللّه،و كان ربيع بن خيثم يضع قرطاسا بين يديه،فيكتب كل ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه عشيه،ماله و ما عليه،و يقول:آه آه!نجا الصامتون و بقينا.و كان بعض أصحاب رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-يضع الحصاه فى فمه،فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه للّه و فى اللّه و لوجه اللّه أخرجها.و ان كثيرا من الصحابه

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب الصمت،و على (الوسائل)كتاب الحج،الباب ۱۱۷ من احكام العشره.و على(المستدرک)۲ - ۸۸،۸۹.و على(سفينه البحار):۲-۵۱،۵۰.و على(البحار)۲ مج ۱۵ - ۱۸۹ باب السكوت و الصمت.و على(احياء العلوم):۳-۹۳-۹۵.و على (كنز العمال):۲-۷۲ و ۱۱۱.

-رضوان اللّه علیهم-کانوا یتنفسون تنفس الغرقی،و یتکلمون شبه المرضی و انما سبب هلاک الخلق و نجاتهم الکلام و الصمت.فطوبی لمن رزق معرفه عیب الکلام و هوائه،و علم الصمت و فوئده!فان ذلک من أخلاق الأنبیاء و شعار الاصفیاء.و من علم قدر الکلام أحسن صحبه الصمت و من أشرف علی ما فی لطائف الصمت و اؤتمن علی خزائنه کان کلامه و صمته کله عباده و لا یطلع علی عبادته هذه إلا الملک الجبار» (۱).

و قد ظهر من هذه الاخبار:أن الصمت مع سهولته أنفع للانسان من کل عمل،و کیف لا یکون کذلک،و خطر اللسان الذی هو أعظم الاخطار و آفاته التی هی أشد المهلکات لا ینسد إلا به؟و الکلام و ان کان فی بعضه فوائد و عوائد،إلا أن الامتیاز بین الممدوح و المذموم منه مشکل و مع الامتیاز فالاقتصار علی مجرد الممدوح عند إطلاق اللسان أشکل، و حینئذ فالصمت عما لا جزم بتضمنه للخیر و الثواب من الکلام أولی و انفع و قد نقل:«أن أربعه من أذکیاء الملوک-ملک الهند،و ملک الصین،و کسری،و قیصر-تلاقوا فی وقت،فاجتمعوا علی ذم الکلام و مدح الصمت فقال أحدهم:أنا أندم علی ما قلت و لا أندم علی ما لم أقل و قال الآخر:إنی إذا تکلمت بالکلمه ملکتنی و لم أملکها،و إذا لم أتکلم بها ملکتها و لم تملکنی.و قال الثالث:عجبت للمتکلم،ان رجعت علیه کلمته ضرته،و ان لم ترجع لم تنفعه.و قال الرابع:أنا علی رد ما لم أقل أقدر منی علی رد ما قلت».

۱- ۱) مصباح الشریعه:الباب ۲۷.

و منها:

اشاره

حب الجاه و الشهره

و المراد بالشهره:انتشار الصيت،و معنى الجاه:ملك القلوب و تسخيرها بالتعظيم و الاطاعه و الانقياد له.و بعباره أخرى:قيام المنزله فى قلوب الناس،و انما تصير القلوب مملوكه مسخره للشخص،باشتمالها على اعتقاد اتصافه بكمال حقيقى،او بما يظنه كمالا،من علم و عباده، أو ورع و زهاده،أو قوه و شجاعه،أو بذل و سخاوه،أو سلطنه و ولايه أو منصب و رياسه،أو غنى و مال،او حسن و جمال،أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالا-و تسخير القلوب و انقيادها على قدر اعتقادها،و بحسب درجه ذلك الكمال عندها،فبقدر ما يعتقد أرباب القلوب تذعن له قلوبهم و بقدر إذعانها تكون قدرته عليهم،و بقدر قدرته يكون فرحه و حبه للجاه.ثم تلك القلوب تعبث أربابها على المدح و الثناء،فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه،و على الخدمه و الإعانه، فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده،و على الإيثار و ترك المنازعه و التعظيم و التوقير و الابتداء بالسلام و تسليم الصدر فى المحافل و التقديم فى جميع المقاصد.

(تنبيه):حب الجاه و الشهره إن كان من حيث ايجابهما الغلبه و الاستيلاء حتى ترجع حقيقه إلى حبهما و كان طالبهما طالبا لهما،فهو من رذائل قوه الغضب،و ان كان من حيث التوصل بهما إلى قضاء الشهوات و حظوظ النفس البهيميه،فهو من رذائل قوه الشهوه،و ان كان من الحيثيتين فهو من رذائلهما بالاشتراک،بمعنى مدخليه كل منهما فى حدوث خصوص هذه الصفه.و الأصل اشتراک القوتين فى حدوث حب الجاه

ص :۳۵۹

و الشهره-کما ذکرناه فی جمله ما یتعلق بهما معا-بخلاف حب المال،فان الغالب أن حبه من حیث التوصل به إلی قضاء حظوظ القوه الشهویه، و کونه لمجرد الاستیلاء علیه بالمالکیه و التمکن علی التصرف فیه نادر،و لذا ذکرناه فیما یتعلق بقوه الشهوه.

فصل ذم حب الجاه و الشهره

اعلم أن حب الجاه و الشهره من المهلکات العظیمه،و طالبهما طالب الآفات الدنیویه و الأخرویه،و من اشتهر اسمه و انتشر صیته لا یکاد أن تسلم دنیاه و عقباه،إلا من شهره اللّه لنشر دینه من غیر تکلف طلب للشهره منه.و لذا ورد فی ذمهما ما لا یمکن احصاؤه من الآیات و الاخبار:قال اللّه سبحانه:

تِلْکَ الدّٰارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُهٰا لِلَّذِینَ لاٰ یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ فَسٰاداً

(۱)

و قال: مَنْ کٰانَ یُرِیدُ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا وَ زِینَتَهٰا نُوَفِّ إِلَیْهِمْ أَعْمٰالَهُمْ فِیهٰا وَ هُمْ فِیهٰا لاٰ یُبْخَسُونَ أُولٰئِکَ الَّذِینَ لَیْسَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ إِلاَّ النّٰارُ وَ حَبِطَ مٰا صَنَعُوا فِیهٰا وَ بٰاطِلٌ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۲).

۱- ۱) القصص،الآیه:۸۳.

۲- ۲) هود،الآیه:۱۵-۱۶.

و هذا بعمومه متناول لحب الجاه،لأنه أعظم لذه من لذات الحياه الدنيا و أكبر زينه من زينتها.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حب الجاه و المال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبه غنم باكثر فسادا من حب الجاه و المال فى دين الرجل المسلم».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«حسب امرئ من الشر إلا من عصمه اللّه أن يشير الناس إليه بالاصابع». و قال أمير المؤمنين -عليه السلام-:«تبذل و لا تشتهر،و لا ترفع شخصك لتذكر،و تعلم و اكتم،و اصمت تسلم،تسر الأبرار و تغيظ الفجار».و قال الباقر-عليه السلام-.«لا تطلبن الرياسه و لا تكن ذنبا،و لا تأكل الناس بنا فيفقرك اللّه».و قال الصادق-عليه السلام-:«إياكم و هؤلاء الرؤساء الذين يترأسون،فو اللّه ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك و أهلك!».

و قال-عليه السلام-:«ملعون من ترأس،ملعون من هم بها،ملعون من حدث بها نفسه!»و قال-عليه السلام-:«من أراد الرياسه هلك».و قال-عليه السلام-:«أ ترى لا اعرف خياركم من شراركم بلى و اللّه!إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه،أنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأى» (۱).

و الأخبار بهذه المضامين كثيره،و لكثره آفاتها لا يزال أكابر العلماء و أعاظم الاتقياء يفرون منهما فرار الرجل من الحيه السوداء،حتى أن بعضهم اذا جلس إليه أكثر من ثلاثه قام من مجلسه،و بعضهم يبكى لأجل أن اسمه بلغ المسجد الجامع،و بعضهم إذا تبعه أناس من عقبه التفت إليهم

۱- ۱) الأحاديث الخمسه الأخيره صححناها على(أصول الكافى):باب طلب الرياسه.و(الوسائل):كتاب الجهاد،الباب ۴۹ من ابواب جهاد النفس.

و قال:«على م تتبعونى،فو اللّه لو تعلمون ما اغلق عليه بابى ما تبعنى منكم رجلان».و بعضهم يقول:«لا اعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه و افتضح».و آخر يقول:«لا يجد حلاوه الآخره رجل يحب أن يعرفه الناس».و آخر يقول:«و اللّه ما صدق اللّه عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه».

و من فساد حب الجاه:أن من غلب على قلبه حب الجاه،صار مقصور الهم على مراعاه الخلق،مشغوفا بالتودد إليهم و المراءاه لأجلهم، و لا يزال فى أقواله و أفعاله متلفتا إلى ما يعظم منزلته عندهم،و ذلك بذر النفاق و أصل الفساد،و يجر لا محاله إلى التساهل فى العبادات و المراآه بها و إلى اقتحام المحظورات للتوصل بها إلى اقتناص القلوب،و لذلك شبه رسول اللّه حب الشرف و المال و افسادهما للدين بذئبين ضاربين،و قال:

«إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل»،إذ النفاق هو مخالفه الظاهر للباطن بالقول و الفعل،و كل من طلب المنزله فى قلوب الناس يضطر إلى النفاق معهم،و إلى التظاهر بخصال حميده هو خال عنها،و ذلك عين النفاق.

فصل الجاه أحب من المال

إن الملك القلوب ترجيح على ملك المال بوجوه:

الأول-أن المال معرض التلف و الزوال،لأنه يغصب و يسرق و تطمع فيه الملوك و الظلمه،و يحتاج فيه إلى الحفظ و الحراسه،و تتطرق اليه أخطار كثيره.و أما القلوب إذا ملكت،فهى من هذه الآفات محفوظه

نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقى أو الوهمى.

الثانى-ان التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب،لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهوله،لأن أموال أرباب القلوب مسخره للقلوب،و مبذوله لمن أذعنت له بالانقياد و اعتقدت فيه أوصاف الكمال،و أما الخسيس العارى عن الكمال إذا ظفر بكثره من المال و لم يكن له جاه يحفظ به ماله و أراد أن يتوصل به إلى الجاه،لم يتيسر له.

الثالث-أن ملك القلوب يسرى و ينمو و يتزايد من غير حاجه إلى تعب و مشقه،اذ القلوب إذا أذعنت بشخص و اعتقدت انصافه بعلم أو عمل أو غيره،أفصحت الالسنه بما فيها لا محاله،فيصف ما يعتقده لغيره و هو أيضا يذعن به و يصفه لآخر،فلا يزال يستطار فى الاقطار،و يسرى من واحد إلى واحد،الى أن يجتمع معظم القلوب على التعظيم و القبول.و أما المال،فمن ملك شيئا منه فلا يقدر على استنمائه إلا بتعب و مقاساه.و لهذه الوجوه تستحقر الأموال فى مقابله عظم الجاه و انتشار الصيت و انطلاق الالسنه بالمدح و الثناء.

فصل لا بد للانسان من جاه

كما أنه لا بد من أدنى مال لضروره المطعم و الملبس و المسكن و مثله ليس بمذموم،فكذلك لا بد من أدنى جاه لضروره المعيشه مع الخلق، إذ الإنسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام و المال

الذی یباع به الطعام فکذلک لا یستغنی عن خادم بخدمه و رفیق یعینه و سلطان یحرسه و یدفع عنه ظلم الأشرار،فحبه لأن یکون له فی قلب خادمه من المنزله ما یدعوه إلی الخدمه و فی قلب رفیقه من المحل ما یحسن به مرافقته، و فی قلب السلطان من المحل ما یدفع به الشر عنه،لیس بمذموم.إذ الجاه کالمال وسیله إلی الأغراض،فلا فرق بینهما،إلا أن هذا یقضی إلی ألا یکون المال و الجاه محبوبین باعیانهما بل من حیث التوصل بهما إلی غیرهما و لا ریب فی أن کل ما یراد به التوصل إلی محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل إلیه دون الوسیله.

و مثل هذا الحب مثل حب الإنسان أن یکون فی داره بیت الخلاء لقضاء حاجته،و لو استغنی عن قضاء الحاجه و لم یضطر إلیه،کره اشتمال داره علی بیت الخلاء،و مثل أن یحب زوجته لیدفع بها فضله الشهوه، و لو کفی مؤنه الشهوه لأحب مهاجرتها،و إذا کان حبهما لضروره البدن و المعیشه لا لذاتهما،لم یکن مذموما،و المذموم أن یحبهما لذاتهما.و فیما یجاوز ضروره البدن کحب زوجته لذاتها حب العشاق حتی لو کفی مؤنه الشهوه لبقی مستصحبا لحبها.

ثم حبهما باعیانهما و ان کان مذموما مرجوحا،لکنه لا یوصف صاحبه بالفسق و العصیان ما لم یحمله الحب علی مباشره معصیه،و ما لم یتوصل إلی اکتسابهما بکذب و خداع و تلبیس،کأن یظهر للناس قولا أو فعلا اعتقدوا لأجله اتصافه بوصف لیس فیه،مثل العلم و الورع أو علو النسب،و بذلک یطلب قیام المنزله فی قلوبهم،و ما لم یتوصل إلی اکتسابهما بعباده،إذ التوصل إلی المال و الجاه بالعباده جنایه علی الدین و هو حرام،و إلیه یرجع معنی الریاء المحظور،کما یأتی.

و أما طلبهما بصفه هو متصف بها،فهو مباح غیر مذموم،و ذلک

کقول یوسف-علیه السلام-:

اِجْعَلْنِی عَلیٰ خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ

(۱)

.

حیث طلب المنزله فی قلب الملک بکونه حفظا علیما،و کان صادقا فی قوله.و کذا طلبهما باخفاء عیب من عیوبه و معصیه من معاصیه،حتی لا یعلمه فلا تزول به منزلته فی قلبه،مباح غیر مذموم،إذ حفظ الستر علی القبائح جائز،بل لا یجوز هتک الستر و إظهار القبیح،و هذا لیس فیه کذب و تلبیس بل هو سد لطریق العلم بما لا فائده للعلم به،کالذی یخفی عن السلطان أنه یشرب الخمر و لا یلقی إلیه أنه ورع،فان قوله إنه ورع تلبیس،و عدم اقراره بالشرب لا یوجب اعتقاد الورع،بل یمنع العلم بالشرب،و هو جائز شرعا و عقلا.

فصل دفع اشکال فی حب المال و الجاه

إن قیل:الوجه فی حبهما بالعرض و فی حب قدر ما یضطر إلیهما فی المعیشه و ضروره البدن ظاهر،فما الوجه فی حبهما باعیانهما و فی حب الزائد عن قدر الضروره منهما؟کحب جمع المال،و کنز الکنوز،و ادخار الذخائر،و استکثار الخزائن وراء جمیع الحاجات،و حب اتساع الجاه و انتشار الصیت إلی اقاصی البلاد التی یعلم قطعا أنه قط لا یطؤها و لا یشاهد أهلها لیعظموه و یعینوه علی غرض من اغراضه،فانه مع ذلک یلتذ به غایه الالتذاذ و یسر به غایه السرور،حتی لا یجد فی نفسه لذه أقوی منه، و یراه فوق جمیع لذاته و ابتهاجاته.

۱- ۱) یوسف،الآیه:۵۵.

قلنا:الوجه فی ذلک أمران:

الأول-دفع ألم الخوف الناشیء من سوء الظن و طول الأمل.

فان الإنسان و إن کان له من المال ما یکفیه فی الحال،إلا أنه لطول أمله قد یخطر بباله أن المال الذی فیه کفایته ربما یتلف فیحتاج إلی غیره،فإذا خطر ذلک بباله،هاج الخوف فی قلبه،و لا یزول ألم الخوف إلا بالأمن الحاصل من وجود مال آخر یفزع إلیه إن أصابت هذا المال آفه،فهو أبدا لحبه للحیاه و شفقته علی نفسه یقدر طول الحیاه و هجوم الحاجات، و یقدر إمکان تطرق الآفات إلی الأموال و یستشعر الخوف من ذلک،فیطلب ما یدفع خوفه،و هو کثره المال،حتی ان أصیب بطائفه من ماله یفزع الی الأخری.و هذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال، و لذلک لم یکن لمیله موقف إلی أن یملک جمیع ما فی الدنیا،و لذلک قال -صلی اللّه علیه و آله-:«منهومان لا یشبعان:منهوم العلم،و منهوم المال»و مثل هذه العله تطرد فی حب قیام المنزله و الجاه فی قلوب الاباعد عن وطنه و بلده،فانه لا یخلو عن تقدیر سبب یزعجه عن الوطن،أو یزعج أولئک عن أوطانهم إلی وطنهم إلی وطنه،و یحتاج إلی الاستعانه بهم و مهما کان ذلک ممکنا،کان للنفس لذه و سرور بقیام المنزله فی قلوبهم،لما فیه من الأمن من هذا الخوف.

الثانی-أن الإنسان مرکب من أصول مختلفه:هی القوه الشهویه، و القوه السبعیه،و القوه الشیطانیه،و الروح الذی هو أمر ربانی،و لذلک له میل إلی صفات بهیمیه،کالأکل و الوقاع،و إلی صفات سبعیه،کالقتل و الإیذاء،و إلی صفات شیطانیه،کالمکر و الخدیعه و الاغواء،و إلی صفات ربوبیه،کالعلم و القدره و الکبر و العز و الفخر و الاستعلاء.فهو لما فیه من الأمر الربانی یحب الربوبیه بالطبع،و معنی الربوبیه التوحد بالکمال،و التفرد

بالوجود على سبيل الاستقلال،و الاستيلاء على جميع الاشياء بالغلبه،و استناد الكل إليه بالصدور منه و المعلوليه.

و بالجمله:مقتضى الربوبيه التفرد بالوجود و الكمال و رجوع كل وجود و كمال إليه،إذ هو التام فوق التمام،و لا يتحقق ذلك إلا بالتفرد بالوجود و الكمال و القدره و الاستيلاء على جميع ما عداه.إذ المشاركه فى الوجود نقص لا محاله،فكمال الشمس فى أنها موجوده وحدها.فلو كانت معها شمس أخرى كان ذلك نقصانا فى حقها،إذ لم تكن متفرده بكمال معنى الشمسيه فإذا كان معنى الربوبيه هو التفرد بالوجود و الكمال،و كل انسان كان فيه أمر ربانى،فالتفرد بالوجود و الكمال محبوب له بالطبع،و ضده - اعنى العبوديه-قهر على نفسه،لأنه علم أن المتفرد بالوجود و الكمال هو اللّه تعالى،اذ ليس معه موجود سواه،فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته،بل هو قائم به،و ليس له معيه بالوجود بالنسبه اليه تعالى،إذ المعيه توجب المساواه فى الرتبه،و هى نقصان فى الكمال إذ الكامل الحقيقى من لا نظير له فى الوجود،و الكمال بوجه من الوجوه و ان كان لغيره وجود و كمال بعد كونه صادرا منه معلولا له،إذ تحقق الموجودات و ذوات الممكنات لا يوجب نقصانا فى ذاته سبحانه بعد استنادها جميعها إليه،و كونها أضعف منه بمراتب غير متناهيه فى الوجود و الكمال شده و قوه،فكما ان اشراق نور الشمس فى أقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس،بل هو من جمله كمالها،و انما نقصانها بوجود شمس أخرى مساويه لها فى الرتبه مستغنيه عنها،فكذلك وجود كل ما فى العالم إذا كان من اشراق نور القدره الإلهيه تابعا لها،لم يكن ذلك نقصانا فى الواجب سبحانه،بل كان كمالا له.

و لما علم ذلك،و تيقن بأن التفرد بالوجود و الكمال و الاستيلاء التام

على جميع الأشياء لا- يليق به،لأنه عبد مملوك مقهور تحت القدره الإلهيه، عرف أنه عاجز عن درك منتهى الكمال الذى هو التفرد بالوجود و الاستيلاء أى كون وجود غيره منه.إلا أنه لم تسقط شهوته للكمال،بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال،و طالب لتحصيل ما يتمكن منه.فمطلق الكمال محبوب عنده،إلا أن طلبه إنما يتعلق بالكمال الممكن فى حقه و من الكمال الممكن فى حقه أن يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات،فكان ذلك محبوبا عنده و مطلوبا له.و لما كانت الموجودات منقسمه إلى ما لا تحصى و لكن لا تستولى عليه قدره الخلق بالتصرف،كالأفلاك و الكواكب و ملكوت السماوات و نفوس الملائكه و الجن و الشياطين و الجبال و البحار و غير ذلك،و إلى ما يقبل التغير و تستولى عليه قدره العباد،كالأرض و أجزائها و ما عليها من المعادن و النبات و الحيوان،و من جملتها قلوب الآدميين و نفوسهم لكونها قابله للتغيير و التأثير مثل أجسادهم و اجساد سائر الحيوانات-فلم يكن للانسان أن يتصور إمكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه،فلم يتعرض لطلب ذلك،بل أحب فى كل منها نوع الاستيلاء الذى يمكن فى حقه و الاستيلاء الذى يمكنه فى حقه بالنظر إلى القسمين الأولين هو الإحاطه عليه بالعلم و الاطلاع على أسراره،لأن ذلك نوع استيلاء.

اذ المحاط به تحت القدره،و العالم كالمستولى عليه.و لذلك أحب الإنسان ان يعرف الواجب تعالى و الملائكه و الأفلاك و الكواكب و عائب الملك و الملكوت،لأن ذلك نوع استيلاء،و الاستيلاء نوع كمال.

و أما القسم الثالث،فيمكنه أن يستولى عليه بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الأراضى و الاملاك بأن يتصرف فيها بالحيازه و الضبط و الزرع و الغرس،و على الأجساد الأرضيه الحيوانيه و النباتيه و الجماديه بالركوب و الضبط و الحمل و الرفع و الوضع و التسليم و المنع،و على نفوس الآدميين

و قلوبهم بأن تكون مسخره متصرفه تحت اشارته و إرادته و صيرورتها محبه له باعتقاد الكمال فيه.و لكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال،أحب الإنسان هذا الاستيلاء على الأموال و القلوب،و إن كان لا يحتاج إليهما فى ملبسه و مطعمه و فى شهوات نفسه،و لذلك طلب استرقاق العبيد و استعباد الأحرار و لو بالقهر و الغلبه.و قد ظهر مما ذكر:أن محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم و القدره،و المال و الجاه محبوب لكونه من أسباب القدره و لما كانت المعلومات و المقدورات غير متناهيه،فلا يكاد أن تقف النفس الى حد من العلم و القدره،و لهما درجات غير متناهيه،فسرور كل نفس و لذتها بقدر الدرجه التى تدركها.

فصل الكمال الحقيقى فى العلم و القدره لا المال و الجاه

لما عرفت أن المحبوب عند الإنسان هو العلم و القدره و المال و الجاه لكونها كمالا-فاعلم أنه اشتبه الأمر عليه باغواء الشيطان،حيث التبس عليه الكمال الحقيقى بالوهمى،و تيقن بكون جميع ذلك كمالا و أحبه.إذ التحقيق أن بعضها كمال حقيقى و بعضها كمال وهمى لا أصل له،و السعى فى طلبه جهل و خسران و تضييع وقت و خذلان.

بيان ذلك:أنه لا ريب فى عدم كون المال و الجاه كمالا-لأن القدره و الاستيلاء على أعيان الأموال بوجوه التصرف و على القلوب و الأبدان بالتسخير و الانقياد ينقطع بالموت،فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل.فالخلق كلهم فى غمره هذا الجهل،فانهم يظنون أن القدره على الأجساد بقهر الحشمه،و على أعيان الأموال بسعه الغنى،و على تعظيم القلوب بسعه الجاه

کمال،و لما اعتقدوا کون ذلک کمالا أحبوه،و لما احبوه طلبوه،و لما طلبوه شغلوا به و تهالکوا علیه،فنسوا الکمال الحقیقی الذی یوجب القرب من اللّه،اعنی العلم و الحریه کما یأتی.فهؤلاء هم الذین اشتروا الحیاه الدنیا بالآخره،فلا یخفف عنهم العذاب و لا هم ینصرون،و هم الذین لم یفهموا قوله تعالی:

اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا،وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً

(۱)

.

فالعلم و الحریه و فضائل الأخلاق هی الباقیات الصالحات التی تبقی کمالا للنفس بعد خراب البدن،و المال و الجاه هو الذی ینقضی علی القرب و هو کما مثله اللّه تعالی،حیث قال:

إِنَّمٰا مَثَلُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا کَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ...

(۲)

.

و کل ما تذروه ریاح الموت فهو زهره الحیاه الدنیا،و کل ما لا یقطعه الموت فهو من الباقیات الصالحات.

فقد ظهر أن کمال القدره بالمال و الجاه کمال وهمی لا أصل له، و أن من قصر الوقت علی طلبه و ظنه مقصودا فهو جاهل،إلا قدر البلغه منها إلی الکمال الحقیقی.

و أما العلم،فلا ریب فی کون ما هو حقیقه العلم کمالا حقیقیا،إذ

۱- ۱) الکهف،الآیه:۴۷.

۲- ۲) یونس،الآیه:۲۴.

الكمال الحقيقى هو الـذى يقرب من يتصف به من اللّه و يبقى كمالا للنفس بعد الموت.و لا شك فى أن العلم باللّه و بصـفاته و أفعاله و حكمته فى ملكوت السماوات و الأرض و ترتيب الدنيا و الآخره و ما يتعلق به هو المقرب للعبد الى اللّه،إذ هو علم ثابت لا يقبل التغيير و الانقلاب،اذ معلوماته أزليه أبديه و ليس لها تغيير و انقلاب،حتى يتغير العلم بتغيرها مثل التغيرات التى يتغير العلم بها بتغيرها و انقلابها،كالعلم بكون زيد فى الدار.

فهو علم ثـابت أزلا-و أبـدا من دون تغير و اختلاف،كـالعلم بجواز الجـائزات و وجوب الواجبات و اسـتحاله المسـتحيلات.فهذا العلم-اعنى معرفه اللّه و معرفه صـفاته و أفعـاله-هـو الكمـال الحقيقى الـذى يبقى بعـد الموت و ينطوى فيه العلم بالنظـام الجملى الأصـلح و جميع المعـارف المحيطه بـالموجودات و حقائق الأشـياء،اذ الموجودات كلها من أفعاله،فمن عرفها من حيث هى فعل اللّـه و مـن حيـث ارتباطهـا بالقـدره و الاـراده و الحكمه، كـانت هـذه المعرفه من تكمله معرفه اللّه الـتى تبقى كمالاـ للنفس بعد الموت، و تكون نورا للعـارفين بعـد الموت يسـعى بين أيـديهم و أيمـانهم:«يقولون ربنا أتمم لنا نورنا»،و هى رأس ما يوصل إلى كشف مـا لم ينكشف فى الـدنيا،كمـا أن من معه سـراج خفى،فـانه يجوز أن يصـير ذلـك سـببا لزياده النور بسـراج آخر يقتبس منه،فيكمل النور بذلك النور الخفى على سبيل الاسـتتمام،و من ليس معه أصل السـراج لا مطمع له فى ذلك.فمن ليس له أصـل معرفه اللّه لم يكن له مطمـع فى هـذا النور،بـل هو فى«ظلمـات فى بحر لجى،يغشـاه موج من فوقه موج من فوقه سـحاب،ظلمـات بعضها فوق بعض».

و ما عدا هذه المعرفه من المعارف،إما لا فائده فيه أصـلا،كمعرفه الشعر و أنساب العرب و مثلها،أوله منفعه فى معرفه اللّه،كمعرفه لغه

العرب و التفسير و الفقه و الاخبار،و معرفه طريق تزكيه النفس التی تفيد استعدادا لقبول الهدايه إلی معرفه اللّه،كما قال تعالی:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها

(۱)

.و قال: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا (۲).

فهو من حيث إنه وسيله إلی معرفه اللّه و إلی تحصيل الحريه مما لا بد منه بالعرض.

ثم إن المعرفه التی هی كمال حقيقی للانسان ليس كمال العلم و غايته، إذ لا يتصور كمال العلم و نهايته إلا للواجب تعالی،إذ كمال العلم انما يتحقق بامور ثلاثه:

الأول-أن يحيط بكل المعلومات،و لا يتحقق ذلك فی علم البشر.

إذ ما أوتی من العلم إلا قليلا،بل العلم الذی يحيط بجميع المعلومات هو علم اللّه تعالی،و علم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات،و كلما كانت معلوماته أكثر كان علمه أقرب إلی علم اللّه تعالی.

الثانی-ان يتعلق بالمعلوم علی ما هو به،و يكون المعلوم منكشفا واضحا فی غايه الانكشاف و الوضوح،بحيث لا يقبل انكشافا أتم منه.

و هذا أيضا غير ممكن التحقيق فی حق الإنسان،إذ علمه لا يخلو عن كدره و إبهام،بل الكشف التام الذی هو غايه الظهور و الانجلاء مختص بعلم اللّه تعالی،إذ معلوماته مكشوفه بأتم أنواع الكشف علی ما هی عليها،و علم العبد له ببعض مراتب الانكشاف،فكلما كان اجلی و أوضح و أتقن و اوفق للمعلوم فی تفاصيل صفاته،كان أقرب إلی علم اللّه.

۱- ۱) الشمس،الآيه:۹.

۲- ۲) العنكبوت،الآيه:۶۹.

الثالث-أن يكون باقيا أبد الآباد،بحيث لا يتغير و لا يزول.

و هذا أيضا مختص بعلم اللّه تعالى،اذ علمه تعالى باق لا يتصور أن يختلف و يتغير و يزول،و علم الإنسان يتغير و يزول،فكلما كان علمه بمعلومات لا تقبل التغير و الانقلاب،كان أقرب إلى علم اللّه تعالى.

هذا،و من الكمالات للانسان:التحلى بفضائل الأخلاق و الصفات لا يجابها صفاء النفس المؤدى إلى البهجه الدائميه و الحريه،أعنى الخلاص من أسر الشهوات و غموم الدنيا و الاستيلاء عليها بالقهر،تشبها بالملائكه الذين لا تستغرقهم الشهوه و لا يستهويهم الغضب،إذ رفع آثار الشهوه و الغضب من النفس كمال حقيقى،لأنه من صفات الملائكه.و من صفات الكمال للّه سبحانه عدم تطرق التغيير و التأثير على حريم كبريائه،فمن كان عن التغير و التأثر بالعوارض أبعد كان إلى اللّه أقرب.

و أما القدره،فقد قال بعض العلماء:«أما القدره فليس فيها كمال حقيقى للعبد،إذ القدره الحقيقيه للّه،و ما يحدث من الأشياء عقيب إراده العبد و قدرته و حركته،فهى حادثه باحداث اللّه تعالى.نعم،له كمال من جهه القدره بالإضافه إلى الحال،و هى وسيله إلى كمال العلم،كسلامه أطرافه و قوه يده للبطش،و رجله للمشى،و حواسه للادراک،فان هذه القوى آله للوصول به إلى حقيقه كمال العلم،و قد يحتاج فى استيفاء هذه القوى إلى القدره بالمال و الجاه للتوصل به إلى المطعم و الملبس،و ذلک إلى قدر معلوم،فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفه اللّه فلا خير فيه البته إلا من حيث اللذه الحاليه التى تنقضى على القرب،و لا طريق للعبد إلى اكتساب كمال القدره الباقيه بعد موته،إذ قدرته على كل شىء من الأرضيات كالمال و الأبدان و النفوس،تنقطع بالموت».

و أنت خبير بأن تحقق نوع قدره للعباد مما لا ريب فيه،و إن كانت

أسبابها و أصلها من اللّه سبحانه،إلا أن القدره على الأمور الدنيويه الفانيه كالمال و الأشخاص و غير ذلك،ليست كمالا حقيقيا،لزوالها بالموت.نعم الحق ثبوت القدره النفسيه للعبد-اعنى تأثير نفسه فى الغير من الكائنات تأثيرا روحانيا معنويا،كما هو ظاهر من تأثير بعض النفوس فى الإنسان و الحيوان و النبات و الجماد بأنواع التأثيرات،و مثل هذه القدره تبقى للنفوس بعد الموت و لذا ترى أن من يستغيث ببعض النفوس الكامله من الأموات يرى منها عجائب التأثيرات و الاستفاضات،فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدره للنفوس بعد الموت محل النظر.

و قد ظهر بما ذكر:أن الكمال الحقيقى للانسان هو العلم الحقيقى و فضائل الأخلاق و الحريه و القدره.

فصل علاج حب الجاه

اعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم و عمل.و علاجه العلمى:

أن يعلم أن السبب الذى لأجله أحب الجاه-و هو كمال القدره على اشخاص الناس و على قلوبهم ان صفا و سلم-فآخره الموت،فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض إلى خمسين سنه او أكثر لا بد بالأخره من موت الساجد و المسجود له،و يكون حاله كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له.و لا ينبغى للعاقل أن يترك بمثل ذلك الدين الذى هو الحياه الأبديه التى لا انقطاع لها.و من فهم الكمال الحقيقى و الكمال الوهمى-كما سبق-صغر الجاه فى عينه،إلا أن ذلك انما يصغر فى عين من ينظر إلى الآخره كأنه يشاهدها و يستحقر

العاجله و يكون الموت كالحاصل عنده،و أبصار أكثر الخلق ضعيفه مقصوره على العاجله لا يمتد نورها إلى مشاهده العواقب،كما قال اللّه تعالى:

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ

(۱)

.

و قال: كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (۲).

فمن هذه مرتبته،فينبغى ان يعالج قلبه من حب الجاه بمعرفه الآفات العاجله،و هو يتفكر فى الأخطار التى يستهدف لها أرباب الجاه فى الدنيا فان كل ذى جاه محسود مقصود بالإيذاء،و خائف على الدوام على جاهه و لا يزال فى الاضطراب و الخوف من أن يتغير منزلته فى القلوب.مع أن قلوب الناس أشد تغيرا و انقلابا من القدر فى غليانه،و هى مردده بين الإقبال و الاعراض،فكلما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فانه لإثبات له.و الاشتغال بمراعاه القلوب و حفظ الجاه و دفع كيد الحساد و منع أذى الأعداء اشتغال عن اللّه و تعرض لمقته فى العاجل و الآجل كل ذلك غموم عاجله مكدره للذه الجاه،فلا يبقى فى الدنيا أيضا مرجوها بمخوفها،فضلا عما يفوت فى الآخره.فبهذا ينبغى أن تعالج البصيره الضعيفه و أما من نفذت بصيرته و قوى ايمانه فلا التفات له إلى الدنيا.

فهذا هو العلاج العلمى.

و أما العلاج العملى فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالأنس بضد الجاه الذى هو الخمول و يقنع بالقبول من الخالق،و أقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس و الهجره إلى مواضع الخمول،لا مجرد الاعتزال فى بيته فى البلده التى هو فيها مشهور،لأن المعتزل فى بيته فى البلده التى هو فيها

۱- ۱) الأعلى،الآيه:۱۶-۱۷.

۲- ۲) القيامه،الآيه:۲۰-۲۱.

مشهور عند أهلها لا يخلو بسبب عزلته عن حب المنزله التى تترسخ له فى القلوب،فربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه و هو مغرور،و انما سكنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها،و لو تغير الناس عما اعتقدوا فيه و دموه أو نسبوه إلى امر غير لائق،ربما جزعت نفسه و تألمت و توصلت إلى الاعتذار من ذلك و اماطه ذلك الغبار عن قلوبهم،و ربما يحتاج فى إزاله ذلك عن قلوبهم إلى كذب و تلبيس و لا يبالى به،و به يتبين انه بعد محب للجاه و المنزله،و لا يمكنه ألا يحب المنزله فى قلوب الناس ما دام يطمع فى الناس و لا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعه.فمن قنع استغنى عن الناس، و إذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس و لم يكن لقيام منزلته فى القلوب وزن عنده،بل من لم يطمع فى الناس و كان من أهل المعرفه،كان الناس عنده كالبهائم،فكيف يكون طالبا لقيام منزلته فى قلوبهم؟.

و الحاصل:أن الغالب و الباعث على قيام المنزله فى قلوب الناس هو الطمع منهم،و لذا ترى انك لا تطلب قيام منزلتك فى قلوب من فى أقصى لمشرق أو المغرب،لعدم طمع لك فيهم،ثم ينبغى أن يستعين على المعالجه بالأخبار الوارده فى ذم الجاه-كما مر-و فى مدح الخمول،كما يأتى.

فصل حب الخمول

ضد حب الجاه و الشهره حب الخمول،و هو شعبه من الزهد،كما أن حب الجاه شعبه من حب الدنيا.فحب الدنيا و الزهد ضدان.

ثم الخمول من صفات المؤمنين و خصال الموقنين،و قد كانت طوائف العرفاء المتوحدين و من يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالبين إياه، و كل من عرف اللّه و أحبه و انس به،كان محبا للخمول متوحشا من الجاه

و انتشار الصیت،کما تنادی به کتب السیر و التواریخ.و قد وردت بمدحه أخبار کثیره،کقول رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إن الیسیر من الریاء شرک،و ان اللّه یحب الاتقیاء الأخفیاء،الذین إذا غابوا لم یفقدوا و إذا حضروا لم یعرفوا،قلوبهم مصابیح الهدی،یتحول من کل غبراء مظلمه».و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«رب ذی طمرین لا یؤبه له لو أقسم علی اللّه لأبره،لو قال:اللهم أسألک الجنه!لأعطاه الجنه و لم یعطه من الدنیا شیئا».و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ألا أدلکم علی أهل الجنه؟کل ضعیف مستضعف،لو اقسم علی اللّه لأبره».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«إن أهل الجنه کل اشعث أغبر ذی طمرین لا یؤبه له،الذین إذا استأذنوا علی الأمراء لم یؤذن لهم،و إذا خطبوا النساء لم ینکحوا،و إذا قالوا لم ینصت لهم.حوائج أحدهم تتخلخل فی صدره،لو قسم نوره یوم القیامه علی الناس لوسعهم».و قوله -صلی اللّه علیه و آله-:«إن من أمتی من لو أتی أحدکم یسأله دینارا لم یعطه إیاه،أو یسأله درهما لم یعطه إیاه و لو سأل اللّه تعالی الجنه لأعطاها إیاه،و لو سأله الدنیا لم یعطها إیاه،و ما منعها إیاه لهوانه علیه»و قوله -صلی اللّه علیه و آله-:«قال اللّه عز و جل:ان من أغبط أولیائی عندی رجلا حفیف الحال،ذا حظ من صلاه،أحسن عباده ربه بالغیب و کان غامضا فی الناس،جعل رزقه کفافا فصبر علیه،عجلت منیته فقل تراثه و قل بواکیه» (1).و ورد:«أن اللّه تعالی یقول فی مقام الامتنان علی بعض عبیده:ألم أنعم علیک؟ألم استرک؟ألم أحمل ذکرک».

و قال بعض خیار الصحابه:«کونوا ینابیع العلم،مصابیح الهدی،احلاس البیوت،سرج اللیل،جدد القلوب،خلقان الثیاب.تعرفون فی أهل

١- ١) تقدم الحدیث فی ٢-٥٩،و ذکرنا فی التعلیقه تفسیر معنی(حفیف).

السماء،و تخفون فی أهل الأرض».و من اطلع علی أحوال أکابر الدین و السلف الصالحین من ایثارهم الخمول و الذل علی الجاه و الشهوه و الغلبه، ثم فی ما ورد فی مدحهما من الأخبار،تیقن بأنهما من أوصاف المؤمنین، و لا بد للمؤمن من الاتصاف بهما،و لذا ورد:«أن المؤمن لا یخلو عن ذله او عله أو قله».

و منها:

اشاره

حب المدح

و کراهه الذم.و هما من نتائج حب الجاه،و من المهلکات العظیمه إذ کل محب للمدح و الثناء خائف من الذم،یجعل أفعاله و حرکاته علی ما یوافق رضا الناس،رجاء للمدح و خوفا من الذم.فیختار رضا المخلوق علی رضا الخالق،فیرتکب المحظورات و یترک الواجبات،و یتهاون فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و یتعدی عن الإنصاف و الحق،و کل ذلک من المهلکات،و لیس للمؤمن أن یحوم حولها،بل المؤمن من لم یؤثر قط رضا المخلوق علی رضا الخالق،و لا تأخذه فی اللّه لومه لائم.و لعظم فساد حب المدح و بغض الذم ورد فی ذمهما ما ورد فی الأخبار،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إنما هلک الناس باتباع الهوی و حب الثناء».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«رأس التواضع أن تکره أن تذکر بالبر و التقوی».و قال-صلی اللّه علیه و آله-لرجل اثنی علی آخر بحضرته:«لو کان صاحبک حاضرا فرضی بالذی قلت فمات علی ذلک،دخل النار».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:لما مدح آخر:

«ویحک!قطعت ظهره!و لو سمعک ما أفلح إلی یوم القیامه».و قال

ص :۳۷۸

-صلی اللّه علیه و آله-:«ألا-لا-تمادحوا!و إذا رأیتم المداحین فاحثوا فی وجوههم التراب».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ویل للصائم! و ویل للقائم!و ویل لصاحب التصوف!إلا من...فقیل:یا رسول اللّه إلا من؟فقال:إلا من تنزهت نفسه عن الدنیا،و أبغض المدحه و استحب المذمه».

فصل مراتب حب المدح و کراهه الذم

اعلم أن لحب المدح و کراهه الذم مرتبتین:أولاهما:أن یفرح بالمدح و یشکر المادح،و یغضب من الذم و یحقد علی الذام،و یکافیه او یحب مکافاته.و هذا حال أکثر الخلق،و لا حد لاتمها.و اخراهما:أن یفرح باطنه و یرتاح للمادح،و لکن یحفظ ظاهره من إظهار السرور، و یتبغض فی الباطن علی الذام،و لکن یمسک لسانه و جوارحه عن مکافاته و هذه و ان کانت نقصانا،إلا أنها بالنظر إلی الأولی کمال.

و باعتبار آخر،لحب المدح درجات:

الأولی-أن یتمنی المدح و انتشار الصیت بحیث یتوصل إلی نیلهما بکل ممکن،حتی یرائی بالعبادات و لا-یبالی بمفارقه المحظورات،لاستماله قلوب الناس و استنطاق ألسنتهم بالمدح.و هذا من الهالکین.

الثانیه-أن یرید ذلک و بطلبه بالمباحات لا بالعبادات و ارتکاب المحظورات،و هذا علی شفا جرف الهلاک.اذ حدود الکلام و الأعمال التی یستمیل بها القلوب لا یمکنه أن یضبطها،فیوشک أن یقع فیما لا یحل له لیتوصل به إلی نیل المدح.فهو قریب من الهالکین.

الثالثه-ألا يريد المدح و لا يسعى لطلبه،و لكن إذا مدح سر و ارتاح،من غير وجدان كراهه فى نفسه لهذا السرور و الارتياح،و هذا أيضا نقصان،و إن كان أقل اثما بالإضافه إلى ما قبله.

الرابعه-أن يسر و يرتاح،و لكن كره هذا السرور و الارتياح، و كلف قلبه كراهه المدح و بغضه،و هو فى مقام المجاهده،و لعل اللّه يسامحه اذا بذل جهده.و مع ذلك لم يقدر على ربط نفسه على كراهه المدح دائما.

فصل أسباب حب المدح

حب المدح و الثناء له أسباب:

الأول-شعور النفس بكمالها،فان الكمال لما كان محبوبا فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت و اهتزت و تلذذت،و المدح يشعر نفس الممدوح بكمالها،فان كان ما به المدح و صفا مشكوكا فيه صادر عن خبير بصير لا يجازف فى القول،كالوصف بكمال العلم و الورع و بالحسن المطلق، فاللذه فيه عظيمه لأن الإنسان ربما كان شاكا فى كمال علمه و كمال حسنه و يكون شائقا لزوال هذا الشك،فإذا ذكره غيره،(لا)سيما إذا كان من أهل البصيره،أورث ذلك طمأنينه و ثقه بوجود ذلك الكمال،فعظمت لذته،و لو كان صادرا ممن لا بصيره له،كانت لذته أقل لقله الاطمئنان بقوله.و إن كان ما به المدح وصفا جليا،كاعتدال القامه و بياض اللون كانت لذته فى غايه القله،لأن ثناءه لا يورث ما ليس له من الطمأنينه و الثقه إلا أنه لا يخلو عن لذه ما،إذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته، فتنبهها عليه بالمدح يورث لذه ما.و لضد هذه العله ببغض الذم أيضا،

لأنه يشعر بنقصان فى نفسه،و النقصان ضد الكمال.

الثانى-ان المدح يدل على أن قلب المادح ملك الممدوح،و انه مريد له معتقد فيه و مسخر تحت مشيته،و ملك القلوب محبوب،و الشعور بحصوله لذيذ،و لذلك تعظم اللذه مهما صدرت ممن تتسع قدرته و ينتفع باقتناص قلبه كالملوك و الأكابر،و لضد هذه العله يكره الذم و يتألم القلب به.

الثالث-أن المدح سبب اصطياد قلب كل من يسمعه،لا سيما إذا كان المادح ممن يعتنى بقوله،و هذا يختص بمدح يقع على الملأ.

الرابع-أن المدح يدل على حشمه الممدوح و اضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه طوعا أو قهرا،و الحشمه محبوبه لما فيها من الغلبه و القدره،فشعور النفس بها يورث لذه،و هذه اللذه تحصل و ان علم الممدوح ان المادح لا يعتقد بما يقوله،اذ ما يطلبه يحصل منه،و لضد هذه العله يبغض الذم أيضا.

و هذه الأسباب قد تجتمع فى مدح واحد فيعظم به الالتذاذ،و قد تفترق فينتقص و يندفع استشعار الكمال،بأن يعلم الممدوح أن المادح غير صادق فى مدحه،فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذه الثانيه أيضا،و هو استيلاءه على قلبه،و بقيت لذه الاستيلاء بالحشمه على اضطرار لسانه إلى النطق بالمدح.

فصل علاج المدح و كراهه الذم

اذا علم أن حب المدح و كراهه الذم من المهلكات،فيجب أن يبادر الى العلاج.

و علاج الأول:أن يلاحظ أسبابه،و يعلم أن شيئا منها لا يصلح حقيقه لأن يكون سببا له.أما استشعار الكمال بالمدح،فلأن المادح ان صدق فليكن الفرح من فضل اللّه حيث أعطاه هذه الصفات،و إن كذب فينبغى أن يغمه ذلك و لا يفرح به لأنه استهزاء به،مع أن الفرح مطلقا فى صوره الصدق من السفاهه،اذ الوصف الذى مدح به إن كان مما لا يستحق الفرح به،كالثروه و الجاه و غيرهما من المطالب الدنيويه،فالفرح به من قله العقل،لأنها كمالات و هميه لا أصل لها،و ان كان مما يستحق الفرح به كالعلم و الورع،فالفرح إنما هو لكونه مقربا إلى اللّه،و هذا فرع حسن الخاتمه و هو غير معلوم.ففى الخوف من خطر الخاتمه شغل شاغل من الفرح بكل شىء.و أما دلاله المدح على تسخير قلب المادح و كونه سببا لتسخير قلب من يسمعه،فحب ذلك يرجع إلى حب الجاه و المنزله فى القلوب،و قد سبق طريق معالجته.و أما دلالته على الحشمه، فانها ليست إلا قدره عارضه ناقصه لإثبات لها،و العاقل لا يفرح بمثلها.

و أما علاج الثانى:-اعنى كراهه الذم-فيعلم بالمقايسه على علاج حب المدح.و القول الوجيز فيه:ان من يذمك إن كان صادقا و قصده النصح و الإرشاد،فلا ينبغى أن تبغضه و تغضب عليه،بل ينبغى أن تفرح و تجتهد فى إزاله الصفه المذمومه عن نفسك،و ما أقبح بالمؤمن أن يغضب على من يحسن إليه و يريد هدايته.و ان كان قصده الإيذاء و التعنت،فلا ينبغى لك أيضا أن تبغضه و تكره ذلك،لأنه أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به،و ذكرك إياه إن كنت غافلا عنه،و قبحه فى عينك إن كنت متذكرا له،و على التقادير قد استفدت منه ما تنتفع به،و ينبغى لك أن تغتنمه و تبادر إلى إزاله عيبك.و إن كان كاذبا مفتريا عليك بما أنت منه برىء،فينبغى لك أيضا ألا تكره ذلك و لا تشتغل بذمه،لأنك و إن

خلوت من ذلک العیب،إلا أنک لا تخلو من عیوب اخر مساویه له و افحش منها،فاشکر اللّه تعالی علی أنه سترها و لم یطلع أحدا علیها،و دفعها بذکر ما أنت منه بریء،مع أنه کفاره لبقیه مساویک.و من ذمک أهدی إلیک حسناته و جنی علی دینه،حتی سقط من عین اللّه و أهلک نفسه بافترائه علیک،فما بالک تحزن بحط ذنوبک و إهداء الحسنات إلیک؟و لم تغضب علیه،مع أن اللّه سبحانه غضب علیه و أبعده من رحمته؟فان ذلک کاف لانتقامک منه.

وصل ضد حب المدح

ضد حب المدح و کراهه الذم:إما کراهه المدح و حب الذم، أو مساواتهما عنده بحیث لا تسره المدحه و لا تغمه المذمه.و قد تقدم بعض الأخبار الداله علی ذم من لم یتصف بالحاله الأولی.و هی و إن کانت نادره الوجود،إذ ما أقل علی بسیط الأرض-(لا)سیما فی هذه الاعصار- من تستوی عنده المدحه و المذمه،فضلا عمن یکره المدح و یسر بالذم، إلا أن تحصیلها ممکن إذ کل من عرف أن المدح مضر بدینه و قاصم لظهره فلا بد أن یکرهه و یبغض المادح،لو کان عاقلا مشفقا علی نفسه.و کذا من عرف أن الذام له یرشده إلی عیوبه و یهدی إلیه بعض حسناته،لا بد أن یحبه و یسر بذمه.

و أما الحاله الثانیه،فهی أولی درجات الکمال،و من لم یتصف بها فهو ناقص.فالاتصاف بها لازم علی کل مؤمن.و ربما ظن بعض الناس اتصافه بها،مع کونه فاقدا لها.فمن ظن ذلک من نفسه،فلا بد أن

یمتحن نفسه بعلاماتها،حتی یظهر له صدق ظنه و کذبه،و علاماته:ألا یکون سعیه و نشاطه فی قضاء حوائج المادح أکثر منهما فی قضاء حوائج الذام،و ألا یتفاوت همه و حزنه لأجل موتهما و ابتلائهما بمصیبه،و ألا تکون ذله المادح أخف فی قلبه و عینه من ذله الذام،و ألا یکون جلوس الذام عنده اثقل و لا قیامه أهون من جلوس المادح و قیامه.و بالجمله:أن یستویا عنده من کل وجه.فمن وجد نفسه استواءهما فی جمیع الجهات، فهو ممن یتساوی عنده المدح و الذم.

و منها:

اشاره

الریاء

و هو طلب المنزله فی قلوب الناس بخصال الخیر أو ما یدل علیها من الآثار.فهو من أصناف الجاه،إذ هو طلب المنزله فی القلوب بأی عمل اتفق،و الریاء طلب المنزله باداته خصال الخیر أو ما یدل علی الخیر ثم خصال الخیر یشمل أعمال البر بأسرها،و هی أعم من العادات إن خصت العباده بمثل الصلاه و الصوم و الحج و الصدقه و أمثال ذلک و مساوقه لها إن أرید بالعباده کل فعل یقصد به التقرب و یترتب علیه الثواب إذ علی هذا کل عمل من أعمال الخیر،سواء کان من الواجبات أو المندوبات او المباحات فی الأصل إذا قصد به القربه کان طاعه و عباده، و ان لم یقصد به ذلک لم یکن عباده و لا عمل خیر،و لو کان مثل الصلاه.و ربما خص الریاء عاده بطلب المنزله فی القلوب بالعباده بالمعنی الأخص.

و المراد بالآثار الداله علی الخیریه هی کل فعل لیس فی ذاته برا

و خيرا،و إنما يستدل به على الخيريه.

و هى إما متعلقه بالبدن،كاظهار النحول و الصفار ليستدل بهما على قله الأكل أو الصوم و سهر الليل،و يوهم بذلك شده الاجتهاد و عظم الحزن على امر الدين و غلبه الخوف من اللّه و من أهوال الآخره،و كخفض الصوت ليستدل به على ان وقار الشرع قد خفض صوته...و قس عليها غيرها من الأمور المتعلقه بالبدن،الداله على الخيريه قصدا إلى تحصيل المنزله فى قلوب الناس،و كل ذلک يضر بالدين و ينافى الورع و اليقين،و لذا قال عيسى-عليه السلام-:«اذا صام أحدكم،فليدهن رأسه،و يرجل شعره،و يكحل عينيه»،خوفا من نزع الشيطان بالرياء.ثم هذه مراءاه أهل الدين بالبدن،و أما أهل الدنيا فيراؤن فى البدن بإظهار السمن و صفاء اللون و نظافه البدن و حسن الوجه و أمثال ذلک.

أو متعلقه بالزى و الهيئه كحلق الشارب و إطراق الرأس فى المشى، و الهدوء فى الحركه،و إبقاء أثر السجود فى الجبهه،و لبس الصوف أو الثوب الخشن أو الابيض و تعظيم العمامه و لبس الطيلسان و الدراعه،و أمثال ذلک مما يدل على العلم و التقوى او الانخلاع عن الدنيا.

و المراءون من أهل الدين بالزى و اللباس على طبقات:منهم من يرى طلب المنزله بالثياب الخشه،و منهم من يرى بالثياب الفاخره،و منهم من يرى بالوسخه،و منهم من يراه بالنظيفه،و للناس فيما يعشقون مذاهب و أما أهل الدنيا فلا ريب فى أنهم يراؤن فى اللباس بلبس الثياب النفيسه و ركوب المراكب الرفيعه و أمثال ذلک.

أو متعلقه بالقول و الحركات كاظهار الغضب و الاسف على المنكرات و مقارفه الناس للمعاصى،ليستدل بها على حمايته للدين و شده اهتمامه على الامر بالمعروف و النهى عن المنكر،مع ان قلبه لم يكن متأثرا عن ذلک،

و كارخاء الجفون و تنكيس الرأس عند الكلام و إظهار الهدوء و السكون فى المشى،ليستدل بذلك على وقاره،و ربما أسرع المرائى فى المشى إلى حاجه فإذا اطلع عليه واحد رجع إلى الوقار خوفا من أن ينسب إلى عدم الوقار فإذا غاب الرجل عاد إلى عجلته.

أو متعلقه بغير ذلك كمن يتكلف ان يكثر الزائرون له و الواردون عليه(لا)سيما من العلماء و العباد و الأمراء ليقال إن أهل الدين و العظماء يتبركون بزيارته.

فصل ذم الرياء

الرياء من الكبائر الموبقه و المعاصى المهلكه و قد تعاضدت الآيات و الأخبار على ذمه،قال سبحانه:

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ وَ يَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ

(۱)

و قال سبحانه: فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً (۲).و قال سبحانه: يُرٰاؤُنَ النّٰاسَ وَ لاٰ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ إِلاّٰ قَلِيلاً (۳).و قال: كَالَّذِى يُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ النّٰاسِ (۴).

۱- ۱) الماعون،الآيه:۴-۷.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۱۱۰.

۳- ۳) النساء الآيه:۱۴۲.

۴- ۴) البقره،الآيه:۲۶۴.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»قالوا:و ما الشرك الأصغر؟قال:«الرياء،يقول اللّه عز و جل يوم القيامه للمرائين إذا جازى العباد باعمالهم:اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«استعيذوا باللّه من جب الحزن»قيل:و ما هو يا رسول اللّه؟قال:«واد فى جهنم أعد للقراء المرائين».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«يقول اللّه تعالى:من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله،و أنا منه برىء،و أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يقبل اللّه تعالى عملا فيه مثقال ذره من رياء».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن أدنى الرياء الشرك» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن المرائى ينادى عليه يوم القيامه يا فاجر يا غادر يا مرائى ضل عملك و حبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له».و كان-صلى اللّه عليه و آله-يبكى،فقيل له:ما يبكيك؟قال «إنى تخوفت على أمتى الشرك أما انهم لا يعبدون صنما و لا شمسا و لا قمرا و لا حجرا و لكنهم يراؤن باعمالهم».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«سيأتى على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم و تحسن فيه علانيتهم طمعا فى الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم،يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم اللّه بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم»و قال:«إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فإذا صعد بحسناته يقول اللّه عز و جل:

اجعلوها فى سجين إنه ليس إياى أراد به» (۱) و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ان الحفظه تصعد بعمل العبد إلى السماء السابعه من صوم و صلاه.

۱- ۱) صححنا الحديث و كذا ما قبله على(أصول الكافى).باب الرياء و باقى الأحاديث النبويه على(احياء العلوم)ج ۳ ص ۲۵۴.

و تفقه و اجتهاد و ورع،لها دوی کدوی الرعد و ضوء کضوء الشمس معه ثلاثه آلاف ملک،فیجاوزون به إلی السماء السابعه،فیقول لهم الملک الموکل بها قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه، اقفلوا به علی قلبه،إنی أحجب عن ربی کل عمل لم یرد به وجه ربی، إنه أراد بعمله غیر اللّه،إنه أراد رفعه عند الفقهاء و ذکرا عند العلماء و صیتا فی المدائن،أمرنی أن لا أدع عمله یجاوزنی إلی غیری،و کل عمل لم یکن للّه خالصا فهو ریاء،و لا یقبل اللّه عمل المرائی،قال-صلی اللّه علیه و آله-:و تصعد الحفظه بعمل العبد من صلاه و زکاه و صیام و حج و عمره و خلق حسن و صمت و ذکر اللّه تعالی و تشیعه ملائکه السماوات حتی یقطع الحجب کلها إلی اللّه فیقفون به بین یدیه و یشهدون له بالعمل الصالح المخلص للّه،قال:فیقول اللّه تعالی لهم أنتم الحفظه علی عمل عبدی و أنا الرقیب علی نفسه،انه لم یردنی بهذا العمل و أراد به غیری فعلیه لعنتی فتقول الملائکه کلهم علیه لعنتک و لعنتنا،و تقول السماوات کلها علیه لعنه اللّه و لعنتنا،و تلعنه السماوات السبع و من فیهن».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«اخشوا اللّه خشیه لیست بتعذیر (1)و اعملوا بغیر ریاء و لا سمعه فانه من عمل لغیر اللّه و کله اللّه الی عمله یوم القیامه»و قال الباقر-علیه السلام-:«الابقاء علی العمل أشد من العمل»قیل:و ما الا بقاء علی العمل؟قال:«یصل الرجل بصله و ینفق نفقه للّه وحده لا شریک له فکتب له سرا ثم یذکرها فتمحی فتکتب له علانیه ثم یذکرها فتمحی فتکتب له ریاء».و قال الصادق-علیه السلام-:

«قال اللّه تعالی انا خیر شریک فمن عمل لی و لغیری فهو لمن عمل له

ص:388

1- 1) قال فی الوافی فی باب الریاء 3-400:بیان(بتعذیر)-بحذف المضاف- ای ذات تعذیر،و هو بالعین المهمله و الذال المعجمه بمعنی التقصیر.

غیری».و قال-علیه السلام-:«قال اللّه تعالی:أنا أغنی الأغنیاء عن الشریک فمن أشرک معی غیری فی عمل لم أقبله إلا ما کان لی خالصا» و قال-علیه السلام-:«کل ریاء شرک،إنه من عمل للناس کان ثوابه علی الناس،و من عمل للّه کان ثوابه علی اللّه».و عن أبی عبد اللّه -علیه السلام-فی قول اللّه عز و جل:

فَمَنْ کَانَ یَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَ لاَ یُشْرِکْ بِعِبَادَهِ رَبِّهِ أَحَداً .

قال:«الرجل یعمل شیئا من الثواب لا یطلب به وجه اللّه إنما یطلب تزکیه الناس،یشتهی أن یسمع به الناس فهذا الذی أشرک بعباده ربه» ثم قال:«ما من عبد أسر خیرا فذهبت الأیام أبدا حتی یظهر اللّه له خیرا،و ما من عبد یسر شرا فذهبت الأیام حتی یظهر اللّه له شرا».

و قال-علیه السلام-:ما یصنع أحدکم أن یظهر حسنا و یسر سیئا أ لیس یرجع إلی نفسه فیعلم أن ذلک لیس کذلک و اللّه عز و جل یقول:«بل الإنسان علی نفسه بصیره».ان السریره إذا صحت قویت العلانیه.و قال -علیه السلام-:«من أراد اللّه بالقلیل من عمله اظهر اللّه له أکثر مما أراده به و من أراده الناس بالکثیر من عمله فی تعب من بدنه و سهر من لیله أبی اللّه إلا أن یقلله فی عین من سمعه».و قال-علیه السلام-لعباد البصری:«ویلک یا عباد!إیاک و الریاء فانه من عمل لغیر اللّه و کله اللّه الی من عمل له».و قال-علیه السلام-:«اجعلوا أمرکم هذا للّه و لا تجعلوه للناس فانه ما کان للّه فهو للّه و ما کان للناس فهو لا یصعد الی اللّه». و قال الرضا-علیه السلام-لمحمد بن عرفه:«ویحک یا بن

ص :۳۸۹

عرفه اعملوا لغير رياء و لا سمعه فانه من عمل لغير اللّه وكلّه اللّه إلى ما عمل ويحك ما عمل أحد عملا إلا أراده اللّه به إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا» (۱).

و كفى للرياء ذما انه يوجب الاستحقار للّه و جعله أهون من عباده الضعفاء الذين لا يقدرون نفعا و لا ضرا،اذ من قصد بعباده اللّه عبدا من عبيده فلا ريب فى أن ذلك لأجل ظنه بأن هذا العبد أقدر على تحصيل أغراضه من اللّه و أنه أولى بالتقرب إليه منه تعالى و أى استحقار بمالك الملوك أشد من ذلك.

فصل أقسام الرياء

الرياء إما فى العبادات أو فى غيرها(و الأول)حرام مطلقا و صاحبه ممقوت عند اللّه و هو يبطل أصل العباده و لأن الأعمال بالنيات،و المرائى بالعباده لم يقصد امتثال أمر اللّه بل قصد ادراك مال أو جاه أو غرض آخر من الأغراض فلا يكون ممتثلا لأمر اللّه خارجا عن عهده التكليف، ثم مع بطلان عبادته و عدم خروجه عن عهده التكليف يكون له اثم على حده لأجل الرياء،كما دلت عليه الآيات و الأخبار،فيكون أسوأ حالا ـ ممن ترك العباده رأسا،كيف لا ـ و المرائى بالعباده جمع بين الاستهزاء باللّه و التلبيس و المكر لأنه خيل إلى الناس أنه مطيع للّه من أهل الدين و ليس كذلك.

و أما الرياء بغير العبادات،فقد يكون مذموما،و قد يكون مباحا،

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث عن آل البيت عليهم السلام(على أصول الكافى)باب الرياء و على(البحار)مج ۳:۱۵-۴۳.و على(الوسائل)-ج ۱،الباب ۱۲،۱۱ ۱۴ من أبواب مقدمه العبادات-.

و قد يكون مستحبا،و قد يكون واجبا،إذ يجب على المؤمن صيانه عرضه و ألا يفعل ما يعاب عليه،فلا يليق بذوى المروات أن يرتكبوا الأمور الخسيسه بانفسهم عند مشاهده الناس و ان جاز لهم ذلك فى الخلوه،و من زين نفسه باللباس او غيره فى أعين الناس حذرا من لومهم و استثقالهم أو استقذارهم إياه كان ذلك مباحا له،إذ الحذر من ألم الذم غير مذموم إلا أن ذلك يختلف باختلاف الازمنه و البلاد و الأشخاص من العباد،فربما كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات مذموما بالنظر إلى وقت او شخص أو بلد غير مذموم بالنظر إلى آخر.روى:«ان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أراد يوما أن يخرج على أصحابه،فكان ينظر فى حب من الماء و يسوى عمامته و شعره،فقيل له:أو تفعل ذلك يا رسول اللّه؟ فقال:نعم،إن اللّه تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج اليهم».و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذى يحب أن يراه فى أحسن الهيئه»،و قال الصادق -عليه السلام-:«الثوب النقى يكبت العدو».و روى:«أنه -عليه السلام-نظر إلى رجل من أهل المدينه قد اشترى لعياله شيئا و هو يحمله،فلما رآه الرجل استحى منه،فقال-عليه السلام-:اشتريته لعيالك و حملته إليهم،أما و اللّه لو لا أهل المدينه لا حببت أن اشترى لعيالى الشىء ثم احمله إليهم» (1)أراد-عليه السلام-لو لا مخافه ان يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله،إلا أنه لما كان فى زمان يعاب عليه بمثله لم يجز له أن يرتكبه،و لما لم يكن ذلك مما يعاب عليه فى زمن أمير المؤمنين -عليه السلام-كان يرتكبه و كان ذلك منقبه له و تعليما.فظهر أن ارتكاب

---

١ - ١) تقدم هذا الحديث فى ١-٣٥٨،و الأحاديث الثلاثه الأخيره صححناها على(الوسائل)-كتاب الصلاه،ابواب احكام الملابس،الباب ۴-۶.

بعض الأمور و عدم ارتکاب بعض الافعال قد یکون ریاء محبوبا و قد یکون ریاء مذموما.

فصل تأثیر الریاء علی العباده

اشاره

الریاء إما أن یکون مجردا عن قصد القربه و الثواب بحیث لو لاه و الفرد صاحبه لترک العمل و هو أشد درجات الریاء و اعظمها اثما،أو یکون مع قصدهما فان کان قصدا ضعیفا مرجوحا بحیث لو کان خالیا عن قصد الریاء لم یبعثاه علی العمل،و لو کان قصد الریاء خالیا عنهما بعثه علیه،کان قریبا من سابقه و ان کان مساویا لقصد الریاء بحیث لو کان کل واحد خالیا عن الآخر لم یبعثه علی العمل،فالحق کونه مفسدا للعمل أیضا لظواهر الاخبار.و ان کان راجحا علی قصد الریاء غالبا علیه بأن یکون قصد الریاء و اطلاع الناس مرجحا و مقویا لنشاطه بحیث لو لم یکن لم یترک العمل،و لو کان قصد الریاء وحده لما أقدم علی العمل،(فبعض العلماء)علی أنه لا یحبط أصل العمل و الثواب بل ینقص من الثواب أو یعاقب صاحبه علی مقدار قصد الریاء،و یثاب علی مقدار قصد الثواب و(فیه نظر)إذ ظواهر الأخبار تفید إبطاله أصل العمل و الثواب لصدق الریاء علیه و صدق المرائی علی صاحبه،لقول أمیر المؤمنین-علیه السلام-«ثلاث علامات للمرائی:ینشط إذا رأی الناس،و یکسل إذا کان وحده و یحب أن یحمد فی کل أموره»و ما تقدم من الأخبار الداله علی أن کل عمل أشرک مع اللّه تعالی غیره کان اللّه منه بریئا و لم یقبله،صریح فی المطلوب.و حملها علی ما إذا تساوی القصد أو کان قصد الریاء أرجح خلاف الظاهر.ثم الظاهر ان البطلان فی هذه الصوره إنما هو إذا رجع قصده إلی حبه اطلاع الناس علیه لتقع منزله له فی قلوبهم،لیتوسل بها

إلی نیل غرض من الأغراض الدنیویه،و أما إذا کان سروره و قصده من اطلاع الناس لاحد المقاصد الصحیحه الآتیه فلا بأس به و لا یبطل العمل.

تنبیه السرور بالاطلاع علی العباده

من کان قصده إخفاء الطاعه و الإخلاص للّه،فإذا اتفق اطلاع الناس علی طاعته فلا بأس بالسرور به،من حیث علمه بأن اللّه اطلعهم علیه و اظهر الجمیل من حاله،فیستدل به علی حسن صنع اللّه به من حیث إنه ستر الطاعه و المعصیه،و اللّه تعالی أبقی معصیته علی الستر و أظهر طاعته،فیکون فرحه بجمیل نظر اللّه و فضله له لا بمدح الناس و قیام المنزله فی قلوبهم،و قد قال اللّه تعالی:

قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِکَ فَلْیَفْرَحُوا

(۱)

.

و کأنه ظهر له بظهور طاعته أنه عند اللّه مقبول ففرح به أو من حیث استدلاله بإظهار اللّه الجمیل و ستره القبیح فی الدنیا أنه کذلک یفعل به فی الآخره،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«ما ستر اللّه علی عبد فی الدنیا إلا ستر اللّه علیه فی الآخره».فالأول فرح بالقبول فی الحال من غیر ملاحظه المستقبل،و هذا التفات إلی المستقبل.أو من حیث ظنه رغبه المطلعین فی الاقتداء فی الطاعه،فیتضاعف بذلک أجره.

إذ یکون له أجره السر بما قصده أولا،و أجر العلانیه بما اظهره آخرا و من اقتدی الناس به فی طاعه فله أجر اعمال المقتدین به من غیر أن ینقص

۱- ۱) یونس،الآیه:۵۸.

من أجورهم شیء.أو من حیث فرحه بطاعه المطلعین للّه فی مدحهم و حبهم للمطیع،و میل قلوبهم إلی الطاعه،اذ من الناس من یمقت أهل الطاعه و یحسدهم أو یستهزئ بهم و ینسبهم إلی الریاء،فهذا فرح بحسن ایمان عباد اللّه،و علامه الإخلاص فیه:أن یکون سروره بمدحهم غیره مثل سروره بمدحهم إیاه.

و یدل علی عدم البأس بالسرور فیما ذکر ما روی:«أن رجلا قال لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:انی أسر العمل لا أحب أن یطلع علیه أحد فیطلع علیه فیسرنی!قال:لک أجران:أجر السر و أجر العلانیه» و ما روی:«أنه سئل الباقر-علیه السلام-عن الرجل یعمل الشیء من الخیر فیراه انسان فیسره ذلک،قال:لا بأس،ما من أحد إلا و هو یحب أن یظهر اللّه له فی الناس الخیر إذا لم یکن صنع ذلک».و هذان الخبران باطلاقهما یدلان علی نفی البأس بالسرور لأجل المقاصد المذکوره و یخصص منهما ما هو المذوم من الفرح الحاصل من اطلاع الناس،و ان کان قصده الاخفاء أولا-و هو أن یکون فرحه لقیام منزلته فی قلوب الناس حتی یمدحوه و یعظموه و یقوموا بحوائجه،و انما یخصص ذلک منهما مع شمول اطلاقهما له أیضا لمعارض أقوی.

هذا و قد تقدم أن قصده أولا-ای فی حال عقد الطاعه-اطلاع الناس علیه و ارتیاحه به لأحد المقاصد المذکوره لا بأس به أیضا،فعدم البأس لا یختص بطرو القصد و الارتیاح بعد العقد او بعد تمام العمل.

ثم کما لا بأس بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذکوره،فکذلک لا بأس بکتمان المعاصی و اغتمامه باطلاع الناس علیها لاسباب نذکرها،بل الحق رجحان الکتمان و مزیته بعد ارتکابها،و ان کان الأصل فی الإخلاص استواء السریره و العلانیه.و لذا قال بعض الأکابر:«علیک بعمل العلانیه

و هو ما إذا ظهر لم تستح منه».و قال بعضهم:«ما عملت عملا أبالى ان يطلع الناس عليه إلا اتيانى أهلى و البول و الغائط».إلا ان ذلک درجه عظيمه ليست شرعه لكل وارد،و لا يصل إليها إلا واحد بعد واحد.إذ كل انسان-إلا من عصمه اللّه-لا يخلو من ذنوب باطنه،(لا)سيما ما يختلج بباله من الامانى الباطله و الأمور الشهويه،و اللّه مطلع عليها و هى مخفيه عن الناس،و السعى فى اخفائها و كراهه ظهورها جائز بل راجح، بشرط ألا يكون باعث اخفائها قصد أن يعتقدوا فيه الورع و الصلاح، بل كان الباعث:

١-إما كون السر مأمورا به.

٢-أو كون الهتک و إظهار المعاصى منهيا عنه.قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-:«من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستره بستر اللّه تعالى».و يعرف صدق ذلک بكراهه ظهورها عن الغير،أو كون ستر اللّه عليه فى الدنيا دليلا على ستره فى الآخره،لما ورد فى الخبر:

«أن من ستر اللّه عليه فى الدنيا ستر اللّه عليه فى الآخره».

٣-أو كون ظهور المعاصى موجبا لذم الناس،و الذم يؤلم القلب و يشغله عن طاعه اللّه،و يصده عن الاشتغال بتحصيل ما خلق لأجله، و لكون التألم بالذم جبليا غير ممكن الدفع بسهوله يكون إخفاء ما ظهوره يؤدى إلى حدوثه جائزا.نعم،كمال الصدق استواء المدح و الذم،إلا أن ذلک قليل جدا،و أكثر الطباع تألم بالذم،لما فيه من الشعور بالنقصان و ربما كان التألم بالذم ممدوحا إذا كان الذام من أهل البصيره فى الدين، فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه،فينبغى أن يتألم منه و يتشمر لدفعه ۴-أو كون الناس شهداءه يوم القيامه،كما ورد فيجوز الاخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيامه.

۵-أو خوف أن يقصد بشر او سوء إذا عرف ذنبه.

۶-أو خوف صيروره الذام عاصيا بذمه،و هذا من كمال الايمان و يعرف بتسويه ذمه و ذم غيره.

۷-أو خوف سقوط وقع المعاصى من نفسه او اقتداء الغير به فيها و هذه العله هى المبيحه لإظهار الطاعه،و يختص ذلک بمن يقتدى به من الأئمه و امثالهم،و لهذه العله ينبغى أن يخفى العاصى معصيته من أهله و ولده أيضا،لئلا يقتدوا به فيها.

۸-أو حبه محبه الناس له لا ـ للتوسل بها إلى الأغراض الدنيويه، بل ليستدل بها على محبه اللّه تعالى له،لأن من أحبه اللّه تعالى جعله محبوبا فى قلوب الناس.

۹-أو مجرد الحياء من ظهور قبائحه،و هو غير خوف الذم و القصد بالشر،إذ هو من فضائل الأخلاق و من كريم الطبع،قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-:«الحياء خير كله».و قال الصادق-عليه السلام-:«الحياء شعبه من الايمان».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ان اللّه تعالى يحب الحيى الحليم».و من صدر عنه فسق و لم يبال بظهوره للناس،فقد جمع إلى الفسق الهتک و عدم الحياء-أعنى الوقاحه-،فهو أسوأ حالا ممن يفسق و يستحى فيستره.

ثم كثيرا ما يشتبه الحياء بالرياء،فيدعى من يرائى بأنه يستحى،و أن تركه السيئات أو إخفاءها أو تحسينه للعبادات إنما هو لأجل الحياء من الناس دون الرياء،و ذلک كذب،و بيان ذلک:أن الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم،و يمكن أن يهيج عقيبه داعيه الرياء فيرائى معه و يمكن أن يهيج داعيه الإخلاص فيجمعه إليه.مثلا من طلب صديقه قرضا،فان رده صريحا من غير مبالاه و من دون أن يتعلل ارتكب الوقاحه و عدم الحياء.

و ان أعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهه من دون رغبه فى الثواب و لا خوف من ذمه أو حب إلى مدحه حتى لو طلبه مراسله أو بتوسط غيره من الأجانب لرده،فإعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحياء من دون ترتب رياء أو اخلاص عليه.و ان تعسر عليه الرد للحياء و كان ما فى نفسه من البخل مانعا من الإعطاء فحدث خاطر الرياء،و يخاطب نفسه بأنه ينبغى أن تعطيه حتى يمدحك بالسخاء و لا يذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الرياء بالحياء،و المحرك للرياء هو هيجان الحياء.و ان تعسر عليه الرد للحياء و الإعطاء للبخل،فهيج باعث الإخلاص،و يقول له:ان الصدقه بواحده و القرض بثمانيه،ففيه أجر عظيم،و إدخال السرور على قلب مسلم صديق من أقرب القربات،فسخت نفسه بالاعطاء،فهو جمع بين الحياء و الإخلاص ثم الحياء لا يكون إلا فى القبائح الشرعيه أو العقليه أو العرفيه،كالبخل و مقارفه الذنوب و الظلم و صدور بعض الحركات القبيحه عرفا فى المحافل،و الرياء يكون فى المباحات أيضا،حتى انه لو عاد الضاحك إلى الانقباض و المستعجل فى المشى إلى الهدوء بعد اطلاع الناس كان مرائيا،و ربما ظن أن باعث ذلك هو الحياء و هو الجهل،إذ باعثه مجرد الرياء.و ما قيل:إن بعض الحياء ضعف،فالمراد أن الحياء مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس،كالحياء من وعظ الناس و اقامه الصلاه و من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،الا إذا وجد عذر يحسن الحياء معه،كأن يشاهد معصيه من شيخ فيستحى من شيبته أن ينكر عليه،لأن من إجلال اللّه إجلال ذى الشيبه المسلم،و لو استحيى من اللّه و لا يضيع الأمر بالمعروف لكان أحسن.و أقوياء النفوس من أهل الايمان يؤثرون الحياء من اللّه على الحياء من الخلق،و أما ضعفاء النفوس منهم فقد لا يقدرون على ذلك.

فصل متعلقات الرياء

الرياء إما باصل الايمان،و هو إظهار الشهادتين مع التكذيب باطنا و هذا هو كفر النفاق،و قد كان فی صدر الإسلام كثيرا،و قل ما يوجد فی أمثال زماننا،و ان كثر فيه إنكار بعض ضروريات الدين،كالجنه و النار و الثواب و العقاب و اعتقاد طی بساط احكام الشرع باطنا،ميلا الی قول الملاحده و أهل الاباحه،مع إظهار الخلاف ظاهرا،و هذا أيضا معدود من كفر النفاق،و صاحبه ينسل عن الدين مخلد بالنار.و صاحب كفر النفاق مطلقا أسوأ حالا من الكافر المحارب،لأنه جمع بين الكفر الباطن و النفاق الظاهر.أو بأصول العبادات مع التصديق باصل الدين، كأن يصلی فی الملأ دون الخلوه،و يصوم مع اطلاع الناس عليه و يفطر بدونه،و مثله و إن لم ينسل من أصل الدين،إلا أنه شر المسلمين، لترجيحه الخلق علی الخالق،و كون التقرب إليهم أحب من التقرب لديه و كون خوفه من ذمهم أشد من خوفه من عقابه سبحانه.أو بالنوافل و السنن،و هذا أيضا مذموم مهلك،و لكنه دون ما قبله،لأن صاحبه و ان قدم مدح الخلق علی مدح الخالق،إلا أنه لم يقدم خوف ذمهم علی خوف عقابه،لعدم ترتب عقاب علی ترك النافله.أو بأوصاف العباده الواجبه أو المستحبه،كفعل ما فی تركه نقصان أو كراهه أو ترك ما فی فعله أحدهما أو بزيادات خارجه عن نفس النوافل،كحضوره الجماعه قبل القوم و قصده الصف الأول،و أمثال ذلك.و كل ذلك مذموم،إلا أن بعضه أشد من بعض.

ص :۳۹۸

فصل بواعث الرياء

اشاره

باعث الرياء إما التمكن من المعصيه،كاظهار الورع و التقوى لتفوض اليه الحكومه و القضاء،لينال الجاه و الاستيلاء،و يحكم بالجور،و يأخذ الرشا،أو تسلم إليه الودائع و الصدقات و أموال اليتامى و أمثال ذلك فيأخذ لنفسه منها ما يقدر عليها،و كحضوره مجالس العلم و الوعظ و التعزيه لملاحظه النسوان و الصبيان،و هذا أشد درجات الرياء اثما،و يقرب منه إظهار الديانه و التقوى ليدفع عن نفسه تهمه ما اقترفه من الجرائم،أو نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا،كالاشتغال بالوعظ و التذكير و الإمامه و التدريس و إظهار الصلاح و الورع،لتستبذل له الأموال و ترغب فى تزويجه النسوان أو خوف أن ينظر إليه بعين النقص و الحقاره،أو ينسب إلى الكساله و البطاله كترك العجله و الضحك بعد اطلاع الناس عليه،خوفا من أن يعرف باللهو و الهزل فيستحقر،و كالقيام للتهجد و أداء النوافل إذا وقع بين المتهجدين و المتنفلين لئلا ينسب إلى الكساله،و لو خلى بنفسه لم يتنفل مطلقا،و كذا الامتناع من الأكل و الشرب فى اليوم الذى يصام فيه تطوعا و تصريحه بأنى صائم،خوفا من أن ينسب إلى البطاله،و ربما لم يصرح بكونه صائما،بل يقول:لى عذر،و حينئذ قد جمع بين رياءين بكونه صائما،و الرياء بكونه مخلصا غير مراء.ثم إن ألجأته الكساله و الشهوه إلى عدم القيام إلى النوافل و عدم الصبر عن الأكل و الشرب،ذكر لنفسه عذرا تصريحا أو تعريضا،كأن يتعلل الترك بمرض أو ضعف أو شده العطش أو تطييب خاطر فلان،و قس عليها غيرها من الكلمات و الاعذار،فانها لا تسبق إلى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء فى النفس،و المخلص لا يريد

غیر اللّه و التقرب إلیه،و لا یعتنی بالخلق و حصول المنزله فی قلوبهم،فان لم یصم لم یحب أن یعتقد غیره فیه ما یخالف علم اللّه لیکون ملبسا،و ان صام قنع بعلم اللّه و لم یشرک فیه غیره.ثم هذه البواعث لما کان بعضها صادرا من رداءه قوه الغضب و بعضها من رداءه قوه الشهوه،فیکون بعض أنواع الریاء من رذائل الأولی و بعضها من رذائل الثانیه.

تنبیه الریاء الجلی و الخفی

الریاء جلی و خفی،و الجلی:ما یبعث علی العمل لو لا قصد الثواب و الخفی:ما لا یبعثه بمجرده إلا أنه یخفف العمل الذی أرید به التقرب فی الخلوه،و یعرف بالسرور إذا اطلع علیه الناس،لا-للمقاصد المتقدمه، بل لطلب نوع منزله فی قلوب الناس،و یتوقع التعظیم و التوقیر و قضاء الحوائج منهم و وجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر فی احترامه،کأن نفسه تتقاضی الإکرام و الاحترام علی الطاعه التی اخفاها مع أنه لم یطلع علیه أحد.و لا شک أن هذا التقاضی لا ینفک عن شوب خفی من الریاء أخفی من دبیب النمل،و لو کان عنده وجود الطاعه کعدمها فی کل ما یتعلق بالخلق و قنع بعلم اللّه فیها لم یکن لهذا التوقع وجه.فعلامه خلوص العمل من الریاء ألا یجد تفرقه بین أن یطلع علی عبادته انسان أو بهیمه،و مهما وجد تفرقه فی ذلک فلا یکون منفکا عن توقع ما(عن) (۱)الناس فی طاعته،و ذلک مما یحبط العمل.قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:

«إن اللّه تعالی یقول للقراء یوم القیامه:ألم یکن یرخص علیکم السعر؟

۱- ۱) کذا فی النسخ،و لعل(عند)مکان(عن).

أ لم تكونوا تبدءون بالسلام؟أ لم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟فلا أجر لكم،قد استوفيتم اجوركم!».

فصل كيف يفسد الرياء العمل

لو عقد العمل على الإخلاص و استمر إلى الفراغ،لم يحبطه السرور بظهوره بعده،لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفه.و لا يعصى به أيضا إن كان لأجل أحد المقاصد السالفه،و يكتب له معصيه إن كان لظنه حصول منزله له فى القلوب.و لو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبه و السرور بذلك،فربما قيل باحباطه العمل،إذ حب التحدث به يدل على أن قلبه عند العباده لم يخل عن عقد خفى من الرياء.و قد أيد ذلك بما روى:«أن رجلا قال للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلم:

إنى صمت الدهر.فقال صلى اللّه عليه و آله و سلم:لا صمت و لا افطرت!» و ما روى:«أن ابن مسعود سمع رجلا يقول:قرأت البارحه سوره البقره.فقال:ذلك حظه منها».

و الظاهر أنه لا يحبط عمله،بل يثاب عليه،و ان عواقب على ما صدر منه بعد الفراغ من الرياء.و التعليل لو تم لا يفيد البطلان،إذ العقد الذى لم يشعر به صاحبه لا يؤاخذ به،و إلا لزم التكليف بالمحال.و الخبر لو صح فانكاره صلى اللّه عليه و آله و سلم لأجل كراهيه صوم الدهر لا لإظهاره.و قول ابن مسعود لو ثبت لا حجيه فيه.

و لو عقد العمل على الإخلاص،و ورد فى اثنائه وارد السرور باطلاع بعض الناس عليه،فان لم يكن باعثا على العمل و مؤثرا فيه بحيث لو لم يحدث لأتم العمل على الإخلاص من غير فتور،و كان أيضا لأحد المقاصد

الصحیحه المتقدمه،فلا بطلان و لا اثم،لما تقدم من الأخبار.و إن لم یکن باعثا و لکن لم یکن لشیء من المقاصد المذکوره،بل کان لظنه نیل الجاه أو المال بالظهور،فالحق بطلان العمل و کونه آثما للعمومات السالفه و ان کان باعثا و مؤثرا فهو الریاء المحرم،سواء کان غالبا علی قصد التقرب أو مساویا له او مغلوبا عنه،فیحبط العمل و علیه الإعاده لو کان فریضه،لما تقدم من العمومات،و لقوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:

«العمل کالوعاء،اذا طاب آخره طاب أوله».و قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:«من راءی بعلمه ساعه،حبط عمله الذی کان قبله».ثم هذا فی العمل المرکب الذی له اجزاء،و یتوقف صحته علی صحه کل واحد منها،کالصوم و الصلاه و الحج.و أما العمل الذی کل جزء منه منفرد، کالصدقه و القراءه،فما یطرأ من الریاء فی اثنائه إنما یفسد الباقی دون الماضی فطروؤه فیه فی الاثناء بالنسبه إلی الماضی کطروئه بعد الفراغ فی الأول.و هذا حکم الریاء الطارئ بعد عقد الطاعه علی الإخلاص أو قبله سواء لم یرجع عنه حتی یتمها،أو ندم بعده فی الاثناء أیضا و رجع و استغفر و أما المقارن حال العقد،بأن یبتدی بالصلاه مثلا علی قصد الریاء،فان اتمها علیه فلا خلاف فی کونه إثما و عدم الاعتداد بها.و ان ندم علیه فی الاثناء و رجع و استغفر،فان مجرد القصد إلی الغیر الباعث إلی اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمه و ارتیاحه به فلا بأس به و لا یحبط العمل، و ان کان غیر ذلک أفسده،سواء فی ذلک جمیع شقوقه المتقدمه،کما علم وجهه.

ص:402

فائده شوائب الرياء مبطله للعمل

لما كان المناط فى الاعمال،صحه و فسادا،هو القصد و النيه،إذ الاعمال بالنيات،و لكل امرئ ما نوى،فكل عمل تدخله شوائب الرياء فهو فاسد،سواء وقع سرا او علانيه،و كل عمل كان خالصا للّه و أمن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا بأس باسراره و لا بإظهاره.ثم لو تعلق قصد صحيح بإظهار نفس العمل أو التحدث به بعد الفراغ عنه،كترغيب الناس فى الخير و تنبيههم على الاقتداء به فيه،كان إظهاره أفضل من اسراره بشرط عدم اشتماله على رياء أو فساد آخر،كاهانه الفقير فى التصدق،و لو اشتمل على شيء من ذلك،كان أسراره أفضل من اعلانه و بذلك يجمع بين الأقوال و الأخبار.

و الحاصل:أنه متى انفك القلب عن شوائب الرياء،بحيث يتم الإخلاص على وجه واحد فى الحالتين،فما فيه القدوه و هو العلانيه أفضل و مهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره،لكونه مهلكا له، فالسر أفضل منه.فعلى من يظهر العمل أن يعلم أو يظن انه يقتدى به و ان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الرياء الخفى،فربما اظهر العمل لعذر الاقتداء و كان فى نفسه قصد التجمل بالعمل و كونه مقتدى به، و هذا حال كل من يظهر العمل،إلا من أيده اللّه بقوه النفس و خلوص النيه،فلا ينبغى لضعيف النفس أن يخدع نفسه فيضل و يضل و يهلك من حيث لا يشعر.فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يعلم سباحه ضعيفه فينظر إلى جماعه من الغرقى فيرحمهم،و أقبل عليهم لينجيهم فتشبثوا به،

ص:۴۰۳

و هلک و هلکوا.و هذه المواضع مزال أقدام العلماء و العباد،فانهم یتشبهون بالاقویاء فی الإظهار و لا تقوی قلوبهم علی الإخلاص،فتحبط أجورهم بالریاء.و درک ذلک غامض جدا لا یبلغه الا الخائضون فی غمرات علم الأخلاق.و یعرف الخلوص فی ذلک بألا یتفاوت حاله باقتداء الناس به و بغیره من اقرانه و أمثاله،فان کان قلبه أمیل إلی أن یکون هو المقتدی به،فاظهاره العمل غیر خال عن شوائب الریاء.

ایقاظ

لما عرفت أن المناط فی صحه الأعمال و فسادها هو القصد و النیه،تعلم أن کل عمل لم یکن خالصا لوجه اللّه و أرید به غیره سبحانه ینبغی أن یترک و یعرض عنه،و إن کان خالصا له تعالی مقصودا علی قصد صحیح لا ینبغی ترکه لمجرد بعض الوساوس و الخواطر الشیطانیه.فان الشیطان یدعو أولا إلی ترک العمل فان لم یجب یدعو إلی الریاء،فإذا أیس منه یقول:

هذا العمل لیس خالصا،بل هو ریاء،فأی فائده منه؟!.

ثم الاعمال إما من الطاعات اللازمه التی لا تعلق لها بالغیر،کالصلاه و الصوم و الحج و أمثالها،أو من الطاعات المتعدیه التی لها تعلق بالخلق، کالامامه و القضاء و الحکومه و الافتاء و الوعظ و التذکیر و التعلیم و التدریس و إنفاق المال و غیر ذلک.

و القسم الأول:إن دخله الریاء قبل الفعل،بأن یکون باعثه الریاء دون الخلوص و القربه،فینبغی أن یترک و لا یشرع فیه،و إن دخله بعد العقد أو معه،فلا ینبغی أن یترک،لأنه وجد له باعث دینی،و إنما طرأه باعث الریاء،فلیجاهد فی دفع الریاء و تحصیل الإخلاص،و یرد نفسه إلیه قهرا بالمعالجات التی نذکرها.و مهما کان فی المجاهده مع نفسه

معاتبا لها قاهرا عليها فی میلها إلی الریاء،و وجد من طبعه کراهیه هذا المیل،فالنجاه فی حقه مرجوه،و لعل اللّه یسامحه بعظیم رحمته.و أما إذا لم یکن فی مقام المجاهده،و لم یکن کارها مما یجد فی نفسه من المیل إلی الریاء بل أعطی زمام الاختیار إلی النفس الاماره،و هی تراءی فی الاعمال،و هو یتبعها فی ذلک من غیر قهر علیها و کراهیه لفعلها،فلا ریب فی فساد أعماله و أولویه ترکها،و ان کان باعثها ابتداء محض القربه و دخلها الریاء مع العقد أو بعده.

و أما القسم الثانی:المتعلق بالخلق-اعنی امامه الصلاه و القضاء و التدریس و الافتاء و الوعظ و الإرشاد و أمثال ذلک-فاخطارها عظیمه، و مثوبتها جسیمه.فمن له أهلیه ذلک من حیث العلم-ان کان ذا نفس قویه لا یعتنی بالناس و لا تزعجها وساوس الخناس و له معرفه تامه بعظمه ربه و قدرته و سائر صفاته الکمالیه،بحیث شغله ذلک عن الالتفات إلی الخلق و ما فی أیدیهم حتی یرائی لأجلهم او یختار رضاهم علی رضا ربه-فالأولی لمثله ألا یترک هذه المناصب لیفوز بمثوبتها العظیمه.و ان کان ذا نفس ضعیفه،کخیط مرسل فی الهواء تفیئها (۱)الریح مره هکذا و مره هکذا فهو لا یأمن الریاء و سائر اخطارها.فاللازم لمثله ترکها.و لذلک کان أهل الیقین من السلف یتدافعون هذه المناصب ما وجدوا إلیه سبیلا.و ورد ما ورد من الأخبار فی عظم خطرها و کثره آفاتها و لزوم التثبت و الاحتیاط لمن یزاولها و ما ورد من الوعید الشدید فی حق العلماء السوء یکفی للزوم الحذر عن فتن العلم و غوائله.و مما یقصم ظهور أمثالنا من الذین یقولون ما لا یعلمون و یأمرون بما لا یفعلون،قول عیسی بن مریم-علیهما السلام-:

«یا علماء السوء!تصومون و تصلون و تتصدقون و لا تفعلون ما تؤمرون!

ص:۴۰۵

۱- ۱) و فی نسختنا الخطیه(تعلیها).

و تـدرسون مـا لاـ تعلمون فيـا سوء مـا تحكمون!تتوبون بالقول و الامانى، و تعلمون بالهوى،و ما يغنى عنكم أن تتقوا جلودكم و قلوبكم دنسه!بحق أقول لكم:لاـ تكونوا كالمنخـل يخرج منه الـدقيق الطيب و تبقى فيه النخاله كـذلك أنتم!تخرجون الحكم من أفواهكم و يبقى الغل فى صدوركم!يا عبيد الدنيا!كيف يدرك الآخره من لا تنقضى من الدنيا شهوته و لا تنقطع منها رغبته!بحق أقول لكم:إن قلوبكم تبكى من أعمالكم،جعلتم الـدنيا تحت ألسـنتكم و العمل تحت أقـدامكم بحق أقول لكم:أفسدتم آخرتكم بصـلاح دنياكم،فصـلاح الدنيا أحب إليكم من صـلاح الآخره!فاى ناس أخس منكم لو تعلمون!و بلكم!حتى متى تصفون الطريق للمـدلجين و تقيمون فى محله المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم!مهلا مهلا! ويلكم!ما ذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضـع السـراج فـوق ظهره و جوفه وحش مظلم!كـذلك لاـ يغنى عنكم أن يكون نور العلم بـافواهكم و اجوافكم منه وحشـه معطله.يا عبيـد الـدنيا!توشك الدنيا أن تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم،ثم تكبكم على مناخركم،ثم تأخذ خطاياكم بنواصـيكم!يدفعكم العلم من خلفكم،ثم يسـلمكم إلى الملك الديان حفاه عراه فرادى!فيوقفكم على سوآتكم،ثم يخزيكم بسوء أعمالكم!!» (۱)هـذا و يعرف الصادق المخلص من أهل هـذه المناصب بأنه إذا ظهر من هو أعدل و أحسن وعظا و أكثر علما منه و أشـد قبولا للناس فرح به و لم يحسـده و إذا حضـر الأكابر و الأعاظم مجلسه أو اقتـدوا به لم يتغير كلامه و لم يتفاوت حاله،بل يبقى على ما كان عليه،و ينظر إلى عباد اللّه بعين واحده.

۱- ۱) روى هذا الحديث فى(احياء العلوم):۳-۲۸۱،فصححناه عليه و هو يرويه عن(الحارث المحاسبى).

تنبیه

لما عرفت حقیقه الریاء،تعلم أنه إذا صار عمل بعض الصالحین أو قولهم محرکا لغیرهم علی الاشتغال بالطاعه لم تکن هذه الطاعه ریاء إذا عقدت علی الخلوص،و ان لم یکن هذا الغیر لیفعل هذه الطاعه إذا لم یشاهدها من بعض الصالحین أو لم یسمعها منه.فمن لم تکن عادته التهجد و بات مع قوم متهجدین فی موضع،فإذا قاموا للتهجد انبعث نشاطه للموافقه و وافقهم فی التهجد،و لم یکن ذلک ریاء بعد أن یکون قصده منه الثواب و التقرب إلی اللّه،إذ کل مؤمن راغب فی عباده اللّه و فی قیام اللیل،و لکن قد تعوقه العوائق و تمنعه الغفله،فإذا شاهد قوما یتهجدون ربما صارت مشاهده طاعتهم سببا لزوال غفلته،کما یصیر قولهم و وعظهم سببا لذلک،فیتحرک باعث الدین دون الریاء و یدعوه إلی موافقتهم.و ربما کان الموضع مما لیس فیه عائق،فیغتنم الفرصه و یبعثه ما فیه من الایمان الی الطاعه.و قس علی التهجد غیره:من الصوم،و التصدق،و القراءه و الذکر،و غیرها من أعمال البر.

فصل علاج الریاء

لما کانت الأسباب الباعثه علی الریاء هی حب لذه المدح و الفرار من ألم الذم و الطمع بما فی أیدی الناس،فالطریق فی علاجه أن یقطع هذه الأسباب و قد تقدم طریق العلاج فی قطع الأولین،و یأتی طریق إزاله الثالث.و ما نذکره هنا من العلاج العلمی للریاء،هو أن یعلم أن الشیء إنما یرغب فیه لکونه نافعا،و إذا علم أنه ضار لیعرض عنه البته،و حینئذ

فینبغی لکل مؤمن أن یتذکر مضره الریاء و ما یفوته من صلاح قلبه و ما یحرم عنه فی الحال من التوفیق و فی الآخره من المنزله عند اللّه و ما یعترض له من المقت و العذاب و متی تذکر ذلک و قابل ما یحصل له فی الدنیا من الناس الذین راءی لأجلهم بما یفوته فی الآخره من ثواب الاعمال،لترک الریاء لا محاله،مع ان العمل الواحد ربما تترجح به کفه حسناته لو خلص فإذا فسد بالریاء حول إلی کفه السیئات،فتترجح به و یهوی إلی النار.

هذا مع أن المرائی فی الدنیا متشتت الهم متفرق الباب بسبب ملاحظه قلوب الناس،فان رضاهم غایه لا تدرک،و کلما یرضی به فریق یسخط به فریق و من طلب رضاهم فی سخط اللّه سخط اللّه علیه و أسخطهم أیضا.ثم ای غرض له فی مدحهم و ایثار ذم اللّه لأجل مدحهم و لا یزیده مدحهم رزقا و لا اجلالا و لا ینفعه یوم فقره و فاقته و هو یوم القیامه؟!و من کان ریاؤه لأجل الطمع بما فی أیدی الناس،ینبغی أن یعلم ان اللّه هو المسخر للقلوب بالمنع و الإعطاء،و ان الخلق مضطرون فیه،و لا رازق إلا اللّه، و من طمع فی الخلق لم یخل عن الذل و الخسه،و ان وصل إلی المراد لم یخل عن المنه و المهانه،و إذا قرر ذلک فی نفسه و لم یکن منکرا لأمسه، زالت غفلته و فترت عن الریاء رغبته و أقبل علی اللّه بقلبه،و انقطع بشراشره الی جناب ربه.و یکفیه أن یعلم أن الناس لو علموا ما فی باطنه من قصد الریاء و إظهار الإخلاص لمقتوه،و سیکشف اللّه عن سره حتی یبغضه إلیهم و لو أخلص للّه لکشف اللّه لهم اخلاصه و حببه إلیهم و سخرهم له،و أطلق ألسنتهم بمدحه و ثنائه،مع أنه لا یحصل له کمال بمدحهم و لا نقصان بذمهم ثم من تنور قلبه بنور الایمان و انشرح صدره بالیقین و العرفان، و عرف معنی الواجب و حقیقه الممکن،و تیقن بأن الواجب-أی الحقیقه التی تقتضی بنفس ذاته التحقق و البقاء،و هو صرف الوجود-یجب أن

یکون تاما فوق التمام،و لا یتصور حقیقه أتم کمالا منه،و الحقیقه التی هذا شأنها یجب أن یکون ما سواها باسره مستندا إلیها و صادرا عنها علی أشرف أنحاء الصدور و أقواها.و هذا النحو الأشرف الأقوی الذی لا یتصور نحوه أقوی منه فی الاختراع و أدل منه علی کمال عظمه الموجد و قدرته، و هو کون ما سواه سبحانه من الموجودات،إما اعتبارات و شؤنات لدرجات ذاته و اشراقات لتجلیات صفاته،کما ذهب إلیه قوم،أو کونها ماهیات امکانیه اختراعیه علما و عینا،صادره عن سبحانه بوجودات خاصه متعدده ارتباطیه بمحض إرادته و مشیته،کما ذهب إلیه آخرون (۱)و لو لم یکن غیره من الموجودات مستندا إلیه علی أقوی أنحاء الاستناد،لم یکن تاما فوق التمام،اذ تکون الذات التی یستند الکل إلیها باحد النحوین اکمل منه و أشرف.و إذا عرف أنه سبحانه کذلک،یعرف أنه لیس فی الوجود حقیقه أحد سواه و غیره حقیقته العدم و ما له من الوجود و الظهور منه سبحانه،و بعد هذه المعرفه لا یختار غیره تعالی علیه،و یعلم أن العباد کلهم

---

۱ – ۱) القول الأول مبنی علی اصاله الوجود،و الثانی علی اصاله الماهیه.و هذا البحث الذی ذکره المؤلف من دقائق الفلسفه الآلهیه و اعلاها و لقد أحسن فیه البیان جدا. فانه مبنی علی فهم معنی واجب الوجود لذاته،و هو الذی یکون ذاته بذاته،مع قطع النظر عن کل ما عداه،و من حیث هو هو منشأ لانتزاع انه موجود،فلذلک یجب ان یکون صرف الوجود انه لا شیء له الوجود إلا لکان ممکنا،و یجب أن یکون متصفا بجمیع الکمالات بل اکمل الکمالات و من جملتها ان تکون الموجودات مستنده إلیه علی أقوی أنحاء الاستناد.و إذا لم یتصف بجمیع الکمالات لا یتصف باعدامها،فیدخل فی حقیقته العدم،فلم یکن صرف الوجود،فلم یکن واجب الوجود لذاته،و هذا خلاف الفرض،أو بهذه الطریقه یستدل علی اتصافه بجمیع صفات الجمال و الجلال.

عجزه لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضررا،و لا يملكون موتا و لا حياه، فلا يتغير قلبه بمشاهده الخلق،و لا يلتفت إليهم إلا بخطرات ضعيفه لا يشق عليه ازالتها،فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمله و أما العلاج العملى،فهو أن يعود نفسه على إخفاء العبادات و اغلاق الابواب دونها،كما تغلق الابواب دون الفواحش،حتى يقنع قلبه بعلم اللّه و اطلاعه على عبادته،و لا تنازعه النفس إلى طلب علم غير اللّه به.و ذلك و إن شق فى بدايه المجاهده،لكن إذا صبر عليه مده بالتكلف سقط عنه ثقله و هان عليه بتواصل الطاف اللّه و ما يمده به عباده من حسن التوفيق و التأييد:

إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ

(۱)

.

فمن العبد المجاهده و من اللّه الهدايه:

إِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

(۲)

.

تتميم

القالع مغارس الرياء من قلبه بقطع الطمع و استحقار مدح الناس و ذمهم ربما لا يتركه الشيطان،(لا)سيما فى اثناء العباده،فعارضه بخطرات الرياء و نزغاته،حتى أحدث فى قلبه ميلا خفيا إلى الرياء و حبا له.و الحق أن ذلك ليس من الرياء المحرم،و لا تفسد به العباده،مع كونه كارها

۱- ۱) الرعد،الآيه:۱۱.

۲- ۲) التوبه،الآيه:۱۲۰.

لهـذا الميـل و الحب و قـاهرا على نفسه ماقتـا لها فى تأثرها و تغيرها عن نزغات الشـيطان و منازعا للشـيطان و مجاهـدا إياه لـدفع خطراته،لأـن اللّه لم يكلف عبـاده الاـ مـا يطيقون،و ليس فى وسـعهم منع الشـيطان عن نزغـاته و لاـ قمع الطبع حتى لاـ يميل إلى شهواته،و غـايه مـا يقـدرون عليه أن يقابلوا نزعاته و ميل الطبع بالكراهه و القهر على النفس فى هـذا الميل،مع المجاهـده فى دفع ذلك بتـذكر المعالجات المقرره لـدفع الرياء و الوساوس،و إذا فعلوا ذلك أدوا ما يجب عليهم.و يـدل على ذلك أيضا ما تقـدم من الأخبار الداله على عدم المؤاخذه بمجرد الوسوسه،و قول النبى-صـلى اللّه عليه و آله-:«الحمد للّه الذى رد كيد الشـيطان إلى الوسوسه».فوسوسه الشـيطان و ميل النفس لا يضـران مع ردهما بالكراهه و الاباء،اذ الوساوس و الخواطر و التـذكرات و التخيلات المهيجه للريـاء من الشيطان،و الميـل و الرغبه بعـد تلـك الخواطر من النفس،و الإبـاء و الكراهه من الايمان و من آثار العقل فلا يضـر مـا من النفس و الشـيطان إذا قوبـل بمـا من العقـل و الايمـان،و لـذا قـال بعض الأكابر «ما كان من نفسك فكرهته نفسـك لنفسك،فلا يضرك ما هو من عدوك و ما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه».

ثم الطرق المتصوره فى دفع خطرات الرياء فى اثناء العباده مع كراهتها أربع:

الأولى-أن يشتغل بمجادله الشيطان فى رد نزغاته،و يطيل معه الجدال.

الثانيه-أن يقتصر على تكذيب الشيطان و دفعه من غير اشتغال بمجادلته.

الثالثه-ألا يشـتغل بتكـذيبه أيضا،بل يكتفى بما قرر فى عقد ضـميره من كراهه الرياء و كـذب الشـيطان،فيسـتمر على ما كان عليه مستصحبا له

غیر مشتغل بالمخاصمه و التکذیب.

الرابعه-أن یزید فیما هو فیه من الإخلاص و الاشتغال باللّه،أو ما یؤدی إلیهما،کاخفاء العباده و الصدقه غیظا للشیطان،لأن ذلک یغیظ الشیطان و یوجب یأسه،و مهما عرف من العبد هذه العاده،کف عنه خوفا من أن یزید فی حسناته.

و لا ریب فی أن الاشتغال بالمجادله و التکذیب و اطالتهما یمنع الحضور و یصد عن التوجه إلی اللّه،و هو نقصان لأهل السلوک،فالصواب لکل مؤمن أن یقرر دائما فی عقد ضمیره کراهیه الریاء و تکذیب الشیطان و یعزم أبدا علی أنه إذا تهجم علیه الشیطان و عارضه بنزغات الریاء زاد ما هو فیه مما یغیظ الشیطان و یوجب یأسه،فإذا حدثت خطرات الشیطان فی الاثناء اکتفی بما عقد علیه أولا مستصحبا له،و زاد فی الإخلاص و ما یؤدی إلیه فان ذلک یوجب قنوط الشیطان.و إذا عرف العبد بهذه الصفه لا یتعرض له لئلا یزید فیما یغیظه.و ینبغی لکل مؤمن أن یکون هذا دیدنه فی جمیع الصفات و الملکات،مثلا إذا حصل الیقین و العقیده الجازمه بالمبدإ و صفاته الکمالیه،و قرر ذلک فی نفسه،و أثبت فی قلبه کراهیه الشک و خطور الوساوس،فإذا حدث بعض الوساوس فی اثناء عباده أو غیرها،ینبغی ألا یشتغل بطول المجاهده مع الشیطان،و یکفی بما تقرر فی قلبه من الیقین و کراهیه الشک و الوسوسه،معتقدا بأن هذه الوساوس لا أصل لها و لا عبره بها.و کذا إذا قرر فی نفسه النصیحه للمسلمین و کراهیه الحسد،فإذا أوقع الشیطان نزغات الحسد فی قلبه،ینبغی ألا یلتفت إلیها،و یستصعب ما کان علیه من النصیحه و الکراهه،و قس علیها سائر الصفات و الأخلاق.

ثم مثل من یشتغل بطول المجاهده مع الشیطان مثل من قصد مجلسا من مجالس العلم و الوعظ لینال فائده و هدایه فعارضه ضال فاسق و دعاه إلی

مجلس فسق فابى و أنكر عليه،فإذا عرف الضال إياه،اشتغل بالمجادله معه،و هو أيضا يساعده على ذلك ليرد ضلاله،ظانا أن ذلك مصلحته مع أنه غرض الضال إذ قصده من المجادله أن يؤخره عن نيل مقصوده.

و مثل من يشتغل بالتكذيب مثل من لا يشتغل بالقتال مع الضال بعد دعوته الى مجلس الضلال،بل وقف بقدر أن يدفع فى منحره،و ذهب مستعجلا ففرح الضال بقدر توقفه للدفع.و مثل من يكتفى بعقد الضمير مثل من لم يلتفت إلى الضال بعد دعوته أصلا،و استمر على ما كان عليه من المشى و مثل من يزيد فيما كان له من الإخلاص أو ما يؤدى إليه مثل من يزيد فى عجلته بعد دعوته ليغيظه.و لا ريب فى أن الضال يمكن أن يعاود الجميع فى الدعوه إلى الضلاله إذا مروا عليه مره أخرى إلا الأخير،مخافه أن يزداد فائده باستعجاله.

وصل الإخلاص و حقيقته

ضد الرياء:الإخلاص،و هو تجريد القصد عن الشوائب كلها.فمن عمل طاعه رياء فهو مراء مطلق،و من عملها و انضم إلى قصد القربه قصد غرض دنيوى انضماما غير مستقل فعمله مشوب غير خالص،كقصد الانتفاع بالحميه من الصوم،و قصد التخلص من مؤنه العبد أو سوء خلقه من عتقه،و قصد صحه المزاج أو التخلص من بعض الشرور و الاحزان من الحج،و قصد العزه بين الناس أو سهوله طلب المال من تعلم العلم، و قصد النظافه و التبرد و طيب الرائحه من الوضوء و الغسل،و التخلص عن إبرام السائل من التصدق عليه،و هكذا.فمتى كان باعث الطاعه هو التقرب و لكن انضافت إليه خطره من هذه الخطرات،خرج عمله من الإخلاص

فالاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها،كثيرها و قليلها و المخلص من يكون عمله لمحض التقرب إلى اللّه سبحانه،من دون قصد شيء آخر أصلا.

ثم أعلى مراتب الإخلاص-و هو الإخلاص المطلق و اخلاص الصديقين- إرادته محض وجه اللّه سبحانه من العمل،دون توقع غرض فى الدارين و لا يتحقق إلا لمحب للّه تعالى مستهترا به،مستغرق الهم بعظمته و جلاله بحيث لم يكن ملتفتا إلى الدنيا مطلقا. و أدناها-و هو الإخلاص الاضافى- قصد الثواب و الاستخلاص من العذاب،و قد أشار سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله-الى حقيقه الإخلاص بقوله-:«هو أن تقول ربى اللّه ثم تستقيم كما أمرت (۱)تعمل اللّه،لا تحب أن تحمد عليه!اى لا تعبد هواك و نفسك،و لا تعبد إلا ربك،و تستقيم فى عبادتك كما أمرت».

و هذا إشاره إلى قطع ما سوى اللّه سبحانه عن مجرى النظر،و هو الإخلاص حقا.و يتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس و قطع الطمع عن الدنيا و التجرد فى الآخره،بحيث ما يغلب ذلك على القلب و التفكر فى صفات اللّه تعالى و افعاله و الاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله و عظمته و يستولى عليه حبه و أنسه،و كم من اعمال يتعب الإنسان فيها و يظن انها خالصه لوجه اللّه تعالى،و يكون فيها مغرورا لعدم عثوره على وجه الآفه فيها،كما حكى عن بعضهم أنه قال:«قضيت صلاه ثلاثين سنه كنت صليتها فى المسجد جماعه فى الصف الأول،لأنى تأخرت يوما لعذر و صليت فى الصف الثانى،فاعترتنى خجله من الناس حيث رأونى فى الصف الثانى فعرفت أن نظر الناس إلى فى الصف الأول كان يسرنى،و كان سبب

۱- ۱) إشاره إلى قوله تعالى،مخاطبا لنبيه-صلى اللّه عليه و آله-:«فاستقم كما أمرت».

استراحه قلبی من ذلک من حیث لا اشعر».و هذا دقیق غامض،و قلما تسلم الأعمال من أمثاله،و قل من یتنبه له،و الغافلون عنه یرون حسناتهم فی الآخره کلها سیئات،و هم المرادون بقوله تعالی:

وَ بَدا لَهُمْ سَیِّئاتُ ما عَمِلُوا

(۱)

. وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللّهِ ما لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ (۲).و بقوله: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً؟ اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً (۳).

فصل مدح الإخلاص

الإخلاص منزل من منازل الدین،و مقام من مقامات الموقنین.و هو الکبریت الأحمر،و توفیق الوصول إلیه من اللّه الاکبر،و لذا ورد فی فضیلته ما ورد من الآیات و الأخبار،قال اللّه تعالی:

وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِیَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ

(۴)

.

و قال: أَلا لِلّهِ الدِّینُ الْخالِصُ (۵).و قال: إِلاَّ الَّذِینَ

۱- ۱) الجاثیه،الآیه:۳۳.

۲- ۲) الزمر،الآیه:۴۷.

۳- ۳) الکهف،الآیه:۱۰۴،۱۰۳.

۴- ۴) البینه،الآیه:۵.

۵- ۵) الزمر،الآیه:۳.

تٰابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللّٰهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ

(۱)

و قال:

فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

(۲)

.

نزل فيمن يعمل للّه و يحب أن يحمد عليه.

و فى الخبر القدسى:«الإخلاص سر من أسرارى،استودعته قلب من أحببت من عبادى».و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-«أخلص العمل يجزك منه القليل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ما من عبد يخلص العمل للّه تعالى أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمه من قلبه على لسانه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ثلاث لا يغل عليهن».

وعد منها قلب رجل مسلم أخلص العمل للّه عز و جل.و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«لا تهتموا لقله العمل،و اهتموا للقبول».و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«طوبى لمن أخلص للّه العباده و الدعاء،و لم يشغل قلبه بما ترى عيناه،و لم ينس ذكر اللّه بما تسمع أذناه،و لم يحزن صدره بما أعطى غيره!».و قال الباقر-عليه السلام-:«ما أخلص عبد الايمان باللّه أربعين يوما-أو قال:ما أجمل عبد ذكر اللّه أربعين يوما-الا زهده اللّه تعالى فى الدنيا و بصره داءها و دواءها،و أثبت الحكمه فى قلبه و انطق بها لسانه». و قال الصادق عليه السلام فى قول اللّه عز و جل.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً :

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۴۶.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۱۱۰.

«لیس یعنی أکثرکم عملا،و لکن اصوبکم عملا،و انما الإصابه خشیه اللّه و النیه الصادقه»..ثم قال:«الایفاء علی العمل حتی یخلص أشد من العمل،و العمل الخالص الذی لا ترید أن یحمدک علیه أحد إلا اللّه عز و جل،و النیه أفضل من العمل،ألا و ان النیه هی العمل».

ثم تلا قوله عز و جل«قل کل یعمل علی شاکلته»:یعنی علی نیته».

و قال الصادق-علیه السلام-:«الإخلاص (۱)یجمع فواضل الاعمال و هو معنی مفتاحه القبول و توفیقه الرضا،فمن تقبل اللّه منه و رضی عنه فهو المخلص و ان قل عمله،و من لا یتقبل اللّه منه فلیس بمخلص و ان کثر عمله،اعتبارا بآدم-علیه السلام-و ابلیس.و علامه القبول وجود الاستقامه ببذل کل المحاب مع اصابه علم کل حرکه و سکون،و المخلص ذائب روحه باذل مهجته فی تقویم ما به العلم و الأعمال و العامل و المعمول بالعمل،لأنه إذا أدرک ذلک فقد أدرک ذلک الکل،و إذا فاته ذلک فاته الکل،و هو تصفیه معانی التنزیه فی التوحید کما قال الأول:هلک العاملون إلا العابدون،و هلک العابدون إلا العالمون و هلک العالمون إلا الصادقون،و هلک الصادقون إلا المخلصون،و هلک المخلصون إلا المتقون و هلک المتقون إلا الموقنون،و أن الموقنین لعلی خطر عظیم!قال اللّه لنبیه -صلی اللّه علیه و آله-:و اعبد ربک حتی یأتیک الیقین.و أدنی حد الإخلاص بذل العبد طاقته،ثم لا یجعل لعمله عند اللّه قدرا فیوجب به علی ربه مکافاه بعمله،لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبودیه لعجز، و أدنی مقام المخلص فی الدنیا السلامه فی جمیع الآثام،و فی الآخره النجاه

---

۱ - ۱) صححنا الاخبار المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-علی(الکافی) باب الإخلاص.و علی(الوافی):۳-۳۲۸،۳۲۹ باب الإخلاص.

من النار و الفوز بالجنه» (۱).

و من تأمل فی هذه الاخبار و فی غیرها مما لم یذکر،یعلم أن الإخلاص رأس الفضائل و رئیسها،و هو المناط فی قبول الأعمال و صحتها،و لا عبره بعمل لا الإخلاص معه،و لا خلاص من الشیطان إلا بالإخلاص،لقوله:

إِلاّ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ

(۲)

.

و ما ورد فی الإسرائیلیات من حکایه العابد و الشیطان و الشجره المشهور و فی الکتب مسطور (۳).

فصل آفات الإخلاص

الآفات التی تکدر الإخلاص و تشوشه لها درجات فی الظهور و الخفاء اجلاها الریاء الظاهر،و هو ظاهر.ثم تحسین العباده و السعی فی الخشوع فیها فی الملاء دون الخلوه لیتأسی به الناس،و لو کان عمله هذا خالصا للّٰه لم یترکه فی الخلوه،إذ من یری الخشوع و حسن العباده خیرا لا یرتضی لغیره ترکه،فکیف یرتضی ذلک لنفسه فی الخلوه،ثم تحسینها فی الخلوه أیضا بقصد التسویه بین الخلوه و الملاء و هذا من الریاء الغامض،لأنه حسن عبادته فی الخلوه لیحسنها فی الملاء فلا یکون فرق بینهما فی التفاته فیهما إلی الخلق،اذ الإخلاص الواقعی أن تکون مشاهده الخلق لعبادته

۱- ۱) صححنا الروایه علی(مصباح الشریعه):الباب ۷۷ و علی(البحار): مج ۲:۱۵-۸۶ باب الإخلاص عن(مصباح الشریعه).

۲- ۲) الحجر،الآیه ۴۰.

۳- ۳) راجع(احیاء العلوم)۴-۳۲۲.

كمشاهده البهائم لها،من دون تفاوت أصلا،فكأن نفسه لا تسمح باساءه العباده بين اظهر الناس،ثم يستحى من نفسه أن يكون فى صوره المرائين و يظن أن ذلك يزول باستواء عبادته فى الخلوه و الملأ،و ليس كما ظنه،اذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاته إلى الخلق فى الملأ و الخلوه كما لا يلتفت الى الجمادات فيهما مع أنه مشغول الهم بالخلق فيهما جميعا.و اخفاها أن يقول له الشيطان-و هو فى العباده فى الملأ بعد يأسه عن المكائد السابقه-:

«أنت واقف بين يدى اللّه سبحانه،فتفكر فى جلاله و عظمته،و استحى من أن ينظر إلى قلبك و هو غافل عنه!فيحضر بذلك قلبه و تخشع جوارحه» و هذا أخفى مكائد الشيطان و خداعه،و لو كانت هذه الخطره ناشئه عن الإخلاص لما انفكت عنه فى الخلوه و لم يخص خطورها بحاله حضور غيره و علامه الأمن من هذه الآفه:أن يكون هذا الخاطر مما يألفه فى الخلوه كما يألفه فى الملأ،و لا يكون حضور الغير سببا لحضوره كما لا يكون حضور بهيمه سببا له،فما دام العبد يفرق فى أحواله و أعماله بين مشاهده انسان و مشاهده بهيمه،فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء،و هذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النمله السوداء فى الليله الظلماء على الصخره الصماء،كما ورد به الخبر و لا يسلم منه إلا من عصمه اللّه بخفى لطفه،اذ الشيطان ملازم للمتشمرين لعباده اللّه،لا يغفل عنهم لحظه ليحملهم على الرياء فى كل واحد من أفعالهم و أعمالهم.

تتميم

الحق-كما أشير إليه-أن الشوب الممزوج بالإخلاص إن كان من المقاصد الصحيحه الراجحه شرعا،لم يبطل العمل و الإخلاص و لم ينقص

ص :۴۱۹

الأجر و الثواب.اذ نيه الخيرات المتعدده توجب تضاعف الثواب بحسبها و إن كان من الأغراض الدنيويه الراجعه إلى حب جاه أو طمع مال فهو مبطل للعمل و الثواب،سواء كان الباعث الدينى أضعف من الباعث النفسى أو مساويا له أو أقوى منه،لظواهر الاخبار المتقدمه.و مع إبطاله العمل يترتب عليه عقاب على حده أيضا،إذ الرياء فى العباده فى نفسه منهى عنه محرم،سواء كان هو الباعث وحده او انضم إلى نيه التقرب انضماما مستقلا أو غير مستقل،فمن ارتكبه كان آثما لأجل الرياء فى نفسه و تاركا للعباده من حيث دخول الرياء فيها،فان كانت واجبه ترتب اثم آخر على تركها إلا أن يسقطه بقضائها،و ان كانت مستحبه لم يلزم قضاؤها و لم يترتب اثم على تركها،بل كان اثمها منحصرا بما يترتب على الرياء فى نفسه.ثم الإثم المترتب على الرياء المحض أشد و اغلط من المترتب على الرياء الممزوج بالقربه،و يتزايد اثم الممزوج بحسب ازدياد قوه باعث الرياء بالنظر إلى باعث الإخلاص،و ينقص بحسب نقصان ذلك.

و على ما ذكرناه،فما العقد عليه إجماع الأمه من أن من خرج حاجا و معه تجاره صح حجه و أثيب عليه،مع أن سفره ليس خالصا للحج، فالوجه فيه أن التجاره تعرض للرزق،و هو أيضا عباده.و قد تقدم أن نيه الخيرات المتعدده موجبه لتضاعف الثواب بحسبها،فلا حاجه إلى ما قيل «إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكه و تجارته غير موقوفه عليه فهو خالص،و إنما المشترك طول المسافه،و لا ثواب فيه مهما قصد تجاره»،و لا إلى ما قيل:«مهما كان الحج هو المحرك الأصلى و كان غرض التجاره كالمعين و التابع،فلا ينفك نفس السفر عن الثواب» نعم،إذا كانت التجاره للجمع و الادخار من غير حاجه،فلا يبعد أن يقال ذلك،و كذا إذا انضم إلى قصد الحج قصد التفرج و دفع التوحش عن الأهل

انضماما غیر مستقل،و مثله إذا انضم إلی نیه الوضوء التبرد،و إلی نیه الصوم قصد الحمیه،و إلی نیه العتق الخلاص من المؤنه و سوء الخلق،الی غیر ذلک،اذا لم تکن المنضمات مستقله.

و من العلماء من قال:«إن الباعثین إن تساویا تساقطا،و صار العمل لا-له و لا علیه،و ان کان باعث الریاء أقوی لم یکن العمل نافعا،بل کان مضرا و موجبا للعقاب،و إن کان عقابه أخف من عقاب الذی تجرد للریاء و ان کان باعث التقرب أقوی فله ثواب بقدر ما فضل من قوته، لقوله تعالی:

فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ. وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ

(۱)

.و قوله تعالی: إِنَّ اللّهَ لا یَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّهٍ (۲).

فلا ینبغی أن یضیع قصد الخیر،بل إن کان قصد التقرب غالبا علی الریاء حبط منه القدر الذی یساویه و بقیت زیاده،و إن کان مغلوبا سقط بسببه شیء من عقوبه القصد الفاسد.و السر:أن الأعمال تأثیرها فی القلوب بتأکید صفاتها،فداعیه الریاء من المهلکات،و قوه هذا المهلک بالعمل علی وفقه،و داعیه الخیر من المنجیات،و قوته بالعمل علی وفقه،فإذا اجتمعت الصفات فی القلب فهما متضادتان،فإذا عمل علی وفق مقتضی الریاء قویت تلک الصفه،و ان عمل علی وفق داعیه الخیر قویت أیضا تلک الصفه،و أحدهما مهلک و الآخر منج.فان کانت تقویته لهذا بقدر

۱- ۱) الزلزال،الآیه:۷،۸.

۲- ۲) النساء،الآیه:۴۰.

تقویته للاخر فقد تقاوما،و ان کان أحدهما غالبا زاد تأثیره بقدر الفاضل من قوته،کما فی تأثیر الأدویه و الأغذیه المتضاده»انتهی (۱).

و فیه:أن إطلاق الظواهر یفید کون شوب الریاء محبطا للعمل و الثواب و قدم تقدم بعضها.و منها ما روی:«أن رجلا سأل النبی-صلی اللّه علیه و آله-:عمن یصطنع المعروف-أو قال-یتصدق-فیحب أن یحمد و یؤجر،فلم یدر ما یقول له،حتی نزل قوله تعالی:

فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً

(۲)

.

و لا ریب فی أنه قصد الحمد و الأجر جمیعا،و مع ذلک نزلت فی حقه هذه الآیه.

و منها ما روی:«أن اعرابیا أتاه-صلی اللّه علیه و آله-و قال:

یا رسول اللّه،الرجل یقاتل حمیه،و الرجل یقاتل شجاعه،و الرجل یقاتل لیری مکانه فی سبیل اللّه!فقال-صلی اللّه علیه و آله-:من قاتل لتکون کلمه اللّه هی العلیا فهو فی سبیل اللّه».و حملها علی صوره تساوی القصدین

۱- ۱) ابو حامد الغزالی:(احیاء العلوم):۴-۳۲۸.و نقله المؤلف باختصار و تصرف قلیلین.

۲- ۲) هذه مرویه فی(البحار):مج ۳:۱۵-۵۹،باب ذم السمعه و الاغترار بمدح الناس،عن عده الداعی بمضمون یقارب ماهنا و نصه عن سعید بن جبیر قال:«جاء رجل إلی النبی-صلی اللّه علیه و آله-فقال:انی اتصدق و أصل الرحم و لا اصنع ذلک إلا للّه فیذکر عنی و أحمد علیه،فأسر فی ذلک و اعجب به.فسکت رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و لم یقل شیئا،فنزل قوله تعالی:إنما أنا بشر. الآیه».

أو غلبه قصد الرياء خلاف الظاهر.و ما ذكره من أن لكل قصد و فعل تأثيرا خاصا على حده،ففيه أن ذلک إذا لم يبطله ضده.و نحن نقول:

إن مقتضى الاخبار كصريح العقل يدل على أن قصد الرياء يبطل قصد القربه إذا تواردا على فعل واحد،فلا يبقى لقصد التقرب تأثير حتى يتصف بالزياده على تأثير قصد الرياء.

و منها:

النفاق

و هو مخالفه السر و العلن،سواء كان فى الايمان أو فى الطاعات أو فى المعاشرات مع الناس،و سواء قصد به طلب الجاه و المال أم لا-و على هذا فهو أعم من الرياء مطلقا،و ان خص بمخالفه القلب و اللسان أو بمخالفه الظاهر و الباطن فى معامله الناس و مصاحبتهم،فبينهما عموم و خصوص من وجه.و على التقادير،إن كان باعثه الجبن فهو من رذائل قوه الغضب من جانب التفريط،و ان كان باعثه طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الإفراط و إن كان منشأه تحصيل مال أو منكح فهو من رداءه قوه الشهوه و لا ريب فى أنه من المهلكات العظيمه،و قد تعاضدت الآيات و الأخبار على ذمه.و أشد أنواع النفاق-بعد كفر النفاق-كون الرجل ذا وجهين و لسانين،بأن يمدح أخاه المسلم فى حضوره و يظهر له المحبه و النصيحه، و يذمه فى غيبته و يؤذيه بالسب و السعايه إلى الظالمين و هتک عرضه و اتلاف ماله و غير ذلک،و بأن يتردد بين متعاديين و يتكلم لكل واحد بكلام يوافقه و يحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداه مع صاحبه و يمدحه (۱)على

۱- ۱) و فى النسخ(اثناه)بدل(يمدحه)،و لم نر لها وجها.

ذلک،أو یعد کل واحد منهما أنه ینصره،أو ینقل کلام کل واحد الی الآخر.و هذا شر من النمیمه التی هی النقل من أحد الجانبین.و بالجمله هو بجمیع أقسامه مذموم محرم،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- «من کان له وجهان فی الدنیا،کان له لسانان من نار یوم القیامه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«تجدون من شر عباد اللّه یوم القیامه ذا الوجهین:الذی یأتی هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«یجیء یوم القیامه ذو الوجهین دالعا لسانه فی قفاه و آخر من قدامه یلتهبان نارا حتی یلتهبان خده،ثم یقال:هذا الذی کان فی الدنیا ذا وجهین و ذا لسانین،یعرف بذلک یوم القیامه». و ورد فی التوراه «بطلت الأمانه و الرجل مع صاحبه بشفتین مختلفتین،یهلک اللّه یوم القیامه کل شفتین مختلفتین».و عن علی بن اسباط،عن عبد الرحمن بن حماد، رفعه قال:قال اللّه تبارک و تعالی لعیسی:«یا عیسی،لیکن لسانک فی السر و العلانیه لسانا واحد،و کذلک قلبک،إنی احذرک نفسک،و کفی بی خبیرا!لا یصلح لسانان فی فم واحد،و لا سیفان فی غمد واحد،و لا قلبان فی صدر واحد،و کذلک الاذهان!».و قال الباقر علیه السلام:

«لبئس العبد عبد یکون ذا وجهین و ذا لسانین،یطری أخاه شاهدا و یأکله غائبا،إن أعطی حسده و ان ابتلی خذله».

ثم لا یخفی أن الدخول علی المعتادیین و المجامله مع کل منهما قولا و فعلا لا یوجب کونه منافقا و لا ذا لسانین إذا کان صادقا،إذ الواحد قد یصادق متعادیین،و لکن صداقه ضعیفه،إذ الصداقه التامه تقتضی معاداه الأعداء و کذا من ابتلی بذی شر یخاف شره،یجوز أن یجامله و یتقیه و یظهر له فی حضوره من المدح و المحبه ما لم یعتقد به قلبه،و هو معنی المداراه، و هو و ان کان نفاقا إلا أنه جائز شرعا للعذر،قال اللّه سبحانه:

اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ

(۱)

.

و روی:«أنه استأذن رجل علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- فقال:ائذنوا له فبئس رجل العشیره.فلما دخل ألان له القول،حتی ظن أن له عنده منزله.فلما خرج،قیل له:لما دخل قلت الذی قلت ثم ألنت له القول؟!فقال:إن شر الناس منزله عند اللّه یوم القیامه من اکرمه الناس اتقاء لشره».و یدل علی جواز ذلک جمیع أخبار التقیه و اخبار المداراه.و فی خبر:«ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه».

و قال بعض الصحابه:«کنا نبشر فی وجوه أقوام نلعنهم بقلوبنا».ثم جواز ذلک انما إذا اضطر إلی الدخول علی ذی الشر و مدحه مظنه الضرر أما لو کان مستغنیا عن الدخول و الثناء أو عن أحدهما،و مع ذلک أبدی بلسانه ما لیس فی قلبه من المدح،فهو نفاق محرم.

ثم ضد النفاق استواء السر و العلانیه،أو کون الباطن خیرا من الظاهر،و هو من شرائف الصفات،و کان الاتصاف به و الاجتناب من النفاق أهم مقاصد المؤمنین من الصدر الأول.و من تأمل فی ما ورد فی ذم النفاق و فی مدح موافقه الباطن مع الظاهر،و تقدم الرویه فی کل قول و فعل لم یصعب علیه أن یحافظ نفسه من رذیله النفاق.

انتهی الجزء الثانی و یلیه الجزء الثالث،و أوله(و منها:الغرور)

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۹۶.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩